الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

الجامعة الإفريقية: أحمد دراية-أدرار-

كلية: العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية

قسم: العلوم الإنسانية

الإسهامات الاجتماعية والثقافية للشيخ محمد باي بلعالم بإقليم توات (1348هـ - 1430هـ /1930م- 2009م)

رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر

إعداد الطالبة:

أسماء ابلالي

إشراف الأستاذ الدكتور:

عبد الكريم بوصفصاف

أعضاء لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الصفة	الرتبة	الجامعة الأصلية
أ.د/ محمد دباغ	رئيساً	أستاذ التعليم العالي	جامعة أدرار
أ/ د عبد الكريم بوصفصاف	مشرفاً ومقرراً	أستاذ التعليم العالي	جامعة أدرار
أ.د/ طاهر دراع	عضواً مناقشاً	أستاذ التعليم العالي	جامعة ادرار
د/ محمد حوتية	عضواً مناقشاً	أستاذ التعليم العالي	جامعة أدرار

السنة الجامعية: 1433هـ-1434هـ/ 2012-2013م.

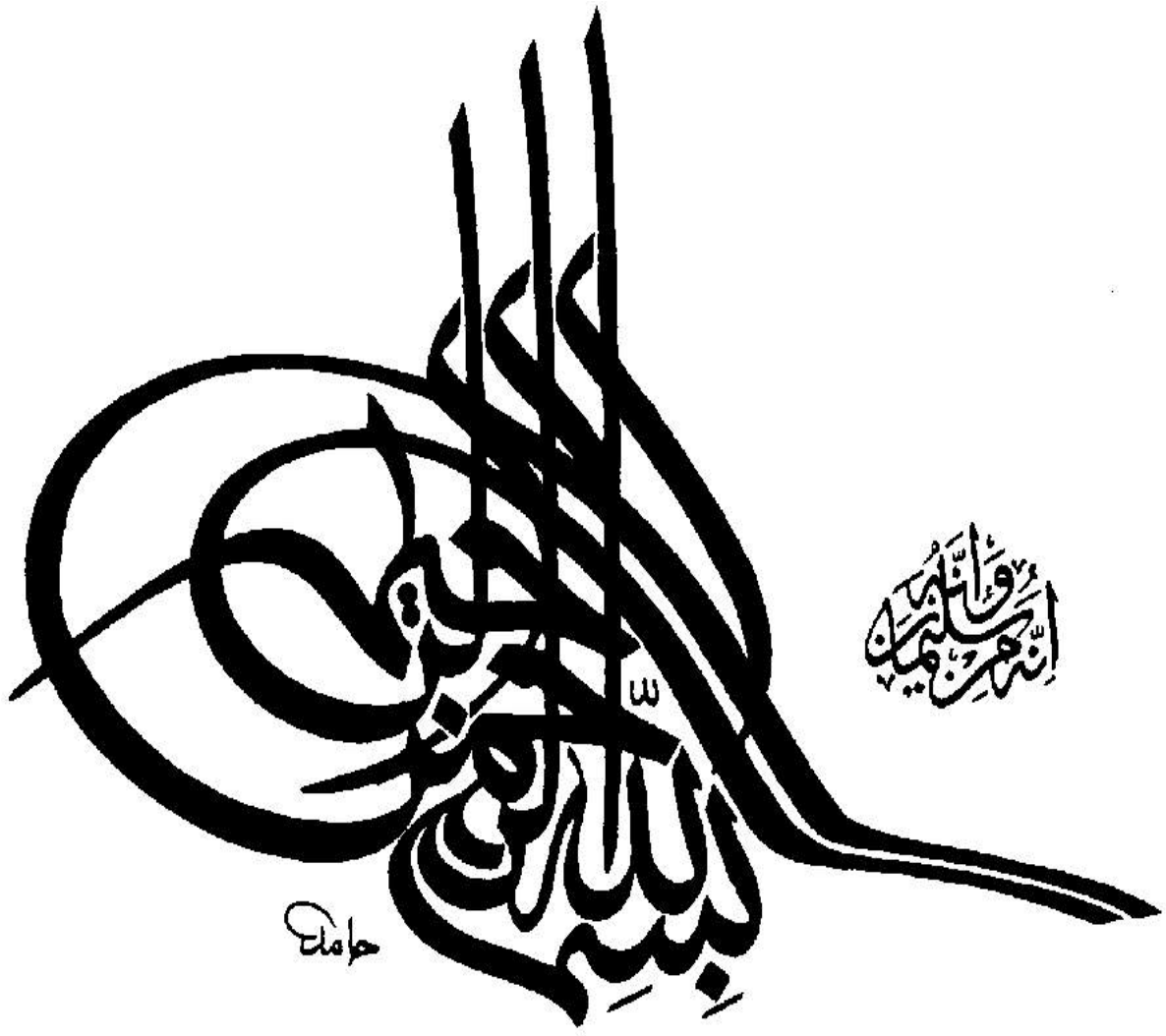
بسم الله الرحمن الرحيم
وإنه من سليمان
حامد

قال تعالى:

(قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِٱللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾) سورة هود الآية 88.

وقال: (قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِي أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾) سورة يوسف الآية 108.

"لا تطرف ولا تخرف نبغي الوسطية والاعتدال

لا إفراط ولا تفريط"

العلامة محمد باي بلعالم

إهداء

إلى من قال فيهما المولى عز وجل: ﴿واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا﴾ . والدي الكريمين حفظهما الله وأطال في عمرهما .

إلى إخوتي كلا بكرم اسمه خاصة "إكرام" كما لا أنسى راسمتي البسمة

إلى جميع أفراد عائلتي صغيراً وكبيراً . في الأسرة الصغيرتين"رحيل"و"فاطمة الزهراء"

إلى روح أجدادي وروح خالي العزيز "عبد الرحمن" .

إلى كل معلمي وأساتذتي الذين تعلمت وتربيت على أيديهم .

إلى كل مثابر ومجاهد من أجل العلم .

أهدي ثمرة جهدي المتواضع

أسماء ابلالي

إهداء

إلى روح **العلامة محمد باي بلعالم** الذي نذر حياته من

أجل العلم والتعليم، والذي قضى بياضه على سواده

من أجل خدمة الإسلام واللغة العربية وخاض

من أجل ذلك أسفاراً عديدة شاقة وتحمل صعوبات جمة فرحمه الله تعالى

واسكنه فسيح جناته وجعل عمله في ميزان حسناته.

أسماء ابلالي

شكر و تقدير

أما وقد أنهيت البحث لا يسعني إلا أن أحمدك ربي أبلغ الحمد على توفيقك وحسن عونك وعلى جميع نعمك وأسألك المزيد من فضلك وبعد .

فان كان لا بد من الاعتراف لذوي الفضل على فضلهم فاني أقدم شكري الموصول وخالص تقديري واحترامي للأستاذ الفاضل الدكتور "عبد الكريم بوصفصاف" (حفظه الله وأطال في عمره) الذي تحمل الإشراف على عملي هذا بتوجيهاته وإرشاداته القيمة ليظهر على صورته الحالية، فجزاه الله عني وعن طلبته الذين نهلوا من معينه الصافي خير الجزاء، وجعل عمله في ميزان حسناته وأبقاه للعلم والعطاء .

ثم أوجه شكري الموصول إلى والدي الكريمين اللذين كانا لي اكبر سند في انجاز هذا البحث بما وفراه لي من وسائل وبما أحطاني به من دعاء فأسال الله العلي القدير أن يطيل في عمرهما ويجعل كل ذلك في ميزان حسناتهما .

كما أشكر كل أساتذتي الذين أمدوني بيد العون في إنجاز هذا البحث بتوجيهاتهم ونصائحهم القيمة وأخص بالذكر الأساتذة: "حمادي بن موسى"، "غزالة بوغانم"، "محمد الدباغ" ،كما أوجه شكري الخالص للشيخ "أحمد بن مالك" والأستاذ "حامد لمين عبد الله"، والأستاذ "محمد باي بن مالك" الذين أمدوني بكل ما يتعلق بالموضوع من مصادر مخطوطة أو مكتوبة أو شفهية فجزاهم الله عني خير الجزاء .

وأتقدم بالشكر العميق والموصول إلى كل الأصدقاء الذين أمدوني بيد العون ولو بالكلمة الطيبة وأخص بالذكر أختي "خديجة حالة" .

كما أوجه شكري الخالص والموصول إلى مدير متوسطة الأمير عبد القادر بباحو السيد "عبد الله جودي" الذي مكنني أن أوفق ما بين الدراسة ومهنة التدريس.

أسماء ابلالي

مقدمة البحث وخطته

أهمية الموضوع:

يحظى إقليم توات (ولاية ادرار) باهتمام العديد من الباحثين، الذين اهتموا بتطوره التـــاريخي، ودوره في مجاله الجغرافي ومع ذلك بقي الاهتمام بالكثير من أعلامه الذين عرفوا بإنتاجهم التاريخي العلمي الغزير مجالا خصبا للدراسة يتطلب أن تسلط عليهم الأضواء الكافية، حتى لا تبقى خزائن المخطوطات التي تعطي صورة واضـــحة وجلية عن الحضور العلمي لعلماء الإقليم مجرد كماً هائلاً لا يلتفت إلى أهميته الكثير من الباحثين.

ومن هنا أردت تسليط الضوء على علم من أعلامه المعاصرين، وهو الشيخ محمد باي بلعـــالم (1930-2009)، هذه الشخصية التي كان لها حضور فعال، ودور ديني واجتماعي، وثقافي علمي في منطقة توات بأقاليمها الثلاث (تيديكلت، توات الوسطى، قورارة)، فكان جدير بالدراسة لإبراز إسهاماته الفكرية والعلمية والتي تشهد عليها مؤلفاته الفقهية والأدبية والتاريخية .

وهو موضوع جديد في طرحه، ومضمونه إذ أننا لا نكاد نعثر على مادته في المراجع أو المصادر المحلية التي كُتبت حول تاريخ الإقليم الحديث، والمعاصر حتى الآن.

دوافع اختيار الموضوع:

لقد دفعني اختيار البحث في هذا الموضوع جملة من العوامل الذاتية و العلمية قسمتها كالتالي:

أ- الدوافع الذاتية:

1- التحفيز والتشجيع الذي تلقيته من والدي الكريم الذي كان سبباً في اختياري للبحث في تخريج أعمال الشيخ محمد باي.

2- الرغبة في إبراز إسهامات الشخصيات المحلية في الجانب العلمي والإصلاحي بإقليم توات .

3- محاولة معرفة الوزن العلمي للشخصية موضوع الدراسة في مقاطعات إقليم توات الثلاث وخارجها، فكثير ما ورد ذكر الشيخ محمد باي والاستشهاد به عند علماء توات وفقهائها إلى جانب كونه شخصية معاصرة سمعنا عنه الكثير ونحن طلبة قبيل وفاته.

4- الرغبة في إثراء تاريخ إقليم توات بصفة خاصة، وتاريخ الجزائر بصفة عامة في العصر الحديث.

ب- الدوافع العلمية:

1- توفر المادة العلمية الضرورية لإنجاح أي بحث أكاديمي، فالشيخ محمد باي خلف ما يناهز الأربعين كتابـــاً في فنون متنوعة تساعد على البحث والتنقيب، كما أنها تستحق الدراسة والتقويم أكاديميا. خاصة وانه قد سجل فيها جل مواقفه وأفكاره وآرائه من قضايا عصره سواء كانت دينية أو أخلاقية أو علمية أو حتى ثقافية واقتصادية.

2- الرغبة في إبراز وإخراج أعمال الشيخ محمد باي العلمية والاجتماعية وتقويما أكاديميا حتى يستفيد منها الطالب والباحث على حد السواء.

إشكالية البحث:

إن دراسة أي موضوع من المواضيع لا بد أن يقترن بدراسة الظروف التي أحاطت بـــه، حـــتى يوضـــع الموضوع في إطاره الحقيقي ونسلم بان النتائج مربوطة بأسبابها، وعليه فإشكالية هذا البحث تتمثـــل في كشـــف الظروف التي ولد وعاش وتمدرس فيها الشيخ محمد باي بلعالم كشخصية مخضرمة فقد عاش نصف حياته تقريباً في ظل ظروف استعمارية قاسية، وبيئة اجتماعية محافظة لم تعطه مجالاً واسعاً لحرية الفكر والإبداع، فالشيخ لم يجد هامشاً متسعاً من هذه الحرية الفكرية إلا في ظل الدولة الوطنية التي أتاحت له فرصة التنقل، والبحث والتنقيب عن آثار السابقين من علماء هذا الإقليم الواسع من بلادنا.

هذه الإشكالية تسعى إلى إبراز الدور الذي لعبه مترجمنا الشيخ "محمد باي بلعالم" في المجال الاجتمـــاعي والعلمي بإقليم توات من خلال الإجابة عن الأسئلة الآتية:

في مجتمع اهتم كثيرا بالأنساب، كان لابد من التعريف بقبيلة فلان التي ينتسب إليها الشيخ "محمد باي" وما هي مواطن تواجدها ؟ لمعرفة أهو من الأشراف؟ أم المرابطين أم من غيرهما من الفئات؟ وما هي أهم الظـــروف الـــتي أحاطت بالتكوين الشخصي والعلمي للشيخ محمد باي؟

وما هي أهم أعماله والإصلاحات التي نادى بها؟ وهل كان لآرائه وأفكاره اثر في المجتمع التواتي ؟ ومـــا مدى استجابة سكانه لدعوته الإصلاحية؟

وما قيمة ما ألفه الشيخ "محمد باي" من كتب في مختلف الفنون الشرعية واللغوية والأدبية والتاريخية؟ وما دورها في خدمة المذهب المالكي والمحافظة على اللغة كعنصر أساس من عناصر الهوية الوطنية، والمحافظـــة علـــى الذاكرة الجماعية لإقليم توات بصفة خاصة والجزائر بصفة عامة ؟ وما مكانة الشيخ "محمد باي بلعالم" العلمية وما موقف العلماء الآخرين منه؟

وسأحاول الإجابة عن كل عناصر هذه الإشكالية من خلال توزيع المادة العلمية بمضامينها ومنهجها على فصول الرسالة توزيعاً عادلاً قدر الإمكان.

الإطار الزماني للبحث:

أما الإطار الزماني لهذه الدراسة فيمتد من (1348هـــ- 1430هـــ/1930م- 2009م) وهـــي مرحلـــة تاريخية معاصرة ومليئة بالأحداث والتحولات السياسية والفكرية والاقتصادية والثقافية والاجتماعيـــة في الجزائـــر ولاشك أن مترجمنا هو واحد من الرجال الفاعلين في هذه التحولات الجديدة التي شهدها إقليم تـــوات خاصـــة والجزائر بصورة عامة خلال هذه المرحلة .

ومن هنا فان هذه الفترة هي غنية بالأحداث التاريخية والظواهر الاجتماعية والثقافية، بل والعلمية أيضا مما يتطلب من الباحث أن يكون مدركاً لهذه التحولات مما لديه من معرفة منهجية وخبرة علمية وثقافية واجتماعيـــة واقتصادية وسياسية.

مناهج البحث:

اتبعت في دراسة هذا الموضوع على مناهج علمية متكاملة معروفة في مجال الدراسات التاريخية تبعاً لمادة البحث وأهدافه العلمية وتتمثل في:

1- المنهج التاريخي الوصفي: وقد وظفته في وصف الأحداث، والوقائع التاريخية للجزائر وإقليم توات حسب تسلسلها الزمني في غالب الأحيان وما يحيط بحياة الشيخ "محمد باي بلعالم".

2- المنهج التحليلي النقدي: استعملته في دراسة، وتحليل وتصنيف وتقييم أعمال الشخصية محل الدراسة في مختلف الموضوعات التي تناولها لاستنباط أفكاره ومواقفه من بعض القضايا والمسائل الاجتماعية والعلمية ثم إبداء الري ما أمكنني إلى ذلك سبيلا، كما استعملته في دراسة الوقائع التاريخية سواء المتعلقة بالمنطقة أو بحياة مترجمنا ومناقشتها وربطها ببعضها البعض بهدف الوصول إلى استنتاجات لأحكام جزئية أو عامة .

3- المنهج المقارن: اعتمدته لمقارنة أفكار وآراء الشيخ "محمد باي بلعالم" وأعماله العلمية ونشاطاته الإصلاحية الدينية منها والاجتماعية مع غيرها من آراء وأقوال وأعمال علماء من الإقليم وخارج الإقليم لاستخراج أوجه الاختلاف وأوجه الشبه، كما إنني استعملته في ترجيح الروايات والأقوال المتضاربة عن أصل تسمية توات وعن أصل قبيلة فلان وعن جوانب من حياة مترجمنا.

بالإضافة إلى اعتمادي **المنهج الاستنتاجي** في معرفة الدوافع والأسباب التي كانت وراء بعض مواقف الشيخ "محمد باي"،كما قمت بجرد دقيق لمؤلفاته المطبوعة منها والمخطوطة .

أهداف البحث :

يهدف هذا البحث إلى تسليط الضوء على علم من أعلام ولاية ادرار المخضرمين الذين عاشوا الحقبة الاستعمارية، وفترة ما بعد الاستقلال لمحاولة الكشف عن دوره العلمي، والاجتماعي في إقليم توات وقيمة ما كتبه من كتب والتي ناهز عددها الأربعين كتاباً في مختلف العلوم والفنون الشرعية والأدبية والتاريخية ما جعل منه مرجعية علمية لتلامذته والمدرسين بالزوايا والمحاضرين بها.

صعوبات البحث:

لاشك أن انجاز بحث في موضوع جديد مادته قليلة وذي صبغة محلية، تُسهم في صنع أحداثه الروايات الشفوية تقف في طريق انجازه صعوبات جمة أهمها:

1- عدم وجود دراسات سابقة حول الشخصية موضوع الدراسة، لا سيما فيما يتصل بتصنيف آرائه وأعماله - التي جاءت في معظمها فقهية- واستخلاص النتائج وإصدار الأحكام، وهو ما تطلب مني جهداً كبيراً.

2- امتناع بعض المشايخ عن استقبال الدارسين والباحثين الأكاديميين، وهو ما شكل عقبة كؤود في طريق البحث لتحقيق الأهداف المرجوة من هذه الدراسة.

الدراسات السابقة للموضوع:

لقد حاولت من البداية أن ألم الماماً شاملاً بهذا الموضوع من حيث الدراسات الأكاديمية أو التآليف العامة التي أنجزت حول إسهامات هذا الشخصية على الرغم من اعتماد الكثير من الباحثين على أقواله، ومؤلفاته إلا أنني لم اعثر على شيء من هذا القبيل، اللهم إلا تلك الشذرات التي يلمسها القارئ هنا وهناك في بعض الجرائد أو المطويات أو ما سمعته من وجود مذكرتي ليسانس لطالبتين قد أنجزتا إحداهما حول "العائلة الفلانية القبلوية ودورها في الحركة اللغوية والأدبية بتوات" –وقد اطلعت عليها– والأخرى لم اعثر عليها؛ ومهما يكن من أمر فإنني قد شرعت في دراسة أعمال، ومواقف هذه الشخصية دراسة مباشرة وأولية لم اعتمد في فهمها على دراسة سابقة، لذا وجدت نفسي مضطرة إلى الاعتماد على المصادر الشفوية، بالإضافة إلى كتاباته التي تعرض فيها إلى ذكر بعضاً من جوانب حياته فحاولت أن استنتج من ذلك العوامل التي صقلت موهبته، وأثرت على تكوينه الشخصي والعلمي.

وصف مصادر البحث ومراجعه:

لقد اعتمدت في انجاز هذا البحث على مجموعة من المصادر والمراجع، تختلف أهميتها باختلاف قربها أو بعدها عن زمن الأحداث وسأقتصر على ذكر أهمها فقط.

أولاً– مصادر البحث:

تتميز هذه المصادر بالتنوع والثراء في موضوع الدراسة، وقد غذت جوانب مختلفة من هذا البحث من بينها:

أ– المصادر المكتوبة: والمتمثلة في معظمها فيما كتبه مترجمنا من ذلك كتاب: (الرحلة العلية إلى منطقة توات) بجزئيه الذي تناول فيه جوانب هامة عن المنطقة التواتية الاجتماعية منها والثقافية وحتى الاقتصادية، وعلى الرغم من أن الكتاب له منهجية معينة إذ جاء على شكل الكشكول كما قال عنه صاحبه، وكثرت الاستطرادات فيه مما يجعل منه متعب جدا عند تتبع أحداثه، إلا انه يترجم لنا جانباً مهماً من حياة الشيخ "محمد باي بلعالم" كما انه أعطانا صورة عامة عن تاريخ إقليم توات وأعلامه وسكانه وعاداتهم وتقاليدهم والمراكز العلمية به وشذرات من الحياة الاقتصادية لذا كان الاعتماد عليه في الغالب، وكذا كتابه (قبيلة فلان في الماضي والحاضر) الذي عرف فيه بالقبيلة الفلانية وأماكن تواجدها وفروعها في الجزائر وأهم علمائها، وعلى الرغم من ان له منهجية خاصة أيضا إلا انه أفادني في البحث خاصة في التعريف بفرع القبيلة الفلانية الصحراوي الجزائري، ومن كتبه التي اعتمدت عليها في استخراج واستنباط أفكاره وآرائه ومواقفه كتاب: (إقامة الحجة بالدليل شرح على نظم ابن بادي لخليل) وكتاب: (مرجع الفروع إلى التأصيل من الكتاب والسنة والإجماع الكفيل شرح على نظم خليفة بن حسن السوفي المسمى جواهر الإكليل) وكتاب: (زاد السالك شرح أسهل المسالك) التي شرح فيها جملة المسائل التي وردت في الفقه المالكي مبديا موقفه من مستجدها كقضية الإحرام من جدة وجواز التوكيل للنساء في الرمي وغيرها من

المسائل الفقهية وكتاب: (السيف القاطع والرد الرادع) الذي وضح فيه موقفه من الربا والتعامل الربوي وغيرها من مؤلفاته الشرعية واللغوية .

ومن المصادر المكتوبة التي اعتمدتها أيضا لاسيما فيما يتعلق بتاريخ المنطقة كتاب:(نسيم النفحات) " لاحمد الطاهري الإدريسي المغربي" الذي صور فيه جوانب هامة من تاريخ الإقليم أثناء الفترة الاستعمارية إذ جمع فيه مؤلفه بين التاريخ والوصف الجغرافي، والسيرة الذاتية وأدب الرحلات فجاء سجلاً حافلاً يصف إقليم توات وأخباره في عصر المؤلف، وهو نفسه العصر الذي عاش فيه مترجمنا لذا اعتمدت عليه خاصة في التعرف على أوضاع الإقليم خلال الحقبة الاستعمارية، وبالتالي فهو مصدر مهم للباحث في تاريخ المنطقة لأنه يعتبر شهادة صادقة من مؤلفه وكتاب:(سكان تيديكلت القدماء والاتكال على النفس) للمناضل "سعيدان التومي" فهو أيضا يعتبر شهادة صادقة من مؤلفه الذي عايش الفترة الاستعمارية وما بعد الاستقلال وقد اعتمدت عليه في فهم الأوضاع السياسية للمنطقة في ظل السيطرة الاستعمارية على الرغم من انه تميز بالاقتضاب، ومن المصادر الكتابية التي اعتمدت عليها أيضا فتاوى الإمامين "الشيخ إبراهيم بيوض" و"الشيخ محمد متولي الشعراوي" اللذان اعتمدت على فتاويهما لاستخلاص نقاط الاختلاف والالتقاء مع فتاوى الشيخ "محمد باي بلعالم" الذي عاصر كل منهما.

ب – المصادر المخطوطة: أهمها مخطوط (نقل الرواة عمن أبدع قصور توات) "لمحمد بن عمر الجعفري"، ومخطوط (درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام) "لمحمد بن عبد الكريم بن عبد الحق التمنطيطي" وقد اعتمدت عليهما في التعرف على جوانب من تاريخ المنطقة التواتية وأخرى عن سكانها وقبائلها .

جـ– المصادر الشفوية: وتتمثل أساساً في المحادثات والمراسلات الشخصية التي أجريتها مع أطراف عدة كانت تربطهم بالشيخ "محمد باي" علاقة وثيقة من أهله وأقاربه، ومعارفه فقد زودتنا بمادة دسمة عن الموضوع محل الدراسة إذ تعد من أهم المصادر التي استخلصنا منها كثيرا من الصور، والآراء التي قيمت سلوك مترجمنا وأعماله الاجتماعية والعلمية فقد سمح لي اللقاء بهم ومجالستهم ومحاورتهم من معرفة جوانب عديدة من حياته وأعماله على الرغم من تضاربها أحيانا إلا أنها تعد شهادة ومصدر حي أفادت الدراسة في جوانب عديدة، ومن أهم هؤلاء الذين التقينا بهم نذكر: أخويه الحاج "محمد عبد الرحمن بلعالم"، والحاج"محمد الحسان بلعالم"، وزوجه "فاطمة معمري"، وابنته "أم كلثوم بلعالم" والشيخ "عبد الرحمن حفصي" احد اعز أصدقائه وزميله أيام الدراسة وسنده في التعليم والإصلاح الديني والاجتماعي والشيخ "احمد بن مالك" صهره وخليفته على مشيخة مدرسته حالياً والأستاذ "حامد لمين عبد الله" احد ابرز تلامذته وابنه الروحي، والأستاذين "إبراهيم ابلالي" و"محمد الدباغ" اللذان كانا من الشخصيات المقربة له كما ربطته بهما علاقة وطيدة، ومن المراسلات نذكر: مراسلة الأستاذين "آدم محمد علي العروسي"، و"مصطفى برناوي "اللذان يعتبران من ابرز تلامذته في المملكة العربية السعودية.

ثانياً– مراجع البحث:

أ– المراجع العربية: تعد هذه المراجع ضرورية وأساسية لدراسة من هذا النوع، وهي تتميز بالتنوع والوفرة وتغطي جميع جوانب البحث من أهمها مؤلف رحلة "ابن بطوطة" المسماة (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب

الأسفار) خاصة الجزء المتعلق بمنطقة توات فهو يعتبر من أهم المراجع التاريخية والجغرافية التي تناولت منطقتي قورارة وتوات الوسطى بالوصف والتقصي لذا اعتمدت عليه في التعريف بإقليم توات، وكتاب:(المقدمة) للعلامة "عبد الرحمن ابن خلدون" التي عرض فيها أفكاره فجاءت واقعية في تصورها موضوعية في أحكامها بعيدة عن التحيز والهوى، وإن كانت تغلب عليها النزعة المتشائمة والنظرة القاتمة إلى الأحداث انطلاقا من تجربته وشمولية نظرته للأحداث وقد اعتمدت عليه في الاستشهاد على بعض الأفكار خاصة فيما يتعلق بالتكوين العلمي لمترجمنا، وكتاب (فتوح مصر والمغرب) "لابن عبد الحكم" الذي يعتبر أقدم من أرخ لفتوحات بلاد المغرب، لذا اعتمدت عليه في التعريف بقبيلة فلان؛ بالإضافة إلى اعتمادنا على الموطأ للإمام مالك بن انس وسنن "ابن ماجه" لتدعيم أقوال ما ذهب إليه مترجمنا.

ومن المراجع التي اعتمدت عليها في فهم أوضاع الجزائر السياسية والاقتصادية وحتى الثقافية على عهد مترجمنا كتاب: (الفكر العربي الحديث والمعاصر) للأستاذ "عبد الكريم بوصفصاف" الذي وضع فيه دراسة مقارنة بين حركتي الإصلاح عند كل من الشيخ "محمد عبده المصري" والعلامة "عبد الحميد بن باديس الجزائري" لاستخراج الفروق الفكرية بين المثقفين المشارقة والمغاربة من خلال التطرق إلى تعريف بهما والظروف التي أحاطت بتكوينهما العلمي والشخصي، وأعمالهما الإصلاحية وبالتالي فقد أفادني في الدراسة خاصة وان الفترة التي عاش فيها "ابن باديس" مزامنة لولادة مترجمنا رحمه الله، وكتاب: (موجز في تاريخ الجزائر) للأستاذ "عمار عمورة" الذي تطرق فيه إلى ذكر أحداث بارزة من تاريخ الجزائر المعاصر على الرغم من انه جاء مختصراً في محتواه، ومن المراجع التي اعتمدتها في معرفة أوضاع إقليم توات سواء السياسية منها أو الاقتصادية والاجتماعية وحتى الثقافية في عصر مترجمنا كتاب: (توسع الاستعمار الفرنسي في الجنوب الغربي (1881- 1912م) للأستاذ "إبراهيم مياسي" الذي تناول فيه بالدراسة والتقصي مراحل توسع الاستعمار الفرنسي في الجنوب الغربي بما فيه إقليم توات حيث تطرق إلى موقعه وأسباب احتلاله وأهم المعارك الشعبية به، وقد استفدت منه في الفصل الأول من البحث خاصة فيما يتعلق بالوضع السياسي للإقليم على الرغم من أن الفترة التي تناولها كانت قصيرة جدا وكتاب: (ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين) للمؤرخ "يحي بوعزيز" الذي تناول فيه بعض الجوانب المتعلقة بالتاريخ الاقتصادي والسياسي للمنطقة، وكتاب (الثورة التحريرية في أقاليم توات (1956-1962م) للأستاذ "تواتي دحمان وآخرون" الذي تناول فيه بالدراسة والتحليل امتداد الثورة إلى الإقليم، ومساهمة سكانه إلى جانب إخوانهم في الشمال في الثورة بعرض أهم المعارك التي وقعت فيه، وبالتالي فهو يعد من المراجع المهمة التي اعتمدت عليها في عرض الوضع السياسي للمنطقة خاصة وانه اعتمد في انجازه على مصادر حية، ومن المراجع التي اعتمدتها في فهم أوضاع المنطقة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية خلال الفترة محل الدراسة نذكر: كتاب (العلاقات الثقافية بين إقليم توات والسودان الغربي) للأستاذ "مبارك جعفري" وكتاب (صفحات مشرقة من تاريخ مدينة أولف العريقة) للدكتور "عبد المجيد قدي" الذي صور فيه جوانب عديدة من تاريخ مدينة أولف وكتاب (مدخل منوغرافي في المجتمع التواتي) للأستاذ "مبروك مقدم" الذي استعرض فيه جوانب هامة من

حياة سكان الإقليم في الوقت الحالي، وكتاب (إقليم توات بين القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين) للأستاذ "فرج محمود فرج" الذي تطرق فيه إلى التعريف بالإقليم سياسياً واجتماعياً وثقافياً واقتصادياً، وبالتالي فلا غنى عنه لكل باحث في تاريخ إقليم توات.

ومن المراجع التي اعتمدتها في التعريف بقبيلة فلان وأماكن انتشارها نذكر:مؤلف (الفلاته في إفريقيا ومساهمتهم الاسلامية) "للطيب عبد الرحيم الفلاتي" الذي أمدنا بمعلومات هامة عن تاريخ الفلان، على الرغم من اعتماده على روايات متضاربة، وكتاب (لمحات من التاريخ الإفريقي الحديث) للأستاذ "أحمد إبراهيم دياب" الذي تناول فيه أماكن انتشار الفلان وحركتهم الإصلاحية في القرن 19م، وكتاب (إفريقيا المسلمة الهوية الضائعة) "للخليل النحوي" الذي تناول فيه بعضاً من تاريخ الفلان في القارة السمراء، وكتاب (تاريخ المسلمين ومشكلاتهم) للأستاذين "عبد الله عبد الرزاق" و"شوقي الجمل" وكتاب (تاريخ الشعوب الاسلامية) لحسان حلاق الذي اعتمدت عليه في معرفة أماكن تواجد الفلان.

ب- المراجع الأجنبية المعربة: نذكر منها مؤلف (الوثنية والإسلام) "لكاقالام مادهو بنيكار" الذي احتوى على آراء عديدة عن أصل شعب الفلان وخصائصهم، وقد اعتمدت عليه في التعريف بأصل الفلان على الرغم من انه لم يغلب رواية على أخرى .

ج- المراجع الأجنبية: لم اعتمد عليها كثيراً نظراً لطبيعة البحث، ومن المراجع التي اعتمدت عليها في التعرف على الأوضاع السياسية والاقتصادية للإقليم:

1- Karl Sutre: Étube Sur la population et L' habitat D' une Region Du Sahara Algérien le touat.

2- Colonel Malheher: La Question Du Touat.

د- الرسائل الجامعية: من الرسائل الجامعية التي اعتمدت عليها في انجاز البحث:

(توات والازواد خلال القرنين 12و13هـ) رسالة دكتوراه للأستاذ "محمد حوتية" وقد تناول فيها العلاقة التي كانت تجمع بين الإقليمين توات والازواد، و(المساهمة العلمية للمختار الكنتي بازواد 1729- 1811م) رسالة دكتوراه للأستاذ "أحمد الحمدي" وقد استفدت منهما في التعريف ببعض الجوانب الطبيعية والبشرية والاقتصادية للإقليم، وعلى الرغم من أن موضوع الرسالتين بعيد عن الفترة المدروسة إلا أنهما أمدانا بفكرة عن منطقة توات ودورها في إقليمها الجغرافي الذي لم يطرأ عليه كبير تغيير إلى وقتنا هذا، ومن مذكرات الماجستير اعتمدت على مذكرة (التأثيرات الحضارية لإقليم توات على السودان الغربي) للأستاذ "عبد الله عباس" ، ومذكرة (العمارة الدينية الاسلامية في منطقة توات) للأستاذ "محمد بن سويسي" وقد اعتمدت عليهما في دراسة الخصائص الطبيعية والبشرية لإقليم توات.

هـ- المقالات: من المقالات التي اعتمدت عليها لتوضيح الفكرة والاستشهاد نذكر:

1- بلعالم (محمد باي): أهداف نشأة الزوايا و واقعها في منطقة توات (الملتقى الوطني الأول للزوايا، ادرار 2000م).

2– حمدي (عبد العالي): المخدرات وآثارها السلبية على جسم الإنسان (مجلة رسالة المسجد، ع5).

3– فوكراش (عبد القادر): الوقاية من المخدرات من منظور الفقه الإسلامي والدراسات التربوية (مجلة رسالة المسجد ع5).

4– الغماري (محمد بن أبي القاسم): مذاكرة فقهية (الشهاب ع55).

5– جعفري (احمد): جهود فقهاء توات في خدمة المذهب المالكي(الملتقى الدولي الثالث عشر:المذهب المالكي تاريخ وآفاق).

مختصرات البحث:

استعملت في البحث جملة من المختصرات التي وردت في المتن وهي:

(ط) – الطبعة	(مج) – المجلد
(د،ط) – دون طبعة	(ع) – العدد
(د،ت) – دون تاريخ	(تر) – ترجمة
(د،ن) – دون ناشر	(تح) – تحقيق
(د،م،ن) – دون مكان نشر	(تع) – تعليق
(ص) – الصفحة	(تقد) – تقديم
(ج) – الجزء	(ح– ا – ح – د) – حركة انتصار الحريات الديمقراطية
(اع) – إعداد	(م) – ميلادي
(تصح) – تصحيح	(ق، م) – قبل الميلاد
(ت) – توفي	(هـ) – هجري
(ق) – القرن	(ق– ت– م– و– ع) – قسم التنظيم والتنشيط المحلي والوسائل العامة

خطة البحث:

تتكون هذه الرسالة من مقدمة وأربعة فصول وخاتمة ومجموعة من الملاحق وببليوغرافية البحث وفهارسه.

يتناول **الفصل الأول**: بيئة الشيخ "محمد باي بلعالم" من (1930– 2009م) بتحديد الموقع الجغرافي لإقليم توات في **المبحث الأول** مع التركيز على موقع منطقة تيديكلت باعتبارها المنطقة التي ولد ونشأ فيها مترجمنا، كما يعالج الأوضاع السياسية والاقتصادية في الجزائر وفي ولاية ادرار من (1930– 2009م) في **المبحث الثاني** وهذا لإعطاء لمحة عامة عن الظروف المحلية والوطنية التي ولد، وتمدرس فيها الشيخ محمد باي بلعالم، ويتطرق إلى دراسة الحياة الاجتماعية والثقافية بالجزائر وولاية ادرار من (1930– 2009م) في **المبحث الثالث** لمعرفة التركيبة الاجتماعية للمجتمع الجزائري خلال الحقبة الاستعمارية وكذا المجتمع التواتي (الادراري) وابرز عادات وتقاليد هذا الأخير

وأهم المراكز الثقافية به قبل وبعد الاستقلال والتي كان لها انعكاس واضح على التكوين العلمي والشخصي للشيخ "محمد باي بلعالم".

الفصل الثاني: يتناول نسب ونشأة الشيخ "محمد باي بلعالم" بالتطرق إلى التعريف بالقبيلة الفُلانية التي ينحدر منها وأماكن انتشارها حسب المصادر والمراجع المتوفرة بين أيدينا في **المبحث الأول**؛ أما **المبحث الثاني** فقد خصصته للشخصية محل الدراسة إذ عرفت بالشيخ "محمد باي" وشخصيته وتكوينه الشخصي بعرض جوانب من صفاته وأخلاقه وحياته الأسرية، أما **المبحث الثالث** فتناولت فيه التكوين العلمي للشيخ "محمد باي" من دراسته وشيوخه وإجازاته ومذهبه وفكره وعلاقته بالعلماء المعاصرين له، وآرائهم فيه وصولاً إلى وفاته رحمه الله.

الفصل الثالث: خصصته لدراسة أعمال العلامة "محمد باي بلعالم" العلمية ونشاطه الإصلاحي من خلال استعراض أهم نشاطاته ومنجزاته العلمية داخل الوطن وخارجه، وتحليلها في **المبحث الأول** كتأسيس المدرسة الدينية التابعة لمسجد مصعب بن عمير واستعراض طريقته ومنهجه في التدريس ومقارنته بمنهج القدماء والمحدثين من شيوخ الزوايا، ورصد أهم الملتقيات التي سجل فيها حضوره العلمي واهم رحلاته إلى المشرق والمغرب التي اقترنت في اغلبها بالعلم وكذا محاوراته ومراسلاته لأبرز علماء عصره والتي تدل على انه مثل مرجعية علمية لهم .

كما تناولت في **المبحث الثاني** نماذج لفتاويه وأجوبته في بعض المسائل العلمية والتي تعكس لنا جهوده ومواقفه العلمية وآرائه تجاه بعض القضايا خاصة الدينية منها كالولاية في النكاح والربا.

وتطرقت بالدراسة والمناقشة إلى نشاطه الإصلاحي في الجانبين الديني والاجتماعي في **المبحث الثالث** بعرض جهوده في محاربة العادات السلبية والسيئة التي كان يسعى من خلال محاربتها إلى تصحيح العقيدة، وإحياء السنة ومحاربة البدعة والذود عن مقدسات الدين الإسلامي، واهتماماته ببعض الفئات الاجتماعية كالمرأة والشباب ودوره في إصلاح ذات البين الذي كان يدعو إليه في حله وترحاله، ومواقفه من بعض الآفات الاجتماعية كالخمر والتدخين والمخدرات التي كان يجهر بمحاربتها، ومقارنتها بما كان يحاربه ويدعو إليه دعاة الإصلاح في الجزائر لاستخراج أوجه الاتفاق والاختلاف.

وموقف العامة من دعوته الإصلاحية الدينية والاجتماعية التي كان لها كبير تأثير على أتباعه ومن اخذوا بها على الرغم من عدم قبول البعض لها .

أما الفصل الرابع والأخير: خصصته لدراسة الإسهامات العلمية للعلامة "محمد باي بلعالم" من خلال عرض إنتاجه العلمي والفكري في العلوم الشرعية في **المبحث الأول** بإحصاء عدد الكتب التي ألفها في هذا الفن وتصنيفها وتقييمها واستخراج قيمتها العلمية وأهم الأفكار التي تضمنتها والتي تدل على مدى اطلاعه الواسع، وإدراكه الثاقب لمشاكل مجتمعه ثم قمت بعد ذلك بعرض إنتاجه الفكري في اللغة وآدابها في **المبحث الثاني** برصد كتب هذا الفن التي ألفها وتقييمها، ودراسة نماذج لإنتاجه الأدبي واستخلاص طبيعة أسلوبه وعباراته، كما تطرقت إلى إنتاجه الفكري في التاريخ – وإن كان ليس من المختصين في هذا المجال– بإحصاء عدد كتبه التي ألفها فيه أيضا

ووضع دراسة وتقديم لكتابي (الرحلة العلية) و(قبيلة فلان) اللذان طارت شهرتهما في الآفاق لاعتماد الكثير من الباحثين والدارسين عليهما في البحوث وغيرها مع تقييمهما واستخراج قيمتهما التاريخية والعلمية.

أما الخاتمة: فقد خصصتها لرصد مختلف النتائج التي توصلت إليها من خلال مناقشة فصول البحث السالفة الذكر.

وقد أشفعت البحث بمجموعة من الملاحق لها ارتباط مباشر به، وببليوغرافيا وفهارس الآيات، والأحاديث والأماكن والأعلام، والتنظيمات والزوايا العلمية والبحار والأنهار، وفهرس الموضوعات.

الفصل الأول

بيئة الشيخ محمد باي بلعالم (1930- 2009م)

مقدمة

المبحث الأول: موقع إقليم توات (ولاية أدرار حاليا) وخصائصه الطبيعية

المبحث الثاني: الحياة السياسية والاقتصادية في الجزائر في عصر محمد باي (1930-2009م)

المبحث الثالث: الحياة الاجتماعية والثقافية في الجزائر في عصر محمد باي(1930-2009م)

خاتمة

مقدمـــــــة الفصل:

يتناول هذا الفصل بالدراسة الأوضاع العامة للجزائر السياسية منها والاقتصادية والاجتماعية والثقافيـــة على عهد مترجمنا واهم الأحداث التي شهدتها وكان لها انعكاس واضح على تكوين شخصيته .

وسأتطرق أولاً إلى تحديد الموقع الجغرافي لولاية أدرار وخصائصها الطبيعية والمناخية والنباتية مع التركيـــز على موقع منطقة تيديكلت التي عاش فيها مترجمنا لإعطاء لمحة عامة عن البيئة المحلية التي ولد وعاش ومات فيها .

ثم سأتناول بالدراسة أوضاع الجزائر بما فيها ولاية أدرار السياسية والاقتصادية خلال الفتـــرة موضـــوع الدراسة والأحوال الاقتصادية التي شهدتها والتي أثرت بشكل أو بآخر على شخصية مترجمنا فيما بعد سواء مـــن الناحية الفكرية أو السلوكية .

كما يعالج الفصل الحياة الاجتماعية، والثقافية في الجزائر وولاية أدرار بمحاولة معرفة التركيبة الاجتماعية للمجتمع الجزائري ثم الادراري وابرز عادات وتقاليد هذا الأخير، وأهم المراكز الثقافية به، والتي كان لها انعكاس على التكوين العلمي والشخصي لمحمد باي بلعالم من جهة وعلى الجانب الاقتصادي للولاية من جهة أخرى .

سأحاول في هذا الفصل البحث عن تأثير بيئة الشيخ محمد باي بلعالم الوطنية والمحلية في صياغة شخصيته وبلورة ملامحها وتشكيل توجهاته ؟

المبحث الأول: موقع إقليم توات (ولاية أدرار* حالياً) وخصائصه الطبيعية:

يعتبر إقليم توات (أدرار حاليا) من بين أهم المناطق الصحراوية الجزائرية التي جلبت اهتمام البـــاحثين في وقتنا المعاصر سواء من حيث تاريخ نشأتها واصل تسميتها أو من حيث موقعها الجغرافي .

أولاً- أصل تسمية توات.

ورد ذكر اسم "توات" في كتابات بعض المؤرخين العرب والعجم من أمثال : "هيرودوت" الذي ينسب إليه أقدم وصف لها حيث يذكر أن تعمير هذا المكان من الصحراء يعود إلى قبائل الجيتول البربرية التي ســكنت قورارة[1] ومن العرب يعتبر الرحالة "ابن بطوطة"، و"العلامة ابن خلدون" أقدم من تعرض لذكر كلمة توات حيث يذكر "ابن بطوطة"[2] في رحلته: انه خرج من تكدا متجهـــا إلى تـــوات يـــوم الخمـــيس 11 شـــعبان ســـنة 754هـــ/1354م في رفقة كبيرة، ولما وصل إلى بودا (إحدى قرى توات) وصفها قائلا: «هي من اكبر قـــرى توات وأرضها رمال وسباخ وتمرها كثير ليس بطيب...»، وذكرها العلامة "ابن خلدون" في ديوانه في حديثه عن مواطن "ذوي عبيد الله" من القبائل المتوطنة في الجزائر إذ يقول[3]:«فمواطنهم من بين تلمسان إلى وجدة إلى مصب وادي ملوية في البحر ومنبعث وادي صامن القبلة وتنتهي رحلتـــهم في القفـــار إلى قصـــور تـــوات وتمنطيـــت (تمنطيط)** وربما عاجو إلى ذات الشمال إلى تاسابيت وتوكرارين*** وهذه كلها رقاب القفر إلى بلد السودان ...».

ومن بين العرب الذين افردوا لها ذكرا في كتاباتهم أيضا الرحالة المغربي "أبو سالم العياشـــي" (1037-1090هـــ/ 1628- 1681م) الذي قال عنها أثناء سفره إلى ارض الحجاز عندما مر بها[4]:« دخلنـــا إلى أول عمالة توات وهي قرى تسابيت وزرنا بأول قرية منها قبر الولي الصالح سيدي محمد الصالح المعـــروف بعريـــان

---

*- **ادرار** : هي عاصمة توات وهي اسم قديم لقصر في تيمي يسمى ادغا ينظر:

Karl Sutre: Etude Sur la population et L' habitat D' une Région Du Sahara Algérien: le touat ,n.p, n.d p472.

وتعني ادرار الجبل باللغة البربرية ، ينظر، إسماعيل العربي : الصحراء الكبرى وشواطئها ، (د،ط) ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر : 1983، ص 188 .

[1] - عبد الله مقلاتي: دور منطقة توات الجزائرية في نشر الإسلام والثقافة العربية بإفريقيا الغربية ، (ط1) ، وزارة الثقافة ، الجزائر: 2009 ص28 .

[2] - رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تقد : محمد السويدي ، (ج1)، موفم للنشر، الجزائر: 2007، ص ص (371- 372) .

[3] - ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر ، مر : سهيل زكار ، (ج6) ، (د،ط) ، ، دار الفكر ، بيروت: 2000، ص 80 .

- **تمنطيط : كلمة بربرية تعني بالعربية الجبهة والعينان ، ينظر ، محمد باي بلعالم : الرحلة العلية إلى منطقة توات لذكر بعض الأعلام والآثار والمخطوطات والعادات وما يربط توات من الجهات ، (ج1) ، (د،ط) ، دار هومة ، الجزائر : 2005 ، ص 12 .

***- ترد في بعض المصادر والمراجع باسم تنجورارين أو قورارة، ومعناها بالبربرية المعسكرات ويعرب فيقال"كرارة"، ينظر ، الحسن بن محمد الوزان الفاسي (ليون الإفريقي) وصف إفريقيا ، تر : محمد حجي ، محمد الأخضر، (ج2) ، (ط2) ، درا الغرب الإسلامي، بيروت : 1983، ص 133 .

[4] - الرحلة العياشية (1661-1663) ، تح وتقد : سعيد الفاصلي، سليمان القريشي، (مج1) ، (ط1) ، دار السويدي للنشر والتوزيع ، أبو ظبي: 2006، ص79 .

الرأس»،كما ورد ذكرها عند "ابن الدين الاغواطي" في رحلته التي ذكر فيها عدة مناطق من الجنوب الجزائري كالاغواط ورقلة، تقرت، توات، تيميمون، عين صالح ،حيث قدم وصفا ومعلومات عن هذه القرى وعاداتها وأهلها ومسالكها استفاد منها الأوربيون والأمريكيون أثناء اهتمامهم بالصحراء ومحاولة اكتشافها[1].

وإذا كان "ابن بطوطة"، و"ابن خلدون"، و"العياشي"، و"ابن الدين الاغواطي"، وغيرهم ممن ذكر توات في رحلاته من المؤرخين والرحالة العرب القدامى لم يبحثوا عن مدلول كلمة توات على اعتبار أنها جزء من الصحراء أو إقليم من الأقاليم المؤدية إلى بلاد السودان، فان الذين جاؤوا من بعدهم من المؤرخين حاولوا أن يجدوا لها مدلول وتعريف حتى كثرت الروايات وتضاربت الآراء، واختلفت حول أصل تسمية أو معنى (توات) فمنهم من اوجد لها تفسيراً تاريخياً في حين ذهب البعض الآخر، إلى إيجاد منفذ ومخرج لغوي لأصل كلمة توات "فعبد الرحمن السعدي"[2] صاحب"تاريخ السودان"يذكر بان أصل الكلمة تكروري تعني (وجع الرجل) الذي أصاب بعض أصحاب السلطان "موسى كنكن" سلطان مالي خلال رحلته للحج في أوائل القرن 8هـ /14م فتخلفوا عنه في هذا المكان لوجع الرجل المسمى"توات"في كلامهم فسميت "توات" باسم تلك العلة .

أما "محمد الرصاع" الأنصاري فيذكر بان اسم (توات) ما هو إلا اسم لأحد بطون قبائل الملثمين إذ يقول: «والملثمون هم قبائل الصحراء بالجنوب عرفوا بهذا الاسم لأنهم يتلثمون بلثام ازرق ومنهم طوائف التوراق ولمطة ولمتونة والتوات»[3]، وان صح ما ذهب إليه الرصاع فان أصل الكلمة يكون بربري .

وهناك من يعتبر أن "عقبة بن نافع" لما وصل ساحل بلاد المغرب ثم عاد لواد نون ودرعه وسجلماسة وصل خيله "توات" وذلك في 62هـ فسألهم عن هذه البلاد يعني (توات) هل تواتي لنفي المجرمين من عصاة المغرب فأجابوه : بأنها تواتي فانطلق اللسان بذلك أنها تواتي فتغير اللفظ على لسان العامة لضرب من التخفيف وهو رأي انفرد به العالم "محمد بن عمر الجعفري"[4] في حين يعتبر الشيخ "محمد بن مبارك" احد مؤرخي منطقة توات أن أصل كلمة (توات) أعجمية دخيلة على أهالي وسكان هذه المنطقة، أتت بها قبائل من لمتونة التي لجأت إلى هذه المنطقة واستوطنتها في منتصف القرن 7هـ/13م، حيث وجدوا البيئة المناسبة لاستقرارهم، ومنذ ذلك الحين أصبحت المنطقة تعرف عند هؤلاء وغيرهم باسم منطقة توات[5].

ومن بين المؤرخين الذين حاولوا إيجاد تفسير لغوي لتسمية توات المؤرخ الفرنسي "مارتان" (Martin) الذي يرى أن كلمة توات أصلها إغريقي بمعنى (الواحة) ويستدل على ذلك انه في الفرنسية يطلقون على[الواحة] اسم (وازيسOasis) وهو مصطلح إغريقي يتركب من كلمتين (وا) في اللفظ والمعنى وهو يدل على الجمع

[1] – أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي ، (ج2) ، (ط1) ، درا الغرب الإسلامي ، بيروت : 1998 ، ص ص (386-387) .

[2] – تاريخ السودان ، (د،ط) ، مطبعة بردين ، باريس : 1981، ص 7

[3] – نعيمة طيب بوجمعة ، (الموقع الجغرافي لإقليم توات) : الملتقى الوطني الأول، العلاقات الحضارية بين إقليم توات وحواضر المغرب الإسلامي ، جامعة ادرار، افريل 2009 ، ص3 .

[4] – نقل الرواة عمن أبدع قصور توات ، مخطوط ، خزانة تنلان ، (بن حسان) ، ص ص (4- 5).

[5] – عبد الله عباس : التأثيرات الحضارية لمنطقة توات في بلاد السودان الغربي، مذكرة السنة الأولى ماجستير، إشراف : موسى لقبال، معهد التاريخ جامعة الجزائر ــ 1997- 1998، ص 14 .

مفرده (توات - Touat) ويعطي على ذلك مثالاً: (تواتن عبو - Touat ebbou) أي (واحة الماء)[1]، وهو نفسه التفسير الذي ذهب إليه صاحب كتاب "سؤال عن توات" الذي يرى أن توات اسم بربري يعني الواحة (Oasis)[2].

وهناك من ذهب إلى أن تسمية توات جاءت من كلمة (وا) بمعنى (واد) حيث كانت المنطقة خلال فترات ما قبل التاريخ مغمورة بالمياه وتوجد على ضفة واد جير* أي (واد الماء) وعلى مر الأيام أضيفت لها تاء في الأول فأصبحت (توا) بمعنى (متاعي) وبعد استقرار فرق من القبائل الزناتية لفترة طويلة بالمنطقة أضافت لها حرف [التاء] عند تأنيثها فأصبحت"توات" مثل: تمنراست، تيديكلت، تيارت تقرت، تسفاوت[3].

ولقد أورد الشيخ "محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق التمنطيطي" (ت1955م) من جهته أصلاً آخر للتسمية وحاول أن يجد له اشتقاقاً لغوياً حيث قال[4]:« أن أهل الصحراء لما طالبهم المهدي ملك الموحدين بالمكوس والمغارم ...قالوا لم يكن بأرضنا ذهب ولا فضة ...فأمر عامله "مسعود بن ناصر" أن يقبض المغارم الرطب والعنب وسائر الثمار والكروم ففعل ثم باعه السلطان للبدو النازلين ...وعظمت المصلحة فصدر الأمر عنه في العام الثاني بتخريص الأشجار وقبض الاتوات كيلا، ووزنا على حسب التخريص فعرف أهل هذا القطر بأهل الاتوات لان السلطان قبلها منهم في المغرم فصار هذا الاسم علما على هذا القطر الصحراوي من تبلكوزة إلى عين صالح »، بل ويرى بان هذه الرواية هي الأصح لان هذا اللفظ له مستند في العربية قال في المصباح :[التوت] هو الفاكهة والجمع أتوات فعرفت هذه البلاد بأهل الاتوات بحذف المضاف، وأقيم المضاف إليه مقامه فصار البلاد توات بعد حذف التعريف والمضاف[5].

ولو سلمنا بما ذهب إليه صاحب الرواية فمعنى هذا أن الاسم (يعني توات) يكون قد أُطلق على جميع أهل الصحراء لان صاحب الرواية لم يحدد لنا من هم أهل الصحراء الذين طالبهم "المهدي" بالاتوات، هل هم أهل صحراء الجزائر؟ أم أهل صحراء المغرب الأقصى ؟ أم أهل صحراء موريتانيا ؟ إذ اكتفى بذكر أن هذا الاسم أصبح فيما بعد علما على المنطقة الممتدة من تبلكوزة إلى عين صالح .

---

[1] – مبارك جعفري : العلاقات الثقافية بين توات والسودان الغربي، خلال القرن 12هـ ، (ط1) ، دار السبيل للنشر والتوزيع ، الجزائر : 2009 ص 29

[2]–Mario vivarez :Au Sujet du touât , Alger ; Mars 1896 , p 3 .

*– **واد جير** : أو قير هو واد كبير ابتداؤه من ناحية بلاد المغرب يمتد إلى الصحراء إلى قريب من توات لينعطف يمينا في رمال كثيرة وهو من أطول أودية المغرب مسافة واقلها فائدة وأكثرها مخافة ، ينظر ، احمد جعفري : محمد بن أب المزمري حياته وآثاره ، (ط1) ، دار الكتاب العربي ، الجزائر: 2004 ص 28.

[3] – الاستيطان والتحضر الريفي في الوطن العربي ، نموذج على مناطق توات ، قورارة ، تيديكلت (ولاية ادرار) ، (د،ط) ، د،ن : 1989، ص 38.

[4] – محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق التمنطيطي: درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام ، مخطوط ، خزانة الشيخ سيدي عبد الله البلبالي (كوسام) ادرار ، ص ص (8، 10).

[5] – المصدر نفسه ، ص 10.

وفي المقابل حاول بعض مؤرخي وعلماء المنطقة أن يبحثوا لها عن مدلول وتعريف وصفي بعيدا عن التفسيرات التاريخية واللغوية، إذ جميعهم متفقون على أن توات ارض صحراوية أمثال: "ابن بابا حيدة" صاحب كتاب "القول البسيط"إذ يقول عنها[1]:« واعلم أن تواتنا هذه ارض جدب وقلة مع بركة وقناعة وأمان وعافية تتهيأ فيها العبادة والديانة والرياضة والزهادة ولذلك كثر فيها الأولياء والصالحون ...وارى حال أرضنا موافق منه لحال المدينة المشرفة التي هي من خير بقاع الأرض...»، ويقول عنها صاحب مخطوط (درة الأقلام)[2]:« توات هي صحراء في أعلى المغرب ذات نخيل وأشجار وعيون، وبينها وبين سجلماسة ثلاثة عشر يوما...» .

أما الشيخ "عبد الكريم الحاجب البكري" فعرفها قائلاً[3]:« توات هي صحراء ... بها قصور متعددة أخذت من المشرق إلى المغرب أخرها من جانب الشرق تبلكوزة فتيميمون وشروين ... وتمنطيط وواد الحناء وتشتمل على قصور ذات نخيل وأشجار»، وذكرها الشيخ "احمد الطاهري"[*] في كتابه "نسيم النفحات" بنفس الوصف والتعريف تقريباً حيث يقول عنها[4]:« توات ارض ذات سباخ كثيرة الرمال والرياح لا تحيط بها جبال ولا أشجار شديدة الحرارة المفرطة لا يكاد ينبت فيها إلا النخيل، وبعض الأشجار القليلة لفرط حرارتها...»؛ وبهذا يكون اسم توات يطلق على الصحراء الجنوبية الغربية الجزائرية، وهذا ما ذهب إليه اغلب علماء وباحثي المنطقة الذين اشرنا لهم أو لم نشر لهم.

---

[1] – القول البسيط في أخبار تمنطيط ، تح : فرج محمود فرج ، (د،ط) ، معهد العلوم الاجتماعية ، الجزائر : 1977، ص11

[2] – محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق التمنطيطي : المصدر السابق ، ص 1

[3] – عبد الحميد بكري : النبذة في تاريخ توات وأعلامها ، (د،ط) ، مطبعة الطباعة العصرية ، الجزائر : 2010 ، ص11

*– **أحمد الطاهري السباعي الحسني** : ولد عام 1325هـ بأولاد عبد المولى محافظة مراكش تلقى تعليمه بمسقط رأسه على يد أخيه مولاي عبد الله حتى أصبح عالم ومفتي شهير فعمل على نشر العلم وفي ستة 1363هـ نزل إلي توات قادما لها من المغرب عبر موريتانيا و مالي فنزل أولا في رقان ثم انتقل إلى سالي أين أسس مدرسته المشهورة بالطاهرية بمساعدة الشرفاء من أولاد السي حمو مولاي المهدي وإخوانه فأصبح الطلبة يتوافدون عليها من كل مكان وقد تخرج على يديه جم غفير من الطلبة منهم الشيخ محمد باي بلعالم ، الشيخ احمد البوحامدي، الشيخ بالحبيب، الشيخ الرقاني الفقيه وغيرهم ، توفي عام 1390هـ/ 1979م وله ذرية بسالي منهم ابنه عبد الله خليفته على المدرسة حاليا من مؤلفاته :الدفاع وقطع النزاع عن شرف أبناء السباع الأجوبة السباعية عن الأسئلة المراكشية، وعدة قصائد ينظر ، محمد باي بلعالم : الرحلة العلية ، (ج1) ، المصدر السابق ، ص ص (355 358) .

[4] – نسيم النفحات من أخبار توات ومن بها من الصالحين والعلماء الثقات، تح، وتع : عبد الله الطاهري ، (د،ط) ، د ، ن : 2010 ، ص ص (57-58) .

صورة الشيخ أحمد الطاهري الإدريسي "شيخ العلامة "محمد باي بلعالم"[1] .

من خلال عرضنا لبعض الراويات المختلفة حول أصل تسمية (توات) تبين لنا أن أصل كلمة "توات" شمل عدة تفسيرات ومعان متباينة، منها ما كان تاريخياً، ومنها ما كان تفسيراً لغوياً محضاً، ومنها ما كان جامعاً بين التفسيرين (التاريخي واللغوي)، وعليه فالرواية التي جعلت التسمية مرتبطة بالإتاوة هي مستبعدة في نظرنا، وإلا لكان هذا الاسم يطلق على كافة أهل الصحراء الجزائرية،كما أن الراوية التي أوردها "السعدي" عن معنى كلمة "توات"جعلتنا أمام إشكالية تاريخية أخرى تتطلب دراسة منفردة، وهي أصل سكان المنطقة هل هم التكرور ؟ أم الملثمون ؟ ، أم اللمتونيون ؟ كما أن التفسير اللغوي للكلمة والذي يُقصد به فاكهة "التوت" إن لم نستبعده فان هذا النوع من الفواكه غير رائج في إقليم توات .

وعلى كل فان الاختلاف الأساسي يبقى في أصل الكلمة نفسها هل هو من الفعل واتى يواتي، أو هو اسم للمغارم أي الاتوات، أو هو اسم لفاكهة التوت، أو أعجمي يعني الواحات، أم هو بربري يقصد به متاعي (توا) وأضيفت له تاء التأنيث فأصبح توات، وما نرجحه هو ما ذهبت إليه الباحثة "بن عبد المؤمن بهية" أن أصل الكلمة بربري لأن أول من قطن بالمنطقة هم البربر الذين اختطوا القصور التي حملت أسمائهم إلى اليوم رغم التعريب الذي مس الإقليم[2].

ثانياً – ولاية ادرار الموقع والخصائص الطبيعية:

تقع ولاية ادرار بين خطي عرض 30/26 شمالاً وبين خطي طول 1شرقاً إلى 4 غرباً وهذا الموقع يمثل امتداداً طبيعياً لمنخفض تنزروفت نحو الشمال[3]؛ أما جغرافياً فتقع ولاية ادرار التي انبثقت عن التقسيم الإداري الجزائري لسنة 1974م في أقصى جنوب غرب الصحراء الجزائرية التي هي جزء من الصحراء الإفريقية الكبرى

[1] – صورة التقطتها الباحثة من المدرسة الطاهرية بسالي من دائرة رقان.

[2] – نعيمة طيب بوجمعة : (الموقع الجغرافي لإقليم توات)، المرجع السابق، ص 5 .

[3] – فرج محمود فرج : إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين ، (د،ط) ، معهد العلوم الاجتماعية ، الجزائر : 1977 ، ص 1

يحدها من الشمال ولاية البيض، ومن الشمال الغربي ولاية بشار، ومن الشمال الشرقي ولاية غرداية، ومن الغرب ولاية تندوف ومن الجنوب دولة مالي ومن الجنوب الغربي دولة موريتانيا، ومن الجنوب الشرقي ولاية تمنراست وتبعد أقرب نقطة منها من العاصمة الجزائرية بحوالي 1500كلم. وتتربع ولاية أدرار على مساحة شاسعة تقدر بـ 427.968كلم مربع[1] أي 18% من مجموع مساحة الوطن، وتتكون الولاية حالياً من إحدى عشر دائرة وثمانية وعشرون بلدية تشتمل على عدد من الواحات والمدن والقصور التي تناهز الثلاثمائة قصر بعد أن كان عددها في القرن11هـ/17م مائتي قصر[2] فقط، متناثرة هنا وهناك على رمال الصحراء، وهي أشبه بأرخبيل اليابان في البحر وتنقسم ولاية ادرار إلى أربعة مناطق اثنوثقافية تشترك في العادات والتقاليد يجمعهم تواجدهم على هضبة تادمايت (شمال عين صالح) الخزان الكبير للمياه الجوفية وهي :

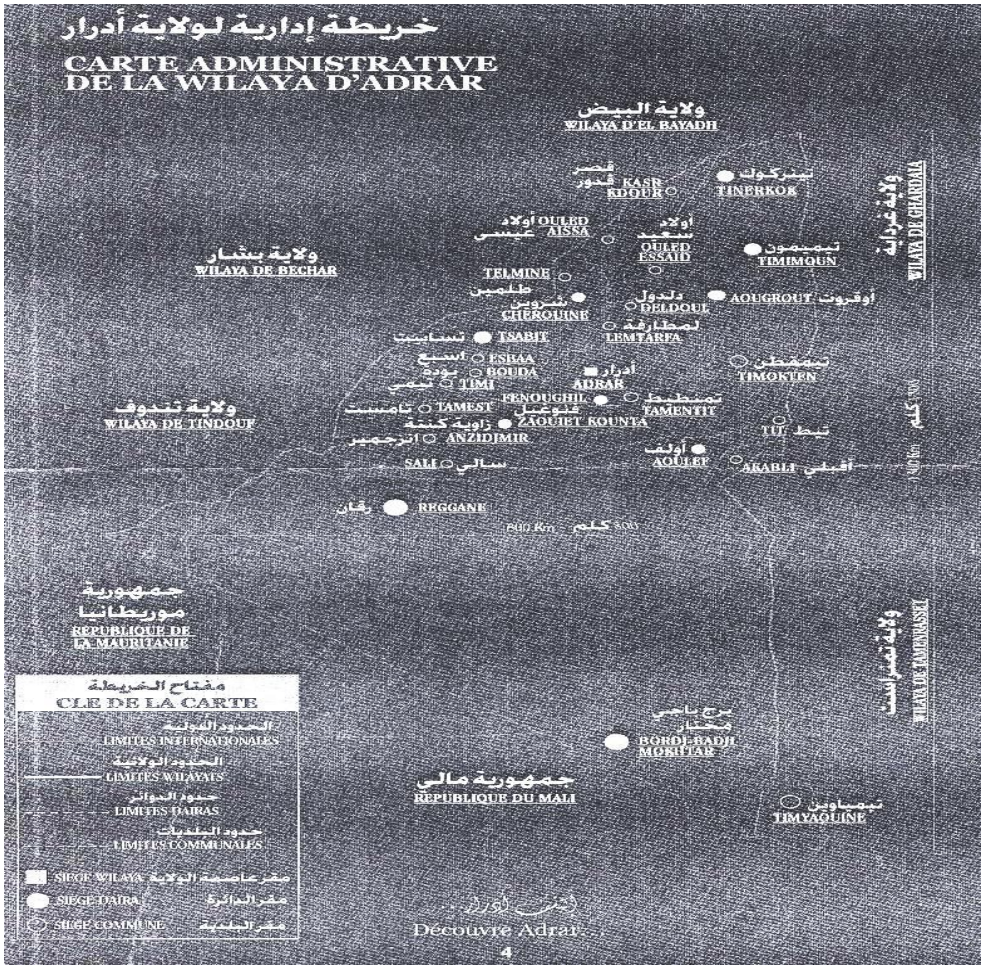

خريطة إدارية لولاية ادرار يظهر عليها موقع مدينة أولف وبلدية اقبلي مسقط رأس الشيخ "محمد باي بلعالم"[3]

[1] – مدن وثقافة ، أدرار جوهرة الجنوب ، دليل ثقافي ، (د،ط) ، المركز الوطني للمخطوط، دار الثقافة : د،ت ، ص 3 .

[2] – محمد باي بلعالم : الرحلة العلية ، (ج1) ، المصدر السابق ، ص 10 .

[3] – مدن وثقافة أدرار جوهرة الجنوب: المرجع السابق، ص 4.

ا – **منطقة قورارة:** أو(تينجورارين) وتقع شمال إقليم توات يحيط بها العرق الغربي* من جهة الشمال والشمال الشرقي ومن الجنوب هضبة تادمايت، ومن الشرق الحوض الشرقي لواد الساورة ويوجد في المنطقة سبخة تينجورارين الممتدة من الشمال إلى الجنوب، وكذلك بعض الأودية الجافة مثل وادي امقيدن – الذي يكون في نهايته سبخة قورارة – ووادي صالح[1]، وتتشكل منطقة قورارة من مجموعة قصور ينتشرة أغلبها حول الكثبان الرملية الهائلة على الحدود الجنوبية للعرق الغربي الكبير أهمها: قصور أوقروت، قصور تنركوك، قصور تبلكوزة قصور تيميمون، قصور أولا سعيد قصور شروين ، قصور تسابيت، قصور أسبع .

وبهذا تكون منطقة قورارة تمتد من "تبلكوزة" شمالاً إلى "أسبع" جنوباً على مسافة تقدر بـ 270 كلم تقريباً[2] وتعتبر مدينة تيميمون قاعدة قرى قورارة[3]، ومقرها الإداري حالياً وعاصمة المنطقة، لما عرفته وتعرفه من نشاط اقتصادي وتقدم عمراني وتجمع سكاني، وهذا ما شهد به "ليون الإفريقي" منذ ستة قرون مضت عندما تحدث عنها قائلاً[4]:« ... وسكان هذه المنطقة – يقصد تيكورارين – أغنياء لأنهم اعتادوا الذهاب كثيراً بسلعهم إلى بلاد السودان ...»، ويقطن المنطقة قبائل مختلفة الألسن فبعضهم يتكلم اللسان العربي الدارجي، وبعضهم يتكلم اللسان البربري (الزناتية) .

ب – منطقة توات الوسطى أو تسوات :

تنحصر ما بين قورارة من ناحية الشمال وتيديكلت** من الجنوب الشرقي، وتحتوي توات الوسطى على جملة من القصور تمتد من قصور بودة وتيمي شمالاً إلى رقان جنوباً على مسافة 200كلم تقريباً أي على طول الجبهة الغربية لهضبة تادمايت، ومن أهم قصور توات الوسطى: قصور بودة (اثنا عشر قصراً)، قصور تمنطيط (خمسة)، قصور تيمي (تسعة وثلاثون)، قصور تسفاوت أو فنوغيل (سبعة عشر قصرا)، قصور تامست (أربعة عشر قصرا)، قصور أنزجمير (ثلاثة عشر قصرا)، قصور زاوية كنته (ستة عشر قصرا)، قصور رقان (خمسة عشر)[5].

---

*- **العرق الغربي الكبير** : هو بحر عظيم من الرمال مساحته 8000 كلم مربع يحده شمالا الأطلس الصحراوي و شرقا ميزاب ومنطقة القليعة ، جنوبا هضبة تادمايت و غربا واحات توات و وادي الساورة يبلغ علو العرق 673م لكن كثبانه لا تتجاوز علوها أل 120م ، ينظر، عاشور شرفي : معلمة الجزائر القاموس الموسوعي ، تر :عبد الكريم اوزغلة وآخرون ، (د،ط) ، دار القصبة للنشر ، الجزائر : 2009 ، ص 1039

[1]- محمد حوتية : توات والازواد خلال القرنيين الثاني عشر والثالث عشر للهجرة (الثامن عشر والتاسع عشر للميلاد) ، رسالة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث المعاصر، إشراف : ناصر الدين سعيدوني ، جامعة وهران ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ ، 2004/2003 ص3.

[2]- مبارك جعفري : المرجع السابق ، ص 31 .

[3] - عبد الرحمن بن إدريس التنلاني : رحلة الشيخ عبد الرحمن بن إدريس التنلاني إلى الجزائر(شعبان 1231) ، مخطوط، خزانة كوسام أدرار ص1

[4] - المصدر السابق ،(ج2) ، ص 133 .

- **تيديكلت :كلمة معناها كف اليد أو اليد المفتوحة بالبربرية ينظر، محمد بن سويسي: العمارة الدينية الإسلامية في منطقة توات تمنطيط نموذجاً من القرن 6هـ - 13 هـ / 12 - 19م ، مذكرة ماجستير ، إشراف : عبد العزيز محمود لعرج ، جامعة الجزائر ، معهد الآثار، 2007 - 2008 ص 5.

[5] - محمد حوتية : المرجع السابق ، ص ص (6-7- 8) .

جـــ- منطقة تيديكلت :

تمتد تيديكلت من مدينة "أولف" إلى مدينة "فقارة الزوا" بدائرة عين صالح شرقاً على مسافة تقدر بـــــ 150كلم[1] وهي بهذا تقع في الجهة الشرقية لمدينة رقان، أي عند سفح صخري مرتفع من هضبة تدمايت، وتزخر منطقة تيديكلت بمجموعة من الأودية التي تقطعها من الشمال الشرقي إلى الجنوب الغربي مثل وادي "جـــارت" الذي يعتبر من روافد "وادي مسعود" حيث ينبع من المرتفع الصخري ويصب في سبخة رملية[2].

وتتكون تيديكلت بدورها من مجموعة من القصور موزعة على سطح منبسط قليل التلال، ومركزهـــا مدينة أولف[*] (تيدكلت الغربية) حالياً إلا أن مدينة عين صالح أو(تيديكلت الشرقية) تعتبر العاصمة التاريخية للمنطقة فإليها كان يلجا توارق الهقار وأهل أدرار وجانت في حالة الخطر،كما كانت الطريق الذي تمـــر منـــه القوافـــل التجارية المتجهة نحو تونس وطرابلس ونقطة تجمع ومعبر للحجيج[3].

وعلى الرغم من إشارة المؤرخين القدامى أمثال: "ابن بطوطة" والعلامة "ابن خلدون" لمـــنطقتي (تـــوات الوسطى وقورارة) في كتاباتهم إلا أنهم لم يتعرضوا لذكر منطقة تيديكلت، ولعل هذا راجع إلى عدم جلب قراهـــا النامية اهتمام الرحالة نظراً لمواقعها الغير متمركز على ممرات التواصل مما أدى إلى إهمالها لوقت طويل، حيث تبعد المراكز الأساسية عن بعضها البعض بحوالي 50 كلم في المتوسط .

وتتربع دائرة أولف الحالية التي ظهرت منذ 1985م على مساحة تقدر بـــ 24.536كلم مربع موزعة على النحو التالي: بلدية أولف 3020كلم مربع، بلدية تمقطن 17880كلم مربع، بلدية أقبلي[**] 2033 كلـــم مربع بلدية تيط 1603كلم مربع[4]، وتضم بلدية أولف عشرة قصور أهمها : قصر الركينة، زاوية حينون، تقراف، ومن أهم قصور بلدية تمقطن: زاوية مولاي هيبة، قصبة السيد، أولاد الحاج، أما بلدية أقبلي فتضم أربعة قصـــور هي:

---

[1] - مبارك جعفري : المرجع السابق ، ص 31 .

[2] - عبد الله عباس : المرجع السابق ، ص 29.

*- اختلفت الآراء حول أصل تسمية " **أولف** " فمنهم من يرى أنها مشتقة من الألفة باعتبار أن من سكنها يألفها سريعاً ومنهم من ذهب إلى أن أصل الكلمة بربري مشتق من كلمة " أقلف " بالجيم المصرية وتعني خلية النحل باعتبار أن المنطقة تجذب نحوها السكان جذباً فأبدلت القاف واواً فأصبحت أولف وهذا الرأي الأخير هو الأقرب إلى الصواب في رأي الأستاذ عبد المجيد قدي : ينظر ، عبد المجيد قدي : صفحات مشرقة من مدينة أولف العريقة ، (د،ط) ، د،ن ، د،ت ، ص 20 ، وتبعد أولف عن مقر الولاية ب 250 كلم .

[3] - سعيدان التومي : سكان تيدكلت القدامى والاتكال على النفس ، (ط1) ، دار هومة ، الجزائر : 2005 ، ص ص (18 - 19) .

- نشأة **أقبلي قبل أولف وتيط (عام 1230) حسبما ورد في بعض التقارير الفرنسية، ينظر، عبد المجيد قدي : المرجع السابق، ص ص (26 ،29) أما عن أصل التسمية فهناك من رجح اشتقاقها إلى كونها قبلة العلم ، ينظر، سعيدان التومي : المصدر السابق ، ص 40 ، ومنهم من يرى أنها سميت نسبة لرياح القبلي التي تهب على المنطقة وهي رياح تحمل معها الأتربة التي تغطي آبار المياه وتعمل على جفاف الماء من القرب – وكانت كثيراً ما تحول دون وصول التجار إلى بلاد السودان – وقد تعرض ركب أسكيا الحاج محمد لمثل هذه الريح في رحلته إلى الحج : ينظر الهادي مبروك الدالي : التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا فيما وراء الصحراء ، (ط 1) ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة : 1999 ، ص ص (317 – 318) ، وتقع بلدية اقبلي حاليا جنوب شرق دائرة أولف تبعد عنها بحوالي 60 كلم .

[4] - عبد المجيد قدي: المرجع السابق ، ص ص (21 - 22) .

ساهل، المنصور، أركشاش، زاوية أبي نعامة الكنتي*، وأما بلدية تيط فتضم قصراً واحداً .

د – منطقة تنـــزروفت** : وهي صحراء شاسعة حصوية بيضاء اللون جافة قاحلة تمتد إلى غاية المناطق الخصـــبة بأهقار وكل طرقها تؤدي إلى بلاد السودان (مالي) .

وتكون كل من قورارة وتوات الوسطى وتيديكلت يضاف إليها تنـــزروفت الحدود الإدارية والرسميـــة لولاية أدرار حاليا، وتعتبر مدينة أدرار التي أسست بعد الاحتلال الفرنسي لتوات المركز الإداري التجاري لتوات[1] ومقراً للولاية حالياً .

ومن خلال تحديدنا للموقع الفلكي والجغرافي لولاية ادرار وعرضنا لأهم قصورها والتي تتجاوز في مجملها الثلاثمائة قصر تبين لنا أن للولاية أهمية كبيرة بحكم موقعها الجغرافي الاستراتيجي المتميز وهذا بشـــهادة الرحالـــة الذين زاروها والبحاثة الذين تحدثوا عنها، فهي تعتبر همزة وصل بين كل مناطق الجزائر من جهة ومفترق للطرق التي تربط الشمال بالجنوب ودول أفريقيا من جهة أخرى، فهي مفتوحة على منطقة الهقار في اتجاه عين صالح إلى تمنراست وعلى دول غرب إفريقيا من جهة تنـــزروفت عن طريق برج باجي مختار، وعلى جهة الجنوب الغـــربي عن طريق واد الساورة في اتجاه بشار، وعلى موريتانيا باتجاه تندوف، وعلى منطقة البيض باتجاه تنركوك وعلـــى اتجاه الشمال الجزائري عن طريق المنيعة وغرداية، كما كانت في الماضي ممراً للقوافل التجارية العابرة للصحراء في اتجاه الدول الإفريقية حيث يقول "ليون الإفريقي" عن تيكورارين[2]:« ... وهنا مجمع القوافل لان تجار بلاد البربر ينتظرون تجار بلاد السودان ثم يذهبون جميعاً ...»، ومعبراً للحجاج السودانين أو المغاربة، فقد مر مثلاً: الموكب الحجي للسلطان "منسا موسى" رابع سلاطين إمبراطوريـــة مـــالي (712-737هـــ/1312م –1337م) بتوات[3]،كما مر بها الرحالة "العياشي" المغربي في رحلته إلى الحج عندما مر بقرية تسابيت بقورارة .

وبالجملة فإن ولاية ادرار تحتل موقعاً إستراتيجياً مكنها من الاتصال بمناطق شرق وغرب وشمال وجنوب القارة الإفريقية وهو ما ساهم في توطيد العلاقات، والروابط الاقتصادية والثقافية مع دول هذه المناطق .

---

*- ولد **الشيخ محمد بن عبد الرحمن بن الشيخ أبي نعامة الكنـــتـــي** عام 1060 هـــ / 1650 م ، بسجلماسة أســـس زاوية أقبلـــي عـــام 1138 هـــ/ 1726 م كان شيخ الركب إلى البقاع المقدسة وهو أول من هيأ المركب للحج وأحيا سنة الوفود المجتمعة من توات وبلاد التكرور توفى بزاويته بتاريخ 19 رمضان 1163 هـــ/ 22 أوت 1750م ، ينظر ، مبارك جعفري : المرجع السابق ، ص 188 ، اشتهرت هذه الزاوية كونها كانت كعبة للعلم ومحطة يلتقي فيها حجاج التكرور وحجاج توات لينطلقوا منها نحو عين صالح ومنها إلى الصحراء اللبيية فمصر فالبقاع المقدسة.

- **تنـــزروفت : اسمها من لغة التوارق وتعني الأرض القاحلة أو الموات : ينظر، نعيمة طيب بوجمعة : (الموقع الجغرافي لإقليم توات) ، الملتقى الوطني الأول العلاقات الحضارية بين إقليم توات وحواضر المغرب الإسلامي ، المرجع السابق ، ص 7

[1]- Karl suter ,op cit , p 444 .

[2] – المرجع السابق ، (ج2) ، ص 133

[3] – أحمد الشكري : الإسلام والمجتمع السوداني إمبراطورية مالي (1230- 1430م) ، (ط1) ، المجمع الثقافي ، أبوظبي : 1999 ، ص 243.

أما عن **الخصائص التضاريسة لولاية ادرار**: فالولاية كغيرها من بقاع العالم مرت بمراحل الأزمنة الجيولوجية المعروفة* وتجلت في الصخور منها :

صخور قديمة : ترجع إلى ما قبل الزمن الجيولوجي الأول، وهي التي تكون القاعدة السفلى للطبقات الرسوبية – صلبة عميقة – تكونت عبر الأزمنة الجيولوجية التي تلت الزمن الأول، وتظهر هذه القاعدة أحياناً على السطح خصوصاً بمنطقة الخطوط الانكسارية مثل الخط الإنكساري الغربي الممتد على حوض واد الساورة، والخط الإنكساري الشرقي الذي يمتد جنوب شرق العرق الكبير الذي يظهر جنوب الولاية، أما **صخور الزمن الثاني** أو ما يسمى بالعصر الكريتاسي الأوسط فتظهر بشكل واسع على الجانب الشمالي والشمالي الغربي للخط الإنكساري الشرقي ما بين تينجورارين غرباً إلى شمال شرق منطقة لحمر، وتظهر **صخور الزمن الرابع** بالسبخة الواقعة شرق تسفاوت وشرق شروين، وفي بعض النقاط المحدودة جداً[1]،ومعظم هذه الصخور السطحية تعطي بنية تضاريس متنوعة ذات مميزات صحراوية أهمها :

مناطق العرق: إذ يمثل العرق المظهر التضاريسي الغالب على سطح الإقليم ويتمثل في السهول الرملية، حيث يغطي "العرق الغربي الكبير" الذي يمتد من بني عباس غرباً حتى هضبة المنيعة شرقاً، أجزاء كبيرة من منطقة تنجورارين أما "عرق شاش" في الجنوب الغربي من الحدود الجزائرية المالية فيحاذي قصور توات الوسطى من جهة الغرب[2] وفي شمال تسابيت توجد مجموعة كبيرة من الكتل الرملية تكون في مجملها عرق الراوي.

ويرجع سبب تواجد الرمال بكثرة في المنطقة إلى التغيرات التي حدثت في الزمن الجيولوجي الرابع أي عصر البليستوسين الذي شهدت فيه أوربا الهجمات الجلدية وفترات تراجعها، في حين كانت هناك الهجمات المطيرة وفترات الجفاف في المغرب القديم في ذلك الوقت[3] .

ففترات الجفاف التي شهدها المغرب القديم خاصة الصحراء الكبرى التي من ضمنها ولاية ادرار، جعلت طبقة الزمن الجيولوجي الرابع تغطى أراضي الزمن الأول مشكلة العروق والكثبان الرملية، وإلى جانب الرمال نجد **الحمادة** (سطوح صخرية) التي تكونت نتيجة الحت القوى والمستمر للرياح وهي توجد بأسفل توات[4]، وكذا **الرق** "**reg**" الذي يشغل مساحات واسعة من الإقليم خاصة في منطقة تنزوفت جنوب أدرار، إضافة إلى **السبخة** "**sabkha**" التي تشكلت نتيجة لجفاف البحيرات، وهي تتواجد بالأخص في الأماكن المنخفضة بين

*– ما يدل على أن المنطقة مرت بمراحل الأزمنة الجيولوجية هو العثور على بقايا الحضارات القديمة بها فقد عثر بمنطقة أولف مثلا على أدوات ذات طبيعة capsien هذا بالإضافة إلى نقوش تيفيناغ الأمازيغية التي وجدت على صخور كدية أولف الشرفاء ، ينظر : عبد المجيد قدي : المرجع السابق ص 25 ، وكذا المغارة الموجودة بقصر إغزر على بعد 25 كلم من مدينة تيميمون ومغارة تماسخت العجيبة التي يتربع عليها القصر العتيق ومغارته تنم عن عبقرية فذة ينظر : اكتشف ادرار : مديرية السياحة والصناعة التقليدية بولاية ادرار، د، ن ، ص ص(8- 9- 11) .

[1] – محمد حوتية : المرجع السابق، ص 15.

[2] – مبارك جعفري : المرجع السابق، ص 33.

[3] – رشيد الناضوري :تاريخ المغرب الكبير (العصور القديمة) ، (ج1) ، (د،ط) ، دار النهضة العربية، بيروت : 1981 ، ص 51 .

[4] – الصديق تياقة: (نمط العمارة القصورية ومراحل الاستيطان البشري بإقليم توات) ، الملتقى الوطني الأول: العلاقات الحضارية بين إقليم توات وحواضر المغرب الإسلامي، المرجع السابق ص95 .

توات الوسطى، وقورارة على باطن الأودية القديمة والعريضة جداً التي كانت شديدة السيلان في القديم فكونت في مصابها سبخات كبيرة وأضافت إليها مياه سقي النخيل نسبة معينة من الماء ومن أهم سبخات الولاية: سبخة تيميمون وسبخة تمنطيط[1] بالإضافة إلى سبخة بودة وسبخة مكرغان جنوب أقبلي وسبخة توهات بين تيمي ورقان.

أما **المرتفعات الجبلية** فتكاد تنعدم في الولاية، باستثناء بعض الكتل الصخرية ذات الارتفاع البسيط مثل: سلسة كرزاز التي تمتد غرب حوض الساورة[2]، وهذا ما جعل الولاية مكشوفة الجوانب عرضة للتيارات الهوائية من مختلف الجهات، ومن أهم **هضابها** "هضبة تادمايت" الشاسعة التي تكونت بسبب تآكل الطبقات التحتية[3]، بالإضافة إلى هضبة الاقلاب (غرباً) التي ينبع منها "وادي شناشن" الذي يختفي في عرق شاش[4] .

وعن **أودية الولاية** فهي وديان جافة ينبع معظمها من خارجها، وتنتهي داخلها حيث تصب مياهها الجوفية فيها لتغذي الفاققير* والآبار بالمياه وأهمها ثلاثة هي :

- **"وادي امقيدن"** أومقيدون: وهو امتداد لواد سفور ينبع من نواحي المنيعة، وينتهي في منطقة تينجورارين (قورارة) مشكلاً سبخة تعرف بسبخة تينجورارين، أما **"وادي مسعود"** فهو عبارة عن تلاقي لواد جير (الذي يسير على طول السفوح الجنوبية لجبال الأطلس الصحراوي) مع وادي زوزسفانة بمنطقة فيقق، ويتجه جنوباً ليطلق عليه اسم وادي الساورة ويتجه غرباً ثم جنوباً ليسمى وادي مسعود، ويكون سبخة بمنطقة تسفاوت، ويتجه بعد ذلك إلى رقان لتغور مياهه بعدها في صحراء تنزروفت، وأخيرا **"وادي قاريت"** الذي يأتي من الشمال الشرقي لمنطقة تيديكلت، ويتجه نحو جهة الجنوب الغربي ليكون رافدا لواد مسعود[5] وينتهي مجراه جنوب أقبلي وبهذا تكون نهاية "وادي امقيدن" بمنطقة قورارة، و"وادي مسعود" نهايته بمنطقة توات الوسطى، و"وادي قاريت" نهايته بمنطقة تيديكلت، وتعرف هذه الأودية عند الجغرافيين "بالكاذبة" لقلة مياهها؛ لكن رغم ذلك تعمل على تغذية الفقاقير والآبار بالمياه وبعث الحياة داخل الولاية التي تتميز بصحرائها القاحلة .

هذا وتزخر ولاية أدرار بمياه جوفية كثيرة تعد مصدرا لسقي البساتين داخل الواحات لذا اهتم التواتيون بحفر الفقاقير لتوفير المياه اللازمة للشرب والسقي .

ويرجع مصدر هذه المياه الجوفية إلى الفترات المطيرة التي شهدتها المنطقة خلال الأزمنة الجيولوجية خاصة الزمن الرابع (البليستوسين) الذي كانت فيه الهجمات المطيرة وفترات الجفاف في المغرب القديم وهذا ما

---

[1] – محمد بن سويسي: المرجع السابق ص8

[2] – محمد حوتية: المرجع السابق ، ص ص (15 – 16)

[3] – محمد بن سويسي: المرجع السابق ، ص 6.

[4] – نعيمة طيب بوجمعة: (الموقع الجغرافي لإقليم توات) ، الملتقى الوطني الأول : العلاقات الحضارية بين إقليم توات وحواضر المغرب الإسلامي، المرجع السابق، ص 7.

*– **مفرد الفقارة** : وتعتبر الفقارة أساس نظام الري التقليدي و الفلاحة بالمنطقة و هي عبارة عن وسيلة لاستغلال المياه الجوفية عن طريق شبكة من الآبار متصلة ببعضها البعض بواسطة أنفاق أرضية يسمى كل واحد منها ب (أنفاد) بالمحلية و تنساب الآبار من المناطق المرتفعة في اتجاه المنحدر الأرضي حتى تصل إلى سطح الأرض مستفيدة في ذلك من قانون الميل ثم يتم توزيعها بطريقة خاصة ، ينظر : عبد المجيد قدي ، المرجع السابق ، ص 51 .

[5] – محمد حوتية : المرجع السابق ، ص 44.

أثبته الجيولوجيين والجغرافيون وعلماء الجو القديم الذين خلصت أباحثهم في الصحراء الكبرى على العثور على عدد كبير من الأودية والبحيرات التي تجمعت فيها الرسوبات الناجمة عن العصر المطير[1]، كما أن الرواسب البحرية بين تيمادنين من رقان وبودة كالمحارات، وبعض آثار الأشجار تدل على أن المنطقة كانت مطيرة، وكثيرة الوديان في السابق.

وعن **الخصائص المناخية والنباتية للولاية** فهي يسودها المناخ الصحراوي القاري الذي يتميز بارتفاع درجة الحرارة في فصل الصيف، وانخفاضها في فصل الشتاء، حيث ترتفع درجة الحرارة في فصل الصيف في ولاية أدرار إلى أكثر من 45°م، وتنخفض في فصل الشتاء إلى 0م°، ولهذا يكون المدى الحراري بها كبيرة جدا[2] مما يجعل الحياة قاسية فيها خاصة أراضي تنزروفت التي ظلت مستعصية مجهولة لدى الرحالة الأوروبيين حتى سنة1936م[3] وولاية أدرار هي عرضة للزوابع الرملية والرياح الجنوبية الجافة التي تسمى "الشهلي" (تعرف محليا باسم أريفي) نظرا لطبيعة المناخ .

أما الرياح الخطيرة والمثقلة بالرمال والغبار والتي تسمى بالفرنسية "سيروكو" (Siroco) (الرياح الجنوبية الشرقية) فتكون ساخنة وتكثر في أشهر مارس، أبريل، وماي من كل سنة يمكنها أن تسقط النخيل، وتقلع الأشجار والجدران[4] حيث تصل سرعتها إلى حوالي 100كلم/سا[5]، بالإضافة إلى الرياح المعروفة بالمحلية (السابعة) التي تهب في مواسم نضج القمح والشعير .

وعلى كل فالرياح على اختلاف أسمائها ووجهتها في الولاية هي تسبب في حدوث زوابع رملية، وبالتالي عرقلة جميع أنواع النشاط البشري، ومحو معالم الطريق، وأحيانا تغطي البساتين، وتزحف على المساكن مما جعل سكان المنطقة يفكرون في إيجاد مصدات لها (أفراق) مصنوعة من جريد النخيل .

أما عن الأمطار فالولاية تقع من ضمن المناطق الصحراوية التي لا تنال في بعض الأحيان الأمطار لسنوات عديدة متوالية وحتى في فصول الإمطار تسقط غير منتظمة وقد لا تسقط أبداً طوال أسابيع، وقد تنهمر الأمطار كالسيول لبضعة أيام، مما يؤدى إلى هدم البنايات، والقصور المبنية من الطوب مثلما حدث في توات الوسطى عام 2005م وفي دائرة أولف (جانفي عام 2009م) كما تؤدي إلى إتلاف المحاصيل الزراعية خاصة إذا كانت مصحوبة بعواصف .

---

[1] – رشيد الناضوري: المرجع السابق ، ص 52.

[2] – إبراهيم مياسي: التوسع الاستعماري الفرنسي في الجنوب الغربي الجزائري (1912/1881م) ، (د،ط) ، منشورات المتحف الوطني للمجاهد الجزائر : 1996 ص 21 .

[3] – إسماعيل العربي: المرجع السابق ، ص 15.

[4] – مبروك مقدم: مدخل منوغرافي في المجتمع التواتي , (د،ط) ، دار هومة ، الجزائر : 2008 ، ص27 .

[5] – محمد بن سويسي: المرجع سابق ، ص 9 .

هذا ولا تزيد نسبة تساقط الأمطار عن (25ملم) سنوياً وهذا ما يجعل السنة تتكون من فصلين: أحدهما بارد من ديسمبر إلى فيفري والآخر حار بقية أشهر السنة[1]، وأدت قلت التساقط بسكان الولاية إلى البحث عن كيفية استخراج المياه الباطنية بواسطة نظام الفقارات .

أما عن **خصائص الغطاء النباتي** فلقد كان للظروف المناخية للولاية (قلة التساقط، قساوة المناخ، وهبوب الرياح الحارة) انعكاس واضح على الحياة النباتية بها حيث تتميز الولاية بقلة، وفقر نباتاتها التي من خصائصها تحمل الجفاف والحرارة المرتفعة والبرودة الشديدة، ومن أهم أنواع النباتات التي تنمو بها :

النخيل: الذي يأتي في مقدمتها والذي يعتبر الغداء الأساسي للسكان (التمور)، **السبط** الذي يأكله الغنم، والجمال والحمير، **شجرة الفرسيق** التي تنمو بجانب السباخ وتستعمل لأغراض عدة كالتسخين، ويستخرج منها القطران إضافة إلى أنواع أخرى من النباتات كالدمران – العقاية – حشائش السفانا[2] والقمح والشعير، وأنواع عديدة من الخضر والفواكه المبكرة كالطماطم والرمان كما اشتهرت الولاية بإنتاج التبغ والحنة .

وعلى الرغم من ندرة النبات في الولاية إلا انه سمح بعيش أنواع عديدة من الحيوانات كالغزلان وذئاب الرمال، الأفاعي، الزواحف، الطيور، الجمال، الأغنام، والماعز .

[1] – محمد حوتيه : المرجع السابق، ص 16 .

[2] – المرجع نفسه، ص17.

المبحث الثاني: الحياة السياسية والاقتصادية في الجزائر في عصر محمد باي* (1930–2009م)

سنرى في هذا المبحث كيف أثرت الظروف السياسية والاقتصادية الصعبة التي كان يعانيها الشعب الجزائري في ظل الاحتلال الفرنسي على شخصية مترجمنا وتوجهاته الفكرية لأنه عاش ثلث عمره (32 سنة) في الجزائر المحتلة وأكثر من نصف عمره (47 سنة) في الجزائر المستقلة.

أولاً: الحياة السياسية :

ميز الحياة السياسية في الجزائر بصفة عامة وفي ولاية ادرار بصفة خاصة إبان الحقبة الاستعمارية غياب سلطة سياسية يلتف حولها الشعب الجزائري وفراغ في الحياة السياسية في اغلب الأحيان نتيجة القمع والاضطهاد الممارس من طرف الإدارة الاستعمارية على زعماء الأحزاب السياسية، وبعد الاستقلال عادت السلطة السياسية والسيادة الوطنية للجزائر بعد قرن وثلث القرن من الاستعمار والاستلاب للتتبوء مكانة دولية مرموقة بين دول العالم وهو ما أعطى فرصة لتنقل مترجمنا داخل الوطن وخارجه للاستفادة والإفادة كما سنتطرق إلى ذلك في الفصل الثالث.

ا– في الجزائر(1930– 2009م):

بعد احتلال الجزائر في صائفة 1830م انتهجت فرنسا فيها نظام الحكم العسكري الذي ظل قائما بها إلى غاية 1870م لتعوضه بالحكم المدني في عهد الجمهورية الفرنسية الثالثة (1871– 1940م) وهو العهد الذي ولد فيه مترجمنا "محمد باي بلعالم" . حيث كان يمثل فرنسا في الجزائر حاكم عام مدني تابع في تصرفاته واختصاصاته إلى وزارة الداخلية بدل وزارة الحربية كما كان الحال قبل 1871م عندما كان الحكم عسكريا[1]، وقسمت الجمهورية الثالثة البلاد إلى ثلاث عملات في الشمال (قسنطينة، الجزائر، وهران) ومنطقة عسكرية في الجنوب وبهذا أصبحت ولاية ادرار من ضمن مناطق الجنوب التي شملها الحكم العسكري الفرنسي والتي لم تكن تتمتع باي ظل من الحياة الديمقراطية ولا التقاليد المدنية بل كانت في شبه عزلة اقتصادياً وسياسياً واجتماعياً.

وقسمت العملات إلى دوائر وكل دائرة إلى بلديات حيث كان يميزها نوعان من البلديات "مختلطة" يعيش فيها أغلبية مسلمة وأقلية أوروبية، و"كاملة الصلاحيات" يعيش عليها أغلبية من المستوطنين وأقلية من المسلمين يشرف على تسييرها حاكم إداري معين من قبل الحاكم العام للجزائر أو من قبل عامل العمالة، بالإضافة إلى البلديات الأهلية التي بلغ عددها عشية الثورة التحريرية ثلاث وستين (63) بلدية ، وقد وجد هذا النوع في الجنوب الجزائري (المنطقة العسكرية) ويأتي الحاكم العسكري على رأس السلطة في هذه البلديات يساعده كل من القايد والباشاغا؛ والبلدية الأهلية كما يدل عليها اسمها لا يوجد فيها العنصر الأوروبي إلا قليلاً، ويتمتع هذا النوع

*– سنتطرق إلى التعريف به في الفصل الموالي.

[1] – أبو القاسم سعد الله : الحركة الوطنية الجزائرية (1930– 1945) ، (ج3) ، (ط4)، دار الغرب الإسلامي ، بيروت : 1992، ص 15 .

من البلديات بمجلس الجماعة الذي يعينه الحاكم العام وقد حافظ على نظامه وشكله طيلة الفترة الاستعمارية و لم يحدث فيه أي تغيير تجدر الإشارة إليه حتى سنة 1962م[1].

وفي المقابل حُرم الجزائريون من التمثيل الحقيقي في كافة المجالس الجزائرية إبان الفترة الاستعمارية حتى تاريخ اندلاع الثورة التحريرية – إذا استثنينا جماعة بني وي وي الموالية للإدارة الاستعمارية– وكان هذا شكل من أشكال التمييز العنصري الذي انتهجته فرنسا في الجزائر طوال فترة الاحتلال .

أما بالنسبة للتمثيل النيابي في البرلمان فقد كان مقصورا على فئة المستوطنين و لم يُسمح للجزائريين حتى كملاحظين في هذا المجلس منذ بداية الاحتلال حتى سنة 1947م ولذلك كانت الأقلية الأوروبية حاضرة في الجزائر وفي المتروبول على حد سواء في غياب الممثلين الجزائريين[2].

ومع مطلع القرن العشرين الميلادي وبالضبط مع نهاية الحرب العالمية الأولى(1919م) تميز الوضع السياسي في الجزائر بالتغير إذ لم يعد الشعب الجزائري يعتمد على المقاومة الشعبية المسلحة المنطلقة من الأرياف بل سلك أسلوباً جديداً لمواجهة الاستعمار تمثل في النضال السياسي عن طريق الأحزاب السياسية والجمعيات والنقابات والصحف والمظاهرات كنتيجة للهجرة الجزائرية في فرنسا وفي المشرق العربي فظهر بهذا اتجاهان أو تياران في الجزائر هما:

1– النخبة: كان هذا الاتجاه يطالب بالإدماج والمساواة في الحقوق مع المواطنين الأوربيين وغيرها من المطالب السياسية والاجتماعية التي تهدف إلى تحسين أوضاع الشعب الجزائري، ومن أهم الأشخاص الذين تزعموا هذا الاتجاه الصيدلي "فرحات عباس" (1899– 1985م) والطبيب "بلقاسم ابن تامي" ، و"ابن جلول" (1897– 1986) والعسكري السياسي "الأمير خالد الجزائري" (1875– 1936م) ، والمحامي "مصطفى بوضربة" والشيوعي "عمار اوزقان" ، جميعهم تخرجوا من المدارس الفرنسية و تبنوا أفكارا غربية.

لقت هذه النخبة شعبية واسعة مع مطلع القرن العشرين في الجزائر مما جعل الفرنسيون يتخوفون من هذه النخبة الجديدة التي بدت وكأنها تتبنى الفكرة القومية أو الوطنية في نظرهم[3].

2– الإصلاحيين الإسلاميين: الذين دعوا إلى التمسك بتعاليم الدين الإسلامي وقيمه السمحاء كما ساهموا في الحفاظ على الهوية الوطنية من أمثال : "عبد القادر المجاوي" (1848– 1913م) الذي امتاز بغزارة علمه وتخرج على يديه عدد هام من بناة النهضة العلمية والأدبية في الجزائر، و"أبو القاسم محمد الحفناوي"(1852– 1942م) صاحب كتاب "تعريف الخلف برجال السلف" الذي يعد موسوعة قيمة ترجم فيها لعدد كبير من الفقهاء والأدباء والمؤرخين في الجزائر قبل الاحتلال وخلاله حتى سنة 1906م، والشيخ "عبد الحليم بن سماية" (1866– 1933م) الذي كان من العلماء القلائل الذين نشروا فكرة الإصلاح والتجديد قبل حركة العلامة "عبد الحميد

[1] – عبد الكريم بوصفصاف: الفكر العربي الحديث والمعاصر محمد عبدو وعبد الحميد بن باديس نموذجا، دار الهدى، عين مليلة : 2005 ، ص ص(55، 61).

[2] – المرجع نفسه، ص 65.

[3] – المرجع نفسه، ص 158.

بن باديس"* والشيخ "مولود ابن الموهوب" (1866- 1939م) احد الدعاة إلى الإصلاح ومحاربة البدع والضلالات وإلى التخلص من الإجحاف والتعصب والعوائد الفاسدة[1].

ولقد كان لكلا التيارين صحف ونوادي يعملان من خلالها على نشر الوعي والثقافة الاجتماعية والاقتصادية كما أنشئت العديد من الجمعيات والنوادي التي ساهمت في تنوير عقول الجزائريين مثل: "نادي صالح باي" بقسنطينة (1907م) و"نادي الترقي" بالعاصمة 1927م و"نادي الاتحاد" 1932م بقسنطينة حيث كانت فرصة لالتقاء النخبة المثقفة لمناقشة مختلف القضايا المتعلقة بالبلاد في مختلف النواحي.

وفي العقد الثاني من نفس القرن ظهرت في الجزائر أحزاب سياسية انبثقت من التيارين السالفين الذكر كان أهمها: "نجم شمال إفريقيا" (جوان 1926م) الذي تزعمه "احمد مصالي الحاج" (1898- 1973م) الذي كان من ابرز مطالبه استقلال الجزائر لذا قاد المعركة السياسية من اجل استقلالها فيما بعد تحت أسمائه الجديدة "نجم الشمال الإفريقي المجيد" (1934م) أو "حزب الشعب" (مارس 1937م) أو "حركة انتصار الحريات الديمقراطية" (افريل 1946) فيما بعد.

وفي سنة 1927 أسس "فرحات عباس" "اتحاد النواب المسلمين الجزائريين" الذي كان يدعو إلى الاندماج مع الاحتفاظ بالهوية الاسلامية للشعب الجزائري لتحقيق ما يصبو إليه، وشارك في صياغة بيان فبراير 1943م الذي قدم للحلفاء ، وفي سنة 1946م أسس حزب "الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري" للدفاع عن مطالب البيان التي كان من أهمها : إدانة الاستعمار والقضاء عليه وإنشاء برلمان جزائري؛ وبدوره أسس "الحزب الشيوعي الفرنسي" فرعاً له بالجزائر ابتداء من سنة 1924م وظل تابعا له إلى غاية 1936م حيث كان يتشكل من العمال الجزائريين والأوروبيين دافع هذا الحزب عن مطالب الجزائريين بالمهجر وفي سنة 1936م تم تشكيل حزب شيوعي جزائري. كما أسس رجال الإصلاح بدورهم عقب الاحتفالات المئوية لاحتلال الجزائر 1930م "جمعية العلماء المسلمين الجزائريين" في 5/5/ 1931م التي لعبت دوراً كبيراً في إعداد جيل أول نوفمبر 1954م لما أحدثته من تحول عميق في الذهنية الوطنية وهزة كبيرة في المجتمع الجزائري[2].

وباقتراب موعد اندلاع الحرب العالمية الثانية أعلنت السلطات الفرنسية قيام الأحكام العرفية في البلاد فجمدت نشاط الحركة الوطنية بحل أحزابها والزج بأعضائها في غياهب السجون كحزب الشعب وتضييق الخناق على "جمعية العلماء المسلمين الجزائريين"، وإتباع أسلوب الملاينة مع بعضها الآخر كحزب "فرحات عباس" و"الحزب الشيوعي" اللذين وعدهما بالاستقلال بعد المشاركة معها في الحرب.

---

*- **عبد الحميد بن باديس**: شاعر، مصلح، صحافي، ورجل تربية ولد بمدينة قسنطينة في ديسمبر عام 1889 نشأة في بيئة علمية حفظ القران الكريم وهو ابن ثلاثة عشر سنة تتلمذ على يد الشيخ احمد أبو حمدان الونيسي كان سلفيا متمسكا بالكتاب الكريم والسنة الصحيحة سافر إلى جامع الزيتونة وفي عام 1913 توجه إلى الحجاز لأداء فريضة الحج أين تعرف على الإبراهيمي ، ثم عاد إلى قسنطينة ليباشر التعليم في جامع الأخضر ختم تفسير القران تدريسا في ربع قرن أصدر جرائد من أشهرها المنتقد، الشهاب، السنة، البصائر لتبليغ الدعوة الإصلاحية، توفي مساء الثلاثاء 16افريل 1940 ودفن بحي الشهداء قرب مقبرة قسنطينة من مؤلفاته، السلف ونساؤه، القصص الهادف، ينظر عاشور شرفي : المرجع السابق ، ص ص (27- 28) .

[1] - عبد الكريم بوصفصاف: المرجع السابق، ص ص (137، 139، 143).

[2] - أبو القاسم سعد الله : الحركة الوطنية الجزائرية، (ج3) ، المرجع السابق، ص 17.

وفي ظل تطورات الحرب قام أعضاء من الحركة الوطنية برئاسة "فرحات عباس" بصياغة "بيان فبراير 1943م" الذي لم يلق ترحيباً لا من الوالي العام الفرنسي في الجزائر انذاك "مارسيل بيرتون" ولا من الحلفاء ولا من حكومة فرنسا الحرة التي كان يقودها الجنرال "ديغول" بلندن إذ هز البيان هذه الأخيرة مما جعل "ديغول" يقترح مشروع قانون 1944م الذي يمنح الجنسية الفرنسية لثلة من الجزائريين، إلا انه قوبل بالرفض من طرف الحركة الوطنية التي تجمع أعضائها من جديد وشكلوا ما يعرف بأحباب البيان والحرية يوم 14 مارس 1944م للدفاع عن مطالب "البيان" التي كان من أهمها: إدانة الاستعمار والقضاء عليه والسماح بمشاركة المسلمين في تسيير شؤون بلادهم.

وبعد نهاية الحرب العالمية الثانية أوت 1945م كافأت السلطات الفرنسية الشعب الجزائري الذي شاركها هذه الحرب بفلذات أكباده كجنود حرب أو عمال مصانع بمجازر دموية راح ضحيتها "خمسة وأربعون ألف شهيد" حسب اغلب الروايات، وبهذا تبين للحركة الوطنية عقم النضال السياسي أو المحاولات السلمية في ظل استمرار البطش والاضطهاد الاستعماري فشكلت تنظيمات سرية منذ عام 1947م (المنظمة الخاصة) للإعداد للعمل المسلح التي تمخضت في النهاية عن ظهور "جبهة التحرير الوطني" وقيام الثورة الكبرى عام 1954م.

فعلى اثر اكتشاف أمر "المنظمة الخاصة" في مارس 1950م دخل حزب "حركة انتصار الحريات الديمقراطية" في صائفة 1951م أزمة حادة عجزت كل المساعي على احتوائها، إذ انقسم الحزب على نفسه إلى جماعتين(مصاليون ومركزيون) فبينما كان "مصالي الحاج" يطالب بالسلطة المطلقة في قيادة الحزب كانت اللجنة المركزية تدافع عن مبدأ القيادة الجماعية، وفي ظل هذا الخلاف ظهر تيار ثالث غير منحاز للطرفين أنشأ "اللجنة الثورية للوحدة والعمل" يوم 23 مارس 1954م كحل جذري للصراع والنقاش العقيم الذي كان يدور بين المصاليين والمركزيين فشرعوا في تنظيم الكفاح المسلح ولهذا الغرض انعقد في شهر جوان 1954م اجتماع (22 عضو) للجنة الثورية للوحدة والعمل بصالمبي وتبنوا مبدأ الكفاح المسلح، وانبثقت من هذه المجموعة لجنة قيادية ضمت ستة أعضاء هم: (محمد بوضياف، مصطفى بن بولعيد محمد العربي بن مهيدي، رابح بيطاط، مراد ديدوش، كريم بلقاسم) الذين صاغوا بياناً في شهر أكتوبر من نفس السنة شرحوا فيه أسباب اللجوء إلى الثورة المسلحة وحددوا يوم الفاتح من نوفمبر كأول يوم لاندلاعها وقسموا الجزائر إلى خمس مناطق عينوا عليها مسؤوليها ونوابهم. في حين أنشأ "مصالي الحاج" الذي عارض الانضمام إلى الثورة – وأنصاره "الحركة الوطنية الجزائرية" التي أصبحت عدو وخصم "جبهة التحرير الوطني" أثناء كفاحها المسلح[1].

ورغم الدعايات المغرضة للسلطات والصحف الفرنسية بتشويه سمعة الثوار والتقليل من شانهم في الداخل والخارج بوصفهم إرهابيين وفلاقة وإيهام الرأي العام العالمي بان ما يجري في الجزائر ما هو إلا تمرد، إلا أن "جبهة التحرير الوطني" واصلت نضالها بتعبئة الشعب الجزائري حول بيان أول نوفمبر، واستطاعت الثورة أن تصمد في وجه المخططات الاستعمارية الكبرى الرامية إلى القضاء عليها على الرغم من قلة المال والسلاح لديها وقوة العدو

[1] – عمار عمورة : موجز في تاريخ الجزائر ، (ط1) ، دار ريحانه للنشر والتوزيع، الجزائر : 2002 ، ص 185.

بل واستطاعت أن تخلق هياكل تنظمها على جميع الأصعدة بعد عقدها لمؤتمر الصومام التاريخي في 20 أوت 1956م الذي أعطى للثورة الجزائرية دفعاً قوياً بل وقادها نحو النصر، فقد انبثقت عنه لجنة للتنفيذ والتنسيق تحولت فيما بعد إلى أول "حكومة مؤقتة للجمهورية الجزائرية" دامت إلى غاية جويلية 1959م التي لعبت دوراً كبيراً في التعريف بالقضية الجزائرية للعالم وطلب المساعدة من خلال جولاتها المكثفة في إفريقيا وآسيا.

وهكذا استطاعت الثورة أن تهز إدارة العدو وجهازه العسكري في الصميم حتى توالت سقوط الحكومات الفرنسية الواحدة تلو الأخرى، نهيك عن الأموال الباهضة التي أرهقتها والتي كانت تصرفها لتموين الحرب والمقدرة حسب إعلان "ديغول" عام 1959م ب ألف (1000) مليار فرنك سنويا[1].

وبهذا لم يكن أمام الجنرال "ديغول" رئيس فرنسا آنذاك إلا الاستسلام للأمر الواقع إذ لم يجد منفذا لإنقاذ فرنسا وتحريرها من تلك التكاليف الباهضة سوى الدخول في مفاوضات مع "جبهة التحرير الوطني" على أساس مبدأ تقرير المصير خاصة بعد أن صوت الشعب الفرنسي بنسبة 75,26% لصالح تقرير مصير الشعب الجزائري في الاستفتاء الذي نظمه له يوم 8 جانفي 1961م[2]. فدخل في مفاوضات علنية مع "جبهة التحرير" فكان من أهم اللقاءات التي تمت بين الطرفين الجزائري والفرنسي: (لقاء "لوسارن" 20 فيفري 1961 ، لقاء "بال" السويسرية 28- 29 اكتوبر 1961، لقاء "بال" الثانية 1961، "ايفيان الأولى" 20 ماي 1961 ، محادثات "لي روس" 19 فيفري 1962) إلا أنها باءت بالفشل بسبب شروط فرنسا كفصل الصحراء عن الجزائر عندما تبينت لها أهميتها عقب اكتشاف البترول، وعدم الاعتراف بالجبهة كممثل للشعب الجزائري، فاستؤنفت المفاوضات من جديد في "ايفيان الثانية" يوم 7مارس 1962 التي تم فيها الإعلان عن وقف إطلاق النار بين الطرفين يوم 18 مارس بعد نقاشات مطولة وحادة تم من خلالها التطرق إلى المسائل المتعلقة بالتطبيق الفعلي لوقف إطلاق النار، وتحضير عملية الاستفتاء وتشكيل هيئة تنفيذية مؤقتة برئاسة جزائري تتولى تسيير الشؤون العامة في الجزائر ما بين توقيف إطلاق النار والاستقلال؛ وبتفويض من مجلس الثورة دخل وقف إطلاق النار حيز التنفيذ يوم 19 مارس على الساعة الثانية عشر ظهرا في كامل التراب الوطني[3].

وبعد إجراء استفتاء تقرير المصير في 1جويلية 1962م صوت معظم الجزائريون بنعم للاستقلال بنسبة 97% وبهذا زال ليل الاستعمار عن الجزائر بعد قرن وثلث القرن.

وبعد استقلال الجزائر انتخب الشعب الجزائري "احمد بن بلة" (ت ماي 2012م) كأول رئيس للجزائر المستقلة يوم 29 سبتمبر 1962م في ظل الحزب الواحد والنظام الاشتراكي والحكم المطلق، وفي عهده تم وضع أول دستور للجزائر عام 1963م، وانضمت الجزائر إلى "هيئة الأمم المتحدة" و"الجامعة العربية" واستمر في الحكم إلى أن قام نائبه وزير الدفاع "هواري بومدين" بانقلاب عسكري ضده يوم 19 جوان 1965م سمي بالتصحيح

[1] – عمار عمورة : المرجع السابق ، ص 194.

[2] – المرجع نفسه، ص 205.

[3] – المرجع نفسه، ص 208 .

الثوري فقام بتنظيم البلاد سياسياً حيث نظم انتخابات المجالس البلدية عام 1967م، وفي عام 1969م المجالس الشعبية الولائية ثم الميثاق الوطني سنة 1976م، وفي عام 1977م تم انتخاب المجلس الشعبي الوطني[1].

أما على الصعيد الخارجي فقد لعبت الجزائر دوراً كبيراً على المستوى الجهوي والعالمي اكسبها سمعة عالمية كبيرة بوقوفها إلى جانب الدول المستعمرة ولا أدل على هذا من طلب الرئيس الراحل "هواري بومدين" في عام 1974م ومن منصة الأمم المتحدة من إقامة نظام دولي جديد يكون أكثر عدلا، كما عملت على تسوية العديد من النزاعات كالنزاع الإيراني العراقي عام 1976م والوقوف إلى جانب فلسطين في حربها ضد المحتل الإسرائيلي في حرب اكتوبر 1973م .

وبوفاة الرئيس "هواري بومدين" في 27 ديسمبر 1978م اختير "الشاذلي بن جديد" من طرف الجبهة كرئيس للجزائر، وفي عهده دخل النظام الجزائري في صراع عسكري مع "الحركة الإسلامية الجزائرية"[*]، كما دخلت الجزائر في أزمات مفتعلة (الطماطم، الزيت، القهوة) وسياسة المحسوبية وغيرها من المشاكل مما سبب في انتفاضة 5 اكتوبر 1988م[**] التي ذهب ضحيتها حسب التصريحات الرسمية مائة وتسعة وستين (169) قتيلاً في كامل التراب الوطني مما جعله يُشرع في إجراء إصلاحات سياسية واسعة حيث دعا إلى إجراء استفتاء شعبي حول الدستور الجديد المعدل لعام 1989م الذي اقر التعددية الحزبية والنقابية ومبدأ التداول على السلطة الحزبية والإعلامية، وباستقالته خرجت الجزائر من عشرية سوداء كما يسميها البعض لتدخل عشرية حمراء لم ينج منها حتى الرئيس "محمد بوضياف" الذي اغتيل غدراً في مدينة عنابة في جوان 1992م ، بالإضافة إلى مقتل أكثر من مائة ألف جزائري جراء العمليات الإرهابية[2].

وفي جانفي 1994م تم انتخاب "الأمين زروال" رئيسا للجمهورية الجزائرية الذي استمر في عهده حمام الدم على الرغم من محاولاته لإيجاد وفاق وطني بين السلطة و"الجبهة الاسلامية للإنقاذ"، وعقب مشروع المصالحة

---

[1] – عمار عمورة: المرجع السابق ، ص 211.

* – كان سببه المحنة الشاملة التي عاشتها الحركة الاسلامية في الجزائر في حكم الرئيسين بن بلة وهواري بومدين وتعرض الكثير من الدعاة إلى السجن مما جعل التيار الإسلامي يلجا إلى حمل السلاح ضد السلطة الجزائرية فتأسست أول حركة إسلامية مسلحة في في الجزئر سنة 1979 اشرف عليها مصطفى بويعلي (1940- 1987) وشخص آخر يدعى كمال هدفها إسقاط النظام الجزائري وإقامة الدولة الاسلامية اتخذت هذه الحركة من الجبال الجزائرية مركزا لها وأصبحت تستهدف الدرك الوطني وتمكنت في ظرف وجيز أن تصير هاجسا مقلقا للسلطة الجزائرية مما جعل الرئيس الشاذلي يصدر أوامره للسلطات الأمنية بضرورة محاربة هذه الجماعة التي يحتمل أن تصير قاعدة لمعظم الناقمين على النظام إلا أن الحركة الاسلامية سرعان ما عادت من جديد ممثلة في الجبهة الوطنية للإنقاذ سنة 1989 التي فازت بأغلب المقاعد (188مقعدا) في الانتخابات التشريعية الملغاة في 26 ديسمبر 1991م مما جعلها تلجا للخيارات العسكرية من جديد بقيادة اللواء عبد القادر شبوطي ، ينظر ، يحي أبو زكريا: الحركة الاسلامية المسلحة في الجزائر (1978- 1993) ، (ط1)، مؤسسة العارف للمطبوعات ، بيروت : 1993 ، ص ص (12- 13، 58) .

**– حدثت هذه الانتفاضة على اثر الخطاب الذي ألقاه الرئيس الشاذلي بن جديد في 19 سبتمبر 1988 والذي انتقد فيه بنقد لاذع حزب جبهة التحرير الوطني وحمل رجال الدولة مسؤولية تضييع الجزائر ودعا الشعب الجزائري للدفاع عن نفسه ... وبعد هذا الخطاب مباشرة تكاثرت الاضطرابات في الجزائر وفي 4 اكتوبر 1988م اندلعت تظاهرات شعبية عنيفة في كل أحياء الجزائر ...وأضرمت النيران في مقرات حزب جبهة التحرير الوطني وكل المحلات والمؤسسات التابعة للسلطة الجزائرية وعمت الانتفاضة كل المدن الجزائرية ووقعت اشتباكات عنيفة بين المواطنين وقوات الجيش راح ضحيتها مئات المواطنين ، ينظر، يحي أبو زكريا، المرجع نفسه، ص ص (53- 54).

[2] – عمار عمورة : المرجع السابق ، ص ص (212- 213).

الوطنية الذي جاء به الرئيس الحالي السيد "عبد العزيز بوتفليقة"* عاد الهدوء والأمن والاستقرار في الجزائر بعد عشر سنوات من دوامة العنف والاضطرابات مما سمح بإدخال جملة من الإصلاحات السياسية كالتعديل الدستوري عام 2008م والاقتصادية والثقافية، كما ساهم هذا النوع من الاستقرار إلى عودة مكانة الجزائر بين الدول العربية والعالمية فقد احتضنت على أرضها القمة 17 للجامعة العربية في مارس 2005م، كما كانت من بين ابرز الدول الإفريقية المؤسسة للاتحاد الإفريقي في مارس 2001م الذي يهدف إلى تحقيق أماني الشعوب الإفريقية في الوحدة والتضامن، ومن مهندسي مبادرة الشراكة الجديدة للتنمية في إفريقيا (النيباد) في جويلية عام 2002م إلى جانب دولتي نيجيريا وجنوب إفريقيا.

ب- في ولاية ادرار (1930- 2009م):

ظل إقليم توات (ولاية ادرار حالياً) لفترات زمنية طويلة، بعيداً عن تيارات الشمال(أين قامت الدويلات الاسلامية) ونزوات الجنوب (أين تواجدت معادن الملح والذهب)، ونظرا لبعده عن مراكز العمران ووقوعه في قلب الصحراء فقد أصبح بمنأى عن مسرح النزاعات والحروب التي شهدها المغرب العربي خاصة بعد رحيل العبيديين عنه، لذلك فقد اتخذه الكثير من الأهالي ملجأ لهم فرارا من وجه أعدائهم، أو هرباً من سوء الأوضاع السياسية عندهم.

ولقد أدى غياب سلطة فعلية مركزية في الإقليم إلى استغلال دول المغرب الأقصى لهذا الفراغ السياسي فوظفته للسيطرة على المنطقة، فمع مطلع القرن 6هـ/12م امتد نفوذ الموحدين، وبني مرين إلى الإقليم حينما أرغموا شيوخ القبائل على دفع الضرائب والإتاوات السنوية لهم مع ترك تدبير أمورهم بأنفسهم[1].

وهكذا أصبحت مدينة "تمنطيط" عاصمة الإقليم انذاك مقراً لقاضي الجماعة التواتية الذي يعينه السلطان المغربي ومقراً لممثل السلطان المغربي (الباشا) عندما كان يتردد على الإقليم لحمل الضرائب السنوية إلى فاس، وحتى صلاة الجمعة كانت تقام في مساجد الإقليم التواتي باسم سلطان "فاس" إذ كان الزعيم المعترف به سياسياً من طرف السكان[2].

وهو ما يؤدى بنا إلى طرح عدة تساؤلات منها: هل كان إقليم توات خاضعاً لسلطة حكام المغرب الأقصى في تلك الفترة ؟ وهل تزكية السلطان المغربي وموافقته على اختيار قاضي الجماعة التواتية الجديد يعد ولاء للمغرب أم خضوع ؟ وهل تعيين السلطان المغربي لممثل عنه في إقليم توات لجمع الضرائب يعد اعترافاً من أهل

---

*- ولد **السيد عبد العزيز بوتفليقة** بتاريخ 2 مارس 1937 من عائلة عريقة في المجد ومشهورة بالصلاح، التحق بصفوف جيش التحرير الوطني عام 1956م وتولى عدة مهام منها مراقب عام للولاية الخامسة، ومارس القيادة كضابط في المنطقة الرابعة والسابعة بالولاية الخامسة، ثم التحق بقيادة العمليات العسكرية بالغرب وبعدها بهيئة قيادة الأركان بالجبهة الغربية ثم للأركان العامة، اختير لقيادة جبهة مالي عام 1960م لإفشال مساعي الاستعمار في تقسيم البلاد، ينظر، التهامي غيتاوي : وقفات مشرقة من حياة المجاهد الكبير السيد عبد العزيز بوتفليقة ، د،ط ، المؤسسة الوطنية للاتصال، الرويبة : 2009 ،ص20 وفي سنة 1999 أصبح السيد عبد العزيز بوتفليقة رئيسا للجزائر بعد فوزه في الانتخابات الرئاسية لعام 1999 بأغلبية ساحقة ثم في رئاسية 2004م وبموجب التعديل الدستوري الجزائري لعام 2008م أصبح رئيسا للجزائر لعهدة ثالثة .

[1] - فرج محمود فرج : المرجع السابق ، ص 6

[2]- Colonel Malher : Question Du touat , paris,1895, p16.

توات بحكومة وسلطان المغرب عليهم؟ وغيرها من الأسئلة التي تحتاج إلى دراسة مستقلة حول طبيعة الوضع السياسي لإقليم توات في ظل حكومات المغرب الأقصى في تلك الفترة .

وعلى الرغم من أن زعماء قبائل توات كانوا لا يقاطعون ولاءهم للسلطان المغربي، إلا أنهم كانوا يبدون في كل مرة رفضهم للخضوع له، بسب الإرهاق المتزايد بدفع الضرائب وهو ما انعكس سلباً على الحياة الاجتماعية للسكان مما دفعهم لمقاومة الاحتلال المغربي؛ ولذلك فهو لم يكن يبسط أية سيطرة عليهم، وما يدل على ذلك انه بعد الاحتلال الفرنسي للجزائر أرسل السلطان "عبد الرحمن" (1822-1859م) رسالة إلى سكان المنطقة سنة 1830م أكد فيها استقلال واحات قورارة وتوات وإعفائها من الضرائب، وبعد هزيمته في معركة "اسلي" سنة 1844م على يد القوات الفرنسية اضطر إلى توقيع معاهدة "لالة مغنية" في مارس 1845م التي وضعت الحدود بين الدولتين الفرنسية والمغربية بان تكون قصور: فقيق وقصر بيش للمغرب الأقصى وعين الصفراء، وسفيسفة وعسلة وتيوت والشلالة والأبيض وسمعون للجزائر، ونصت المادة السادسة: بان الأرض التي هي جنوب هذه القصور عبارة عن فيافي قاحلة جرداء فتحديدها غير واضح المعالم[1].

وعلى هذا الأساس اعُتبرت واحات توات الوسطى وقورارة وتيديكلت مناطق خارجة عن السيادة المغربية والسلطة الفرنسية معا؛ وظل إقليم توات على هذا الحال إلى غاية نهاية القرن التاسع عشر الميلادي حينما شعر حكام المغرب الأقصى بأطماع فرنسا من الصحراء الكبرى فقسمت حكومة المخزن الإقليم إلى مناطق جديدة، وعينت على كل منها واليا كما عينت قائداً عاماً على أتباع "سفيان" وهو"الشيخ الحاج"ومركزه في مدينة (تيميمون)، وعينت مثله على أتباع "احمد"* وهو"الشيخ إدريس بن الكوري" ومركزه مدينة (ادرار) كما عين السلطان نقباء للأشراف بتوات الذين كثرت الخلافات بينهم انذاك[2]، في حين ظل زمام الحكم والسلطة بتوات في يد قضاتها الذين تولوا القضاء بمناطقها الثلاثة وهم: "الشيخ المختار بن مصطفى" والشيخ "محمد بن احمد الحبيب البلبالي" والشيخ "حمزة بن الحاج احمد القبلوي"** والشيخ "عبد الله البداوي"، إلى أن استولى الفرنسيون

---

[1] – إبراهيم مياسي: المرجع السابق، ص 27.

*– نتيجة توافد القبائل على إقليم توات ظهر مشكل الزعامة بينهم مما أدى إلى انقسام المجتمع التواتي إلى قسمين هما صف "يحمد" وصف "سفيان" وجاء هذا التقسيم بين قبائل قصور توات وقورارة في مرحلة تاريخية تميزت بالتناحر القبلي والسياسي وكان من الأسباب الرئيسية لهذا التقسيم الصراع السياسي في الشمال بين الموحدين والمرنيين واستمر هذا الصراع لفترة طويلة مما أدى إلى استنجاد كل طرف بقبائل ذوي منبع ، فبينما كانت منطقة قورارة في غالبيتها من صف سفيان تبعت منطقتي توات وتيدكلت صف يحمد وكانت تنتمي إلى هذا الصف قبائل الخنافسة والمحارزة ، ينظر ، محمد بن سويسي : المرجع السابق ، ص ص (25- 26).

[2] – فرج محمود فرج : المرجع السابق ، ص31

– **هو الشيخ حمزة بن الحاج احمد القبلوي الفلاني: احد ابرز فقهاء و علماء و قضاة إقليم توات ولد سنة 1259هـ بقرية (ساهل من اقبلي) وتلقى تعليمه بها على يد مشايخها أمثال: والده الحاج احمد و العلامة السيد المختار بن احمد العالم ،كما اخذ على شيوخ آخرين شارك في مجالسهم العلمية ،تصدر للتعليم والإفتاء و القضاء بناحية تيديكلت كما كانت تعرض عليه المسائل من توات وازواد فيجيب عنها، عاصر الاحتلال الفرنسي لإقليم توات وكان يحرض الناس على الجهاد ويحسهم على الصبر من خلال قصائده لأهل اينغر، خلف الشيخ حمزة رسائل عدة في النصح، وجملة من الفتاوى والمحاورت كما خلف تراثا أدبيا رفيعا تجسد في قصائده الشعرية التي نظمها في مختلف الأغراض الشعرية بالإضافة إلى عدد كبير من الطلبة توفي في رجب عام 1335هـ ينظر، محمد باي بلعالم : الرحلة العلية ، (ج1) ، المصدر السابق ، ص ص (223 ،240) .

على الصحراء عندما تبين لهم بان المغرب الأقصى قد غالطهم في اتفاقية (لالة مغنية 1845م) عندما ادعى بان هذه المناطق قاحلة غير آهلة وهو ما اكتشفته فرنسا بعد اندلاع ثورتي: "أولاد سيدي الشيخ" سنة 1864م بقيادة "سي سليمان" وعمه "سي الأعلى" والشيخ بوعمامة* التي لعبت فيها قصور إقليم توات دوراً هاماً في إيواء مجاهدي الثورة، وغيرهم من الفارين من سياسة القمع الاستعماري وهو ما جعل فرنسا تعزم على احتلاله، وبسط سيطرتها على كامل الجنوب الغربي الجزائري.

وهكذا كثفت فرنسا من إرسال البعثات الاستكشافية إلى الصحراء للتعرف على جيولوجيتها، وثرواتها وسكانها وعاداتها وجغرافيتها، ومصادر المياه والثروة بها من أجل استغلالها فدرس ضباطها"كأوجيرا" (Augiéras) الجوانب العلمية والفلكية والمظاهر الطبوغرافية لواحات الساورة وتوات ودرس "بيسي"(Besse) منطقة تيديكلت من الناحية الجغرافية والسكان والسلالات والعادات، ومصادر الثروة، كما تحدث عن مناطق الهقار، أدرار، تنزروفت وفعل مثله الضابط "هنري بيسويل" (Henri Bissel) الذي درس عادات وتاريخ التوارق ودرس منطقة تادمايت وتيديكلت وتوات وقورارة ودعا إلى ضرورة احتلالها لربط الجزائر بتشاد[1].

وبهذا ازدادت البعثات والمغامرات الأوربية غير المحسوبة إلى المنطقة بدعوى بحوث علمية أحياناً، وباسم التجارة أو الاستكشاف أحيانا أخرى، وعلى كل فكيف كان نوعها، أو اسمها فإنها لم تكن سوى تمهيداً لإخضاع المنطقة واحتلالها في مرحلة تالية .حيث ختم القرن التاسع عشر ببعثة الضابط "فلامون" "Flamand" الذي وجد السبل ممهدة له من حصون، ومراكز كحصن مربيال وحصن مكماهون* اللذان وضعتهما فرنسا جنوب القولية لرصد تحركات الشيخ "بوعمامة" الذي كان يعمل على تأليب سكان الجنوب الوهراني ضد الاحتلال الفرنسي، وكذا معلومات سابقة عن المنطقة .

ولقد اظهر الوالي العام الجديد للجزائر "لافريار""la Fferriere" الذي وصل إلى الجزائر في 31اوت 1889م اهتمامه المتزايد لعملية التوسع نحو الجنوب الوهراني، وإقليم توات بعد أن وجهت السلطات الفرنسية عدة إنذارات لسلطان فاس من الإقدام على ضم إقليم توات للعرش المغربي، لذا طلب من الحكومة الفرنسية دعم بعثة الأستاذ "فلامون" إلى عين صالح ماليا[2]، فانطلقت بعثته من ورقلة يوم 28 نوفمبر 1899م متجهة إلى عين

---

*- **الشيخ بوعمامة:** قائد الثورة الشهيرة في الجنوب الغربي الجزائري وهو محمد بن العربي بن الشيخ بن الحرمة الشهير بوعمامة ولد حوالي 1838 وتوفى سنة 1908 ، تصدى للزحف الاستعماري بالجنوب الوهراني وكبد الجيش الفرنسي خسائر فادحة ، ينظر ، احمد بن عبد الرحمن الشقراني الراشدي : القول الأوسط في أخبار بعض من حل بالمغرب الأوسط، تح وتقد، ناصر الدين سعيدوني ، (ط1) ، دار الغرب الإسلامي، بيروت: 1991 ص 18 .

[1] - يحي بوعزيز : ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين ، (ج1) ، (ط2)، المتحف الوطني للمجاهد 1996 ، ص 318-319.

*- يقع حصن مربيال Fort Miribel في حاسي شباية على بعد 135 كيلومتر جنوب المنيعة على طريق عين صالح تادمايت وحصن مكماهون .Fort .Mac .mahon في حاسي العمار على بعد 165 كيلو متر جنوب غرب المنيعة في وادي ميقيدن على طريق قورارة، ينظر، إبراهيم مياسي: المرجع السابق ، ص107.

[2] - المرجع نفسه، ص ص (107- 108).

صالح بهدف اكتشاف منطقة تادمايت والتعرف على أحوالها الجيولوجية والنباتية، وإمكانية مياهها الجوفية وغيرها مصطحباً معه طابوراً عسكرياً* لحمايتها بقيادة النقيب "بان" "Pein" رئيس المكتب العربي بورقلة فتبين لسكان قصور عين صالح بعد وصولها إلى فقارة الزوا، وتحديداً إلى واحة "ايقسطن" شرق تيديكلت في27 ديسمبر 1899م بأنها حملة عسكرية وليست بعثة علمية، لذا التفوا حول شيخ قبيلة أولاد باجودا الحاج "المهدي باجودا" الذي جمع ما يقارب ألف ومائتا رجل من القصور المجاورة[1] وهاجموا البعثة بقصر ايقسطن فكانت معركة الفقيقيرة (نسبة إلى فقارة عبد القادر بقصر ايقسطن) التي انهزم فيها أهالي عين صالح حيث قتل الحاج "المهدي باجودة" وأخوه "بوعمامة" مع خمسين شهيداً ومائة وخمسين جريحاً واسر أربعة وستون مجاهداً، بالإضافة إلى خسائر مادية أخرى تمثلت في فقدان اثني عشر حصاناً وتسعة وتسعين جملاً وخمسة وخمسين قطعة سلاح[2]، أما بالنسبة للجانب الفرنسي فحجم الخسائر كانت قليلة إذ خلفت المعركة قتيلاً فرنسياً واحداً وأربعة عشر جريحا[3].

ونتيجة لهذه الخسارة شعر سكان قورارة وتوات الوسطى وتيديكلت بخطر الاستعمار لذا راسلوا السلطان المغربي "مولاي عبد العزيز"(1895-1909م) طالبين منه إمدادهم بالأسلحة، والذخيرة التي كان يمنيهم بها إلا أن محاولاتهم باءت بالفشل، إذ لم يستجب هذا الأخير لندائهم خوفاً من التدخل الفرنسي في شؤون بلاده التي كانت تشهد اضطرابات وثورات كثورة الثائر "عمر الزرهوني" المعروف بـ"بوحمارة" الذي أورث حكومة تازة متاعب كبيرة[4] واستطاعت بعثة "فلامون" بعدها أن تقتحم عاصمة تيديكلت عين صالح يوم 30ديسمبر 1899م دون مقاومة تذكر مما أدى إلى تجمع أهالي أولف واقبلي وتيط واينغر بقيادة الرقاني "عبد الله" (1860-1900م) للدفاع عن عين صالح فكانت معركة الدغامشة في05 جانفي 1317هـ/ 1900م التي انهزمت فيها قوات الرقاني "عبد الله" حيث استشهد مع جماعة كبيرة من رفاقه وبهذا تم لفرنسا احتلال عين صالح .

ويرجع سبب تفوق الجيش الفرنسي في هذه المعارك إلى عاملين: **طبيعي** والمتمثل في أن الأرض كانت مكشوفة و**عسكري** يرجع إلى حداثة الأسلحة المستعملة من طرف الجيش الفرنسي، وبعد احتلال عين صالح اصدر الوالي العام "لافريار" تعليماته إلى الرائد "بومقارتن" "Bou magartin" لاحتلال عين غار(اينغر) التي امتنع أهلها عن الخضوع والتفوا حول باشا تيمي "إدريس بن الكوري" ممثل السلطان المغربي الذي وصلها في شهر فيفري 1900م صحبة (ألف وثلاثمائة مجاهد) من أهل توات بعد أن رفض السلطان المغربي "عبد العزيز"

*- ضم هذا الطابور 30 مهاريا و15 فارسا إلى جانب 40 مهاريا يتبعون محمد بن الطيب نائب مقدم الطريقة القادرية بورقلة، كما كلف وزير الحرب النقيب جرمان German بالتحرك مع فرقة الصبايحية الصحراوية باتجاه البعثة لحمايتها وقت الحاجة ، ينظر إبراهيم مياسي: المرجع السابق ص 109.

[1] - المكان نفسه .

[2] - محمد حوتية : المرجع السابق ، ص 317.

[3] - دحمان تواتي وآخرون : الثورة التحريرية في أقاليم توات 1956 – 1962 ، (د،ط) ، منشورات مولاي سليمان بن علي لحماية مآثر الثورة التحريرية د، ت : ص 13 .

[4] - كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الاسلامية ، تر: نبية أمين فارس ، منير البعلبكي ، (ط5) ، دار العلم للملايين ، بيروت: 1968 ، ص 635.

مساعدتهم، لذا اجمع أعيان وشيوخ القبائل على عدم دفع الضريبة المعتادة للسلطان وقطع العلاقة مع المغرب الأقصى[1] مما يدل على أن تبعية توات للمغرب الأقصى كانت اسمية شكلية لا غير، قائمة على أساس دفع الضريبة .

ولقد كبد أهالي اينغر القوات الفرنسية خسائر فادحة، بل واجبروها على التراجع إلى مدينة عين صالح في البداية إلا أنها سرعان ما سقطت في يد الاحتلال بسبب قوة المدفعية، حيث سقطت في 19مارس من نفس العام وبعد سقوط مدينة (عين غار) توجهت القوات الفرنسية إلى تيط واحتلتها يوم 23 مارس دون مقاومة تذكر إذ استسلم أهلها نتيجة ما سمعوه من تدمير عين غار، وتخريب قصباتها وبعد يومين سقطت مدينة اقبلي في 25 مارس وبعد ثلاثة أيام من سقوطها تمكنت القوات الفرنسية من احتلال أولف في 28 مارس[2] التي لم يغن عنها تجمع زعيم قبيلة أولاد زنان "الحاج احمد دحة"الذي القي القبض عليه وتم اعتقاله قبل إعلان انتفاضته، وتم إعدامه ومصادرة أملاكه وهدم قلعته ومعاقبة أتباعه[3]، وهو ما جعل الاحتلال الفرنسي يصف خضوع واحات اقبلي وأولف وتيط بالدخول السلمي والهادئ إلى الصحراء[4].

وبهذا سقطت منطقة تيديكلت – التي خسرت معظم مجاهديها في معركة الدغامشة – في يد الاحتلال الفرنسي والفضل يرجع في الأول والأخير إلى المدفعية الجديدة على سكان المنطقة، ثم اتجهت القوات الفرنسية بقيادة "منيسترال" "Menestrel" إلى قورارة حيث تمكنت من دخول مدينة تيميمون يوم 12 ماي 1900م فسقط قصر دلدول،كما سقط قصرا شروين وطلمين على يد قوات العقيد "بان" "Pein" والجنرال "سيرفيار" في مارس 1901م في حين صمدت لمطارفة أمام المدفعية الفرنسية[5] وبهذا تمكنت قوات الاحتلال من تطويق إقليم توات من الشمال والجنوب، لذا أرسلت طابورين أحدهما من الجنوب (تيديكلت) يضم ثلاثمائة جندي والآخر من الشمال (تيميمون) يضم ثمانمائة جندي مزود بأربعة مدافع بقيادة الجنرال "سرفيار" "Serviere"باتجاه توات الوسطى، ورغم مقاومة سكان توات الوسطى واستنجادهم بالسلطان المغربي إلا أن القوات الفرنسية تمكنت من دخول مدينة أدرار يوم: 10/ 1901/02م[6] .

---

[1] – عبد القادر خليفي: محطات من تاريخ الجزائر المجاهدة 1830– 1962، (د،ط)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر: 2010 ، ص ص (69- 70)

[2] – إبراهيم مياسي : المرجع السابق ، ص 113.

[3] – عبد المجيد قدي : المرجع السابق ، ص ص (46-47).

[4] – إبراهيم مياسي : المرجع السابق ، ص 113.

[5] – السجل الذهبي لشهداء المقاومة الشعبية والثورة التحريرية الكبرى لولاية أدرار ، (د،ط)، جمعية سيدي سليمان بن علي لحماية مآثر الثورة التحريرية أدرار : د،ت ، ص ص (13- 14- 15) .

[6] – دحمان تواتي وآخرون : المرجع السابق ، ص 19 .

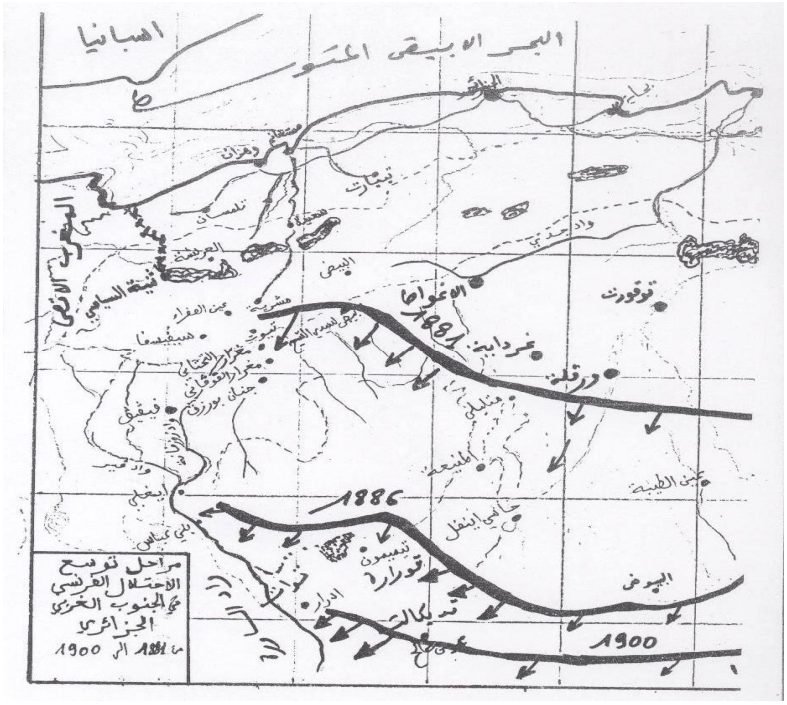

خريطة تبين مراحل توسع الاحتلال الفرنسي في الجنوب الغربي الجزائري، كما تبين تطويق إقليم توات من طرف الاحتلال خلال 1900م [1]

والظاهر أن احتلال إقليم توات كان اكبر انتصار حققه الاستعمار منذ دخوله أرض الجزائر، فقد تم الاستيلاء عليها بطريقة سلمية، أو تكاد تكون على عكس الشمال أين تكبد خسائر فادحة نتيجة المقاومة العنيفة التي تلقاها هناك .

أما بالنسبة للتنظيم الإداري الذي اتبعته فرنسا في الإقليم بعد احتلاله، فبعد أن كان يسير شؤون قصور الإقليم كبار القوم، أو المشايخ فرضت فرنسا عليه الحكم العسكري وتم إلحاقه بوزارة الداخلية وهو الحكم الذي فرضته على كافة الصحراء الجزائرية، وكان هذا بمقتضى قوانين 1902م-1903م و1905م الذي اعتبر أراضي الجنوب في نظر سلطات الاحتلال مستعمرة خاصة لها إدارتها، ولها ميزانيتها المالية وأملاكها وبموجب هذه القوانين قسم إقليم توات إدارياً إلى دوائر وملحقات، ومراكز فضمت ملحقة تيديكلت (أولف وعين صالح) إلى إقليم الواحات بورقلة وألحقت منطقة أدرار وتيميمون بإقليم عين الصفراء[2]، وعين على مُلحقة توات ضابطاً عسكرياً يشرف على مختلف شؤونها. واعتمدت الإدارة في حكمها للإقليم على أعيان المنطقة من شيوخ القصور والقضاة الذين أصبحت تتحكم في تعيينهم بعد الاحتلال[3]،كما حاولت إغرائهم بمناصب إدارية وقضائية بغرض تحقيق الأمن والاستقرار وطمأنة سكان الإقليم إلى إنسانية فرنسا التي جاءت لإخراجه من دائرة العزلة وربطه بسبل

[1] – إبراهيم مياسي : المرجع السابق ، ص 212 .

[2] – الهادي درواز : الولاية السادسة التاريخية، تنظيم ووقائع (1954-1962م) ، (د،ط) ، دار هومة ، الجزائر : 2009 ، ص ص (33 – 34).

[3] – محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق التمنطيطي : المصدر السابق ، ص 56 .

الحضارة والتقدم، ومن جهتها طبقت الإدارة الاستعمارية قانون الانديجينا[1](قانون الأهالي)* على السكان على غرار بقية المناطق الجزائرية؛ وبالتالي عوقب سكان الإقليم مرتين بقانون الحكم العسكري، وبقانون الانديجينا .

ومن أهم النتائج التي أسفر عنها احتلال الإقليم فمن الناحية الاجتماعية قضى الاستعمار الفرنسي على العلاقات التي كانت سائدة وكسر أواصر المحبة،كما حطم نفوذ عدد من القبائل الناقمة وأنهك معيشة السكان وخرب المفاهيم الاقتصادية السائدة كالمكاييل، والموازين وأحدث أنماطاً ومعايير جديدة أفضت بموازين ومكاييل جديدة[2]، وتأخر دور الإقليم الذي كان يلعبه في السابق كوسيط تجاري ومركز من المراكز التجارية باستيلائه على الطرق التجارية بعد احتلال الإقليم والسودان الفرنسي (مالي) .

أما بالنسبة للجانب الديني والثقافي فقد شهدا خلخلة عميقة، حيث ضيق الاستعمار الفرنسي على العلماء وفسح المجال لنشاط البعثات التبشيرية، واحتكر التعليم وهمش دور الزاوية، وزاد هذا التدهور غداة الحرب العالمية الأولى في ظل الحكم العسكري الفرنسي.

1- رد فعل سكان إقليم توات على السياسة الاستعمارية :

لقد عبر سكان إقليم توات عن رفضهم للمحتل الفرنسي منذ أن وطئت أقدامه أرضهم، ولعل معارك: أقسطن(الفقيقيرة) 1899/12/28م والدغامشة 1900/01/05م وإينغر1900/01/24م وطلمين05/08/ 1901م ولمطارفة وشروين 1901/02/28م أكبر دليل على ذلك، وبحلول عام1927م عمت المقاومة من جديد في الجزء الغربي والشرقي للصحراء كمعركة قصر باعمر بتوات الوسطى عام 1927م[3]، ونتيجة للسياسة الفرنسية المتبعة في المنطقة يضاف إليها الوضع الذي آلت إليه جراء الاحتلال سواء في الناحية الاقتصادية أو الاجتماعية أو الثقافية والدينية بدأت تظهر بوادر للنضال السياسي بها خاصة في فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية.

فبعد تأسيس "جمعية العلماء المسلمين الجزائريين" (1931/5/5م) ووصول دعوتها إلى إقليم توات وجدت تجاوباً وانتشاراً لمبادئها التي تعارض السياسة الاستعمارية الهادفة إلى التجهيل والتنصير والفرنسة، وما يدل على هذا عودة حركة نشاط التعليم الحر في إقليم توات وبقوة حيث أنشأ "الشيخ محمد بن الكبير"* عام1945م مدرسة "سيدي بوغرارة" في تيميمون ثم انتقل إلى مدينة ادرار عام 1949م للإشراف على مدرسة الجامع الكبير

---

[1] – دحمان تواتي وآخرون : المرجع السابق ، ص 20 .

*– **قانون الأهالي** : هو مجموعة من التعليمات والأوامر الصادرة عن الضباط العسكري والحكام الإداريين والجهات التي تنظر فيما يرتكبه المسلمون الجزائريون من جنح دون السلطات المحلية وقد ظل هذا القانون الخاص بالوطنين معمولا به حتى عام 1945م، ينظر، عبد الكريم بوصفصاف: المرجع السابق، ص 61.

[2] – مبروك مقدم : الاستيطان والتحضر الريفي في الوطن العربي، المرجع السابق، ص 79 .

[3] – دحمان تواتي وآخرون : المرجع السابق ، ص 20 .

*– **محمد بن الكبير**: ولد في بودة خلال 1330هـ /1911م اخذ العلم عن شيخه العلامة احمد بن ديدي البكري ، تولى التعليم بناحية لعريشة و المشرية ثم انتقل إلي تيميمون أين واصل التدريس و بعد غلق مدرسته من طرف الاستعمار عاد إلي بودة و درس بها ثم انتقل إلي مدينة ادرار بطلب من أهلها أين أسس مدرسته التي تخرج منها العديد من الطلبة، توفي يوم 16 جمادى الثانية 1421هـ / 2000م ، ينظر : محمد باي بلعالم : الرحلة العلية، (ج1) المصدر السابق، ص ص (343 ، 345) .

وأنشأ الشيخ "احمد الطاهري" المدرسة "الطاهرية" بقرية "سالي" من ضواحي رقان بعد قدومه من المغرب الأقصى في بداية الأربعينيات من القرن الماضي وأنشأ تلميذه الشيخ "محمد باي بلعالم" مدرسة "مصعب بن عمير"[*] بأولف كما أنشا الشيخ "سالم ابن إبراهيم" احد تلامذة الشيخ "بن الكبير" مدرسة "عبد القادر الجيلاني" وغيرهم.

ولاشك أن هؤلاء المشايخ قد ساهموا بشكل أو بآخر في بث روح الجهاد والدفاع عن الوطن، وتنوير العقول وتوعية الناس وإعداد جيل الثورة، وإن لم ينضموا إلى "جمعية العلماء المسلمين الجزائريين" إلا أنهم حملوا أفكارها وعملوا بمبادئها؛ ونتيجة لنشاطهم التعليمي والتربوي المكثف تعرضوا بين الفينة والأخرى لمضايقات الإدارة الفرنسية إذ اخبرنا الشيخ "عبد الرحمن حفصي"[**] :بان شيخه "احمد الطاهري" كان يتعرض بين الحين والآخر لمضايقات الإدارة الفرنسية كطرح التساؤلات والاستجوابات[1].

وفي سنة 1946م أرسي تمثيل الأحزاب الوطنية بمدينة ادرار وفسح المجال لانخراط مناطق إقليم توات في الحياة السياسية الوطنية حيث تم تشكيل مكتب لحركة (إ- ح- د) في ادرار ضم: "بن خدة الحاج عبد الله" رئيسا-"بوزيد الشيخ" نائبا- "عبد السلام" مسؤول المال- "الحاج التوهامي" و"قادة العربي بلقاضي" و"قلوم الشيخ" أعضاء المكتب، واتخذ المكتب من دكان "قلوم الشيخ" مقراً له وعمّ تنظيم الحزب القصور والواحات وأنشئ مكتب آخر للحزب في تيميمون ترأسه المناضل "علال بيتور" وجند المكتب وراءه قصور قورارة .

كما اوجد "الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري" (فرحات عباس) تمثيلاً له في قورارة ومدينة ادرار نهض به السيد "أقاسم عبد العزيز" الذي تحول عام 1948م إلى حركة (إ-ح-د)، أما "جمعية العلماء" فقد كان لها بدورها حضور وتمثيل في قورارة نهض به السيد "عبد القادر بوحادة" و"مولاي زعرور"[2].

ولقد شارك مناضلي (ح- إ- ح- د) في انتخابات 1948م أين ألقت الإدارة الفرنسية القبض عليهم واعتقلتهم بما فيهم رئيس المكتب الحاج "بن خدة عبد الله" وأعضاء المكتب، وبعد تزوير الانتخابات رجحت الإدارة الفرنسية كفة مرشحها "سي الخلادي" على حساب مرشح حركة (إ- ح- د) "باقي بوعلام" و"الحاج حمادي أقاسم" ممثل حزب "فرحات عباس"[3] .

---

*- **مصعب بن عمير** بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي ابن كلاب العبدري، احد السابقين إلى الإسلام يكنى أبا عبد الله قال أبو عمر: اسلم قديما والنبي عليه السلام في دار الأرقم، وكتم إسلامه خوفا من أمه و قومه وبعدما ع لموا به أوثقوه فلم يزل محبوسا إلى أن هرب مع من هاجر إلى الحبشة ثم رجع إلى مكة فهاجر إلى المدينة وشهد بدرا ثم احد ومعه اللواء فاستشهد ، ينظر ، ابن حجر العسقلاني: الإصابة في تمييز الصحابة ، تح :علي محمد البجاوي ، (ط1) ، دار الجيل ، بيروت :1992 ، ص ص (25 ، 27).

- **عبد الرحمن حفصي بن إبراهيم بن عيسى من مواليد 1932 بحي تقراف باولف تلقى مبادئ العلم على مشايخ قريته ثم انتقل الى المدرسة الطاهرية بسالي و بعد عودته منها عام 1957 تولى التدريس بقرية (بلاد المهدي) من بلدية تيمقطن شغل مكان والده بعد وفاته إماما ومعلما بمسجد البخاري بحي عمنات ، و للشيخ نشاط علمي بارز تجسد في إلقاء المحاضرات وتأليف الكتب من مؤلفاته : فتح المعين المالك على إرشاد السالك منظومة درة الاطفال في النصح و الإرشاد ، الاترجة الشذية في علم الناسخ و المنسوخ البهية و غيرها وهو لا يزال يواصل مهمته في التدريس والنصح ينظر، عبد المجيد قدي : المرجع السابق ، ص ص (129-130-131).

[1] - مقابلة شخصية، بمنـــزله بحي عمنات (بلدية أولف) ، بتاريخ : الخميس 27 جانفي 2011.

[2] - دحمان تواتي وآخرون : المرجع السابق ، ص ص (28- 29).

[3] - المرجع نفسه ، ص ص (29-30).

وبعد اندلاع الثورة التحريرية نوفمبر 1954م اعتنقها سكان ولاية ادرار، وساهموا فيها بدمائهم وأبنائهم وأموالهم رغم قلة عددهم، وقلة السلاح لديهم انذاك إلا أن حماسهم الوطني دفعهم إلى الانضمام إلى صفوف الثورة لمناصرة إخوانهم في الشمال من اجل تحرير الوطن، حيث كانت ادرار ضمن المنطقة الثامنة* من الولاية الخامسة التاريخية التي كان يقودها العقيد "لوطفي" إلى غاية 1957م، ومنذ 1959م أصبحت منتمية إلى المنطقة الثالثة من نفس الولاية؛ ومن الرواد الأوائل الذين أوفدتهم "جبهة التحرير الوطني" لحمل مشعل الثورة إلى المنطقة: "محمد جغابة" – "محمد الشريف مساعدية" – "عبد الله بلهوشات" وغيرهم – حيث يروي "محمد جغابة" المكلف من قبل الولاية السادسة بتعميم نظام الثورة بالصحراء : «انه كلف في أواخر 1956م من طرف "سي الحواس" بمهمة استكشاف الجنوب بهدف توسيع رقعة الكفاح، فقام رفقة زملائه بتنصيب اللجان المدنية، وتحسيس المواطنين وتجنيدهم فما إن جاءت نهاية 1957م حتى كان التنظيم السياسي شمل كل ولايات أقصى الجنوب بحيث أصبح التنظيم الموجود في الشمال موجودا في الجنوب»[1] .

وفعلا فقد قدم "محمد جغابة" إلى تيميمون في سنة 1956م وفي نهاية السنة عقد مناضلو تيميمون القدامى اجتماع بمنزل "بودواية بودواية" فشكلت اللجنة الخماسية لجبهة التحرير الوطني بتيميمون، وشملت "عبد العزيز أقاسم" رئيساً و"بودواية بودواية" و"بوحادة عبد القادر" و"بومدين سلكة" و"العامري بشير" أعضاء، وتكفلت اللجنة بالتعبئة وإنشاء الخلايا السرية ومراكز التموين، وجمع المؤن للمجاهدين .

وفي منتصف 1956م قام المناضلون بفاتيس وتنركوك بعقد اجتماع حضره كل من: "الهاشمي أمحمد"** "نواري نوار"، "قدوري قادة"، "حكومي محمد" ... وغيرهم وقرروا الالتحاق بصفوف الثورة في نواحي البيض[2].

ومن أهم المعارك التي جرت بولاية ادرار وكانت مسرحاً لها "معارك العرق الكبير"التي اندلعت مابين15أكتوبر 1957و1962 نذكر منها: **معركة حاسي صاكة** (على بعد نحو ثمانين كلم شمال شرقي تيميمون) وكانت أول معارك العرق قادها جماعة المهاري الجزائريين الفارين من صفوف الجيش الفرنسي، من أمثال "الهاشمي أمحمد" و"عيشاوي أحميدة" (بلعقون)، "الزاوي مول الفرعة" و"سليمان الدين"وغيرهم من مهاري حاسي صاكة حيث تمكنوا من الالتحاق بصفوف "جبهة التحرير الوطني" عام 1956م وأعلنوا انتفاضتهم في يوم 15 من شهر اكتوبر فكبدوا قوات قائد قوات كتيبة توات المهارية النقيب "جاك صوابي" خسائر فادحة حيث تم القضاء على الجنود المكلفين بالرقابة والتفتيش على حاجز طريق تيميمون واستطاع مهاري حاسي صاكة اقتحام خيمة العقيد وكانت نتيجة المعركة مقتل ثمانية مهاري فرنسيين، واستولى المهاري الجزائريين على مائتين وخمسين

*– **المنطقة الثامنة** من الولاية الخامسة كانت تضم ولايات النعامة والبيض وبشار و ادرار وتندوف ينظر، عبد القادر خليفي : المرجع السابق، ص 178

[1] – عبد السلام بوشارب : الهقار أمجاد وانجاد، (د،ط) ، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، رويبة: 1995، ص 131.

– **الهاشمي أمحمد : ولد خلال 1930 بتنركوك كان ذا مستوى ثقافي متميز انضم الي جيش و جبهة التحرير بعد تسريحه من المهارية ، قام بتوعية الشعب في تيميمون و حثهم للالتحاق بالثورة ، شارك في اربع معارك و استشهد في 21 – 11 – 1957 في معركة حاسي غنبو بتنركوك، ينظر السجل الذهبي لشهداء المقاومة الشعبية و الثورة التحريرية الكبرى لولاية ادرار ، المرجع السابق ، ص 57.

[2] – دحمان تواتي وآخرون : المرجع السابق ، ص ص (30-31).

جمل وكل الأسلحة والمؤن المادية التي كانت تحتويها الكتيبة المهارية (خمسة وستون بندقية ومذياع راديو وصناديق المؤن (عشرة آلاف خرطوشة) وأكثر من خمسة عشر منظار) وغادر ثلاثة وستون شخصا المخيم[1].

ولقد احدث نبأ المعركة ضجة وسط هيئة أركان جيش الاحتلال فقامت الشرطة الاستعمارية بممارسة أسلوب القمع حيث شنت حملة قمعية ضد المشتبه في تموينهم الخزائن الخاصة بالمجاهدين، واصدر الجنرال "دي كرافكار" "Dè Crevecoeur" تعليمات للقائد"بيار بوشي" بتتبع المهاري الفارين، فقام هذا الأخير بنشر أكبر قوة جوية في الشمال وشمال غرب، وشمال شرق تيميمون في مربع طول ضلعه 200كلم[2]،كما قام بقتل كل الجمال المتحركة عبر العرق(خمسمائة واثني عشر جملا منها سبع وثلاثون جمل تابع لكتيبة المهارية)، وتدمير خمسة آبار لمنع المهارية من التزود بالماء،كما شنت الشرطة السرية الفرنسية حملة اعتقال وتعذيب على أهالي تيميمون وقصورها انتقاما من المتمردين حيث تم قتل اثنين وعشرين شخصاً، وتدمير ستة بيوت تابعة لمهاري حاسي صاكة مع حرق وتدمير عدة أشجار نخيل تابعة لعائلاتهم[3] .

وعلى الرغم مما ترتب عن هذه المعركة من آثار وخيمة على عائلات المهاري، إلا أنها تعد أول معركة أو مواجهة مابين المناضلين والجيش الفرنسي بعد امتداد الثورة للمنطقة، مثلت حلقة من حلقات الكفاح الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي، إذ جاءت في فترة تاريخية هامة من تطور الثورة الجزائرية، وانتشارها حسب ما جاء في مقررات مؤتمر الصومام (20اوت 1956م) كما كانت رد فعل على مشروع التقسيم الذي قد شرع بموجب قانون 7 أوت 1957م؛ أما على المستوى الداخلي فقد أعطت انتفاضة "حاسي صاكة" نفساً قوياً لأبناء المنطقة للوقوف في وجه الاحتلال والتصدي لمشاريعه الاستعمارية.

– **معركة حاسي تاسلغة**:(شمال تيميمون على بعد ستين كيلو متر): حيث وصل المجاهدون الفارون من غارة الطيران الفرنسي عقب معركة حاسي صاكة إلى "حاسي غنبو" ثم اتجهوا نحو حاسي تاسلغة في نوفمبر 1957م وكان عددهم ستة وسبعين فرداً أين انضم إليهم القائد "فرحات" (بلعيد احمد) رفقة أربعين رجلا[4] فنصبوا كميناً للسيارات الفرنسية القادمة بغرض التنقيب عن البترول والتي كانت تضم (واحد وأربعون فردا منهم اثنا عشر عاملا جزائريا ترافقهم فرقة أجنبية) فباغتها المجاهدون بهجومين متفرقين الأول قاده "علي حناني" والآخر قاده "سليمان بن عبد الله"[5]، مما أدى إلى مقتل خمسة عناصر من كتيبة الملازم "بلاني" "Palanet" واستسلم عشرة من العاملين في شركة بترول الجزائر قتل منهم سبعة، وتم حرق ستة سيارات تابعة للشركة البترولية وإتلاف عتادها وغنم المجاهدون الذخيرة والأسلحة وعتاد ومؤن الشركة.

---

[1] – السجل الذهبي لشهداء المقاومة الشعبية والثورة التحريرية الكبرى لولاية ادرار ، المرجع السابق ، ص 24.

[2] – المرجع نفسه، ص ص (25- 26).

[3] – دحمان تواتي وآخرون : المرجع السابق ، ص 45.

[4] – – المرجع نفسه، ص ص (52 ، 54).

[5] – السجل الذهبي لشهداء المقاومة الشعبية والثورة التحريرية الكبرى لولاية ادرار ، المرجع السابق ، ص 29.

ولقد احدث هذا الكمين صدى إعلاميا في الجرائد الاستعمارية التي وصفت الحدث بعناوين مثل: البترول مهدد ...، الجنون عند الشركات البترولية[1].

وبهذا شعرت فرنسا بانتشار الثورة في الصحراء الجزائرية، وتهديدها لمخططاتها السياسية والعسكرية وضربها لمصالحها الاقتصادية لذا منح الجنرال "راؤول سالان" القائد العام للقوات الاستعمارية بالجزائر الحرية المطلقة للعقيد "بيجار" للقضاء على المهارية بعد أن عجز النقيب "صوايي" في القبض عليهم فوصل "بيجار" مطار تيميمون في 13 نوفمبر 1957 مع قيادة الفيلق الثالث مظلي وأصبح له في منطقة تيميمون 1570جندي موزعين حول المدينة وكلف ضباطه أمثال النقيب "بيتو" "pètot" والملازم الأول "دوسور" والنقيب "دولينو" بعدة عمليات للكشف عن التنظيم السياسي للثورة بالمدينة[2]، وتتبع المهاري الفارين فعاثوا فسادا في منطقة تيميمون وهتكوا الحرمات، وشنو حملة اعتقالات وتعذيب؛ وفي يوم 20 نوفمبر قامت القوات الفرنسية المشتركة بقتل نحو ستة وتسعين مواطناً من سكان تيميمون واوقروت ودمرت أكثر من سبعمائة نخلة وهدمت البيوت[3].

– معركة حاسي غنبو 21 نوفمبر1957م :(أكثر من ثمانون كيلو متر شمال شرق تيميمون) حيث اتجه إلى هذا الحاسي أحد أفواج المجاهدين مع "أمحمد بن الهاشمي" و"فضيل بن شرايز"(1927-1957م) الذين كانوا متواجدين في "تاسلغة" فتحركت نحوهم الفرقة الثالثة من تبلكوزة يوم 21 نوفمبر بواسطة الطائرات المروحية، وقد أبدى المجاهدون مقاومة كبيرة بشهادة العقيد "بيجار" نفسه[4]، حيث أصيب المظليون بأفدح الخسائر فقد أصيب النقيب الأول "سانتياك" "Sentenac" المتوج بالنصر في الهند الصينية بجروح بليغة، كما سقط الملازم الأول "روهر" "Rohor" مما جعل "بيجار" يبعث الفرقة الرابعة من تيميمون فوصلت جواً إلى "حاسي غنبو"، أين احتدم القتال حتى غروب الشمس وكانت نتيجة المعركة خسائر فادحة في الجيش الفرنسي، وفقد المجاهدون اثنين وثلاثين جنديا من بينهم "أمحمد الهاشمي" المحافظ السياسي واسر عشرة منهم تم إعدامهم (الحصيلة اثنان وأربعون شهيدا) من بينهم "بن شراير فضيل" مسؤول القسم، ومساعده "ليتيم الشيخ" (1915- 1957م) وثلاثة رؤساء أفواج، في حين أقام العقيد "بيجار" في حاسي بوخلالة (على بعد مائة وعشرين كيلو متر شمال غرب تيميمون) شبه محاكمة سريعة تحت خيمة، وواصل استجواب وتعذيب المدنيين الذين جيء بهم من تيميمون ومن العرق القريب وتم قتل كل مدني مشتبه فيه[5].

– معركة حاسي علي:7ديسمبر1957م (على بعد مائة كيلو متر غرب حاسي بوخلالة وأكثر من مائة واثنين وثلاثين كيلو متر غرب تيميمون): كان سببها اكتشاف مكان وحدة جيش التحرير مختبئة في كثيب رملي فاتجه "بيجار" مع قواته من "بوخلالة" إلى "حاسي علي" فأخذت طائرات الاحتلال (T6) في قصف (حاسي علي)

[1] – هزيمة بيجار في ارض الأحرار ، تر : احمد عبد العزيز ، (د،ط) ، مؤسسة الشروق للنشر والإعلام ، د،ت ، ص 16.

[2] – المصدر نفسه ، ص ص (21، 23 ، 25).

[3] – دحمان تواتي وآخرون : المرجع السابق، ص ص(60 - 61 - 62).

[4] – هزيمة بيجار في ارض الأحرار : المصدر السابق ، ص 38.

[5] – السجل الذهبي لشهداء المقاومة الشعبية والثورة التحريرية الكبرى لولاية ادرار ، المرجع السابق ، ص ص (33 ، 35).

فأصيب عدد من المجاهدين، وبعد توقف القتال في المساء كانت حصيلة المعركة استشهاد أربعة عشر مجاهدا واحتجاز اثنين منهم وتراجع إحدى عشر، في حين توجه أعضاء جيش التحرير بقيادة "فرحات" والناجين من المعركة إلى منطقة الساورة[1] .

وبعد نهاية معارك "حاسي غمبو" و"حاسي علي" انقطع النظام عن مناطق العرق لمدة خمسة عشر شهراً وفي بداية 1959م قررت قيادة المنطقة الثالثة من الولاية الخامسة إعادة إحياء الثورة بالعرق الكبير، وإنشاء الناحية الثالثة في مناطق العرق وتيميمون، وأناطت المهمة إلى "حناني علي" وعدد من المجاهدين وبهذا عمّ النظام الثوري مناطق العرق وتيميمون وأنشئت عدة لجان لجبهة التحرير الوطني في تيميمون كلجنة زاوية الدباغ[2]،كما أقيمت منظمات مدنية ساعدت في خدمة المجاهدين كان يشرف عليها بعض العائلات والشخصيات التي عرفت بدعمها السري للثورة وخدمة المجاهدين، من أهم مراكزها نذكر :

مركز زاوية كنتة "الحاج صديق عبد القادر" – مركز ادغا "حمادي البركة"– مركز فنوغيل "متوكل محمد" – مركز سالي"مولاي عبد الله السيحمو"– مركز انزجمير"الحاج عبد الرحمن"– مركز بودة المنصور"الحاج سالم"– مركز تمنطيط"عبد القادر ديدي"– مركز رقان "الحاج قدور لقصاصي" مركز أولف "مولاي عبد الرحمن سي الوافي"[3].

ونتيجة تسهيل عملية التموين واستمرار فتيل الثورة عرفت المنطقة عدة اشتباكات ما بين (1959-1962م) اثبت من خلالها سكان ولاية ادرار صمودهم ومساهمتهم في الحرب التحريرية ورفضهم للاستعمار، وقع معظمها قرب البئر(الحاسي)– أين تتجمع نقط الماء– أقلقت هاجس الإدارة الفرنسية، وألحقت خسائر بقواتها العسكرية أهمها: معركة قرن القصعة في 17 مارس 1959م شمال حاسي غمبو بقيادة "حناني علي"– اشتباك بلعروق مارس1960م– معركة حاسي زيرارة جوان 1960م شرق القصعة – معركة حاسي ثلجة الأولى 14 اكتوبر 1960م بقيادة "عيشاوي الشيخ" – اشتباك دماغ العبيد مارس1961م[4]، وغيرها من المعارك التي اثبت المجاهدون من خلالها رفضهم للاستعمار الفرنسي .

وبعد إنشاء "جبهة مالي" في عام 1961م التي ضمت ممثلين عن قيادة هيئة الأركان العامة أمثال: "عبد العزيز بوتفليقة"[*]، "عبد الله بلهوشات"، "محمد الشريف مساعديه"، "دارية احمد"، "عيساني شويشي"، و"بشير نور الدين" عملت على تجنيد وتموين المنطقة بالأسلحة والمعدات انطلاقاً من النيجر فأقاموا معسكرا لهم في "غاو" بمالي التي تبعد حوالي ستمائة كيلو متر عن الحدود الجزائرية[5] وكان هذا عقب تطويق الثورة شرقاً وغرباً بخطي "شال وموريس".

---

[1] – السجل الذهبي لشهداء المقاومة الشعبية والثورة التحريرية الكبرى لولاية ادرار، المرجع السابق، ص37 .

[2] – دحمان تواتي وآخرون : المرجع السابق، ص ص (78– 79).

[3] – المرجع نفسه، ص 87.

[4] – السجل الذهبي لشهداء المقاومة الشعبية والثورة التحريرية الكبرى لولاية ادرار ، المرجع السابق ، ص39 .

[5] – عبد السلام بوشارب: المرجع السابق، ص ص (132– 133) .

وعلى الرغم من تواجد فرنسا في النيجر ومالي والجزائر إلا أن هذه البعثة استطاعت أن تثبت أقدام جيش التحرير في الصحراء الجزائرية بما جندته من الشباب المتطوعين، وبما أنشأته من مراكز للتدريب والتموين والاتصالات في شمال مالي والنيجر بالقرب من الحدود الجزائرية مثل: مركز القيادة "بقاو" ومركز "كيدال" (على بعد أربعمائة وثمانين كيلو متر من قاو) ومركز"تاسليت" (على بعد خمسة وثلاثين كيلو متر من برج باجي مختار) ومركز "تمبكتو"...الخ[1] .

فكلها لعبت دوراً كبيراً في نشر وتعميم الثورة في إقليم توات وتمنراست،كما ساهم فتح هذه الجبهة من جهة أخرى على مواجهة المخططات الاستعمارية الرامية إلى فصل الصحراء عن الجزائر .

2- ولاية أدرار في مشروع فصل الصحراء:

برزت أهمية الصحراء الجزائرية الإستراتيجية بعد اكتشاف الغاز الطبيعي في "جبل برغة" قرب عين صالح سنة 1954م مما جعل فرنسا تتمسك بفصل الصحراء عن الجزائر بما فيها إقليم توات، وربطها بباريس مباشرة خاصة بعدما تأكد لها ما تزخر به الصحراء من ثروات بترولية ومعدنية، فقد قدر احتياطي الصحراء الشرقية بأكثر من خمسمائة مليون طن وبناحية حاسي مسعود وادرار وعين صالح ما يزيد عن المليار من الأطنان[2]، مما هو كفيل بسد احتياجات فرنسا من النفط وزيادة، لذا أعلن الجنرال "ديغول" رئيس فرنسا انذاك في خطاب تقرير المصير في 16 سبتمبر 1959م أن فرنسا ستحتفظ بالإشراف على الصحراء إذا فضل الجزائريون الانفصال[3].

كما كانت فرنسا تهدف من خلال فصل الصحراء عن الجزائر إلى إيجاد قاعدة، أو حقل للتجارب النووية نظرا لموقعها الاستراتيجي الذي يتربع على مساحة معتبرة، وهذا للدفاع عن مصالحها من الاتحاد السوفياتي الذي أصبح يهدد أوروبا بعد نهاية الحرب العالمية الثانية، من خلال توزيع منشاتها الكبرى في مختلف أراضي الإمبراطورية[4] فوقع اختيارها على منطقة "رقان" التي تبعد عن ادرار بمائة كيلومتر، و"عين غار" (اينغر) شمال تمنراست كأماكن مناسبة لتجسيد مشروعها النووي في وقت أصبح فيه عنصر القوة متوقف على امتلاك السلاح الاستراتيجي(النووي) الذي عرفته العلاقات الدولية من خلال توازن الرعب الواقع بين العملاقين الأمريكي والسوفياتي، لذا شرعت في تنفيذ مشاريعها النووية حتى لا تقصى إلى الأبد من نادي الأقوياء لإظهار عظمة، وقوة الدولة الفرنسية وجيشها المنهزم عسكرياً في أوروبا، وفي الهند الصينية، والجزائر[5] وبهذا أقامت فرنسا قاعدتين نوويتين بالجزائر هما: **قاعدة رقان** حيث اختارت منطقة (الحمودية) التي تبعد عن رقان بخمسة وستين كيلو متر كقاعدة أساسية لمراقبة التجارب النووية عام 1957م أوكلت مهمة بناء منشاتها الرئيسية إلى الفرقة الثانية التابعة للجيش الفرنسي وكانت تضم عشرة الآف عامل من بينهم 3500 جزائري جيء بمعظمهم من مراكز الاعتقال

[1] - دحمان تواتي وآخرون : المرجع السابق، ص ص (84- 85) .

[2] - عبد السلام بوشارب : المرجع السابق، ص 140 .

[3] - المرجع نفسه ، ص ص (141- 142).

[4] - دحمان تواتي وآخرون : المرجع السابق، ص 106.

[5] - محمد الأمين بلغيث : تاريخ الجزائر المعاصر دراسات ووثائق ، (ط3) ، دار مدني للطباعة والنشر والتوزيع ، الجزائر : 2009 ، ص 242.

أو من المناطق السكنية القريبة حيث شغلوا في أعمال السخرة، وسميت هذه القاعدة "بالمركز الصحراوي للتجارب النووية العسكرية" "GSEN" (Le centre saharien des Essaies Nucléaires) وقسمتها إلى قسمين المصالح التقنية والإدارية – والمطار العسكري برقان، و**قاعدة عين غار** (اينغر) بمنطقة الهقار[1].

وبعد أن أتمت فرنسا صنع أول قنبلة نووية لها في مختبرات ومصانع برويار لوشـــاتل "Berruyers le chatel" نقلت إلى قاعدة رقان لتفجيرها وتم ذلك في منطقة "الحمودية" يوم 13 فبراير 1960م وحملت هذه القنبلة اسم اليربوع الأزرق"Gerboise Bleue"[*].

ولقد بارك الجنرال "ديغول" من باريس الحدث الذي اعتبره انجازاً كبيراً لفرنسا يضمن لها الأمن، ويفتح لها المزيد من التقدم العسكري النووي ويفك عقدة النقص التي لازمتها إلى غاية تلك اللحظة، غير مراعية تأثيراتها على الإنسان والحيوان، إذ كانت طاقتها التفجيرية تساوي (سبعون كيلو طن) أي أكثر بثلاث مرات من قنبلـــة "هيروشيما" (Hiroshima) اليابانية قامت خلالها بإحضار عينات من مختلف الحيوانات من الجمال، والدواب والماعز والكلاب والأرانب والقطط وستمائة فار مخابر، وبعض الزواحف والحشرات والطيور والنباتـــات والمـــاء والأغذية، و لم تكتف بهذا الصنف من العينات فحسب بل فقدت إنسانيتها فاستعملت مائة وخمســـين ســـجيناً والنساء الحوامل والصبيان والشيوخ –كفئران تجربة- واستعملت كذلك أجهزة خاصة لدراسة مفعول الـــتفجير النووي والإشعاعات الناتجة عنه على الكائنات الحية والنباتات[2] .

ومن نتائجها السلبية على الإنسان والبيئة انه في صبيحة الانفجار هبت رياح شديدة مما أدى بلا شك إلى انتقال السحابة النووية باتجاه المناطق الآهلة بالسكان بل وإلى مناطق ابعد، حيث سجل الخبراء وصول سحابة ذات نشاط إشعاعي إلى "نجامينا" عاصمة التشاد تعادل النشاط الإشعاعي لسحابة "تشرنوبيل" في الدقائق الأولى بعـــد الحادث الذي وقع في 26 افريل 1986م ويُجهل مصير هذه السحابة إلى حد الآن، كما تساقطت أمطار سوداء في 16 افريل 1960م على جنوب البرتغال وتساقطت أمطار أخرى تحمل إشعاعات نووية غير عادية تفوق تسع وعشرون مرة المعدل العادي وذلك باليابان في يوم17فبرابر1960م[3] مما يعني أن منطقة رقان بصفة خاصة وولاية ادرار بصفة عامة معرضة لكارثة إنسانية وايكولوجية بدأت شارتها تظهر منذ تفجير القنبلة، وغيرها من القنابل من بعدها كاليربوع الأبيض(1افريل 1960م) واليربوع الأحمر(7ديسمبر 1960م)، واليربوع الأخضر(25 افريل 1961م) التي تسببت جميعها في ظهور عدة أعراض وأمراض وسط السكان كالعقم وسرطان الجلد، وقصر النظر وإجهاض النساء، وفساد المنتوج الزراعي وتلوث البيئة وتدهورها، وأمراض أخرى غير معروفة في ظـــل غيـــاب

[1] – دحمان تواتي وآخرون : المرجع السابق ، ص 107

[*] – **اليربوع الأزرق**: هو حيوان يعيش في الصحراء والألوان الثلاثة (ازرق، احمر، ابيض) التي سمت فرنسا القنابل التي فجرتها برقان ترمز إلى علم فرنسا ينظر، عمار منصوري : (الطاقة النووية بين مخاطر والاستعمالات السلمية) ، التجارب النووية الفرنسية في الجزائر دراسة وبحوث وشهادات : المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، (د،ط) ، دار هومة، الجزائر : 2010 ، ص 42

[2] – عمار منصوري: (الطاقة النووية بين مخاطر والاستعمالات السلمية)، المرجع نفسه، ص41

[3] – المرجع نفسه، ص ص (42- 43).

الوعي النووي وجهل بالتأثير الإشعاعي؛ فقد أكد السكان المحليون أن مصادر المياه أصبحت ملوثة وانتشرت بينهم أمراض غريبة ومتطورة كالأمراض الجلدية، وأمراض السرطان والأمراض التنفسية وارتفاع معدل وفيات الأطفال دون أن يعلم السبب[1] .

ويذهب الأخصائيون والأطباء في الفيزياء النووية والأشعة أن مخاطر التلوث والتأثير الإشعاعي على البيئة والإنسان لا تزال حاضرة في فضاء مثلث رقان، وقد يبقى الإشعاع حسب الدراسات العلمية الحديثة الآف السنين[2] مما يترتب عليه ضرورة تحسيس المواطنين بمختلف عواقب وآثار الإشعاع النووي .

ونظرا لأهمية رقان بالنسبة لفرنسا (كموقع للتجارب النووية) خاصة، والصحراء بصفة عامة سعت سياسية "ديغول" إبان المفاوضات إلى فصل الصحراء عن الجزائر، وهو ما سبب في تعثر المفاوضات الجزائرية الفرنسية قبل "ايفيان 1962م"حيث أعرب "ديغول" عن ذلك في مذكراته عند ما قال:«... ولكي نحافظ على أوضاع آبار البترول الذي استخرجناه وقواعد تجارب قنابلنا، وصواريخنا فبوسعنا أن نبقى في الصحراء مهما حصل، ولو اقتضى الأمر أن نعلن استقلال هذا الفرع الشاسع »[3] فكلف مستشاره "اوليفييه قيشار" "Olivier Guichard" بملف الصحراء فزارها هذا الأخير والتقى بعدة شخصيات جزائرية صحراوية التي كان لها نفوذ في الأوساط الشعبية لأخذ رأيها في شأن استقلال الصحراء في إطار جمهورية مستقلة .

كما كلفت السلطات الاستعمارية "حمزة بوبكر"[*]، وغيره من الشخصيات الفرنسية السياسية والعسكرية بالحصول على تأييد الشخصيات المحلية حول مشاريعها في فصل الصحراء، وإقامة الجمهورية الصحراوية التي تضم ولايتي الواحات والساورة إلا أن محاولاته باءت بالفشل لتفطن بعض أعيان الصحراء بمغريات ونوايا فرنسا .

فقد رفض "الشيخ بيوض"[**] المشروع من أساسه كما رفض اقتراح "اوليفييه قيشار" في تكوين مملكة ميزابية سنة 1960م عندما أجابه قائلا:« أن منطقة ميزاب جزء لا يتجزأ من التراب الجزائري »[4]،كما فشل من جهته "ميشال دوبري" في إقناع توارق تمنراست سنة 1960م بالانفصال حيث عرض على الباي "الحاج

---

[1] – محمد بلعمري : (تأثيرات التفجيرات النووية على الإنسان والبيئة) ، أعمال الملتقى الدولي حول آثار التجارب النووية في العالم الصحراء الجزائرية نموذجا الجزائر أيام 13- 14 فبراير 2007 ، ص 60 .

[2] – محمد الأمين بلغيث : المرجع السابق ، ص 245.

[3] – الهادي درواز : المرجع السابق ، ص132.

[*] – **حمزة بوبكر** : نائب الواحات شخصية علمية ودينية كبيرة كان مواليا للسياسة الاستعمارية حول مشاريعها في فصل الصحراء وضع نفسه في خدمة المصالح الاستعمارية منذ 1959 استعمل العنف والاستعانة بالبوليس لإرغام الأعيان للوقوف معه في مشروع فرنسا الاستعماري الذي وعدته بان يكون رئيسه، ينظر محمد الأمين بلغيث : المرجع السابق ، ص 224.

[**] – **إبراهيم بيوض** : ولد عام 1316ه/ 1899م بمدينة القرارة من وادي ميزاب ولاية غرداية ، كان من ابرز مؤسسي جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، توفي عام 1401ه/1981م ، ينظر : بكير سعيد غوشت : الإمام إبراهيم بيوض وجهاده الإسلامي في الجزائر ، (د،ط) ، المطبعة العربية غرداية : 1987 ،ص ص (30 ، 96) .

[4] – محمد الأمين بلغيث : المرجع السابق ، ص 224 .

الخموخ"(ت1975م) تنصيبه سلطاناً على كل التوراق في دولة إسلامية تضم كل الجنوب الجزائري فرفض بقوله[1]:« أنا جزائري ينالني ما ينال باقي الجزائريين ».

ومن أعيان إقليم توات الذين حاولت فرنسا إقناعهم بفكرة الانفصال الشيخ "احمد الطاهري" حيث كلفت سلطات الاحتلال بهذه المهمة "محمد محمود بن الشيخ" قاضي تمبكتو صاحب أزواد الذي كان يتنقل ما بين السنغال، ومالي والجزائر وفرنسا لاستمالة الزعماء المحليين فتبعه الكثير من أهل تمبكتو وأزود والطوارق الذين وقعوا له وثيقة انفصال الصحراء عن الجزائر والمغرب الأقصى ومالي، وعندما وصل توات اتجه إلى الشيخ "الطاهري" لما له من نفوذ وكلمة فقدم عليه هو وحاكم رقان والنقيب "ميلكو" وعرضا عليه خطة فصل الصحراء عن الجزائر وطلبا منه الانضمام لهما لإقناع أهل الحل والعقد في توات، إلا أن الشيخ "الطاهري" اعتذر له لما أدرك من خطورة ذلك، وبعد زجره اضطر إلى الذهاب رفقتهم إلا انه كان يُعرف بالخطة في الظاهر وفي حضرتهم وفي الباطن وغيابهم كان يحذر الناس من "محمد محمود" جاسوس فرنسا[2]؛ ولما أدرك الفرنسيون ما كان يقوم به شنوا حملة تفتيش على داره ومدرسته وكتبه، ومسكن وكتب طلبته فلما اكتشفوا صلته بالثورة والجبهة والجنود المجاهدين الذين كان يجمع لهم المال القوا عليه القبض وأخذوه إلى مركز رقان أين تلقى أنواع الاهانة من الحاكم الفرنسي، وكان الشيخ "الطاهري" يتأهب في تلك الأيام إلى الذهاب إلى الحج فذهب فرارا من بطشهم وإهانتهم[3].

وبهذا استطاع "الطاهري" أن يُخلِص نفسه من مؤامرة لا تحمد عقباها بعد أن أشار على سكان توات خطورة التقسيم على مستقبل الجزائر، والصحراء إذا كان في صالح الاستعمار .

و لم تكتف فرنسا باستمالة العناصر المحلية ذات النفوذ فحسب، بل حاولت جعل مشكل الصحراء مشكلاً دولياً حيث اعتبرتها بحراً داخلياً مشتركاً بين العديد من الشعوب الساحلية، والجزائر واحدة من تلك الشعوب وعليه لا يمكن الفصل في هذا الملف إلا بالعودة إلى استشارة جميع الدول المعنية والمطلة عليه حسب رأي "جورج بومبيدو"[4] رئيس الوفد الفرنسي في رده على سؤال السيد "الطيب بولحروف" عن عدم عرضهم للصحراء في لقاء "لوسارن" بسويسرا .

ومن جهتها قامت "الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية" بالتصدي للمناورات الفرنسية فكثفت اتصالاتها على المستوى الدبلوماسي لشرح المسألة ووجهت رسائل تحذيرية للشركات البترولية، وسجلت حضورها في المؤتمر العالمي للبترول لتؤكد للعالم أن الصحراء منطقة جزائرية محتلة[5]، وبذلت مساعي لكسب الأفارقة إلى جانبها من خلال تكثيفها لزيارة الدول الإفريقية جنوبي الصحراء التي سجلت تجاوباً مع القضية، حيث

[1] – الهادي درواز: المرجع السابق، ص 133 .

[2] –احمد الطاهري: المصدر السابق، ص ص (54- 55).

[3] – المصدر نفسه، ص ص (55- 56- 57).

[4] – عبد القادر خليفي: المرجع السابق ، ص236.

[5] – دحمان تواتي وآخرون: المرجع السابق ، ص117.

أعلن الرئيس المالي انذاك "موديبو كيتا" في 22 أوت 1961م أن مالي تقف ضد مختلف المشاريع المشبوهة المرتبطة بالصحراء كما أدلى الرئيس السنغالي "سنغور" منتصف يوليو1961م بتصريح أكد فيه أن حدود البلد المستعمر هي حدوده بعد الاستقلال[1]كما ساندتها في ذلك دول غينيا وإثيوبيا وغانا وأوغندا خاصة عندما قامت فرنسا بالتفجيرات النووية في الصحراء الجزائرية .

وعلى المستوى الداخلي أعلنت "الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية" أن يوم 5 جويلية 1961م يوما وطنياً ضد سياسة التقسيم، وأعلنت الإضراب العام والشامل الذي كان ناجحاً عبر كامل التراب الوطني باعتراف الصحافة الفرنسية والدولية[2]، أما على المستوى الدولي وقف الوطن العربي مع الجزائر دفاعاً عن وحدتها الوطنية والترابية .

وأمام هذه الضغوطات الداخلية والخارجية لم يكن من "ديغول" إلا الاستسلام للأمر الواقع حيث صرح في 5 سبتمبر1961م بان الصحراء جزء لا يتجزأ من التراب الجزائري، وانه ليس لفرنسا عليها أي سيطرة مع الاحتفاظ بمصالح فرنسا فيها كحرية استغلال المحروقات واستعمال المطارات، وبهذا أزال "ديغول" الحاجز الكبير الذي كان يعترض سير المفاوضات على حد تعبير الأستاذ "عبد القادر خليفي"[3]، حيث طالبت فرنسا في اتفاقيات "ايفيان الأخيرة مارس 1962م" أن توضع تحت تصرفها مطارات وقواعد بشار ورقان لمدة خمس سنوات على ألا تستخدم لأغراض هجومية[4].

وعلى كل فانه على الرغم من أن قضية الصحراء أطالت من عمر المفاوضات الجزائرية الفرنسية، بل ومن عمر الثورة التحريرية إلا أن الجبهة استطاعت أن تحصل على تنازلات اكبر من فرنسا باسترجاعها للسيادة الوطنية أولاً، والوحدة الترابية ثانياً، أما فيما يتعلق ببقاء فرنسا في القواعد العسكرية فقد تم الجلاء منها بعد الاستقلال في إطار سياسية التأميم واسترجاع الثروات والشركات الوطنية، وبعد الاستقلال أصبحت "ادرار" ولاية بموجب التقسيم الإداري لعام 1974م تتربع على مساحة تقدر بـ(427.968كلم مربع) تضم ثمانية وعشرون بلدية و احد عشر دائرة حالياً، تعاقب على ولايتها ستة عشر والياً هم كالتالي: كميم – صحراوي – بغدادي – بوضرغومة – عبد المجيد تبون – عبد المالك سلال – الحبيب حبشي – جباري – علي سعد – محمد الأندلسي – صديقي – بن ضياف – عبد الكبير معطلي – المبروك بليوز[5] – جاري مسعود – احمد ساسي .

ثانياً– الحياة الاقتصادية:

سيعالج هذا المطلب الظروف الاقتصادية (الزراعية والصناعية والتجارية) في الجزائر بصفة عامة وفي ولاية ادرار بصفة خاصة خلال الحقبة التي عاش فيها "محمد باي" وتأثر بها تأثراً عميقا إذ ساد الظلم والتعسف والحرمان

[1] – محمد عباس : نصر بلا ثمن ، الثورة الجزائرية (1954-1962) ، (د،ط) ، دار القصبة للنشر ، الجزائر : 2009 ، ص768.

[2] – الهادي درواز : المرجع السابق ، ص136 .

[3] – المرجع السابق، ص243 .

[4] – المرجع نفسه، ص246 .

[5] – محمد باي بلعالم : الرحلة العلية ، (ج2) ، المصدر السابق ، ص296 .

في الجزائر خلال الحقبة الاستعمارية نتيجة سيطرة المستوطنين على أراضي الجزائريين التي سلبت منهم، كما استولت سلطات الاحتلال على اقتصاد الجزائر الذي أضحت تتحكم فيه إنتاجاً واستيراداً وتسويقاً فعملت على استغلال واحتكار خيراتها الباطنية وثرواتها المعدنية والسيطرة على تجارتها الخارجية حتى أصبحت الجزائر مثلما كانت عليه في عهد الرومان مخزناً فلاحياً ومعدنياً لخدمة فرنسا الأم.

أما بعد الاستقلال فقد شهد الوضع الاقتصادي في الجزائر تغيراً ملحوظاً نتيجة اهتمام الدولة بهذا المجال وهو ما كان له انعكاس واضح على المستوى المعيشي والصحي لسكانها.

ا- في الجزائر(1930- 2009م) :

1- الزراعة :

شجع المستوطنون أنواع الزراعات التي لم تكن مشهورة عند الجزائريين من قبل كزراعة الكروم من اجل إنتاج الخمور وتسويقه إلى فرنسا وأوروبا بل وخصصوا له أجود الأراضي وأحسنها في الساحل حتى بلغت المساحة التي تغطيها أشجار الكروم في الجزائر سنة 1935م أكثر من أربعمائة (400) ألف هكتار من الأراضي بعد أن كانت مائتي (200) ألف هكتار عام 1878م فأصبح منتوجها يبلغ نسبة 40% من صادرات الجزائر[1].

وفي المقابل أهملت زراعة الحبوب بأنواعه الذي كان يمثل الغذاء الرئيس للشعب الجزائري، كما قامت السلطات الفرنسية بمصادرة أراضي الأوقاف التي كانت تمثل المورد الرئيس للمؤسسات الخيرية الاسلامية، وأراضي العرش التي كانت ملكاً مشاعاً بين أفراد القبيلة، كما استولت الإدارة الفرنسية على أراضي الدولة الجزائرية وجنود الأتراك باعتبارها الوارث الحقيقي للنظام السابق[2]. وبهذا وزعت أراضي الجزائريين – الذين أصبحوا خماسة أو عمال موسميين أو بطالين فيما بعد – على المستوطنين بعد سلبها منهم مما شجع عملية الاستيطان الأوروبي في الجزائر حيث وصل عدد المستوطنين فيها سنة 1931م (881.600) نسمة[3].

وبعد الاستقلال شرعت الدولة الجزائرية المستقلة في تحقيق مشروعاتها الكبرى في مجال الزراعة بوضع جملة من القوانين للنهوض بهذا القطاع بها كقوانين (التسيير الذاتي 1963م، الثورة الزراعية 1971م، واستصلاح الأراضي، والمستثمرات الفلاحية) والسد الأخضر لإيقاف تصحر الأراضي الفلاحية.

كما أولت الدولة الجزائرية المعاصرة أهمية خاصة بهذا القطاع نظرا لأهميته الإستراتيجية فعملت على تحديث حظيرة العتاد الفلاحي وتمويل الفلاحين من خلال إنشاء بنك الفلاحة والتنمية الريفية واستصلاح الأراضي الصحراوية وأراضي الهضاب يضاف إليه التحكم في المخزون المائي بإنشاء جملة من السدود وتنمية الموارد الغابية.

أما بالنسبة للثروة الحيوانية فإلى جانب الأغنام التي تربى بشكل واسع في منطقة الهضاب العليا والتي يقدر عددها ب أكثر من ثماني عشرة (18) مليون رأس تملك الجزائر رؤوس من الأبقار في المنطقة التلية

[1] – عمار عمورة : المرجع السابق، ص 186.

[2] – عبد الكريم بوصفصاف : المرجع السابق، ص ص(81- 82).

[3] – المرجع نفسه، ص 83.

(1.500.000 رأس) والماعز (2.850.000رأس) ورؤوس جمال في المنطقة الصحراوية بالإضافة إلى الثروة السمكية التي أنتجت منها (97.000 طن)[1] مما يسمح بتغطية حاجيات المواطنين من الألبان واللحوم إلا النقص في الإنتاج يبقى ملحوظا مما يضطرها إلى الاستيراد لتغطيته.

2- الصناعة :

كانت الجزائر خلال الحقبة الاستعمارية محرومة من كل حركة صناعية نظراً لما للصناعة من تأثير كبير في تغيير عقلية المجتمع وإخراجه من دائرة الفقر والتخلف الحضاري والجهل، لذا حرص الفرنسيون على إبقاء الجزائر متخلفة في هذا الميدان[2]. إذ لم تعرف الصناعة الجزائرية تقدماً كبيراً و لم تكن متطورة بالمفهوم الحديث مثلما كانت عليه فرنسا فهي أشبه بالصناعات الحرفية لم تستخدم يد عاملة كثيرة، وهي عبارة عن مؤسسات متوسطة الحجم مختصة في صناعة وتحويل المنتجات الفلاحية والبناء والنسيج والأحذية وعصر الزيوت، وكانت معظمها متمركزة بالمدن الكبرى مثل: الجزائر العاصمة ووهران وكان أنشطها قطاع البناء إلى جانب الصناعات الاستخراجية من حديد وفوسفات ونحاس وزنك[3] ثم صناعة المحروقات بعد اكتشاف البترول والغاز في الخمسينات من القرن الماضي. وكانت كل هذه المنتجات الصناعية والفلاحية تصدر مباشرة إلى فرنسا دون أن يستفيد منها الجزائريين.

ولتسهيل استتراف تلك الثروات أنشأت السلطات الاستعمارية شبكة من السكك الحديدية في شمال وغرب وشرق وجنوب الجزائر تربط مناطق الاستخراج بموانئ التصدير.

وبعد استقلال الجزائر أولت هذا القطاع أهمية خاصة لكونه يعتبر حجر الأساس في التنمية الاقتصادية لذا شرع الرئيس "هواري بومدين" في تحقيق مشاريع الصناعة المصنعة والتسيير الاشتراكي للمؤسسات قصد النهوض بهذا القطاع، وتأميم المحروقات يوم 24 فيفري 1974، كما قامت الجزائر فيما بعد بوضع جملة من المخططات للنهوض بهذا القطاع كمد أنابيب نقل المحروقات (7للبترول) و (5 للغاز الطبيعي) من أماكن الاستخراج إلى مصانع التكرير والتمييع فموانئ التصدير، وإدخال صناعات حديثة كالصناعة البتروكمياوية القائمة على تحويل البترول والغاز الطبيعي لتنتج منهما مواد أخرى كالبلاستيك والمطاط الصناعي، كما قامت بإعادة تأهيل المناطق الصناعية وهذا في إطار تنفيذ البرنامج الخماسي لدعم النمو الاقتصادي الذي شُرع في تنفيذه ابتداء من شهر أوت 2005م حيث خصصت الدولة الجزائرية من اجل ذلك غلافا مالياً بحجم (7,2 مليار د.ج) للمناطق الصناعية ومناطق النشاط الاقتصادي عبر عدة ولايات من الوطن.

إضافة إلى اهتمام الدولة بالصناعة التقليدية التي تعتبر موروثاً حضارياً ورافداً اقتصادياً ودعامة للنسيج الصناعي حيث قامت بتقديم الدعم والمساعدة للحرفيين والرفع من عدد الغرف الجهوية للصناعة التقليدية والحرف.

---

[1] - إبراهيم حلمي الغوري : أطلس الوطن العربي والعالم ، (ط6)، دار الشرق العربي، بيروت : 2009، ص25.

[2] - عبد الكريم بوصفصاف : المرجع السابق ، ص 83.

[3] - عمار عمرة : المرجع السابق، ص ص (186- 187).

وفي إطار استغلال الموارد المتجددة التي ستشكل في المستقبل رصيداً طاقوياً لايستهان به خاصة في قطاع الصناعة إذ تشير الدراسات إلى إمكانية نفاذ المحروقات (البترول والغاز) تعمل الجزائر على استغلال الموارد الطاقوية المتجددة كالطاقة الشمسية التي تمتلك منها حقل شمسي هائل متمثل في الصحراء التي تتربع على مساحة قدرها مليونين كيلومتر مربع، والهوائية والنووية، بل هي حالياً تستغلها في مجالات متعددة مثل الزراعة والنقل وقطاع السكن.

والى جانب هذا كله أولت الدولة الجزائرية المستقلة عناية خاصة بقطاع النقل (شريان الحياة) لما يلعبه من دور أساسي في نقل البضائع والمسافرين، وفي هذا الإطار تعمل الجزائر على مد طرق سكك حديدية نحو الصحراء وانجاز عدة مشاريع للنقل البري كان أهمها انجاز "طريق سيار شرق غرب" على مسافة 1300كم وطريق الوحدة الإفريقية العابر للصحراء الكبرى على مسافة 2344 كلم الذي شرع في تنفيذه في سنة 1971م باعتباره تجسيماً لبعض أماني الشعوب الإفريقية في الوحدة[1]، أما حالياً فقد تم انجاز هذا الطريق الذي بدأت تظهر انعكاساته على حجم التبادل التجاري، والعلاقات الأخوية بين البلدان الإفريقية حيث ساهم في ربط موانئ المغرب العربي بموانئ الجزائر، وفتح باباً آخراً للتعاون الاقتصادي مع دول الساحل الإفريقي (مالي، النيجر، تشاد .....).

3- التجارة :

قبل استقلال الجزائر كانت القوى الاستعمارية بما فيها غلاة المستوطنين وسماسرة اليهود يتحكمون في التجارة الخارجية للجزائر تصديراً واستيراداً مما كان له انعكاس سلبي على الحالة الاجتماعية للجزائريين الذين حرموا من خيرات بلادهم، وبعد الاستقلال أولت الدولة الجزائرية عناية خاصة بهذا لقطاع لكون التجارة الخارجية مرآة عاكسة لحالة الاقتصاد الوطني فعملت على تحسين كفاءتها الإنتاجية بالرفع من كمية الإنتاجين الزراعي والصناعي والاهتمام بمجال النقل لتسهيل عملية التبادل التجاري خاصة البري منه والجوي على الرغم مما انتاب اقتصادها من هزات ونوبات فقد تأثر اقتصادها من جراء انخفاض أسعار البترول في الأسواق الدولية في فترة الثمانينات مما جعلها عاجزة عن سد حاجيات شعبها خاصة من الغذاء، كما تضرر اقتصادها من جراء أعمال العنف التي شهدتها في العشرية الأخيرة من القرن الماضي فقد استهدفت هذه الأعمال إلى جانب الشخصيات الثقافية والسياسية والصحافية والمدنين مراكز حساسة في الاقتصاد الوطني مما أدى إلى انهياره وتعثر الخدمات العامة حيث بلغت المديونية الجزائرية انذاك خمسة وعشرون (25) مليار دولار[2].

ولتفادي هذا النوع من الأزمات ولتحسين قدرتها المبيعية انضمت الجزائر إلى منظمات تجارية دولية وإقليمية كمنظمة التجارة العالمية و"منظمة الدول المصدرة للنفط "كما أقامت علاقات وشراكة اقتصادية مع العديد من دول العالم وفي مقدمتها دول الاتحاد الأوروبي.

[1] - إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص 240 .

[2] - حليم ميشال حداد: قصة وتاريخ الحضارة العربية بين الأمس واليوم تونس، الجزائر، (د،ط) ، د ، ن : 1999 ، ص 199.

ب- ولاية أدرار :

تعددت الأنشطة الاقتصادية في الولاية من زراعة وصناعة وتجارة، مما كان له انعكاس واضح على المستوى المعيشي لسكانها على الرغم من ضعف المردود وقلة الإنتاج في غالب الأحيان .

1- النشاط الفلاحي (الزراعة وتربية المواشي):

لقد كان لطبيعة مناخ ولاية ادرار وتربتها الفقيرة، وندرة التساقط فيها انعكاس واضح على نمو النبات فالمناخ الصحراوي الحار جعل من ادرار منطقة فقيرة من الناحية الزراعية، لكن على الرغم من ذلك تمكن سكان الولاية من تذليل الكثير من الصعوبات واوجدوا وسط بيئتهم الصحراوية حياة زراعية ناجحة إلى حد ما تشهد لهم بمقدرتهم وصبرهم المتواصل وتكيفهم مع بيئتهم الجافة[1] – وان كان الإنتاج ضئيلاً لا يكفي حتى لسد حاجياتهم الخاصة أحياناً – حيث أقاموا الواحات، وحفروا الآبار وزرعوا المنتجات الفلاحية بالاعتماد على نظام الري المسمى "الفقارة" التي تعتبر الركيزة الأساسية لسقي الأراضي وتزويد السكان بالماء، وحسب إحصائيات 1945م فان الولاية تحتوي على تسعمائة "900" فقارة[2] ينتفع منها الكل سواء أكانوا ملاكاً أم سكان عاديون فالأولون يستفيدون منها في مجال الفلاحة والآخرون في الاستعمال الشخصي من شرب وتنظيف وغيره .

ونظرا لأهمية هذا المورد لازال سكان الولاية إلى يومنا هذا يشقون فقارات جديدة، وهذا ما يفسر انتشار هذا النموذج في كامل قصورها، حيث تلعب الفقارة دوراً كبيراً في زيادة الإنتاج فكلما ارتفع منسوب مياه الفقارة كلما زادت مساحات الأراضي المسقية وبالتالي زاد الإنتاج، وكلما قل منسوبها كلما تقلصت المساحة التي تسقى بها وقل معه إنتاجها، إلا أن الفقارة تشهد في الآونة الأخيرة قلة منسوب مياهها نتيجة ضعف صيانتها حيث لازالت تصان بالوسائل التقليدية مما أدى إلى قلة وتراجع الإنتاج خاصة النخيل[3].

ومن جهتها ساهمت الكوارث الطبيعية التي شهدتها الولاية في تراجع وقلة الإنتاج بها كالفيضانات التي عرفتها عام 1965م والتي أجبرت المواطنين على ترك منازلهم واللجوء إلى الديار التي تركها الاستعمار الفرنسي وكذا أمطار 1976م التي خلفت خسائر مادية، وفيضانات أولف 1990و1991م التي تضررت منها الفقاقير مما أدى إلى حبس الماء عن السيلان، ومن قبلها أمطار 1982م التي ألحقت أضرارا بدائرة رقان والأمطار التي وقعت عام 2005م (1425هـ) بدائرة تيميمون والتي خلفت خسائر باهضة[4]، وأمطار دائرة أولف جانفي 2009م بالإضافة إلى غزوات الجراد بأنواعه المهاجر الإفريقي والمحلي يضاف إليه الأمراض الطفيلية التي تأتي على المحاصيل الزراعية كمرض "البيوض" الذي يصيب النخيل والعواصف الرملية،كما تضرر الإنتاج جراء الثورة الزراعية عام 1971م، فقد ضاع الكثير من النخيل وتعطلت الكثير من الفقاقير لان قانون الثورة الفلاحية يمنع بيع

[1] – فرج محمود فرج : المرجع السابق ، ص 54 .

[2] – مبروك مقدم : مدخل منوغرافي في المجتمع التواتي ، المرجع السابق ، ص08 ، منها 700 فقارة تسيل أما التي لا تسيل فان عددها 96 فقارة ينظر، محمد باي بلعالم : الرحلة العلية ، (ج1) ، المصدر السابق ، ص 10 .

[3] – مبروك مقدم : الاستيطان والتحضر الريفي في الوطن العربي ، المرجع السابق ، ص 87 .

[4] – محمد باي بلعالم : الرحلة العلية ، (ج2) ، المصدر السابق ، ص ص (298 – 299) .

المياه والتصرف فيها[1]، إلا انه في الآونة الأخيرة تشهد قصور الولاية ثورة تنموية في مجال الزراعة بفعل عدة أسباب منها:

1- عناية الدولة بالفلاحة وتدعيم الفلاحين .

2- ارتفاع المنتوج الفلاحي خارج النظام التقليدي (الفقارة مع ظهور طريقة استخراج الماء عن طريق الآبار الارتوازية) مما شجع العديد من المستثمرين المحليين والقادمين إلى الاستثمار في الفلاحة، فقد شجع هذا الإنتاج على دخول الولاية مرحلة جديدة وهي مرحلة الإنتاج الصناعي والقضاء تدريجيا على النظام السابق المتمثل أساساً في الإنتاج الكفافي إلى الإنتاج التصديري لخارج الولاية[2]، ومن أهم المنتجات الزراعية التي تنتجها الولاية :**التمر**: ويأتي في مقدمة المحاصيل، وهذا نظرا لكثرة تواجد النخيل بها، وهو يمثل جل قوت أهل الولاية فهم يقتاتونه قبل الغذاء والعشاء في الغالب،كما استعملت التمور في العصر الوسيط والعصر الحديث كسلع تجارية في الخارج نحو بلا السودان (كمالي والنيجر) ونحو المدن القريبة من الولاية كالبيض والاغواط والمنيعة، وعين صالح، وتمنراست ... الخ؛ بل وكان التمر يستعمل كعملة تجارية إلى جانب بعض النقود الفضية والحديدية إلى عهد قريب من الاستقلال. أما **القمح** فيأتي في المرتبة الثانية بعد النخيل، يزرع في جميع واحات الولاية مثل واحة تمنطيط، زاوية كنته...،وقد اشتهر القمح التواتي بجودته وصلابته[3] إلا انه موجه لسد الاحتياجات المحلية فقط، بالإضافة إلى أنواع أخرى من الحبوب كالشعير والذرة والذخن.

ومن المحاصيل الزراعية أيضا **الطماطم** التي انتشرت بصورة متزايدة في فترة السبعينيات من القرن الماضي حيث ارتفعت المساحة التي خصصت لها من خمسمائة وخمسة وسبعين هكتار(575) التي كانت تنتج ثمانية آلاف طن (8000) سنويا من النوع الجيد إلى ثمانمائة هكتار(800) التي بلغ إنتاجها في1977م (150.000طن) وقد أنشئ مصنع لتحويل الطماطم وتعليبها برقان يملك طاقة إنتاجية قدرها اثنا عشر ألف طن (12000) إلا أن إنتاجه لم يكن يتجاوز ثلاثمائة وخمسون إلى أربعمائة طن[4]؛ أما حاليا فقد توقف هذا المصنع عن أداء مهمته منذ سنة 1979م نظرا لضعف الإنتاج؛ إلى جانب محاصيل زراعية أخرى تنمو في الولاية من خضروات وفواكه كالجزر اللفت، الفول العدس، الفول السوداني، البطيخ، البصل، الفلفل، الثوم، البطاطا، الخس، الحمص، وهناك نجاح نسبي لزراعة بعض الفواكه المعروفة في الشمال مثل: التين، الرمان، العنب رغم قساوة الظروف المناخية، كما تنتج الولاية بعض المحاصيل الزراعية الصناعية مثل: القطن والتبغ إذ كانوا يستعملونها كمواد أولية في تجارتهم إلى بلاد السودان (تمبكتو، قاوة وغيرهما) إلى جانب التمر .

---

[1] – محمد باي بلعالم : الرحلة العلية ، (ج2) ، المصدر السابق، ص ص (297 – 298) .

[2] – مبروك مقدم : مدخل منوغرافي في المجتمع التواتي، المرجع السابق ، ص 19 .

[3] – المرجع نفسه ، ص 58 .

[4] – إسماعيل العربي : المرجع السابق ، ص 189 .

بالإضافة إلى أنواع أخرى من النباتات ذات الاستعمال الطبي كالدرين، العقاية، الفرسيك، والأثل والشيح... وعددها (ثلاثة وسبعون شجرة وعشبة)*، أو ذات الاستعمال للزينة كالحنة التي تشتهر منطقة توات الوسطى بإنتاجها إلا أن إنتاج هذه الأنواع من المنتجات الغذائية الآنفة الذكر ضئيل جداً أو تضاءل إذ نجده في اغلبه موجهاً للاستهلاك العائلي والأسري فقط إذا استثنينا المستثمرات الفلاحية.

ولازالت الزراعة في الولاية تعاني من عدة مشاكل كالنقص الكبير في موارد المياه، وهبوب العواصف الرملية التي تسبب في إتلاف مساحات زراعية بعد زحف التربة إليها، مما جعل سكان المنطقة يفكرون في وضع مصدات لهذه الرياح تتمثل فيما يسمى بالمحلية (بافراق) أو (تازريبت)**، وظهور بعض الأمراض الطفيلية التي تتعرض لها أشجار النخيل (كالبيوض) مما يؤدي إلى ضعف مردودها ، بالإضافة إلى اجتياحات الجراد المتكررة خاصة الإفريقي المهاجر الذي يعتبر اخطر أنواع الجراد لما يتسبب فيه من خسائر نباتية وغيرها من المشاكل، مما يتطلب على سكان الولاية والسلطات المعنية استدراكها وبذل الجهود لحلها للنهوض بقطاع الزراعة بها .

أما بالنسبة **للثروة الحيوانية** فهي أيضا نادرة تتمثل في الإبل خاصة إذ اشتهرت منطقة تيديكلت برعي الإبل لوجود مراعي بها يطلق عليها الأهالي اسم (الغابة)، حيث كانت قبيلتي "أولاد زنان"*** و"المختار" تستخدم هذه الإبل في نقل السلع التجارية والمسافرين إلى أسواق السودان[1] لما كان لهم من خبرة ومعرفة بمسالك الصحراء. إلا أن فكرة رعي الإبل قد انقرضت بصفتها الأولى إلا ما يقام على بعض الأعشاب الموسمية في نواحي برج باجي مختار وتيمياوين وتنركوك[2]. أما الأغنام والماعز فهي تربى بشكل قليل نظراً لعدم وجود المراعي لذا الاعتماد صار في الغالب على الاستيراد، إلى جانب أعداد من الحمير والدواجن هذه الأخيرة التي أصبحت تربى بشكل واسع في الآونة الأخيرة.

وعموماً فان هذه الثروة الحيوانية الضئيلة هي تزود سكان الولاية ببعض المواد الغذائية التي يحتاجونها كاللحوم والجبن وحتى الصناعية كالجلود والصوف .

2- النشاط الصناعي :

يتمثل أساساً في الصناعات اليدوية التقليدية التي ترتكز على جذوع وأوراق وسعف النخل أو جلود وأصواف الحيوانات، أو الطين أو بعض المعادن ومن أهم الصناعات التقليدية المتواجدة بالولاية :

*- للاطلاع على أسمائها ، ينظر محمد باي بلعالم : الرحلة العلية ، (ج 2) ، ص 271 .

- **أفراق او تازريبت : هو عبارة عن سياج من جريد النخيل على قمة العرق .

[1] - فرج محمود فرج : المرجع السابق ، ص ص (58 – 59) .

*** - **أولاد زنان** : هم إحدى بطون قبائل بني هلال قدموا من تلمسان إلى تيديكلت سنة 1690م فأسسوا قصور : الجديد و قصبة بلال ، وحبادات وعمنات من أولف، ينظر، عبد المجيد قدي : المرجع السابق ، ص 29 .

[2] - مبروك مقدم : مدخل منوغرافي في المجتمع التواتي ، المرجع السابق ، ص 34 .

صناعة النسيج التي عرفت تطورا بالخصوص في شمال الولاية (قورارة) أين اشتهرت أبسطة دكالي التي يأتي في مقدمتها دكالي تنركوك الذي يمتاز بالألوان الزاهية الصارخة مع المتانة والمهارة في نسجها[1]، بالإضافة إلى صناعة الزرابي المزركشة وصناعة البرانس، أما **صناعة الفخار** فترتكز على الطين حيث تصنع منه عدة أدوات مثل: القلال الصحون، الأواني ...الخ.

والى جانب الفخار توجد بالولاية **صناعة الحلي** (سواء ذهبا أو فضة) التي تتواجد ب"تمنطيط" و"برج باجي مختار"[2]، وتشتهر منطقتي "أولف" و"برج باجي مختار" أيضا **بصناعة الجلود** التي تعتمد على دبغ الجلود لإعدادها على أشكال وصناعات مختلفة مثل: الأحذية، المحافظ، تجليد الكتب والسيوف، إضافة إلى **صناعة السعف**: التي تعتمد أساساً على سعف جريد النخيل لتصنع منها أدوات منزلية كالقفاف الأطباق الحصير والمكانس، وكلها أعمال تتسم بالبراعة، والفن عند التواتيين وجدت رواجاً داخل الولاية وخارجها لما تمتاز به من جمال المنظر ودقة الصنع وتشتهر مدينة "تمنطيط" بهذه الصناعة[3]، بالإضافة إلى صناعات أخرى كالنجارة (الخشب) والحدادة، وصناعة الحديد مثل: الفؤوس، المطارق، السيوف، الأسلحة (بنادق الصيد والرقص).

كانت هذه المنتجات الصناعية تسوق في العصور الوسطى، والحديثة إلى بلاد السودان بواسطة القوافل وعبر حواضر تنتهي عندها القوافل التجارية كتيميمون واقبلي بتوات، وتمبكتو وقاو بالازواد[4]، وحتى في أيامنا هذه إلا أن تسويقها ضعف مقارنة على ما كان عليه سابقا، على الرغم من أن السيارة حلت محل الجمل وطوت المسافة .

وباعتبار أن هذه الصناعات تشكل قطاعاً هاماً للمحافظة على شخصية المنطقة وتراثها – باعتبارها حرفاً تقليدية تستقطب السياح أو المهتمين – أولتها السلطات المعنية أهمية خاصة من خلال إنشاء عدة غرف للمحافظة على هذا التراث الثقافي، إذ لا تكاد تخلو دائرة من دوائر الولاية من غرفة للصناعات التقليدية، وإلى جانب هذه الصناعات تشهد الولاية حالياً نوع آخر من الصناعات المتطورة كصناعة المواد الغذائية الخفيفة؛كما تزخر ولاية ادرار بثروات طبيعية صناعية مثل مخزون الغاز في جنوب اقبلي، ودائرة أسبع، وزاوية كنتة، ومخزون البترول في دائرة أسبع مما ساعد على إقامة الصناعة الثقيلة المتمثلة في استخراج الغاز والبترول، وهذا ما ادخل الولاية مرحلة جديدة تسمى مرحلة (الصناعة البترولية) ولازالت الأعمال متواصلة لاكتشاف ثروات باطنية في شمال ووسط وجنوب الولاية.

وإلى جانب الثروات الباطنية تزخر ولاية ادرار بثروة معدنية هامة متمثلة في الجير والجبس وملح البارود المتواجدة في مقاطعة تيميمون، وكذا الملح البيضاء التي اكتشفت في السنوات الأخيرة باقبلي وهي شبيهة بملح "تودني" في مالي وأهلها يصدرونها إلى ولاية تمنراست، كما يوجد به معدن (الشب) الذي يستعمل في صناعة

[1] – فرج محمود فرج : المرجع السابق ، ص 42 .

[2] – المرجع نفسه، ص 8 .

[3] – المرجع نفسه، ص 43 .

[4] – محمد باي بلعالم : الرحلة العلية ، (ج2) ، المصدر السابق ، ص 357 .

الجلود وغيرها حيث كان يصدر في القديم إلى ناحية قرارة، وبعض الأسواق لكن الآن توقفت هذه العملية واختفت[1] نظرا لشلل حركة القوافل التجارية.

3- النشاط التجاري:

لقد ساعد الموقع الجغرافي الممتاز لولاية ادرار من لعب دور الوسيط التجاري خلال فترة العصور الوسطى والحديثة، حيث كانت قصورها بمثابة موانئ أو مراكز تتوقف عندها القوافل التجارية الآخذة طريقها من الشمال إلى الجنوب ومن الشرق إلى الغرب، والعكس في كلا الحالتين، وكان هذا نتيجة تحول الأنظار إلى وسط الصحراء عقب سقوط (مملكة غانا)، وقيام مملكة مالي في القرن 7هـ/13م وبروز مدينة تمبكتو كعاصمة تجارية في الضفة الجنوبية مما أصبح لزاماً على القوافل الذاهبة جنوباً المرور بتوات[2].

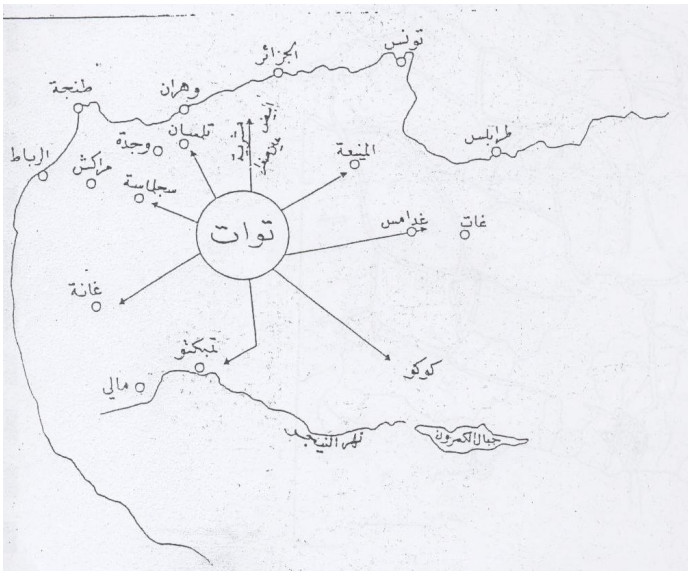

خريطة تبين دور إقليم توات في المبادلات التجارية في العصور الوسطى والحديثة [3]

ومن أهم البضائع التي كانت تحملها قوافل الشمال إلى أسواق الصحراء الأقمشة المختلفة، الأسلحة السروج الأدوات الحديدية، الحلي، الزجاج، الروائح العطرية، الأدوية العشبية، الكتب المخطوطة والمنسوخة، أما بالنسبة لبضائع السودان التي يعود بها تجار الشمال مع مطلع الربيع فتشمل على:

[1] – محمد باي بلعالم : الرحلة العلية ، (ج2) ، المصدر السابق ، ص357.

[2] – مبارك جعفري : (إقليم توات ودره في التجارة الصحراوية) ، مجلة النخلة ، (ع6)، مارس 2010، ص 12.

[3] – عبد الله عباس : المرجع السابق ، ص141 .

العبيد السود، الذهب تبراً وقوالب معدن النيلة والملح والعاج وريش النعام والجلود المدبوغة والجمال، والتمور والجبن المجفف والسمن وبعض الأقمشة الإفريقية والأحجار الكريمة[1] وكانت عملية البيع تتم عن طريق المقايضة مع التوارق القادمين من مالي والنيجر[2] لقلة العملات وضعف انتشارها .

ولقد ساهم إقليم توات بدوره في التجارة الصحراوية بما اشتمل عليه من أسواق مثل سوق "تيميمون"* وسوق "اقبلي" و"سوق تمنطيط" هذا الأخير الذي استقطب إليه اليهود خاصة ما بين القرنين الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين فسيطروا على زمام التجارة به مما در عليهم أموالا وفيرة، وكانت هذه الأسواق تقوم ببيع أهم المنتجات التواتية كالحناء والتمر والأسلحة والملابس المطرزة التي يتم تبادلها بالمنتجات القادمة من الشمال أو من الجنوب وفي نفس الوقت كانت تمثل محطات استراحة أو موانئ تتوقف عندها القوافل التجارية للاستراحة واستبدال الجمال، وبيع البضائع عبر قصور توات المتسلسلة، حيث يذكر "العياشي"[3] في رحلته « انه لما نزلوا (تسابيت) أقاموا بها ستة أيام باعوا بها خيلهم وما ضعف من إبلهم، واشتروا ما يحتاج إليه من التمر»، وهو ما يدل على الدور التجاري الذي كانت تقوم به قصور توات .

ومن هذا نستنتج أن التجارة ساهمت في نمو وازدهار القصور التواتية خاصة في فترة العصر الحديث وكان لازدهارها انعكاس واضح على الحياة الثقافية وحتى الروحية للإقليم، فمن خلالها وصل الإسلام إلى الإقليم ومن خلالها وفد العديد من العلماء، ووصلت العديد من الكتب المنسوخة والمخطوطة التي استفاد منها طلاب العلم.

ونظرا لما كانت تتمتع به ولاية ادرار من موقع جغرافي هام ودور حيوي في التجارة ما بين الشمال والجنوب كانت محل أطماع الغزاة حيث غزاها "احمد المنصور الذهبي" في أواخر القرن السادس عشر للهجرة (1583م) كتمهيد لغزو بلاد السنغاي وبالتالي السيطرة على معادن الذهب والملح، وهو أيضا ما اكتشفه المستكشفون الأوروبيون خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين خاصة الفرنسيون الذين كانت لهم اليد الطولى في مدّ سلطات الاستعمار بمعلومات هامة عن الصحراء والطرق التجارية المارة بها – لاحتلالها- معتمدين في ذلك على ما كتبه الرحالة العرب القدماء الذين زاروها أمثال:"ابن بطوطة"، والعلامة "ابن خلدون" و"الحسن الوزان" (ليون الإفريقي) وغيرهم من المتأخرين كالعياشي و"ابن الدين الاغواطي" .

ومع نهاية القرن التاسع عشر ميلادي عرفت التجارة بين إقليمي توات والازواد (صحراء مالي)، تراجعاً من حيث النشاط نظرا لانعدام الأمن، وتحول التجارة من مسالكها القديمة إلى المحيط الأطلسي، وظهور وسائل حديثة سيطرت على التجارة التقليدية مما أدى إلى تغير المسالك الصحراوية بمسالك حديثة تحكمت فيها الشاحنة

---

[1] – يحي بوعزيز : تاريخ إفريقيا الغربية الاسلامية من مطلع القرن السادس عشر إلى مطلع القرن العشرين (د،ط) دار هومة، الجزائر: 2001، ص ص (51- 52 – 53).

[2] – Karl suter , op cit, p p.(454 - 455).

*–**سوق تيميمون** : يقول عنه ابن الدين الاغواطي في رحلته : " تيميمون بلدة كبيرة ....ولها سوق عظيم ...يباع فيه العبيد وتراب الذهب بكميات كبيرة " : ينظر : أبو القاسم سعد الله ، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر ، (ج2) ، (د،ط) ، دار البصائر ، الجزائر : 2007 ، ص 257 .

[3] – المصدر السابق ، (مج1) ، ص 79 .

والسيارة فتحولت مدن "تمبكتو" و"اروان" و"اقبلي"– التي كانت تؤدي ادوار تجارية في الماضي – إلى أماكن معزولة ومهملة[1] لكن مع هذا استمر الإقليم يؤدي دوره التجاري في نطاقه الجغرافي حيث كان "أولاد زنان" باولف يقومون بتربية الإبل ويؤجرونها للتجار وفي نفس الوقت يعمل أفرادها كمرشدين في القوافل المتوجهة إلى خارج إقليم توات[2]،كما لعب أرباب الزوايا دوراً كبيراً في خدمة التجارة الصحراوية للمحافظة على استمرارها فقد كانت زاوية الشيخ "سيدي على بن حنيني" من أغنى الزوايا بتوات كان لصاحبها سبعمائة (700) جمل تتجر في بلاد السودان، وكانت قوافل أهل الزوايا تجوب الصحاري إلى تمبكتو وصحراء ادغاغ بمالي وإلى النيجر وإلى طرابلس بليبيا وغيرها من الأماكن فيجلبون منها الماشية واللحوم والسمن والأواني الخشبية وسائر ما يحتاجونه[3] .

وبعد احتلال فرنسا لإقليم توات مع مطلع القرن العشرين ميلادي (1900م) تراجع دور ولاية ادرار التجاري بسبب السيطرة الاستعمارية على المنطقة من جهة، وعلى الطرق التجارية والتحكم فيها من جهة أخرى خاصة بعد احتلالها لدول إفريقيا الغربية بما فيها دولة مالي، وهو ما انعكس سلباً على الحياة الاجتماعية داخل الإقليم إذ توالت الأزمات الاقتصادية عليه كالتي وقعت ما بين سنتي 1929 – 1933م (الأزمة الاقتصادية العالمية) والتي قضت على كل شيء حتى صار الناس يغسلون ثيابهم بالطين البيضاء وبعض الأعشاب بدلاً من الصابون، وأزمة 1944م التي كانت شديدة[4] حيث صاحبها غلاء الأسعار نتيجة القحط وكذا بعض الكوارث الطبيعية كالجراد فتفشت المجاعة وعاش سكان الإقليم حياة بؤس وشقاء .

وبعد الاستقلال ظلت ولاية ادرار تؤدي نشاطها التجاري لكن بوتيرة اقل مما كانت عليه سابقاً، فقد غلب عليها طابع التخلف في مختلف المجالات نتيجة التسلط الاستعماري، لذا أولتها السلطات الجزائرية اهتماماً خاصاً بها وبولاية تمنراست من اجل خلق توازن جهوي، فقد استفادت من حجم الموارد المخصصة في البرنامج الخاص لولايات ودوائر الجنوب في السبعينات (1977م) والذي بلغ (سبعة مليارات من الدنانير) تتوزع على القطاعات حسب الحاجة، فاستفادت في قطاع الخدمات بشق الطرق الرئيسية التي تربط الولايات، وبناء المطارات[5] مما كان له انعكاس واضح على نشاط الحركة التجارية بها خاصة الداخلية.

[1] – محمد حوتية : المرجع السابق ، ص 113 .

[2] – المرجع نفسه، ص 112 .

[3] – محمد باي بلعالم: (أهداف نشأة الزوايا وواقعها في المنطقة)، الملتقى الوطني الأول للزوايا ، ادرار أيام 1- 2- 3 ماي 2000، ص ص (6-7)

[4] – محمد باي بلعالم : الرحلة العلية ، (ج1) ، المصدر السابق ، ص 70 .

[5] – إسماعيل العربي : المرجع السابق ، ص ص (248 – 249).

المبحث الثالث:الحياة الاجتماعية والثقافية في الجزائر في عصر محمد باي(1930– 2009م):

سيعالج هذا المبحث الطوائف والفئات الاجتماعية ووضعها في الجزائر وولاية ادرار إبان الاحتلال وما بعد الاستقلال، مع التعرض إلى ذكر ابرز عادات وتقاليد وخصائص المجتمع الادراري ومراكز الثقافة به، والتي كان لها انعكاس واضح على شخص مترجمنا وصقل موهبته وترجمة مواقفه فيما بعد سواء الدينية منها أو الاجتماعية وحتى الاقتصادية.

أولا: الحياة الاجتماعية:

تميزت الحياة الاجتماعية في عمومها بالتدني العام في المستوى المعيشي خلال الحقبة الاستعمارية في الجزائر وبالتحسن الملحوظ للظروف المعيشية والصحية في ظل الدولة الجزائرية المستقلة، وسنرى من خلال هذا المطلب كيف أثرت الأحوال الاجتماعية في الجزائر بصفة عامة وفي ادرار بصفة خاصة على شخصية مترجمنا سلوكاً وتفكيراً وهو ما سنلمسه في الفصل الثالث من البحث.

ا– في الجزائر(1930– 2009م):

تشكلت الطبقة الاجتماعية للمجتمع الجزائري خلال الفترة الاستعمارية من:

1– الأوروبيون: بلغ عددهم في الجزائر ما بين (1921- 1929م) 657,641[1] مستوطن ووصل إلى 984000 نسمة عام 1954[2]؛ ومن أهم الجاليات الأوروبية التي كانت متواجدة بالجزائر خلال هذه الحقبة :

– **الجالية الاسبانية:** التي كانت متمركزة بالخصوص في الناحية الوهرانية و كانت تعد من اكبر الجاليات الأجنبية على الرغم من انخفاض عدد أفرادها من 144000 عام 1921م إلى 36060 عام 1954م

– **الجالية الايطالية:** امتهن سكانها البناء والصيد،كانوا يتمركزون بعنابة وبناحية قسنطينة.

– **الجالية اليهودية** : التي استفادت من قانون كريميو 1871م تضاعف عددها حتى وصل عام 1954م مابين مائة وثلاثون ومائة وأربعون ألف نسمة.

– **المالطيون:** الذين لم يبق منهم عام 1948م سوى مائتين وأربع عشرة شخص بعد أن كان عددهم في الثلاثينيات حوالي 15.574 شخص[3].

نلاحظ أن التمركز السكاني للأوروبيين كان في المدن الكبرى وهو ما جعلهم يمثلون الفئة النشيطة في مختلف القطاعات كالنقل والتجارة والإدارة العامة والمهن الحرة والخدمات فشكلوا بهذا مختلف الامتيازات بما فيها الأراضي التي صودرت من الجزائريين والجنسية الفرنسية. وعاشت هذه الفئة حياة مترفة ومستوى معيشي في عمومه جيد إذ كانوا يمثلون مجتمعاً مهنياً سواء بعدد إطاراته أو بمستوى معيشته الرفيع.

---

[1]– عمار عمورة : المرجع السابق، ص 120.

[2]– ناصر الدين سعيدوني : دراسات وشهادات مهداة إلى الأستاذ أبو القاسم سعد الله ، (ط1) ، دار الغرب الإسلامي، بيروت : 2000 ، ص 186.

[3] – المرجع نفسه، ص 188.

وأمام هذا وجد الجزائري نفسه محروماً من أرضه وماله مما اضطره إلى الهجرة نحو القفار والفيافي؛ وبهذا أوجدت فرنسا مجتمعاً أوروبياً آخراً في الجزائر يمكنه أن يقف في وجه كل انتفاضة أو مقاومة جزائرية جماعية أو فردية.

2- السكان المسلمون الجزائريون:

شكلوا أغلبية المجتمع الجزائري انذاك حيث بلغ عددهم سنة 1954م نحو 8.700.000 نسمة[1] إلا أنهم كانوا يمثلون الطبقة المحرومة التي انتزعت منها جميع الامتيازات حتى أصبح الجزائري خماساً في أراضي المعمرين وحتى الذين كانوا يعيشون في المدن سكنوا الأحياء القصديرية وتعرضوا إلى مختلف أنواع التمييز العنصري واستغلوا من طرف المعمرين الأوروبيين بابخس الأثمان في شتى النشاطات الاقتصادية[2].

وبهذا تفشت البطالة والفقر والجهل والجوع في الأوساط الجزائرية البائسة وهذا ما يفسر غلبة الطابع الريفي على المجتمع الجزائري إلى غاية الاستقلال. فبينما كان الأوروبيون يعيشون حياة رخاء ورفاهية كان الجزائريون يعانون من الحياة الضنكى اقتصادياً واجتماعياً وثقافياً بعد أن صادرت فرنسا الأراضي وقضت على معظم المزروعات التي كانت تنتجها الجزائر قبل الاستقلال كالقمح؛ ومما زاد الحياة الاجتماعية في الجزائرية بؤس وشقاء القوانين المجحفة التي صدرت في حق الجزائريين وفي مقدمتها قانون الأهالي الذي صدر في عهد "الجمهورية الفرنسية الثالثة" سنة 1881م وقانون التجنيد الإجباري(فبراير 1912م) الذي فقدت الجزائر بموجبه العديد من شبابها ورجالها الذين قيدوا إلى حرب لا ناقة لهم فيها ولا جمل، حيث شارك في الحرب الكونية الأولى أكثر من مائة ألف جزائري وبلغت حصيلتها في صفوف الجزائريين كما يلي : 19.074 قتلى و 72.035جرحى و8.779 معطوبين[3].

وبهذا ضاعفت فرنسا من إفقار المجتمع الجزائري الذي فقد معظم طاقاته الإنتاجية في الحربين الكونيتين وعملت على تجهيله بوضع إجراءات قانونية استثنائية جعلت من الجزائري لا قيمة له في وسط فئة الأوروبيين والفرنسيين، مما اضطر العديد من الجزائريين الهجرة إلى الخارج نحو أوروبا أو المشرق نتيجة الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية المزرية مما كان له انعكاس واضح على بلورة العمل والنضال السياسي ونمو الوعي الوطني في الجزائر مع مطلع القرن العشرين الميلادي، خاصة خلال الحرب العالمية الأولى، كما ساهمت هذه الهجرة من جهة أخرى في ظهور ونمو الطبقة الوسطى في الحواضر خاصة بعد نهاية الحرب العالمية الثانية.

أما المراكز الصحية فلم يستفد منها إلا سكان المدن بينما أغلبية سكان الأرياف كانوا يتداوون بالطب التقليدي وهذا ما أثبته التقرير الذي قدمه مكتب "سوستيل" الحاكم العام للجزائر 1955م حول الوضعية الاجتماعية المزرية التي كان يعيشها الشعب الجزائري[4].

---

[1] - ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، 198.

[2] - عمار عمورة : المرجع السابق، ص 186.

[3] - المرجع نفسه، ص 162.

[4] - المرجع نفسه، ص 187.

وبالنسبة للمرأة الجزائرية فقد كانت محرومة من التعليم والخروج إلا للحمامات أو جني الثمار كما في الأرياف، فلا يحق لها الدخول في الكتاب والزوايا التعليمية ونساء الريف خصوصاً كن أميات جاهلات مما جعلهن فريسة سهلة للخرافات والبدع والسحر والشعوذة حتى أصبح نشاطها الاجتماعي يدور حول نقل الأحجبة وحرق البخور وزيارة الأولياء والقبور[1].

وأمام هذه الوضعية المتردية للمجتمع الجزائري التي تعود إلى الاستعمار الاستيطاني وإلى أسباب اقتصادية كالتناقص المستمر في أملاك الجزائريين العقارية وتدرجها عبر السنين إلى التقلص والتصاغر، مما كان له تأثير على الحياة الاجتماعية ومستوى المعيشة سواء في الريف أو المدن تفشت البطالة بين الجزائريين مما أدى بهم إلى الخروج على غير ما مرة في مظاهرات عنيفة كما حصل في الجزائر ومستغانم في فبراير1935م احتجاجا على البطالة[2].

وعموما فان الهوة كانت شاسعة وعميقة بين الفئتين (الأوروبية والجزائرية المسلمة) على الرغم من محاولات بعض الحكام الفرنسيين في إيجاد فرص للتقريب بين المجتمعين كانابليون الثالث بمشروعه المعروف بالمملكة العربية وإصلاحات "موريس فيوليت"[*] سنة 1936م للنهوض بالريف الجزائري على الخصوص وغيرها من المحاولات إلا أنها كانت ضائعة في النهاية .

وأثناء المفاوضات الجزائرية الفرنسية روجت O. A. S[**] في صفوف الأوروبيين إشاعات مفادها أن الجزائريين سوف ينتقمون منهم بعد الاستقلال أدخلت فيهم الرعب وأرغمتهم على الرحيل إلى فرنسا وبهذا خلصوا الجزائر من صراع مستقبلي بين طائفتين مختلفتين عرقيا وثقافيا ودينيا[3].

وبعد الاستقلال عملت الدولة الجزائرية على تحقيق جملة من المشاريع التي من شانها الرفع من المستوى المعيشي لسكانها الذين يبلغ عددهم حالياً أكثر من خمسة وثلاثون مليون نسمة كالطب المجاني ومحاربة الأمية.

كما عملت على ترقية قطاع السكن والتهيئة العمرانية وخلق توازن جهوي وإحداث مناصب شغل لمحاربة ظاهرة البطالة وتحسين الأجور والرفع من مستوى الخدمات الاجتماعية.

ب- في ولاية ادرار (1930- 2009م):

يرجع تعمير ولاية ادرار إلى العصور الحجرية حيث دلت الأبحاث والكشوفات الأثرية لفترة ما قبل التاريخ على تواجد حضارة الإنسان الحجرية منذ العصر الحجري القديم الأسفل، فقد عثر على أدوات من صناعة حضارة الحصى المهيأة في ناحية أولف، منها ذات الوجهين والشظايا والمكاشط، والمحاكات، وكذا بالقرب من

---

[1] - عبد الكريم بوصفصاف : المرجع السابق، ص 108.

[2] - أبو القاسم سعد الله : الحركة الوطنية الجزائرية، (ج3)، المرجع السابق، ص 53.

[*] - **موريس فيوليت:** كان حاكما على الجزائر خلال العشرينات وهو ينتمي إلى الحزب الاشتراكي الفرنسي، أصبح عضوا في مجلس الشيوخ وساهم في الحياة السياسية الفرنسية لا سيما فيما يتعلق بالمستعمرات وبالأخص الجزائر... عينته الجبهة الشعبية في فرنسا سنة 1936م عضوا في حكومتها مختصا بالشؤون الجزائرية ، ينظر ، أبو القاسم سعد الله : المرجع نفسه، ص18.

[**] - **O. A. S** منظمة إرهابية مدنية تأسست في فيفري 1960 جمعت في صفوفها الأوروبيين أنصار الجزائر فرنسية ، ينظر عمار عمورة : المرجع السابق ص 208.

[3] - المرجع نفسه ، ص 209.

رقان[1]،كما توجد بمنطقة أمقيدن (170كلم شمال شرق تيميمون) رسومات وكتابات لا تختلف عن تلك التي اكتشفت في الطاسلي والهقار بالإضافة إلى عظام مصقولة استعملها الإنسان القديم للقنص كما عثر على كتابة ترجع إلى العصر القديم بمغارة "أغزر" في تيميمون[2].

أما بالنسبة للعصر الحجري الحديث فقد عثر على بقايا له في منطقة "تنزروفت" تتمثل في أدوات حجرية مطاحن، قطع فخارية، رؤوس وسهام، وفؤوس يدوية، وقشور بيض النعام،كما عثر على كتابة "التيفناغ" في منطقة ماطروان (مطريون) على بعد مائة كيلو متر شمال مدينة "أولف" تعود إلى فجر التاريخ في المنطقة[3] .

ومن خلال هذه البقايا يتضح لنا بان تعمير الولاية هو أقدم مما نتصور، بل وقد شهدت نفس مراحل التعمير التي عرفها العالم القديم، ونظراً لبعدها عن الصراعات والنزعات التي شهدتها مناطق عدة في المغرب الإسلامي ونظراً لتوفرها على خزان كبير من المياه الجوفية شهدت هجرات لقبائل عدة وفي أزمنة مختلفة، وهو ما أدى إلى ظهور العناصر المشكلة للمجتمع الادراري .

1- التركيبة الاثنية للمجتمع الادراري:

1- البربر[*] : يعتبرون أقدم من قدم إلى إقليم توات حسبما ذهب إليه أغلب المؤرخين خاصة من الفرع الزناتي حيث يذكر العلامة "ابن خلدون"[4]:«بأنهم هم من شيدوا حصون وأمصار سجلماسة، وقصور توات وتجورارين وفجيج ...» وهو ما أورده أيضا صاحب مخطوط درة الأقلام حيث يذكر[5]: « بأن زناتة بعد أن انكسرت دولتهم بالمغرب في القرن الرابع فروا إلى الصحراء ونزلوا عند مجرى "وادي قير" وشيدوا قصورهم على شفير مجرى الوادي واتخذوا البساتين ونحتوا الفقاقير، وبنو القصور مثل قصور : (غرميانو، أقبور، الشارف، تيط)» .

في حين يورد الأستاذ "إسماعيل العربي" تاريخ أقدم من هذا لهجرتهم إلى الصحراء إذ يرجعه إلى نهاية القرن الأول وبداية القرن الثاني للميلاد، فراراً من جور وطغيان الاستعمار الروماني، وطلباً للحرية[6]، ثم نزحت

---

[1] – محمد بن سويسي : المرجع السابق ، ص 17 .

[2] – مبروك مقدم : مدخل منوغرافي في المجتمع التواتي ، المرجع السابق ، ص ص (42 – 44)

[3] – محمد بن سويسي : المرجع السابق ، ص ص (18- 19) .

[*]– **البربر**: أمة عمرت الشمال الإفريقي من حدود آخر الايالة المصرية إلى المحيط الاطلنطي من ناحية الصحراء بأرض السودان ، وهم ينقسمون على قسمين الحضر : الذين يسكنون النواحي الشمالية والسفوح المزروعة، والرحل : الذين يعمرون الصحراء والواحات ، ويرجعون في أصولهم إلى جذمين برنس ومادغيس، وتنحدر قبيلة صهاجة من برنس أما زناتة فهي أحدى بطون لواتة التي تنحدر من مداغيس الأبتر، ينظر : عبد الرحمن الجيلالي : تاريخ الجزائر العام ، (ج1) ، (د،ط)، دار الأمة، الجزائر : 2009 ، ص ص (72 – 73) .

[4]– ديوان المبتدأ والخبر ، (ج6) ، المرجع السابق ، ص 136 .

[5] – محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق التمنطيطي : المصدر السابق ، ص 5 .

[6]– إسماعيل العربي : المرجع السابق ، ص ص (41-43) .

عناصر أخرى من البربر نحو المنطقة عقب مطاردة "بني هلال" و"بني سليم"* لهم حيث احتمى بعضهم بجبال القبائل والاوراس بينما التجأ آخرون إلى الصحراء قبلة الفارين والمضطهدين.

ومن الفروع الزناتية التي جاءت إلى الإقليم: أولاد عبد الجليل، ذكوان، أخروم، أولاد عليش وغيرهم واستمر توافدهم إلى غاية القرن الثالث عشر للميلاد[1]، كما نزلت أفواج أخرى من زناتة إلى "قورارة" بعد سقوط دولة العبيديين في القرن العاشر الميلادي واستقروا نهائياً بها[2]، وزاد توافدهم بعد قيام دولة الموحدين في القرن السادس للهجرة/ الثاني عشر للميلاد وما نتج عنها من تعقب للفرع الزناتي من قبائل (مغراوة وبني يفرن) بعد مقتل أميرهم "مسعود بن وانة المغراوي" فنزلوا بناحية قورارة ووادي الحنة[3]، من إقليم توات فاستوطنوا على حافة وادي جير أين شيدوا القصور وزرعوا النخيل وحفروا الفقاقير لاستخراج الماء من باطن الأرض .

وما يدل على نزوحهم إلى الإقليم هو بقاء لغتهم التي يتحدث بها أحفادهم إلى يومنا هذا – على الرغم من عملية التعريب التي طالت المنطقة عقب انتشار الإسلام بها – خاصة في منطقة قورارة، وأسماء القصور البربرية التي أعطوا لها مثل تمنطيط، أدغا، فنوغيل، بودة، تيط، تسابيت ...الخ .

ومن العناصر البربرية التي تتواجد بولاية ادرار إلى جانب فرع زناتة، فرع صنهاجة (أو التوارق** الملثمون) الذين استوطنوا الجزائر منذ القدم حيث يذكر المؤرخ الجزائري "مبارك الميلي"[4]: «أن صنهاجة تتشعب إلى شعبيتين عظيمتين بقي أحدهما بالجزائر وأستوطن الآخر الصحراء وهو الملثمون ».

ويرى التوارق بأنهم ينحدرون من امرأة تدعى "تينهنان"* يقال بأنها قدمت من (تافيلالت) في المغرب الأقصى إلى منطقة توات أين مات جملها في مدينة "رقان"، لذا سمي رقان بهذا الاسم نسبة لجملها الراقد هناك[5] هذا وتُعتبر فئة "التوارق" الفئة التي حافظت على نقائها تقريباً سواء من حيث لغة التخاطب أو العادات أو العرف.

---

*- يرجع أصل **بني هلال وبني سليم** إلى مصر قطنوا نجد بالحجاز ثم أنزلهم العبيديين (العزيز) بالصعيد وفي العدوة الشرقية من بحر النيل فأقاموا هناك وكان لهم إضرار بالبلاد ولما نقض المعز بن باديس صاحب إفريقية طاعة العبيديين وبايع القائم أبا جعفر بن عبد القادر العباسي سنة 437 أرسلهم المستنصر معز الخليفة الفاطمي بإشارة من وزيره أبو محمد الحسن بن علي اليازوري إلى إفريقية لحرب صنهاجة مقابل تقليدهم أمرها عام 441 هـ : ينظر عبد الرحمن بن خلدون : ديوان المبتدأ والخبر ، المرجع السابق ، (ج6) ، ص ص (18 – 19- 20) .

[1] – مبارك جعفري : العلاقات الثقافية بين توات والسودان الغربي ، المرجع السابق ، ص 41 .

[2] – محمد حوتية : المرجع السابق ، ص 36 .

[3] – محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق التمنطيطي : المصدر السابق ، ص 6 .

- **الطوارق : اختلف المؤرخون في تسميتهم فمنهم من يقول أنهم سمو نسبة إلى طارق بن زياد ، ومنهم من يرى أن التسمية جاءت نسبة لطرقهم الصحراء ، وهم إحدى فروع صنهاجة الملثمون وهذا ما أورده ابن موسى السعدي ، تنتشر مضاربهم في الصحراء مابين حدود جمهورية مالي مع موريتانيا مروراً بشمال مالي والنيجر ونيجيريا وبوركينا فاسو وشمال تشاد وجنوب غرب ليبيا وجنوب شرق الجزائر : ينظر الهادي المبروك الدالي: المرجع السابق ، ص ص (216 - 217 - 218) .

[4] – تاريخ الجزائر في القديم والحديث، تقد وتصح: محمد الميلي ، (ج2)، (د،ط) ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر: د،ت، ص ص (215 – 216).

*- **تينهنان** : اسم بربري يعني ذات الخيم أو ذات الغرف : ينظر عبد السلام بوشارب : المرجع السابق ، ص 24 .

[5] – محمد باي بلعالم : الرحلة العلية ، (ج1) ، المصدر السابق ، ص 15 .

2- العرب : القادمين من جنوب الجزيرة العربية، حيث وفدت جماعات منهم عرفت باسم "عرب المعاقيل"* الذين دخلوا إلى شمال إفريقيا مع الزحف الهلالي في عدد قليل، وبعد استقرارهم في بلاد المغرب مع من جاء معهم من "بني سليم" تفرعت عنهم فروع كثيرة وبطون عديدة، انتشرت بأنحاء الشمال الإفريقي وامتزجت بأهله امتزاج الماء بالماء حتى لا نكاد نفرق اليوم بين العربي والهجين . فقد قدمت عرب المعاقيل إلى بلاد المغرب في عدد قليل دون المائتين ثم انتشروا في الصحاري فكثروا بمن خالطوهم واندمجوا فيهم هناك، بل وملكوا على زناتة قصور توات وتمنطيط وتيقورارين وورقلة واقتضوا منهم الضرائب وجرت بينهم حروب وفتن على رياستها[1]، خاصة بعد ضعف الدولة المرينية التي كانت تستعملهم لديها كجنود يجلبون الضرائب ويسهرون على حفظ الأمن في كامل الصحراء، لذا استغل "عرب المعقل" هذا الضعف في السيطرة على إقليم توات ساعدهم في ذلك قدوم جماعات أخرى إلى الإقليم من "بني هلال" و"بني سليم" في فترات مختلفة مثل: (المحارزة الخنافسة*** ، .....) ، فاستطاعوا أن يؤسسوا نظام اجتماعي خاص بهم يشبه نظامهم السابق في شبه الجزيرة العربية والقائم على أساس الرعي والترحال، نظراً لتشابه البيئة وسرعان ما أصبحت لهم مكانة عالية بإقليم توات خاصة والصحراء عامة فأصبحوا يفرضون الضرائب والاتوات على الأهالي بالمنطقة .

وتفرعت بنو معقل إلى ثلاثة بطون في الصحراء وهم (ذوي منصور، وذوي عبد الله، وذوي حسان) وكلها لها فروع في إقليم توات[2]؛ وبهذا امتزج الدم العربي بالدم البربري، وتهجنت الأجيال خاصة بعد أن عاد العرب إلى طبيعتهم الأولى بعد أن عاثوا فساداً في شمال المغرب.

ولقد كان لمجيء العرب إلى إقليم توات دوراً كبيراً في تعريبها، وتعريب باقي المناطق الصحراوية كورقلة وسجلماسة ...الخ .

ومن البطون العربية التي وفدت إلى الإقليم أيضا " قبيلة كنتة"*** التي ينتهي نسبها إلى الفاتح العربي "عقبة بن نافع" إذ يتواجد أحفاده إلى اليوم في كل من أقبلي وزاوية كنتة من الولاية، إضافة إلى قبائل أخرى عربية

---

*- **المعقل** : ينسبون أنفسهم إلى جعفر بن أبي طالب ونسابة بني هلال يعدونهم في بطونهم قال ابن خلدون "والأنسب أن يكونوا يمنيين من المعقل واسمه ربيعة إحدى بطون مذحج" ينظر مبارك بن محمد الميلي : المرجع السابق ، (ج2) ، ص 178 .

[1] - أبو العباس أحمد بن خالد الناصري : الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى ، تحقيق و تعليق : جعفر الناصري، محمد الناصري ، (ج2) ،(د،ط) ، دار الكتاب، الدار البيضاء : 1954م ، ص ص (159 - 160) .

- يتمركز **المحارزة بتنركوك، زاوية الدباغ ، فايتس، وقصور أخرى، أما **الخنافسة** فينتشرون ما بين أوقروت وكبرتن منذ القرن 12 م : ينظر: محمد حوتية : المرجع السابق ، ص ص (36 ، 38) .

[2] - عبد الله عباس : المرجع السابق ، ص ص (52 - 53) .

***- **قبيلة كنتة** : أصلها حسب الروايات الشفوية والمصادر المحلية يرجع إلى عقبة بن نافع فاتح شمال إفريقيا الذي استشهد في معركة تهودة سنة 63 هـ / 683 م فقد خلف ابنا يسمى العاقب و منه تفرق نسله في الشمال الإفريقي حسب ما ذهب إلى ذلك سيدي محمد بن الشيخ سيدي المختار الكبير : ينظر محمد حوتية : المرجع السابق ، ص 33 .

أو مستعربة قدمت إلى الإقليم من الشرق أو من الساحل وفي فترات متفاوتة* مثل: **قبيلة الزوى** التي يرجع أصلها إلى ذرية "أبي بكر الصديق"كما ذهب إلى ذلك مؤرخو المنطقة، **والشعانبة:** وهم جماعة من العدنانية يتواجدون في ولاية ادرار في تينجورارين بزاوية الدباغ وتيميمون والعرق ولمطارفة، أما في توات الوسطى فيرتكزون في تسابيت وبوعلي ورقان وأولف من تيديكلت حتى عين صالح[1] ومنهم **البرامكة**** الذين نزحوا إلى المنطقة بعد نكبتهم على يد "هارون الرشيد" حسب بعض الروايات المحلية، وتتكون البرامكة في ولاية أدرار من ثلاث فرق هي: فرقة باقلمان يقطنون بوعلي(من زاوية كنتة) وفرقة بتمتام (تاطمطام) وهم يسكنون قصور سالي، وفرقة بابهين يقطنون بقصر تنلاف وبرنكان برقان[2]، بالإضافة إلى الشرفاء العلويين، والادارسة الذين ينسبون إلى البيت النبوي، والحفصيون من أولاد "عمر بن الخطاب" حسب الرويات المحلية وبنو العباس وبنو أمية والأنصار، وأولاد زنان، وأولاد يحي وغيرهم .

ولقد أدى استقرارهم إلى حدوث نزاعات فيما بينهم على السلطة حتى أصبحت كل قبيلة تستعين بالأخرى كما حدث مع زناتة والمعاقيل، والبرامكة مع المحارزة، مما أدى إلى انقسام القبائل إلى كتلتين هما (أحمد وسفيان) واستمر الصراع بينهما إلى غاية القرن التاسع عشر الميلادي؛ وبهذا سادت الروح القبلية والتعصب القبلي بإقليم توات في هذه المرحلة التاريخية نظراً لغياب سلطة يلتف حولها السكان تحل المشاكل وتمنع الاستبداد .

3- الأفارقة أو النازحون من بلاد السودان: يضم إقليم توات عدد كبير منهم يعود تواجدهم إلى أزمنة بعيدة بل ويعتبر بعض المؤرخين أنهم الأقدم تواجداً بالمنطقة حيث يذكر الأستاذ "إسماعيل العربي"[3] : "بأنه بعد هجرة البربر من الشمال إلى الصحراء نتيجة الاضطهاد الروماني مع نهاية القرن الأول وبداية القرن الثاني للميلاد، وبعد وصولهم إلى الواحات سارعوا في استرقاق السود الذين كانوا يقيمون فيها"،كما تخلف الكثير من أتباع السلطان "موسى كنكان" سلطان مالي في توات لوجع أصابهم في أرجلهم في طريقه إلى الحج في القرن الثامن هجري/الرابع عشر الميلادي كما أسلفنا ذكره.

ولقد تزايد عدد الأفارقة في الإقليم مع التطور الاقتصادي الذي شهدته خلال العصور الحديثة، نظراً لما كان يلعبه الإقليم من دور اقتصادي فكان يتم جلبهم من السودان ليتولوا زراعة البساتين، ورعي الحيوانات في الوقت الذي كان فيه التواتي مشغولاً بتجارة المبادلات، فتم شراء أعداد كبيرة من الذكور والإناث اللاتي أنجب

---

*- فقد أورد العلامة **محمد باي بلعالم** أسماء أكثر من اثنين وعشرين قبيلة وفدت إلى الإقليم عبر الألفين الأول و الثاني كان أولها قبيلة أولاد بن عبد الجليل (501) و آخرها قبيلة اعريب (1076) ، ينظر محمد باي بلعالم : الرحلة العلية ، (ج1) ، المصدر السابق ، ص ص (65 – 66) .

[1] - محمد حوتية : المرجع السابق ، ص 38 .

- **البرامكة : أسرة فارسية عريقة ذات شأن عظيم ينسبون إلى جدهم برمك الذي كان متولياً سدانة النوبهار – معبد المجوس ببلخ – ولقد أدت نكبتهم على يد هارون الرشيد إلى مقتل نحو ألف إنسان من البرامكة وحاشيتهم ، وتشتت شملهم في البلاد . ، ينظر ، هولوجودت فرج : البرامكة (ط1) ، دار الفكر اللبناني ، بيروت : 1990 ، ص ص (14 - 108) .

[2] - مبروك مقدم : مدخل منوغرافي في المجتمع التواتي ، المرجع السابق ، ص 69 .

[3] - المرجع السابق ، ص ص(41 ، 43) .

التواتيون منهن الأطفال[1]، في حين يذكر "عبد الحميد بكري"[2]:« أن هؤلاء الأفارقة نزحوا من السودان إلى توات بعد أن غلب عليهم الجوع والفقر ومنهم من دخل مهاجراً يبتغي أرضاً غير أرضه، وأن الذين جلبوا بعد أن سلبوا من ديارهم وجدوا أنفسهم في سوق النخاسة للبيع وهؤلاء من القبائل المسلمة حرم فقهاء توات بيعهم والتسري بنسائهم، على اعتبار أنهم أناس أحرار، ومنهم من جيء بهم من بعض القبائل الكافرة شملهم حكم العبيد ».

فمن خلال هذا يتبين لنا أن العنصر الإفريقي قدم إلى إقليم توات بحثاً عن الاستقرار، والأمان والتجارة مثله مثل الوافدين عليها من الشمال. وأدى اختلاط هذه الفئة ببقية عناصر المجتمع التواتي إلى تكاثرها، بل وأصبح سكانها يشكلون إحدى طبقات المجتمع الادراري .

ولقد ظل إقليم توات مفتوحاً أمام هجرات القبائل والجماعات المختلفة التي وفدت عليه عبر فترات متعاقبة وفي ظروف مختلفة حتى القرن الثامن عشر الميلادي؛ منهم من قدم من أرض المغرب الأقصى مثل عرش "أولاد حسين" القادمين من الذراع بالمغرب الأقصى عام 1134م، و"أولاد بن سليم" القادمين من السوس، ومنهم من قدم من الازواد مثل قبيلة الدحاحنة (أولاد دحان)[3]، ومنهم من قدم من إفريقيا الغربية كقبيلة فلان[*].

وآخرون قدموا من شمال الجزائر،كما نزحت إليه عدة قبائل من واد سوف وغيرها[4].

ونتج عن هذه الهجرات أن أصبح المجتمع الادراري خليطاً من الأجناس أشبه ما يكون بفسيفساء، نتج عنها تمازج بين أفراد المجتمع بالمنطقة، حتى لا نكاد الآن نفرق بين العربي والبربري، إذ امتزج اللسان بامتزاج السكان والألوان وليس غريباً عن الولاية – التي تعد جزء من الوطن الجزائري – هذا النوع من التمازج فقد عرفته الجزائر عبر تاريخها حيث وفدت عليها عدة أجناس (الفنيقيون، الرومان، الوندال، البيزنطيون، العرب الفاتحون، العثمانيون الأوروبيون والأفارقة)كلهم ذابوا في الجنس البربري الأصيل؛ ولازالت ولاية أدرار إلى يومنا هذا تستقطب عناصر بشرية من داخل الوطن وخارجه بدوافع اقتصادية ودينية وأخرى علمية، كان لها دور في تعمير هذه المنطقة الصحراوية .

---

[1] – فرج محمود فرج: المرجع السابق ، ص 32

[2] – المصدر السابق، ص 16 .

[3] – مبروك مقدم: مدخل منوغرافي في المجتمع التواتي ، المرجع السابق، ص ص (63 – 64).

[*] – سنتطرق إلى التعريف بها في الفصل الموالي.

[4] – محمد باي بلعالم: (محاضرة تتناول التعريف ببعض الجوانب من منطقة توات الجزائرية وحضارتها) ، المهرجان الثقافي الأول الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي ، زاوية الشيخ (ادرار) : أيام 3- 4 ماي 1985م ، ص 03

ب- طبقات المجتمع الادراري التواتي :

تدخل العناصر الاجتماعية المكونة للإقليم في بنية اجتماعية مكونة من:

1- الأشراف: ورثوا هذا اللقب بدعوى انحدارهم من أصلاب أجدادهم الأوائل الذين ينتسبون للأسرة العلوية أو الادريسية ومعظمهم قدموا من المغرب الأقصى[1]، شكل هؤلاء جماعة مستقلة تحظى بالاحترام لاستنادها على الإرث الديني والاقتصادي حيث مثلوا حماة الدين، وأصحاب الحدائق والبساتين في نفس الوقت، ينتشر الفرع الشريف في كل واحات الولاية، إذ لا يخلو قصر من قصور واحاتها تقريباً من العنصر الشريف .

2- المرابطين[*]:يأتي المرابطون في الدرجة الثانية من السلم الطبقي في المجتمع الادراري، وهم يتمتعون بوضع اجتماعي ومادي لا يختلف عن وضع الفئة الأولى فلهم بساتين ومياه الفقارات، وتنتشر طبقة المرابطين في زاوية كنتة، وعين بلبال وماطريون وبودة، وباحو بسالي[2] .

3- الأحرار: ويأتي الأحرار في الدرجة الثالثة، وهم يمثلون الطبقة الوسطى في المجتمع، تتشكل من أفراد (عرب وبربر) تم تحريرهم وعتقهم من قبل أسيادهم (الشرفاء والمرابطين)، ثم ملكوا الجواري وتزوجوا منهن مشكلين بذلك الطبقة الرابعة (الحراثين)، و لم تكن هذه الطبقة مجردة تماماً من الأملاك فقد كانت تستحوذ على بعض البساتين،كما كانت تشتغل بالتجارة والزراعة .

4- الحراثين أوالحراطين[**] : (أوالنصف أحرار) وهم نتاج تزاوج الأحرار بالجواري،كانوا يعملون في الحرف والأشغال الشاقة التي يأبى رجال طبقة الأحرار وأبناءهم العمل بها[3](كالتويزة).

ولقد حاول الاستعمار الفرنسي بعد احتلاله للإقليم مع بداية القرن العشرين الميلادي بث النزاع وتذكية الصراع بين هذه الفئات بمحاولة تمييز فئة على أخرى، وهذا لقطع أواصر الإخوة في المجتمع التواتي وبالتالي سهولة السيطرة عليه .

وعلى الرغم من هذه التقسيم الطبقي للمجتمع التواتي (الادراري) والذي ساهم في ظهوره اختلاف العناصر الوافدة عليه إلا أن العادات والتقاليد والجغرافيا وفوقها الدين وحد فيما بينهم .

ولقد كان للدين والجغرافيا، وطبيعة المناخ انعكاساً كبيراً على طباع أهل المنطقة، فقد امتاز الإنسان التواتي إلى جانب تدينه بالطيبة وكرم الضيافة، والمسالمة واحترام الغريب وهذه بشهادة كل من زار الإقليم فهذا

---

[1] – فرج محمود فرج : المرجع السابق ، ص 13 .

[*]– يرى الأستاذ جعفري مبارك بأن المرابطون ليسوا جنس بشري ، وإنما أخذوا الاسم من الرباطات التي كانت تقام على الثغور للجهاد ونشر العلم التفت حولها عائلات وموالي أصبحوا يمثلون سكان الزوايا أمثال : أولاد سيدي موسى بتسفاوت ، الواجدة، طلمين ، شروين ، تيلوين المرابطين زاجلو المرابطين : ينظر مبارك جعفري : العلاقات الثقافية بين توات والسودان الغربي ، المرجع السابق ، ص ص (45 - 46) .

[2] – محمد حوتية : المرجع السابق ، ص 237 .

[**]– **جمع حرطاني أو حراثين** : سموا بهذا الاسم لإشتغالهم بالحراثة أي الفلاحة، وقد حولت وحورت في المجتمع وأصبحت حرطاني لتستبدل التاء بالطاء بلغة سكان المنطقة : ينظر : مبروك مقدم : مدخل منوغرافي في المجتمع التواتي، المرجع السابق، ص 74 .

[3] – عبد الله مقلاني: المرجع السابق، ص 35 .

"أبو سالم العياشي" يقول عنهم:« أنهم أهل تقوى وصلاح » ووصفهم الرحالة الألماني "جير هارد رولف" :«بأنهم قوم مسالمون يحبون الغرباء ويحترمون رجال الدين »[1].

وقال عنهم الشيخ "أحمد الطاهري"[2]:« إنهم يتميزون بنقاء الأخلاق وحسن الطباع وصفاء السريرة وأصالة العادات والتقاليد ... » ووصفهم الأستاذ "إبراهيم مياسي"قائلا[3]:« يتميز سكان توات بمجموعة من الصفات والتصرفات المتشابهة كالتواضع، والبساطة والقناعة وطيبة النفس»ويقول فيهم الأستاذ "يوسف بلمهدي" نائب التوجيه الديني والتعليم القرءاني بوزارة الشؤون الدينية: «أهل توات الذين ضربت الفطرة لها خباء بين أخبيتهم وبسط الجود سماطه في أفنيتهم، إذ ما لقينا أحد من أهلها إلا أهل ورحب وحيا وقرب »[4].

فهذه الموصفات وغيرها تعطينا فكرة وتمدنا بصورة عما يمتاز به هذا المجتمع، وأهله من كرم وسخاء وتكافل اجتماعي وتعاطف ومسالمة وحب العلم وأهله، وغيرها من فضائل الأخلاق التي جاء بها الإسلام وبعث بها النبي عليه الصلاة والسلام، والتي ظل محافظاً عليها رغم محاولات الاستعمار الفاشلة في القضاء عليها ومحوها.

ج- ابرز عادات وتقاليد المجتمع الادراري:

لسكان ولاية أدرار عادات وتقاليد توارثوها عن الأجداد لازالت باقية إلى يومنا هذا، فإلى جانب إكرام الضيف هم يهتمون بزيارة الأقارب ومراعاة حقوقهم عملاً بما جاء في القرآن الكريم ولتمتين روابط الإخوة، ومن عاداتهم أيضا الاحتفال بالأعياد الدينية كعيد الفطر والأضحى والتي تختلف من منطقة إلى أخرى، لكن يبقى ما يجمعها هو ظاهرة التكافل الاجتماعي، ومساعدة الغني للفقير، والتصدق على الفقراء والمساكين والتزين بأحسن الملابس، وكذا الاحتفال بالمولد النبوي الشريف الذي يعتبر من أطول الاحتفالات في المنطقة – من حيث المدة الزمنية – حيث يشرع فيه مع رؤية الهلال فيطلق البارود، وتتعالى الزغاريد فرحة وابتهاجا بالشهر، وتردد المدائح في المساجد كالبردة والهمزية والقصائد الوترية في مدح الرسول عليه الصلاة والسلام، والأذكار في ليلة المولد النبوي فيسهر الجميع في المساجد لتلاوة المدائح إلى غاية طلوع الفجر، وفي الضحى يتبادل الناس الزيارة للأقارب والأصدقاء[5].

---

[1] – فرج محمود فرج : المرجع السابق ، ص 14 .

[2] – المصدر السابق ، ص 52.

[3] – المرجع السابق ، ص 24 .

[4] – محمد باي بلعالم : الرحلة العلية ، (ج1) ، المصدر السابق، ص ي 23 .

[5] – محمد حوتية : المرجع السابق ، ص 246 .

ومن عاداتهم أيضا الزيارات، وهي ظاهرة اجتماعية منتشرة في واحات الولاية تتمثل معظمها في قبور ومدافن بعض العلماء والصالحين الذين لا يكاد يخلو قصر من قصور الولاية من أضرحتهم، فتحيا لها المواسم وتقام لها الذكرى بقراءة القرآن ورقصة البارود، والمحضرة في كل سنة بقصد إحياء ذكريات أولئك العلماء والصالحين والتنويه بأعمالهم ومقاماتهم يقصدها الزائرون من كل مكان كل حسب مقصده ونيته[1].

إلا أنه أحيانا يبالغ في إحياء الذكرى، فتظهر فيها بعض البدع*، والمحظورات الشرعية التي نبه مشايخ وعلماء الولاية عليها، على الرغم مما يظهر فيها من الحسن الجماعي والتضامن الاجتماعي**، ومن عاداتهم أيضا الأعراس التي تعد من أهم المناسبات الاجتماعية وأحياؤها يدوم سبعة أيام على الأقل، ومن عادات سكان الولاية في هذه المناسبة إقامة الولائم والطبول الفلكلورية (البارود، العبيد، الطبل...)كما اهتم سكان ولاية ادرار بالعادات الدينية كالعقيقة***، وإحياء ليالي رمضان وبتدريس القرآن وتوزيع الصداقات والهدايا على من ختم القرآن حفظاً أو التحق بالمدرسة القرآنية وهي لا تزال مستمرة إلى الآن؛ بالإضافة إلى عادات جماعية (كالتويزة) لإصلاح الفقارة المعطلة أو لصد الرمال من الزحف نحو الواحات، وأخرى متعلقة باللباس كاللثام عند الطوارق والعباءة والشاش عند الرجال والإزار(الحايك) عند المرأة .

د- ديمغرافية ولاية ادرار:

شهد عدد سكان ولاية أدرار تراجعاً كبيراً خلال الحقبة الاستعمارية بسبب تفشي الأمراض والأوبئة مع نقص الوقاية والرعاية الصحية، إذ ارتفعت نسبة وفاة الأطفال حديثي الولادة، وكذلك بالنسبة للنساء غير المقبلات على المتابعة الطبية[2]، في ظل غياب مرافق صحية إذ كان السكان يعالجون من قبل الطب التقليدي، وهو ما أدى إلى تدهور الحالة الصحية يضاف إليه انتشار الأوبئة وشدة الأزمات الاقتصادية فلقد أدى تفشي وباء الطاعون الذي أصاب توات في عام 1367هـ/1948م إلى مقتل عدد كبير من سكانها على ما يروى صاحب مخطوط درة الأقلام[3] وتسبب "الجذري" الذي وقع في المناطق الثلاث من الولاية في آخر العقد الثاني من القرن

---

[1]- أحمد الطاهري : المصدر السابق ، ص 52

*- **البدعة:** هي كل أمر محدث عقيدة كان أم عادة من سلوك الفرد اليومي و لم يجد له سندا من سنة النبي صلى الله عليه و سلم فهو يمثل إجمالا بدعة سيئة في نظر الجمهور الأكبر من الفقهاء ، ينظر ، أبو بكر الطرطوشي : كتاب الحوادث والبدع ، تح ، عبد المجيد تركي ، (ط1) ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت : 1990 ، ص 30 .

**- تقام في الولاية أكثر من ثلاثمائة (300) زيارة سنوياً أشهرها زيارة "الرقاني" في الأول من شهر ماي برقان، التي تستقطب عدد كبير من الجمهور والزوار من مناطق توات الوسطى وتيديكلت وقورارة، والزيارة التي تقام بتيميمون إحياءً لأسبوع المولد النبوي الشريف (بزاوية سيدي بلقاسم) من كل سنة وزيارة زاوية كنتة وغيرها ينظر، اكتشف ادرار : المرجع السابق ، ص 21 .

***- **العقيقة : لغة** : من عق يعق بكسر الغين و ضمها و هي في اللغة اسم للشعر الذي على المولود حين ولادته، أما **اصطلاحا** : عرفها الشيرازي في المهذب بأنها ما يذبح عن المولود و عرفها صاحب معنى المحتاج هي : ما يذبح عند حلق شعر المولود وتسميته، ينظر : محمود محمد حمودة ، محمد مطلق عساف : فقه العبادات ، (ط1) ، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع ، عمان : 2000 ، ص 190 .

[3]-karl suter : op –cit, p p (447 – 448)

[3]- محمد بن عبد الكريم بن عبدالحق التمنطيطي : المصدر السابق ، ص 60 .

العشرين الميلادي في مقتل خلق كثير اغلبهم من الصبيان[1]، كما ساهمت الأزمات الاقتصادية التي عرفتها الولاية في تدني المستوى المعيشي والصحي لسكانها وبالتالي التأثير على عددهم كالأزمة التي وقعت مابين 1929-1933م (الأزمة الاقتصادية العالمية)، وأزمة 1944م التي كانت شديدة بسبب الحرب العالمية الثانية فقد غلت الأسعار، واختفت بعض المواد حتى أن البعض أكلوا الحشيش، وقلت الألبسة مما اضطر الكثير من التجار إلى جلبها من الدول الإفريقية من نيجيريا وكانو[2] لذا اضطر البعض من السكان إلى الهجرة خاصة فئة الشباب نظرًا للظروف الاقتصادية الصعبة .

فقد سجلت مصالح الإحصاء الفرنسية في إحصائها بأكتوبر 1955م أن الهجرة من المنطقة مثلت خمسمائة وستة عشر فردا يتوزعون كالآتي: شمال إفريقيا: أربعمائة وسبع عشرة نسمة، فرنسا: تسع وسبعون نسمة[3]،كما ساهمت الفيضانات التي عرفتها الولاية كأمطار 1965، و1976، و1990م، بأولف، وأمطار 1982 برقان وامطار2005م بتيميمون وأمطار جانفي2009م بأولف في التأثير على الوضع الصحي والمعيشي لسكانها وإن كان عدد الخسائر البشرية التي نجمت عنها قليلة، إلا أنها أدت إلى تدمير وتحطيم المساكن الطينية، وإحداث الخسائر المادية كحبس الماء في الفقاقير عن السيلان.

ولقد بلغ عدد سكان ولاية ادرار حسب السنوات التالية كما يلي[4] :

السنة	عدد السكان بالألف نسمة
1985	170.285
1987	223.034
1989	237.963
2005	350.467

أما حالياً فعددهم يتجاوز 400.000 نسمة يتمركز أغلبهم في المنطقة الشمالية[5]بنواحي قورارة، ومدينة أدرار في حين يقل عددهم في الجنوب .

نلاحظ من خلال عرض تطور سكان الولاية زيادة عددهم وبشكل ملحوظ خاصة في السنوات الأخيرة وهذا بفعل عوامل الخصوبة من جهة إذ يبلغ معدل المواليد 4.39 %، وتحسن المستوى المعيشي والصحي والهجرة من جهة أخرى، إذ بلغ معدل الوفيات حسب (2005م) 3.6 %[6] وهو ما يعكس لنا التغطية الصحية والوقائية ، ولقد انعكس تحسن الوضع الصحي لسكان ولاية ادرار على الوضعين الاجتماعي والاقتصادي بها، إذ أن معظم السكان يرتكز نشاطهم في الغالب على الفلاحة والصناعة التقليدية والتجارة والخدمات،كما انعكس

[1] – محمد باي بلعالم : الرحلة العلية ، (ج2) ، المصدر السابق ، ص 292 .

[2] – حاجي حمادي: مقابلة شخصية، بمنزله حي عمنات بلدية أولف : بتاريخ الاثنين 30 ماي 2011م .

[3] – عبد المجيد قدي : المرجع السابق ، ص 37 .

[4] – مبروك مقدم : مدخل منوغرافي في المجتمع التواتي ، المرجع السابق ، ص 28 .

[5] – مدن وثقافة أدرار جوهرة الجنوب : المرجع السابق ، ص3 .

[6] – مبروك مقدم : مدخل منوغرافي في المجتمع التواتي ، المرجع السابق ، ص 28 .

أيضاً على الوضع الثقافي بها، إذ يتمتع سكانها بمستوى تكويني مقبول تم تحصيله عن طريق الانخراط في المدارس القرآنية والزوايا المنتشرة عبر ربوعها والمدارس النظامية والجامعة فيما بعد، الأمر الذي جعل الولاية عاجزة عن استيعاب إطاراتها في مختلف الميادين، مما دفعهم إلى الاشتغال في مختلف مناطق القطر الجزائري وأحياناً في الخارج خاصة الدول العربية .

ثانياً: الحياة الثقافية .

سنرى في هذا المطلب كيف أدى تدني المستوى الثقافي في الجزائر خلال الحقبة الاستعمارية إلى تدهور الحالة الاجتماعية وفساد الأخلاق والعقيدة بها، إلا أن ذلك لم يكسر من عزيمة مترجمنا وإرادته في طلب العلم والرحلة إليه، كما سنرى أن الوضع الثقافي المزدهر الذي شهدته الجزائر في فترة الاستقلال قد فتح مجالاً واسعاً لمترجمنا للرحلة إلى داخل الوطن وخارجه للاستزادة والإفادة وهو ما سنتعرف عليه في الفصلين المواليين.

ا- في الجزائر (1930- 2009م)

تميزت الحياة الثقافية في الجزائر خلال الفترة الاستعمارية بالتدني العام للمستوى الثقافي فقد اتسم ميدان الثقافة بالأمية الكبيرة المنتشرة في أوساط الشعب الجزائري حيث بلغت نسبتها 94% بين الرجال و 96% بين النساء وهذا حسب الإحصائيات الرسمية الفرنسية التي نشرتها الولاية العامة في الجزائر[1] قبل اندلاع الثورة.

وقد سبب هذا الوضع في انتشار البدع والخرافات والعادات السيئة في أوساط الأميين خاصة في الأرياف وهذا كنتيجة لسياسات التجهيل والفرنسة والتنصير التي انتهجتها فرنسا في الجزائر بعد احتلالها.ذلك لان الاستعمار الفرنسي قد قاوم الثقافة الجزائرية بشتى الطرق والأساليب لضمان بقائه إلى الأبد في الجزائر وحتى يفتح مجالاً لثقافته بل وشجع الطرق والطرقية لبسط سيطرته أينما حل، وبهذا انحط مستوى التعليم في الجزائر من الناحية العربية انحطاطاً كبيراً إذا استثنينا المساجد وبعض الزوايا في جهات الوطن الشمالية والجنوبية.

فتفشت الأمية في الأوساط الجزائرية حتى بلغت نسبتها غداة الاستقلال 85%[2]، وهذا هو السبب الذي أدى بالسلطة الجزائرية في العشرية الأولى من الاستقلال إلى جلب معلمين من الخارج .

لكن بفضل صمود الشعب الجزائري ووقوفه في وجه سياسات الذوبان والتنصير والفرنسة والتجهيل افشل ما كانت تطمح إليه الإدارة الاستعمارية في جميع محاولاتها ومخططاتها التغريبية، حيث يقول "مصطفى الأشراف" في هذا السياق : «من الأسباب التي جعلت الأهالي يلازمون موقف الحذر من التعليم الفرنسي هو صمود الثقافة العربية»[3].

فمع مطلع القرن العشرين الميلادي بدأت معالم الإصلاح وبوادره تظهر في الجزائر بفضل وصول دعوات إصلاحية إلى مسامع الجزائريين كدعوة "محمد عبده" (ت1905م) و"جمال الدين الأفغاني" و"رشيد رضا" من

[1] – عمار عمورة : المرجع السابق، ص 187.

[2] – عبد الكريم بوصفصاف: المرجع السابق، ص 132.

[3] – المرجع نفسه، ص 131.

خلال وصول جرائد إلى الجزائر كالمؤيد و"اللواء" و"العروة الوثقى" و"المنار" وغيرها من المجلات والجرائد العربية ذات النـــزعة الإصلاحية السلفية أو الوطنية الثورية، التي كانت تدعو إلى يقظة المســـلمين ووحـــدتهم وتطهـــير الإسلام من كل ما علق به من خرافات وأوهام.

وفي هذا الإطار أسس العلامة "عبد الحميد بن باديس" "جمعية العلماء المسلمين الجزائريين"* التي عملـــت على تربية النشء وفق التعاليم الاسلامية وتطهير العقيدة الاسلامية من البدع والضلالات والخرافات التي أحـــدثها رجال الطرقية في الدين الإسلامي، ومحاربة الجهل والآفات الاجتماعية كالخمر والميسر وكل ما يحرمـــه الشـــرع كما عملت على إحياء اللغة العربية التي كانت مهددة في عقر دارها وتقوية الشعور بالشخصية الوطنية والوقوف في وجه سياسة الإدماج، ومن اجل ذلك أنشات عبر التراب الوطني عدة جمعيات ثقافية رغم مضـــايقة ومراقبـــة سلطات الاحتلال لها ففتحت مدارس حرة تدرس العلوم باللغة العربية بلغ عددها سنة 1947م تسعون مدرســـة ومائة وإحدى وثمانين عام 1954م ضمت 40.000 تلميذا، كما استعملت المساجد للوعظ والإرشاد والنوادي والجرائد لنشر أفكارها كالسنة والشريعة والصراط والبصائر والتي كانت تصدر بالعربية[1].

ولقد ساهمت الجمعية في هذا الإطار في تنمية الحس السياسي لدى الكثير من زعماء الثـــورة التحريريـــة دفعت بهم إلى الانضمام إلى "حزب الشعب" ومن بعد إلى صفوف جبهة التحرير الوطني[2].

وبعد الاستقلال أولت الدولة الجزائرية اهتماماً خاصاً بالجانب التعليمي، حيث حققت عدة منجزات في هذا الميدان كدمقرطة التعليم ومجانيته ومحاربة الأمية ببناء المدارس والجامعات وتشجيع البحث العلمي، والاهتمام بالتراث وترقيته وإنشاء المكتبات الوطنية ودور الثقافة الولائية، وعناية واهتماماً منها بالمكتبة باعتبارها الـــذاكرة الجماعية والمصدر الأول للثقافة الوطنية وكذا العالمية تم إنشاء الشركة الوطنية للنشر والتوزيع سنة 1966م. كما أشرفت الدولة على تنظيم عدة ملتقيات وطنية ودولية ثقافية وتاريخية كان أشهرها "ملتقيات الفكر الإسلامي"** التي كانت تعقد في فترة السبعينات إلى بداية التسعينات من القرن الماضي.

---

*- تأسست **جمعية العلماء المسلمين الجزائريين** في إطار تلك الروح الأخوية الاسلامية يوم 05 ماي 1931 في مدينة الجزائر بنادي الترقي كان هدفها دينيا وأخلاقيا صرفا وكان واجبها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وشرح أصول الدين والدعوة إلى الوحدة ، ينظر : شارل روبير أجرون وآخرون: تاريخ الجزائر المعاصرة (1871- 1954)، تر : جمال فاطمي و آخرون ، (مج2) ، (ط1) ، دار الأمة ، الجزائر : 2008 ، ص 534 .

[1] - عمار عمورة : المرجع السابق ، ص 172.

[2] - المرجع نفسه، ص 173.

- **ملتقيات الفكر الإسلامي تعود فكرتها للأستاذ المفكر "مالك بن نبي" الذي اقترح في سبتمبر 1968م فتح أول مسجد في الجامعة المركزية بالعاصمة لتكوين نخبة مثقفة ثقافة إسلامية تتصدى للصراع الفكري ومزاعم اليسار الجزائري وبعد افتتاحه دعا مالك بن نبي إلى إقامة ندوات وملتقيات تعنى بالفكر الإسلامي في الجزائر فأثرت فكرته وصارت العاصمة الجزائرية ومناطقها تشهد سنويا ملتقى عالميا للفكر الإسلامي، ينظر، يحي أبو زكريا: المرجع السابق، ص 11، كانت ملتقيات الفكر الإسلامي الأولى قبل "مولود قاسم" متواضعة تعقد على شكل ندوات صغيرة يدعى إليها عدد محدود من طلاب الثانويات ليستمعوا إلى محاضر قد لا يكون مختصا وبعد تولي مولود قاسم نايت بلقاسم وزارة التعليم الأهلي والشؤون الدينية احدث انقلابا كبيرا في هذه الملتقيات حيث أنشا مديرية خاصة لها بالوزارة واخذ يدعوا إليها صفوة المفكرين والباحثين والمبدعين من القارات الخمس ليبحثوا ويدرسوا على مدار اثني عشر يوما موضوعا محددا يوزع إلى عدة محاور أبرزها محور التاريخ الذي يخصص عادة للمدينة أو المنطقة التي يعقد بها الملتقى، ينظر، يحي بوعزيز: أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، (ط1)، (ج1)، دار الغرب الإسلامي، بيروت: 1995، ص ص (275- 276).

ب: في ولاية ادرار(1930– 2009م):

يمكن القول أنه أصابها ما أصاب الوضع الثقافي في الجزائر من تردي ثم ازدهار وأخيراً ضعف في الفتـــرة الاستعمارية ثم تحسن ملحوظ في فترة ما بعد الاستقلال .

حيث عرف الإقليم التواتي خلال القرنين الخامس عشر والثامن عشر الميلاديين نهضة علمية بسبب قدوم الجماعات العربية التي ساهمت في نشر الدين الإسلامي واللغة والثقافة العربية، وبفضل نمو الحركة التجارية الـــتي عرفها خلال هذه الفترة حيث أدخلت القوافل التجارية معها كتب ومعارف ثقافية إلى الإقليم، مما أدى إلى ظهور حرفة نسخ الكتب في مرحلة تالية والتأليف في مرحلة لاحقة، حيث ظهر في توات علماء أعلام خلال هذه الفترة ساهموا في ازدهار الحياة الثقافية بما بما خلفوه من كتابات من أمثال: الشـــيخ "محمـــد بـــن أب المزمـــري" (ت 1160هـــ)* والشيخ "محمد بن العالم الزجلاوي" (ت 1212هـــ /1797م)** والشيخ "عبد الرحمن البلبالي" (ولد عام 1155هـــ/ 1742م) صاحب "غنية المقتصد السائل" وغيرهم .

ولقد ساعد على تفتح عقول سكان ولاية ادرار وإقبالهم على اكتساب ثقافة العلم جملة من العوامل من منها:

1- **ظهور مراكز علمية داخل الولاية وخارجها**:كانت قبلة للتواتين للاستزادة والاستفادة في نفس الوقت، مثل: مدينة "تمنطيط" التي احتلت مركز الصدارة في النشاط الثقافي والأدبي لكونها كانت تمثل عاصمة الإقليم السياسية والاقتصادية والثقافية، مما جعلها قبلة للمتعلمين والعلماء في نفس الوقت،كما اشتهرت مدن: بودة وملوكة وزاوية كنتة، وأولاد سعيد، وتيميمون، واقبلي بنشاطها الثقافي والتعليمي[1]؛ أما في الخارج فكانت مراكز: تنبكتو بمـــالي وسجلماسة وفاس ومراكش بالمغرب الأقصى مقصداً لطلاب العلم من الولاية وكذا مصر والحجاز، حيث كان يتوقف عندها العديد من التواتيين للاستفادة من علوم علمائها في طريقهم إلى الحج .

فلقد ساهمت هذه المراكز وغيرها في ازدهار النشاط الثقافي والأدبي في الإقليم حيث تخرج منها العديد من أبناء الولاية الذين واصلوا مهمة نشر العلم بين الأجيال بعد عودتهم منها .

2- **ظهور عائلات وقبائل معروفة بالعلم**: فقد أدى ترحال علماء توات طلباً للعلـــم أو الاســـتزادة إلى بـــروز عائلات علمية بقيت محتفظة بالعلم في أسرها كالعائلة البلبالية التي اشتهرت بالعلم والإفتاء والقضاء طيلة القـــرن

---

*- **محمد ابن أب المزمري** : كان من العلماء الأعلام العباقرة البلغاء ولد باولف في قرية أولاد الحاج من بلدية تيمقطن حاليا في العقد الأخير من القرن الحادي عشر للهجرة ، قضى حياته في العلم و التعليم و الإرشاد و التوجيه ، وهو العالم الوحيد الذي ربط بين مناطق توات الثلاثة و غيرها حتى عرف بصاحب الجولان ، كان شاعرا مفلقا بليغا لغويا تصريفيا عروضيا رائق الخط ، خلف أشعار كثيرة و مؤلفات عدة في الفقه و النحو وغيرهما منها: نظم مقدمة ابن أجروم ، شرح الهمزية ، شرح روضة النسرين ، وغيرها توفي عام 1160ه ينظر ، محمد باي بلعالم : الرحلة العلية ، (ج1) ، المصدر السابق، ص ص (89- 90 -91) .

- **محمد بن العالم الزجلاوي: ولد بقصر زاقلو من زاوية كنتة تتلمذ على يد الشيخ عبد الرحمن بن عمى التنلاني ، كان احد رجال الشورى الأربعة في توات له مؤلفات عديدة منها نوازل الزجلاوي ، شرحه على مختصر خليل ، الفتية في غريب القرءان توفي في شوال 1212 هـــ / ابريل 1798 م ينظر، مبارك جعفري : العلاقات الثقافية بين توات والسودان الغربي ، المرجع السابق ، ص 208 .

[1] - فرج محمود فرج : المرجع السابق ، ص 85 .

الثالث عشر هجري/التاسع عشر ميلادي خاصة بعد أن انتقل مركز القضاء التواتي من مدينة "تمنطيط" إلى مدينة "ملوكة" في نفس القرن وقد أنجبت هذه العائلة عدة علماء منهم الشيخ "عبد الله البلبالي بن أحمد الحبيب"* الذي عاصر احتلال الإقليم، والعائلة البكراوية : التي اشتهرت بالعلم والصلاح والقضاء أيضا، حيث تولى أبناؤها قضاء الجماعة التواتية في مركز عاصمة الإقليم (تمنطيط)، وأنجبت هذه العائلة العديد من القضاة الذين لعبوا دوراً كبيراً في حل النـــزاعات، والمشاكل منهم على سبيل المثال: الشيخ "البكري" (ت1919م)** بالإضافة إلى العائلة التنلانية وغيرها من العائلات .

أما بالنسبة للقبائل التواتية التي اشتهرت بالعلم فأشهرها : قبيلة "كنتة" التي لعبت دوراً بـــارزاً في نشـــر الإسلام والثقافة العربية والطريقة القادرية بإفريقيا الغربية، فقد اشتهر رجالها بالعلم والترحال حيث انتقل الكـــثير من علمائها إلى بلاد التكرور مثل : "المختار الكنتي" الكبير وأحفاد الشيخ "محمد أبي نعامة بـــن عبـــد الـــرحمن" مؤسس زاوية أبي نعامة بأقبلي، يضاف إليها قبيلة "فلان" التي ساهمت بدورها في نشر الإسلام في غرب إفريقيـــا وربط أواصر العلاقة بين توات وإفريقيا الغربية، فقد ظهر فيها العديد من العلماء الذين اشتهرت بهم مدينة أقبلي من أولاد بن مالك، وأولاد بلعالم أمثال: الشيخ "حمزة القبلوي" (1259 هـــ-1335هـــ/ 1915م) الـــذي تـــولى التدريس والإفتاء والقضاء بناحية تيديكلت فكانت تعرض عليه المسائل والمشاكل من توات وأزواد فيجيب عنها كما كانت له كلمة نافذة لغرض النصيحة[1]والشيخ"محمد الحسان القبلوي بـــن مالـــك" (1283– 1352هـــ /1934م) الذي كانت له رحلات وجولات في ليبيا ومالي وفي البلاد الجزائرية يفتي ويدرس من خلالها[2]، وكـــذا الشيخ "محمد عبد القادر بلعالم القبلوي" (1298-1372هـــ/1881- 1952م) والد مترجمنا الذي بث العلم في بقاع كثيرة من القطر التواتي وغالب رحلاته كانت إلى مدينة ورقلة لتدريس العلوم وتحفيظ القرآن، بالإضافة إلى الشيخ "محمد عبد الرحمن السكوتي" (1285– 1333هـ/1913م) الذي كان شاعراً وفقيهاً ومعلماً، خرج على يديه الكثير من الطلبة خاصة في مدينة ورقلة التي انتقل إليها لنشر العلم[3]، ومازالت هذه القبيلة إلى يومنا هذا تلد العلماء ولعل أشهرهم في وقتنا الحالي مترجمنا رحمه الله.

---

*- **الشيخ عبد الله البلبالي** (1250- 1329هـ) يقول عنه صاحب قطف الزهرات : «أعجوبة زمانه له القدم الراسخ في أصول الفقه وفروعه والنحو والصرف واللغة وعلم الحديث والتفسير ... تخرج على يده الفحول وانتشرت تلامذته فمنهم القضاة والمدرسون والمفتون» ، ينظر: محمد عبد العزيز سيدي عمر : قطف الزهرات من أخبار علماء توات ، (ط2) ، دار هومة ، الجزائر : 2002 ، ص (43 ، 45).

**- يقول عنه صاحب قطف الزهرات : « الشاعر الناثر اللغوي،الصرفي،الماهر،الفقيه،العالم،العامل... السيد البكري بن عبد الرحمن... كان إذ سئل عن مسألة يقول للسائل تريد الجواب نظماً أو نثراً،وكذلك بالنسبة للوثيقة،ترك عدة مؤلفات منها نظماً عجيباً في التوحيد،شرح لهمزية البصيري،وديوانه العجيب ما أجاب به الشيخ محمد محمود الشنقيطي إمام العلم بالحرمين عن سؤاله الذي سماه (اختبار كل عارف من الباء المعارف) » ، ينظر : محمد عبد العزيز سيدي عمر، المصدر نفسه، ص ص (105 - 106 ، 108).

[1]- محمد باي بلعالم: قبيلة فلان في الماضي والحاضر وما لها من العلوم والمعرفة والمآثر ، (د،ط) ، دار هومة، الجزائر : 2004 ، ص ص (18، 20).

[2] - عبد المجيد قدي: المرجع السابق ، ص ص (90 - 91) .

[3] - محمد باي بلعالم: قبيلة فلان ، المصدر السابق ، ص 47 .

3- ازدهار المؤسسات التعليمية: والتي يأتي في مقدمتها **المساجد:** فإلى جانب كونها مكان العبادة كانت أيضا مكانا لتعليم أمور الدين وقواعد الشريعة، حيث كان يقبل طلاب العلم على المساجد الصغار منهم والكبار للاستماع لحلقات المشايخ ودروس الوعظ والإرشاد مما كان له انعكاس واضح على التكوين الديني والعلمي لسكان المنطقة والى جانب المسجد نجد **الكتاب أو المحضرة**[*] : الذي عادة ما يكون مُلحق بالمسجد، يتلقى فيه الأطفال مبادئ أولية في التعليم الديني كقواعد الإسلام وكيفية الصلاة والكتابة على يد الإمام، أو معلمين متخرجين من الزوايا (طلّبة)[**] والتعليم ضمن هذه الحلقات هو في غاية الكثافة إذ يستغرق كامل اليوم لذا يمكن القول بأن الكُتاب يقوم بمهمة المدرسة الابتدائية في التعليم الحكومي؛ بالإضافة إلى **الزوايا**[***] التي تعتبر معلماً بارزاً في حياة المجتمع الادراري لما تؤديه من أدوار تنسجم مع خصوصياته كإيواء أبناء السبيل وتهذيب السلوك وتعليم الأفراد إلى حد أن بعض القصور والأحياء في الولاية أخذت أسم زاوية، مثل زاوية الشيخ المغيلي زاوية الرقاني زاوية كنتة، زاوية حينون، زاوية أبي نعامة الكنتي، الزاوية البكرية،....الخ .

فكلها أسهمت في تخريج العديد من العلماء والمشايخ، الذين ساهموا – ولازال أبناؤهم إلى اليوم- في نشر العلم والقضاء على الأمية في أوساط العامة وتعريفهم بدينهم وشريعتهم لذا توافد عليها طلاب العلم من كل مكان من داخل وخارج الوطن، وكانت الزوايا في هذا الإطار تمتلك خزائن من الكتب تضم عناوين متنوعة وفي شتى التخصصات المعرفية وخصوصاً الدينية مثل: الشروح للكتب الفقهية، والقصائد الشعرية والدواوين الأدبية بالإضافة إلى كتب التاريخ والجغرافيا والمنطق تعد مصدراً ووسيلة مساعدة للرجوع في أثناء عملية التدريس لتعميق المعلومات المأخوذة، ومن أشهر خزائن المخطوطات التي تزخر بها الولاية والتي تحتوي على ما يزيد عن ثلاثة آلاف (3000 مخطوط) في مختلف العلوم الفقهية واللغوية والأصولية وفي علم الفلك والتفسير[1]: خزانة ملوكة – خزانة كوسام –خزانة باعبد الله – خزانة أولاد سعيد – خزانة المطارفة – خزانة انزجمير – خزانة اقبلي – خزانة تمنطيط – خزانة أولف للعلامة "محمد باي" – خزانة تنيلان؛ وهذه الخزائن العشر هي من ضمن أكثر من خمسين خزانة متواجدة بالولاية[2].

---

*- **الكتاب** : مشتق من التكتيب وتعليم الكتابة وهناك من يطلق على الكتاب المحضرة وتطق هذه الكلمة بالظاء المشالة ، وإذا كان أصلها ضاداً فقد يكون اشتقاقها من الحضور كما يمكن أيضاً أن يأتي اسمها من الحظيرة التي يبنى فيها التلاميذ خيم التدريس : ينظر المختار ولد أباه ، الشعر والشعراء في موريتانيا ، (ط2) ، دار الأمان ، الرباط : 2003 ، ص 28 .

- **الطلبة : درجتهم اقل من درجة شيوخ الزوايا لانهمك انو فيما مضى تلامذة عندهم ، وقد تجد الطالب أحيانا يزاوج بين وظيفة التعليم والإمامة .

***- تنقسم الزوايا بالمنطقة إلى ثلاثة أصناف هي: 1- الزوايا العلمية : عبارة عن مدارس أقيمت لتعليم الناس أمر دينهم واستقبال الطلبة من خارج المدينة والتكفل بإيوائهم وإطعامهم 2- الزاوية الخيرية : عبارة عن مبنى أقيمت لاستقبال الضيوف وأبناء السبيل و العابرين للمنطقة .3- الزوايا الصوفية : وهي عبارة عن معاقل لأتباع الطرق الصوفية يجتمعون فيها ويرددون فيها أورادهم وأذكارهم ويمارسون فيها طقوسهم، وهي غير مترسخة في المنطقة بشكل كبير والقسم الأول والثاني منها يعتمد على الأملاك الموقوفة وتبرعات أهل الخير من الناس ينظر، عبد المجيد قدي : المرجع السابق، ص ص (204 - 205).

[1] – مبروك المصري : (مفردات المدرسة الفقهية التواتية المالكية) ، الملتقى الدولي الثالث عشر : المذهب المالكي تاريخ وآفاق ، (د،ط) ، المطبعة العربية غرداية : 2010 ،ص ص (442 - 443).

[2]- احمد جعفري : المرجع السابق ، ص 41 .

فقد ساهمت هذه العوامل مجتمعة وغيرها من العوامل كنشاط القوافل التجارية ورحـــلات الحجـــيج إلى المشرق في تكوين ثقافة الإنسان التواتي خاصة الدينية، حيث انكب معظم علماء الولاية سواء في العصور السابقة أو حتى الحديثة على دراسة المواد الشرعية والتأليف فيها، وهو ما يجعلنا نحكم بأن ثقافة المجتمع التواتي لم تخرج عن إطار تعليم العلوم الدينية التي سادت في بلاد المغرب منذ فتح الإسلامي.

ولقد شهد الوضع الثقافي في إقليم توات تدنياً وتراجعاً بنهاية القرن الثامن عشر الميلادي وحلول القـــرن التاسع عشر حيث تجمدت فكرة الكتابة واضمحل الإنتاج الفكري، وظهر فيما يكتب الضعف اللغوي والبنيوي وسيطرت الدارجة والعامية على كثير من الكتابات وعادت الثقافة إلى مرحلتها الأولى (مرحلة النسخ)[1]؛ وبنهاية القرن التاسع عشر ودخول القرن العشرين الميلادي زاد الوضع الثقافي تدنياً، إذ بعد احتلال الإقليم أفل نجم العديد من المراكز الثقافية خاصة الزوايا بعدما اكتشف الاستعمار الدور الذي كانت تلعبه من نشر الوعي، والمحافظة على عناصر الهوية الوطنية من دين ولغة وأخلاق، وتحريض الناس على الجهاد وتهديم ما كان يبني الاســـتعمار حيـــث توصل النقيب "دونوفو" (Deneu veu) أحد أعضاء اللجنة العلمية حول المقاومة الوطنية في بحثـــه عـــن دور الزوايا إلى أن :(الزوايا مراكز للتآمر وإشعال فتيل التمرد وهي معادية للوجود الفرنسي وتحظى بكثير من الاحترام بين الأهالي)[2]،كما جاء في إحدى نصوص الاستعمار التي سجلها عن دور الزوايا ما يلي: (تسعى الزوايا التي يدير معظمها مقدمون من مختلف المذاهب إلى إفساد عقول الأجيال المقبلة، وذلك ببث عدم التسامح الديني في قلوب الشباب وحملهم على كراهة الكافر....)[3].

لذا تعرضت لمضايقات الاستعمار الفرنسي حتى غابت أسماء العديد منها،كزاوية أقبلي التي كانت قبلـــة لطلبة العلم، وزاوية تنيلان، وزاوية ملوكة، وزاوية مولاي هيبة، وزاوية المغيلي، وزاوية تمنطيط، وغيرها فتراجـــع دورها وتأخرت عن تأدية مهامها التعليمية، حيث انحصر النشاط التعليمي علـــى الكتاتيـــب، وحـــتى بالنســـبة للمخطوطات التي كانت تحويها هذه الزوايا لم تسلم من أيادي المحتل، إذ تعرضت لعملية النهب، حيث قامـــت السلطات الفرنسية بأخذ العديد من مؤلفاتها كما حدث مع خزائن: زاجلو، وزاوية كنتة، وأقبلـــي، وملوكـــة وغيرهم[4]، حيث تم نقلها إلى خزائن ومخطوطات ما وراء البحر، فلم يسلم منها إلا ما اندس من طرف اصحابها .

إلا أنه على الرغم من هذا الوضع المتدني الذي عرفته الحياة الثقافية في الإقليم خلال الحقبة الاســـتعمارية إلا أن هذا لم يمنع أبنائه من مواصلة عملية التحصيل العلمي والهجرة إلى طلب العلم، فقد ظهر فيه علماء أفـــذاذ تصدوا لمحاولات الاستعمار الفاشلة في القضاء على الدين واللغة العربية من أمثال: الشيخ "حمزة القبلوي" والشيخ

[1] – مبروك مقدم : مدخل منوغرافي في المجتمع التواتي ، المرجع السابق ، ص 76 .

[2] – محمد العربي ولد خليفة : الجزائر المفكرة التاريخية ، (ط1) ، شركة دار الأمة ، الجزائر : 1998 ، ص ص (218 – 219) .

[3] – ايفون تورين : (الأشكال الرئيسية للمقاومة في الجزائر إبان القرن التاسع عشر) ، محاضرات وتعقيبات الملتقى السادس للتعرف على الفكر الإسلامي (مج1) ، منشورات وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر : 1972 ص 255 .

[4] – أحمد جعفري : المرجع السابق ، ص 40 ، ويذكر الأستاذ المصري مبروك : بأنه بلغ عدد المخطوطات الإجمالي بها 27000 مخطوط وذلك قبل عملية النهب أما الآن فهي تزيد عن 3000 مخطوط : ينظر مبروك المصري : (مفردات المدرسة الفقهية التواتية المالكية) ، الملتقى الدولي الثالث عشر المذهب المالكي تاريخ وآفاق ، المرجع السابق ، ص ص (442 – 443).

"عبد الرحمن السكوتي" الذي خلف تلامذة عدة في ورقلة وتيديكلت والشيخ "محمد الحسان القبلوي" والشيخ "أحمد ديدي التمنطيطي"* والشيخ الطالب "محمد التهامي حينوني" (1889- 1985م)، والشيخ "عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق التمنطيطي البكري" قاضي تمنطيط، و"محمد بن محمد بن أحمد الحبيب البلبالي" (ت1354هـ/ 1954م) والشيخ "البكري بن عبد الرحمن" (1262-1339هـ/1919م)، بل واستطاع بعضهم الانتقال إلى خارج الإقليم لنشر العلم من أمثال: "الطالب التهامي حينوني" الذي انتقل إلى أرض الهقار أين تولى الإمامة والتدريس والإفتاء بتمنراست فتصدى لذلك بالمسجد العتيق ويحسب له أنه أول من أقام الجمعة بمدينة تمنراست، وهناك شن حملة على البدع والخرافات فأنتج جيلاً سار على دربه ونهجه[1]، والشيخ "محمد عبد القادر بلعالم" الذي على الرغم من مضايقات السلطات الاستعمارية إلا أنه استطاع أن يتنقل ما بين تيديكلت وورقلة لنشر العلم ومحاربة البدع فخلف هناك تلامذة عدة لازالوا إلى يومنا هذا يدينون له بجهوده التعليمية .

ومنهم أيضا الشيخ "أبو القاسم التواتي" (1905-1981م) الذي هاجر إلى تشاد ومنها إلى السودان الشرقي أين عين إمام هناك ثم رجع إلى تشاد فدرس وأفتى حوالي سبعة عشر عاماً ثم عين قاضياً شرعياً لمدة ثمانية أعوام وخلف عدة كتب في الفقه المالكي[2] وغيرهم من العلماء والمشايخ؛ فقد تخرج على أيادي هؤلاء العلماء جملة من الطلبة واصلوا مهمة أشياخهم من بعدهم في نشر العلم والتصدي لمحاولات الاستعمار الفرنسي التضليلية. فقد استطاع مثلاً الشيخ "محمد بن الكبير" احد تلامذة الشيخ "احمد ديدي التمنطيطي" من تأسيس مدرسة لتعليم العلوم الدينية بولاية ادرار في ظل السيطرة الاستعمارية تخرج منها العديد من طلبة العلم الذين أسسوا بدورهم مدارس على غرار المدرسة الأم بعد الاستقلال، ومنهم من واصل مهمة التدريس في الكتاتيب،كما استطاع الشيخ "احمد الطاهري" السباعي الإدريسي المغربي الذي نزل بتوات الوسطى في بداية الأربعينيات من القرن الماضي من إنشاء مدرسة دينية لتعليم مختلف العلوم الشرعية بقرية "سالي" من ضواحي رقان كانت مقصداً للعديد من طلبة العلم ومن مختلف مقاطعات الولاية الثلاثة، تخرج من رحمها الكثير من التلاميذ الذين واصلوا رسالة شيخهم في نشر العلم وتنوير العقول، والقضاء على البدع فأسسوا مدارس على غرار المدرسة "الطاهرية" الأم، ولعل من أبرزهم مترجمنا الشيخ "محمد باي بلعالم" الذي أسس مدرسته في بداية خمسينات القرن الماضي .

ولقد تعرض كل من الشيخين "احمد الطاهري"، و"محمد بن الكبير" لمضايقات ومتابعات الإدارة الفرنسية إذ يذكر الشيخ "احمد الطاهري"[3] عن نشاطه التعليمي والموقف الفرنسي منه انه لما استقر بسالي وانشأ مدرسته الطاهرية: "أصبح الطلبة يتوافدون عليها من كل حدب للتعلم، وان الناس كانوا يقبلون عليه للإفتاء وان مدرسته

*- **احمد ديدي التمنطيطي** : ولد سنة 1298هـ/ 1878م اخذ علومه عن الشيخ عبد الله البلبالي بكوسام، توفي يوم 16 شوال 1370هـ/ 1951م من تلامذته محمد بن الكبير، احمد بن عبد الرحمن، عبد الرحمن ايدواعلي الشنقيطي، ينظر : التهامي غيتاوي : الإشراق الكبير في ذكر جملة من فضائل ومآثر ومواقف وكرامات الشيخ محمد بن الكبير ، د،ط ، منشورات المؤسسة الوطنية للاتصال، الجزائر، 2002 ، ص ص (15- 16- 19)

[1] - عبد المجيد قدي : المرجع السابق ، ص ص (102- 103).

[2] - حمزة أبو فارس أبو بكر الاجوري: (الشيخ أبو القاسم التواتي ومساهمته في نشر المذهب المالكي والمحافظة عليه)، الملتقى الدولي الثالث عشر المذهب المالكي تاريخ وآفاق ، المرجع السابق ، ص444.

[3] - المصدر السابق ، ص53 .

كانت تسعى في سبيل تعليم الطلبة العلوم والمعارف المختلفة، وإطعام الطعام للمساكين وأبناء السبيل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومقاومة البدع وأهلها، والإصلاح بين الناس وتنبيههم على دسائس الاستعمار ومكايده" وهو ما سبب له مضايقات من طرف الإدارة الفرنسية إذ اخبرنا تلميذه "عبد الرحمن حفصي"[1]: «بان القائد العسكري برقان انذاك "ميلكو" كان كثيراً ما يتردد على مدرسة شيخه "احمد" أين كان يطرح عليه عدة أسئلة مثل الأماكن التي قدم منها التلاميذ ؟ والمواد المدرسة ؟ وعن الأسباب التي جعلته يفتح المدرسة ؟ وغيرها من الأسئلة» وهو ما أخبرنا به أيضا تلميذه الشيخ "احمد بن المختار البوسعيد"* إذ اخبرنا: (بان الإدارة الفرنسية كانت تمارس ضغط كبير على شيخه "احمد"، خاصة بعد اندلاع معارك العرق الغربي الكبير عام 1957م عقب امتداد الثورة إلى الصحراء، حيث كان القبطان الفرنسي "ميلكو" يسأله عن طلبة تيميمون الذين كان يقوم بطردهم واصفاً إياهم بأبشع الأوصاف مثل: (الفلاقة...) كما كان يتم نقله أحيانا إلى رقان أو مدينة ادرار للاستجواب) [2]

وعلى الرغم من جهود الشيخ "محمد عبد القادر بلعالم" و الشيخ "مولاي احمد الطاهري" والشيخ "محمد بن الكبير"وغيرهم من مشايخ الإقليم من الحفاظ على مقومات المجتمع التواتي وتصحيح عقيدته خلال الفترة الاستعمارية، إلا أن الوضع الثقافي ظل متدنياً إذ ساد في المجتمع التواتي عادات وتقاليد لا تتماشى مع الدين كما كان يحدث في مواسم الزيارات من أمور مخالفة للشرع إلى غير ذلك، لذا كانت حركتهم الإصلاحية تحتاج إلى وقت وفترة زمنية طويلة لتتمكن من إصلاح ما دسه الاستعمار في أوساط الناس وما توارثوه عن الأجداد .

وبزوال السيطرة الاستعمارية واسترجاع الجزائر استقلالها واصل تلاميذ الشيخ "الطاهري"، والشيخ "محمد بن الكبير" عملية الكفاح والإصلاح التعليمي والتربوي حيث تمكنوا من تأسيس عدة زوايا لتعليم العلوم المختلفة بما فيها الشرعية حتى اتسعت دائرة الزوايا في ولاية ادرار على ما كانت عليه سابقاً، وعاد بعضها للحياة من جديد حيث أصبحت تحتوي على اثنين وعشرين زاوية دينية ذات نظام داخلي**، فضلا عن الزوايا ذات النظام الخارجي أو الملحقة بالمساجد؛ ولا زالت هذه الزوايا- إلى يومنا هذا - تؤدي وظيفتها في التربية الروحية والسلوكية والتعليمية وإيواء طلبة العلم وأبناء السبيل وإصلاح المجتمع من خلال فض النزاعات والخصومات، لذا توافد عليها طلاب العلم من كل مكان من داخل وخارج الوطن بل ومنها من تسعى إلى التعليم وفق ما يتماشى مع تطورات العصر بإدخال عدة أساليب، ووسائل حديثة كزاوية الشيخ "محمد باي بلعالم"، وزاوية "اوقديم" للشيخ "مولاي التهامي غيتاوي" وزاوية رقان مما ينعكس على تطوير الفكر وبلورة النقد لدى العلماء والطلبة .

ولقد أثبتت الزاوية بدورها- في وقتنا الحالي —حضورها المتميز كمؤسسة ثقافية دينية من خلال مشاركة طلابها ومشايخها في مختلف التظاهرات المحلية، والوطنية وحتى الدولية (ندوات، ملتقيات، محاضرات، مسابقات..) ومن خلال توظيف متخرجيها من طلبتها في مختلف الوظائف الدينية، إلا أنها لا زالت إلى يومنا

---

[1] – المقابلة السابقة .

* – **احمد بن المختار بوسعيد** : هو احد زملاء الشيخ محمد باي بلعالم في الدراسة بالمدرسة الطاهرية بسالي من رقان .

[2] – مقابلة شخصية ، بمنزله : قصر عبد الواحد (بلدية سالي) : بتاريخ السبت 26 نوفمبر 2011 .

**– ينظر الملحق رقم : 17.

هذا تستمد مواردها المالية من ريع الاحباس المالية والعقارات، ومن الهبات والمنح التي يقدمها لها ذوو البر والإحسان – كما كانت عليه في السابق – بل وفي الآونة الأخيرة لم تعد تنتفع بالبساتين ومحصولاتها نظرا لضعف النخيل وقلة المياه مع ما تتطلبه الفلاحة من عمل شاق[1]، وهذا ما يفسر تأخر الكثير منها عن تأدية مهامها التعليمية.

وعلى الرغم من التهميش الذي طال الزوايا خاصة في الحقبة الاستعمارية، إلا أنها ساهمت كما يقول الشيخ "محمد باي"[2]:« في القضاء على الأمية بين الشباب والكهول والشيوخ الذين تحصوا منها على معلومات لا باس بها في العلوم الشرعية »،كما أنها ساهمت في الحفاظ على العقيدة والمبادئ الاسلامية الصحيحة بالتصدي لحملات التغريب والفرنسة والتبشير والذوبان التي شنها الاحتلال الفرنسي خلال الحقبة الاستعمارية، وهي لا تزال تعمل على تخريج العلماء والفقهاء والدعاة المجاهدين في سبيل الله من اجل حماية الدين، والذود عن العقيدة الاسلامية وصيانة القيم الاسلامية والأخلاق الفاضلة ونشر الخير والحب والسلام، ومقاومة الظلم والعدوان لذا تعمل على مواكبة تطورات العصر لتضمن بقاءها واستمرارها.

والى جانب اتساع دائرة الزوايا في ولاية ادرار اتسعت معها دائرة المساجد حيث يوجد في الولاية مائتان وثلاثة وخمسون مسجدا تقام فيه صلاة الجمعة ومائتان وسبعة وثمانون مسجدا للصلوات الخمس[3]حسب (2005م) وهو ما يدل على عناية الدولة واهتمام المسؤولين بإنشاء المراكز الدينية،كما اتسعت دائرة المدارس الحكومية حيث يوجد بالولاية حالياً أكثر من مائتين وأربع وتسعين ابتدائية وسبعين متوسطة وخمس عشرة ثانوية[4]، إذ تساهم هذه المدارس إلى جانب الزوايا العلمية في التحصيل العلمي والقضاء على الأمية والجهل، والى جانب هذا فان الولاية تضم مراكز علمية عصرية كان لها انعكاس واضح بشكل أو بآخر على المستوى العلمي والثقافي لسكانها مثل :

1– الجامعة الإفريقية: التي أنشئت منذ ثمانينات القرن الماضي فهي تعد مؤسسة علمية تسهم في التواصل العلمي بين منطقتي توات وسائر ربوع الوطن من جهة،كما تسهم في التعريف بالمنطقة عن طريق علاقاتها بمختلف الجامعات ومراكز البحث داخل الوطن وخارجه من جهة أخرى،كما تعد أيضا فضاء مهماً للانفتاح على الثقافة الإفريقية[5]. وهذا من خلال ما تقوم به من دور تعليمي ومن خلال تنظيمها لعدة ملتقيات وعقدها لعدة محاضرات وندوات للتعريف بالإقليم وأهميته، ومن خلال ما تخرج منها من جموع غفيرة من الطلبة التحق معظمهم بإطارات الدولة المختلفة .

[1] – محمد باي بلعالم : (أهداف نشأة الزوايا وواقعها في المنطقة) ، الملتقى الوطني الأول للزوايا المنعقد بادرار : المصدر السابق ، ص07.

[2] – المصدر نفسه، ص 8.

[3] –محمد باي بلعالم : الرحلة العلية ، (ج2) ، المصدر السابق، ص215.

[4] – المصدر نفسه، ص393 .

[5] – محمد الدباغ : (عوامل بناء العلاقات التواتية المغربية والإفريقية قديما وحديثا)، الملتقى الوطني الأول، العلاقات الحضارية بين إقليم توات وحواضر المغرب الإسلامي، المرجع السابق ، ص117 .

2- المركز الوطني للمخطوطات: الذي انشأ بسبب ما لحق مخطوطات الولاية من إهمال ومشاكل سواء طبيعية، أو ترجع لأصحابها كحفظها بدون عناية مما يسلمها إلى عادية الزمن (الأرضة، الرطوبة) أو تمسك أصحابها بها باعتبارها ملكا كالأرض الموروثة لا يحق لأحد أن يقترب منها وبالتالي يفضلون الإبقاء عليها كما هي تبركا بها[1] لذا عملت مديرية التراث لوزارة الثقافة والاتصال كل ما في وسعها لتأسيس مركز وطني للمخطوطات بولاية ادرار لاستغلالها بطرق معصرنة لان الوضعية التي عليها الآن غير كفيلة بحفظها وجمعها وترتيبها مع صعوبة العوامل المناخية والجوية والحفظ السيئ لها أحيانا، لذا أنشئ هذا المركز لخدمة هذا التراث العظيم لكونه يعد شاهد على جهود المتقدمين وبهذا يمثل هذا المركز معلماً ثقافياً مهماً يُسهم في الحفاظ على التراث المحلي وإحيائه وبذلك هو يمثل همزة وصل بين الباحثين وأرباب الخزائن[2] .

3- دار الثقافة: التابعة لوزارة الثقافة فهي تعد من أهم المراكز الثقافية بالولاية إذ تعمل إلى جانب تثقيف المواطن على إظهار الإبداعات الفنية، والعلمية وتنمية المواهب المختلفة في مختلف الفنون من خلال ما تنظمه من معارض لكتب وحفلات ومسارح ....الخ .

بالإضافة إلى الجمعيات المختلفة كجمعية "الأبحاث والدراسات التاريخية" بولاية أدرار التي تهتم بتراث وتاريخ والجوانب الثقافية للولاية من خلال ما تعقده من ملتقيات ونشاطات علمية وثقافية، وغيرها من الجمعيات التي تنشط داخل الولاية وحتى خارجها والتي ساهمت بشكل أو بآخر في تنوير العقول وتوعية وتثقيف المواطن الأدراري.

[1] - بشار قويدر، حساني مختار : مخطوطات ولاية ادرار، (د،ط) ، مطبعة عمار قرفي، باتنة : د،ت ، ص 12 .

[2] - محمد الدباغ : (عوامل بناء العلاقات التواتية المغربية والإفريقية قديما وحديثا) ، الملتقى الوطني الأول: العلاقات الحضارية بين إقليم توت وحواضر المغرب الإسلامي، المرجع السابق ، ص 118 .

خاتمة الفصل :

مما سبق عرضه وتحليله في هذا الفصل يمكن استخلاص عدة نتائج أهمها :

أولاً– أن الموقع الجغرافي الممتاز لإقليم توات (ولاية ادرار حاليا) اكسبه أهمية جغرافية واقتصادية وحضارية، إذ كان يمثل معبراً ومحطة لأبرز الطرق التجارية القادمة من الشمال إلى الجنوب أو العكس، ومن الشرق إلى الغرب والعكس ما جعل منه محل أطماع الدويلات المتعاقبة على المغرب الأقصى من الموحدين إلى العلويين الذين حاولوا بسط سيطرتهم عليه، كما جعل منه محل أطماع الفرنسيين أيضا خاصة بعد اكتشافهم للدور الحضاري والاقتصادي الذي كان يقوم به لذا عجلوا باحتلاله مع مطلع القرن العشرين .

ثانياً– أن الوضع السياسي للجزائر في عصر محمد باي بلعالم ميزه سيطرة السلطات الاستعمارية على مقاليد الحكم فيها وحتى بعد ظهور الحياة السياسية بها في بداية العشرينات من القرن الماضي، إلا أنها كانت تشهد فراغاً سياسياً نتيجة اضطهاد وقمع الإدارة الفرنسية لزعماء الحركة الوطنية وهو ما أدى بالشعب الجزائري إلى تفجير الثورة المسلحة نوفمبر 1954م، وبعد استقلالها استرجعت الجزائر سيادتها الوطنية وهو ما سمح لها بإدخال جملة من الإصلاحات السياسية كوضع دستور للبلاد وانتخاب المجالس البلدية والولائية وإقرار التعددية الحزبية وغيرها من الإصلاحات لضمان حسن تسيير البلاد.

ثالثاً– أن الاحتلال الفرنسي لإقليم توات تم بالتدرج عبر سلسلة من البعثات الاستكشافية غير المحسوبة قادها مغامرون أوروبيون وفرنسيون تحت غطاء البحث العلمي أحيانا، أو بدعوى التجارة والاستكشاف أحيانا أخرى سرعان ما انتهت باحتلاله مع مطلع القرن العشرين الميلادي .

رابعاً– عانى سكان إقليم توات ما عانى منه إخوانهم في الشمال من مرارة الاستعمار خاصة بعد اندلاع الثورة التحريرية المظفرة (نوفمبر 1954م) التي احتضنوها وعبروا من خلالها عن رفضهم للاحتلال الغاشم بشنهم لمعارك العرق الكبير (كانتفاضة حاسي صاكة اكتوبر 1957م ومعركتي حاسي تاسلغة وحاسي غنبو نوفمبر 1957م) التي كبدوا فيها قوات العقيد "بيجار" خسائر فادحة فضربوا بهذا مثالاً للشجاعة والتضحية في سبيل حرية الوطن مما جعل فرنسا تصب جام غضبها عليهم بتحويل المنطقة إلى حقل للتجارب النووية .

خامساً– أن الأوضاع الاقتصادية للجزائر بصفة عامة وولاية ادرار بصفة خاصة شهدت تدهوراً كبيراً خلال الحقبة الاستعمارية نتيجة استيلاء السلطات الاستعمارية على خيرات الجزائر وتحكمها في طرق التجارة الصحراوية وهو ما انعكس سلباً على الأحوال الاقتصادية والاجتماعية وحتى الثقافية بالجزائر، إذ توالت الأزمات الاقتصادية عليها كأزمة 1929م وأزمة 1944م مما أدى إلى تفشي المجاعة والفقر والجهل والأمراض بين سكانها في ظل قلة المراكز الثقافية والمرافق الصحية، أما بعد الاستقلال فقد عرفت الجزائر انتعاشاً اقتصادياً ملحوظاً نتيجة اهتمام الدولة بهذا المجال مما كان له انعكاس واضح على تحسن المستوى المعيشي لسكانها.

سادساً – ساهمت سياسة التمييز والتفرقة التي مارستها فرنسا في الجزائر إبان الاحتلال في ظهور مجموعتين داخل الجزائر مختلفتين دينياً وثقافياً ولغوياً هما مجموعة الأوروبيين التي حظيت بمختلف الامتيازات بما فيها الأراضي

والجنسية الفرنسية ومجموعة الجزائريين المسلمين التي ظلت محرومة من كل الحقوق السياسية والمدنية وهو ما أدى إلى اتساع الهوة وشاسعتها بين المجموعتين، وبعد الاستقلال اضطرت المجموعة الأولى إلى الفرار خوفا من انتقام الجزائريين، وبهذا تخلصت الجزائر من صراع عرقي مستقبلي، وبرحيل المستوطنين الأوروبيين عملت الدولة الجزائرية على النهوض بجميع قطاعاتها بما فيها الصحة والتعليم لضمان مستوى معيشي جيد لأفراد شعبها الذين يتجاوز عددهم حالياً الخمسة والثلاثين مليون نسمة.

سابعاً– يرجع تعمير ولاية أدرار إلى فترات زمنية بعيدة موغلة في القدم وهذا ما دلت عليه بقايا الرسومات في المغارات المتواجدة في أماكن عدة من الولاية التي يتشكل سكانها حالياً من أجناس مختلفة كالبربر والعرب والأفارقة نزحوا إليها من مناطق عدة وفي أزمنة مختلفة، تجمعهم روابط دينية واجتماعية واقتصادية ومصالح مشتركة على الرغم من اختلاف أعراقهم .

ثامناً– شهد الوضع الثقافي بالجزائر خلال الحقبة الاستعمارية خلخلة كبيرة فقد تفشت الأمية في الأوساط الجزائرية كنتيجة لسياسات الفرنسة والتنصير والذوبان التي انتهجتها فرنسا في الجزائر، ومع مطلع القرن العشرين الميلادي بدأت تظهر في الجزائر بوادر لنضال فكري وسياسي مما ساهم في تفتح عقول الجزائريين وإقبالهم على اكتساب الثقافة العربية الإسلامية خاصة بعد تأسيس "جمعية العلماء المسلمين الجزائريين" التي لعبت الدور الكبير في إعداد جيل أول نوفمبر 1954م، وبعد استقلال الجزائر أولت السلطات الجزائرية عناية خاصة بالجانب التعليمي التربوي فقامت بتحقيق جملة من المشاريع للنهوض بقطاع التعليم كبناء المدارس والجامعات ودور الثقافة....

تاسعاً– شهد إقليم توات ازدهاراً ثقافياً في فترة ما قبل الاحتلال نتيجة نشاط مؤسسات التعليم كالزوايا والمساجد والكتاتيب فبرز فيه عدة علماء أسهموا في إشعال بصيص النور في هذا الجزء من الجنوب الجزائري الكبير، إلا انه سرعان ما تردت الأوضاع الثقافية به نتيجة السيطرة الاستعمارية على الإنسان والأرض معا فتأخر بذلك دور الزوايا به حتى اختفت أسماء بعضاً منها كانت قد اشتهرت في الماضي كالتنلانية والقبلوية وغيرهما وبعد استقلال الجزائر شهدت ولاية أدرار ازدهاراً ثقافياً ملحوظاً نتيجة اهتمام الدولة بالتعليمين الديني والحكومي إذ اتسعت دائرة المؤسسات الدينية وإلى جانبها الحكومية مما كان له الأثر الواضح على التكوين الثقافي للمواطن الادراري.

الفصل الثاني

الشيخ محمد باي بلعالم نسبه ونشأته

(1930- 2009م)

مقدمة

المبحث الأول: نسب محمد باي بلعالم

المبحث الثاني: محمد باي بلعالم المولد والنشأة (1930- 2009م)

المبحث الثالث: محمد باي بلعالم طالبا للعلم

خاتمة

مقـــدمة الفصل:

يتناول هذا الفصل بالدراسة نسب، ونشأة الشيخ محمد باي بلعالم احد أبرز علماء توات المعاصرين، بل واحد ابرز علماء الجزائر أيضا، الذين تركوا بصماتهم لما خلفوه من مؤلفات وكتب .

وسأتطرق أولاً إلى التعريف بنسب محمد باي بلعالم الفلاني بتعريف قبيلة فلان التي يعتبر سليلها مع عرض الروايات والأقوال المتضاربة في أصلها وأماكن تواجدها في القارتين الإفريقية والأسيوية.

ثم سأتناول بعد ذلك مولد ونشأة محمد باي بلعالم خلال العقد الثالث من القرن الماضي من خلال إعطاء لمحة وجيزة عن الأوضاع العامة التي صاحبت ولادته سواء في العالم أو في الجزائر أو في إقليم توات، مع ذكر بعضاً من جوانب حياته الأسرية وصفاته وأخلاقه، لاستخلاص العوامل التي ساهمت في صقل موهبته وفي تكوين شخصه وفي ترجمة مواقفه سواء الدينية منها أو العلمية أو الاجتماعية .

كما سأتطرق إلى تتبع مراحل تعلمه ابتداء من مرحلة الكتاب إلى مرحلة الزاوية فالإجازة، مـــع ذكـــر شيوخه واجازاته ومذهبه وفكره لكونهما يعكسان لنا جهوده واسهاماته في خدمة مذهبه، وعلاقته بشيوخ عصره من الوطن وخارج الوطن وإبراز آرائهم فيه ثم وفاته رحمه الله .

فمن هو محمد باي بلعالم ؟ وما هي العوامل التي أهلته لتبؤ منصة الإصلاح ؟ .

الشيخ محمد باي بلعالم

المبحث الأول: نسب محمد باي بلعالم :

ينتسب "محمد باي بلعالم" إلى "قبيلة فلان" التي تشكل احد العناصر الوافدة إلى إقليم توات كما سبقت الإشارة إليه، بل واحد العناصر المشكلة للتركيبة الاثنية للمجتمع الادراري والتي تحظى بمكانة محترمة بين أهله لما اشتهرت به من علم ومعرفة، وسنحاول في هذا المبحث التعريف بالقبيلة الفلانية التي ينحدر منها مترجمنا بالبحث عن أصلها وأماكن تواجدها.

أولا – التعريف بالفلان :

اختلف المؤرخون والباحثون في أصل القبيلة الفولانية،كما اختلفوا أيضا في معنى كلمة "الفلان" نظراً لتعدد ألفاظها ففي موسوعة "قبائل العرب" جاء أن فُلاَنُ يقال لهم الفُلاَنَ والفُلاَنَةُ والفَلاَتَةُ والفَلاَشِفةُ، والتكارِيرُ والتكَارِنُ والهَالُ، وهم أكبر القبائل في إفريقيا حيث ينتشرون من البحر الاحمر إلى المحيط الأطلسي[1]، وجاء في (دائرة المعارف الإسلامية) أن للفلان عدة تسميات منها:

الفلبي – كما يسميهم الماديقو، الفلاني – كما يسميهم الهوسا*، الفلاتة – كما يسميهم الكنوري وقبائل بحيرة تشاد وسكان وادي النيل، والفُلان – كما يمسيهم العرب[2]، أما أهل شنقيط (موريتانيا) فيعرفون عندهم باسم (أفلان) وفي مصر والسودان والجزيرة العربية يطلقون عليهم اسم (فلاتة)[3].

نلاحظ تعدد واختلاف لفظ كلمة "فلان" عند قبائل إفريقيا الغربية وعند العرب، فهناك من ينطقها بفتح حرف الفاء وآخرون بضمه مع تشديد حرف اللام، وهناك من غير لفظها تماماً إلى لفظ آخر مثل: التكارير والفلاشفة والتكارن كما جاء في "موسوعة قبائل" العرب لعبد الحكيم الوائلي؛ إلا أن المتتبع لهذا الاختلاف يتضح له بأنه ما هو إلا اختلاف لفظي وشكلي ذلك لأن اختلاف التسمية وارد نتيجة اختلاف لهجة ونطق كل قبيلة من القبائل الإفريقية والعربية أيضا ففي مالي مثلاً تختلف فيها تسمية "الفلان" حتى تأخذ عدة أسماء منها: فلبي Fulbe- بوللو Pollo – تكرور Tkarur- فلاني Fulani - فلاليت Falalit - فولا Fula - فلاتنقا Falatanga- فلاته[4] وهو ما توصل إليه الشيخ "الطالبن المختار بن محمد بن أحمد الطلابي السباعي" بعد بحثه الطويل عن أصل التسمية في كل من موريتانيا والديار المقدسة (مكة والمدينة) حيث تبين له بأن الاختلاف في تسمية "فلان" ما هو إلا لفظي وشكلي في حين أن أصل التسمية واحد وهو (آل فُلَانْ) بضم الفاء وفتح اللام

---

[1]- عبد الحكيم الوائلي : موسوعة قبائل العرب ، (ج4) ، (ط1) ، دار أسامة للنشر والتوزيع ، عمان (الأردن) : 2002 ، ص 1709.

*- **الهوسا:** وتكتب أيضاً "الهوصا" والهوسا ينتمون إلى الجنس الزنجي رغم إنهم يتكلمون لغة حامية وهم يمثلون خليطاً من شعوب تنتمي إلى أصول مختلفة يتركزون من رارية إلى كتسينا وسكونو في شمال نيجيريا اليوم ، ويقدر عددهم ب 5 ملايين ونصف مليون نسمة وهم يدينون بالإسلام، ينظر شوقي عطا الله الجمل، عبد الله عبد الرزاق إبراهيم: تاريخ المسلمين في إفريقيا ومشكلاتهم، (د،ط)، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة: 1996، ص 95.

[2]- محمد باي بلعالم : قبيلة فلان في الماضي والحاضر ومالها من العلوم والمعرفة والمآثر، المصدر السابق ، ص 168.

[3]- المصدر نفسه، ص 09.

[4]- الطيب عبد الرحيم محمد الفلاتي: الفلاتة في إفريقيا ومساهمتهم الاسلامية والتنموية في السودان، (ط1)، دار الكتاب الحديث، الكويت: 1994 ص26.

ومدها وسكون النون، وهذا ما أكده له رجل من أهل العلم يدعى "سنبه عبد الرحمن الفلاني" عام 1361هـ/ 1940م بالديار المقدسة[1] .

أما عن معنى تسمية (الفلان) فهناك من يرى بأن "فلان" هو لقب "لعبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن عروة بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق" رضي الله عنهم – وأن والدته كانت تدعى (فُلّهْ) بضم الفاء وتشديد اللام وسكون الهاء نسبة إلى شجرة الفل ذات الرائحة الزكية[2]، وهو ما ذهب إليه من يردون نسب الفلان إلى الخليفة "أبي بكر الصديق" في حين يرى الشيخ "عبد الله فودي"* أن مصطلح "الفلانة" الذي يطلق أيضاً على الفلان أو الفلانيين هو مصطلح عربي مشتق من الجذر العربي (فلت) فهم قوم يفلتون فينجون بأنفسهم عند ما يرون ما يسوؤهم[3]، وهو نفسه المعنى الذي ذهب إليه الدكتور "هادي حسن حمودي" الذي قال: «بأن الفلانيين أو الفلاتيين سمو بهذا الإسم لأنهم طردوا من مدنهم وقراهم إلى (الفلاة) أي الصحراء أين بدأوا نهضتهم الحقيقية ابتداء من القرن العاشر هجري/ السادس عشر الميلادي في حوض النيجر وبلاد نيجيريا[4]، وما يدعم هذا ما ذهبت إليه المؤرخة "الهام محمد علي ذهني"[5] في حديثها عن خصائص الفلان إذ تذكر: "بأنهم يتشكلون من عدة قبائل متناثرة تحيا حياة رعوية، اشتهروا بعدم الخضوع لأي ملك من ملوك البلاد التي يقيمون فيها رغم أنهم يعيشون في أراضي أولئك الملوك، وذلك لأنهم إذا أسيئ إليهم هدموا منازلهم وارتحلوا إلى منطقة أخرى"، كما أن الضابط الفرنسي "جادن"– الذي كان ضابطاً بالجيش الفرنسي بإفريقيا في أواخر القرن الماضي – كان يربط ما بين كلمة (فُولا) والتشتت[6] ذلك لأنه لاحظ بأن من خصائص الفلان العناية بماشيتهم، وولعهم الشديد إلى حد الهوس بها لذا ربط بين كلمة "فولا" بمعنى التشتت الذي يناسب حياة التنقل والرعي.

ومن الواضح أن جميع من أرخ لقبيلة "فلان" متفقون على أن شعبها قوم رعاة متنقلون، وبالتالي لا نستبعد أن تكون هناك علاقة ما بين لفظ (الفلاة) الذي يدل على الصحراء، والتنقل ومهنة الرعي التي اشتهر بها شعب الفلان عبر تاريخه، وعليه فان الرأي الأخير لمعنى "فلان" الذي ينطوي على كثرة التنقل هو الأرجح في رأينا.

---

[1] – محمد باي بلعالم: قبيلة فلان ، المصدر السابق ، ص ص (9- 10) .

[2] – المصدر نفسه، ص 11 .

* – **عبد الله فودي** هو أخ الشيخ عثمان دان فوديو كان شاعرا وناثرا وناظما ومؤلفا، ولغزارة علمه قيل انه خلف ما لا يقل عن مائة كتاب في مختلف الفنون ينظر محمد باي بلعالم : المصدر نفسه ، ص ص (67 ، 69) .

[3] – الخليل النحوي: إفريقيا المسلمة الهوية الضائعة، (ط1) ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت : 1993، ص 38 .

[4] – محمد باي بلعالم: قبيلة فلان ، المصدر السابق، ص 142 .

[5] – الهام محمد علي ذهني: جهاد المماليك الاسلامية في غرب إفريقيا ضد الاستعمار الفرنسي (1850-1914) ، (د،ط) ، دار المريخ للنشر الرياض: 1988، ص 27 .

[6] –كاقالام مادهو بانيكار: الوثنية والإسلام ، تاريخ الإمبراطورية الزنجية في غرب إفريقيا، تر، وتع وتح: أحمد فؤاد بلبع، (ج1)، (ط2)، المجلس الأعلى للثقافة ، 1998، ص67 .

ثانياً- أصل الفلان :

كما اختلف المؤرخون والباحثون من المهتمين بتاريخ أمم غرب إفريقيا في معنى تسمية "فلان" اختلفوا أيضا في أصل الفلان ففاضت أقلامهم وتباينت أرائهم وأقوالهم حول أصل هذا الشعب، وتضاربت الروايات في ذلك، فمن قائل أنهم ذوو أصول بربرية وهو ما ذهب إليه المؤرخ الفرنسي "ديبو Dubois" الذي يرى بأنهم من البربر انحدروا من منطقة ادرار شمال بلاد السنغال وأنهم اندفعوا إلى غرب إفريقيا بعد طرد المسلمين من الأندلس واشتغلوا بالزراعة والرعي[1] حتى وصلوا إلى بورنو والكامرون، وتشاد ونيجيريا شرقاً أين اختلطوا بالعنصر الزنجي. وهو أيضا ما ذهب إليه المؤرخ "بلمر"[*] الذي زعم أن الفولاني هم على الأرجح أبناء مخلطون لنساء من البربر وجنود سود، وأنهم اخذوا العادات الرعوية عن البربر، ويستند في هذا إلى أن الأبناء المخلطين (المولدين) للجنود الفرنجة والنساء الوطنيات في الشرق(سوريا ولبنان) قد عرفوا بالبولاني[2]، وبالتالي فهناك تقارب أو تحريف بين الاسمين الفولاني والبولاني على حسب تعبيره.

ويُرجع جماعة من المؤرخين والباحثين أصلهم إلى حوض النيل حيث يرى المؤرخ المصري "إبراهيم طرخان" أن الفولاني من مصر العليا وأنهم هاجروا غرباً حتى ساحل شمال إفريقيا إلى المحيط الأطلنطي (الأطلسي) أين استقر البعض منهم في حين واصل البعض الآخر رحلته جنوباً أين اختلطوا ببلاد الهوسا واعتنقوا الدين الإسلامي لكنهم ظلوا مناوئين لحكام الهوسا، وهو ما ذهب إليه أيضا المؤرخ البريطاني فيج (fage) الذي يرى بأنهم نزحوا من حوض النيل، وأنهم من أصل حامي وأنهم دخلوا بلاد السودان عن طريق مصر[3]، ثم اختلطوا بالشعوب الإفريقية، وهو ما أورده أيضا "موسى بن السعدي" الذي جاء بعدة آراء لأصل هذه القبيلة من بينها رواية تقول: بأن "الفلان" أصلهم من قبائل أقباط مصر وأن اسمهم اشتق من (الفلاح) لأنهم كانوا من فلاحي مصر، ولما طال تداول الكلمة تبدلت إلى (فلان) وان هناك بمصر بقايا لهم يتكلمون لغتهم، وطبائعهم موافقة لطباع أهل مصر[4]، بل وحاول بعض علماء الأجناس أن يجدوا مستنداً عرقياً لما ذهب إليه هؤلاء المؤرخون، حيث يؤكد بعضهم أن أصول الفلاتة يرجع إلى أرومة مصرية، ودليل ذلك أنهم يشبهون صور المصريين المنقوشة على القبور في عهد الهكسوس وبالتالي هم قوم جاؤوا من صعيد مصر[5].

---

[1]- عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، شوقي الجمل: دراسات في تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، (د،ط)، مكتبة الإسكندرية، القاهرة: 1998 ص132 .

[*]- **هوبرت ريتشموند بالمر:** من ابرز مؤرخي غرب إفريقيا وبخاصة إمبراطورية البرنو، ينظر، كالاقلام مادهو بانيكار: المرجع السابق، ص 38 .

[2]- كاقالام مادهو بانيكار: المرجع نفسه ، ص57 .

[3]- عبد الله عبد الرزاق ابرهيم ، شوقي الجمل : دراسات في تاريخ غرب إفريقيا الحديث والمعاصر ، المرجع السابق ، ص132 .

[4]- الهادي المبروك الدالي : المرجع السابق ، ص237 .

[5]- محمد باي بلعالم: قبيلة فلان، المصدر السابق ، ص155 .

ولقد تشعبت الآراء واختلفت التفسيرات حول أصل الفلان، فهناك من يرى بأن اصلهم فينيقي من بقايا أتباع البحار الفينيقي "هانو(حنون)"* الذين بلغ عددهم ثلاثين ألف بلغ بهم إلى المحيط الأطلسي، وهناك ظلت بقايا لهم متناثرة من بدو الصحراء الذين قد يكونون بالفعل أسلاف الفولاني لأنهم كما يقول"سير ريتشارد،ف بيرتون"(1821-1890م) المكتشف والكاتب البريطاني: (لا يزالون يتمسكون بالأسطورة القائلة بأنهم قدموا أصلاً عبر البحار، وربما يكون ذلك تفسيراً لحالتهم البدوية، ولحبهم للرعي، وكذلك لحركتهم في اتجاه الشرق)[1].

في حين ينسبهم آخرون إلى العرب ويجلبون أدلة في ذلك، فقد أورد المؤرخ"محمد سمبو الكلوي" kalwi" (ت 1820م) في كتابه (كتر الأولاد في تاريخ الذراري والأجداد) قصة تثبت انتساب قبيلة فلان إلى الجنس العربي حيث يذكر بأنها تنحدر من قبيلة "تميم" التي هاجرت من الجزيرة العربية رفقة قبيلة "جهينة" إلى الهند عقب فتنة "بخت النصر" وذلك ما بين (2000-750ق. م) ثم عادتا إلى الجزيرة العربية مرة أخرى بعد انتهاء الفتنة، ومع تميم الأبقار ومع جهينة الأغنام، ونظرا لقلة المراعي سلكت "تميم" طريق الشام إلى صحراء سيناء حيث استقرت في طور سيناء فترة من الزمن، ثم استأنفت هجرتها إلى أن وصلت منطقة ليبي "Leebe" (ليبيا حاليا) أين التحقت بها رفيقتها "جهينة" التي سلكت طريق اليمن إلى منطقة ليبي، فانتشرت "جهينة" جنوباً في حين واصلت "تميم" رحلتها إلى أقصى غرب إفريقيا والمغرب الأقصى حتى وصلت إلى "اوداغست" Audagist** ما بين مالي وموريتانيا الحالية وصحراء توات الجزائرية حاليا[2].

وان صحت هذه القصة فهي تؤيد ما رواه الشيخ "محمد باي بلعالم"[3] عن أصل قبيلة فلان حيث يذكر: «بأنه سمع من خاله السيد الحاج "احمد بن محمد الحسان"، ومن شيخه "محمد عبد الكريم المغيلي بن المنوفي"، ومن السيد "عبد الرحمن بن مولاي عبد الله الهيباوي" مراراً وتكراراً بأن فلان والأنصار من عرق واحد وأن أصلهم من اليمن».

*- **هانو**: وتكتب أيضا (حنون) بحار قرطاجي قام قبل 480 ق.م برحلة إلى المحيط الأطلسي ، وغرب افريقية سارت الرحلة بمحاذاة ساحل شمال افريقية ويقال أنها اخترقت جبل طارق ووصلت إلى ريو دي أورو، حيث أسست مركزا تجاريا استخدم كقاعدة لرحلات القرطاجيين صوب الجنوب ينظر ، كاقالام مادهو بانيكار: المرجع السابق، ص 36.

[1] - كالاقلام مادهو بانيكار: المرجع السابق، ص 38.

- **مدينة اوداغست او اوداغشت وقد ترد اوداغوست أسست في القرن 8م شمال غرب إفريقيا ، وتقع آثارها اليوم في جنوب موريتانيا الحالية، ينظر يحي بوعزيز : تاريخ إفريقيا العربية الاسلامية، المرجع السابق، ص 191.

[2]- الطيب عبد الرحيم محمد الفلاتي: المرجع السابق، ص ص (16-17).

[3]- قبيلة فلان، المصدر السابق، ص 12.

بل وينسب البعض الفلان إلى ذرية سيدنا "إبراهيم الخليل" وابنه "إسحاق عليهما السلام"، وبعضهم الآخر يرجعه إلى ذرية "أبي بكر الصديق" الذين قدموا إلى شمال إفريقيا في خلافة "عمر بن الخطاب"، وهذا ما عثر عليه الشيخ "محمد باي" في ورقات كانت بحوزة الشيخ "بكراوي الحاج عبد القادر" تتحدث عن بلدة تنمطيط ذُكر فيها أن أولاد "أبي بكر الصديق" وجههم "عمر بن الخطاب" في خلافته إلى إفريقيا ومنهم تنسلت فلان[1] وقيل بأنهم من ولد "جعفر بن أبي طالب" ابن عم الرسول صلى الله عليه وسلم وهذا ما ذكره الشيخ "ألفا هاشم الفلاني"* في كتابه (تعريف العشائر والخلان بشعوب قبائل فلان) إذ يقول: « بأن الفلان من ولد جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه، والتورودي من اليهود » وهذا نقلاً عن والده، عن أشياخه[2].

وهناك من ينسبهم إلى العرب الفاتحين الذين رافقوا "عقبة بن نافع الفهري" في فتح شمال إفريقيا حيث يذكر صاحب مخطوط (فتح الحنان المنان)"محمد عبد الرحمن عبد اللطيف": أن عقبة جاوز بجزء من عسكره إلى السودان حتى وصل نهر النيجر**، واستقر بمدينة (كل السوق) وترك مجموعة من جيشه "ألفين عسكري" ليوطدوا الإسلام، ثم كر راجعا أين قتله "كسيلة" – زعيم قبيلة أوربة البربرية – في الطريق والذين تركهم من جيشه تزاوجوا مع السكان الأصليين وحرفت كلمة (ألفين) إلى فلان[3]؛ وإن صح ما أورده صاحب مخطوط (فتح الحنان المنان) فإن هذا يعني بأن وصول الإسلام إلى أرض السودان كان في القرن الأول للهجرة، وأن إسلام اهلها كان أسبق من إسلام أهل المغرب الذين لم يتوطن الإسلام في نفوسهم إلا في ولاية "موسى بن نصير" (86هـ-101هـ) .

هذا في الوقت الذي يعتقد فيه الفولانيون أنهم من سلالة "عقبة بن نافع الفهري"، وهو ما ورد عند آل فودية "عثمان" وأخيه "عبد الله"، وابنه "محمد بلو"، عن أجدادهم حيث قالوا بأن الجد الأعلى لفلان عربي هو "عقبة بن نافع" الذي فتح بعض الشمال الإفريقي في القرن الأول للهجرة، وأن أمهم رومية تدعى "بج مغ"*** التي

---

[1] – محمد باي بلعالم: الرحلة العلية ، (ج2)، المصدر السابق، ص 472.

*– ولد **الشيخ محمد بن هاشم الفوتي** المشهور بـ (ألفا هاشم) بقرية حلوار من بلاد فلاته انتقل إلي الحجاز بعدما غزا الفرنسيون بلاده ، درس بالحرم المكي كان عالما في الفقه وأصوله والحديث والبلاغة والتفسير وغيرها من العلوم مما جعل الملك عبد العزيز ال سعود يثق به ويأخذ بفتواه، كما عينه عضوا في مجلس الشورى، ينظر، محمد باي بلعالم : قبيلة فلان ، المصدر السابق، ص 71 .

[2] – محمد باي بلعالم : قبيلة فلان، المصدر السابق ، ص ص (5 ، 9) .

[3] – الهادي مبروك الدالي : المرجع السابق، ص 236 .

– **نهر النيجر: ينحدر من جبال فوطة جالون ويبلغ طول مجراه 4200 كيلو متر ، وعندما يقترب النهر من جون غينيا الذي ينصب فيه يتحول في المرحلة الأولى عن هذا الجون في اتجاه الشمال ليروي مناطق صحراوية ثم يغير اتجاهه نحو جون غينيا ، والنيجر ينقسم إلى فرعين اساسين : النيجر الأعلى والنيجر الأسفل يجريان منفصلان مسافة طويلة ثم يجتمعان ينظر، إسماعيل العربي : المرجع السابق ، ص 24 .

*** **بج مغ** او بجر مغ او بج منقو: هي ابنة ملك الروم (ملك غانا) برمندانا الذي اسلم على يد عقبة بن نافع – حسب الرواية التي تنسب الفلان إلى عقبة بعد مقاومة ضعيفة في حملته في فتح غرب إفريقيا برفقة عقبة بن عامر التميمي وعقبة الجهني وغيرهم من المجاهدين ينظر، الطيب عبد الرحيم محمد الفلاتي: المرجع السابق، ص17 .

تزوجها "عقبة بن نافع" وأنجبت له أربعة أولاد، صاروا فيما بعد آباء القبائل الفلانية بأسرها في بلاد ونغارة، وغانة ومالي والتكرور وسنغى وبلاد الهوسا وبرنو .

في حين يذكر المؤرخ "الطيب عبد الرحيم الفلاتي" بأن (بج مغ) أنجبت لعقبة خمسة أولاد وبنتا واحدة وهم:

عثمان تورو-محمد فلان – أبوبكر فلات – عمر دردو – علي غردو – فاطمة شلفو أو شفو وكلهم لهم أحفاد ينشرون ما بين فوتا تورو إلى البحر الأحمر .

ويضيف بأن عقبة خلف أيضا ذرية من زوجته "صفية بنت جعفر ابن أبي طالب" هم: يزيد – فولو – غرغاو – فيلا- حيدر[1] .

وبهذا يكون "عقبة بن نافع" ومن رافقه في الفتح الإسلامي لبلاد المغرب من المجاهدين قد خلفوا ذرية في القارة الإفريقية تحمل أصول الفلاتة تنقسم إلى عدة أقسام حسب المؤرخ "الطيب عبد الرحيم الفلاتي" هي:

– **الفلاتيون الأصليون:** وهم أبناء عقبة من أم رومية.

– **الفلاتة بنو الروم:** الذين صاروا فلانيين بسبب التزاوج والمصاهرة، ومن هؤلاء الشلفيون من أبناء "فاطمة شلفو" ابنة عقبة بن نافع .

– **الفلاتة بنو العرب:** وهم أبناء المجاهدين الذين رافقوا "عقبة بن نافع" إلى إفريقيا، وصاروا فلاتة باختلاطهم بالزنوج والنوبة ثم اختلط أولادهم بأولاد "عقبة" وتكلموا بلغة الفلاتة فصاروا فلاتة.

– **الفلاتة الجعفريون:** كما يسميهم "محمد بلو" انتسابا لجدتهم "صفية بنت جعفر بن أبي طالب"[2] .

وبهذا التقسيم الذي وضعه المؤرخ"الطيب عبد الرحيم الفلاتي" للفلان يكون "عقبة بن نافع" الجد الأعلى لهذا الشعب حسب اعتقاد الفلان .

لكن إذا ما رجعنا إلى الوراء، وبالتحديد إلى عهد الفتوحات الإسلامية في زمن الخلافة الأموية نجد أنه صحيح بأن "عقبة بن نافع" لما تقلد ولاية افريقية على عهد الخليفة الأموي "معاوية بن أبي سفيان" (41هـ-60هـ) قام ببناء معسكر القيروان عام 55هـ/674م وسار على سيرة الولاة قبله في أمصار العراق وفي وادي النيل، إذ أفرد لكل قبيلة أو بطن من بطون القبائل ناحية معينة من مساحة المدينة لإنشاء مساكنهم وأحيائهم الخاصة، فنزل قوم (فهر) وهم قومه ورهطه بالجهة الشمالية من الجامع (جامع القيروان) فبنو مساكنهم، واتخذوا حولها بساتين وعرف هذا المكان بمنازل الفهريين أو حي الفهريين بالإضافة إلى حارة (يحصب)، وحارة (بني نافذ) ورحبة (الأنصار) ورحبة (القرشيين)[3]....الخ .

[1]- الطيب عبد الرحيم محمد الفلاتي، المرجع السابق ، ص ص (17،19).

[2]- المرجع نفسه، ص 20.

[3]- موسى لقبال: تاريخ المغرب الإسلامي ، (ط4) ، دار هومة ، الجزائر : 2001م ، ص ص (35- 36).

كما أن "عقبة" لم يبق ساكناً أثناء انشغاله بعمران القيروان، وتمصيرها بل كان يبعث جنوده إلى الأطراف لبث الرعب في نفوس السكان صرفاً لهم عن مضايقة المسلمين المنهكين في عمليات البناء[1]، وعلاوة على كل ذلك نجده انه الفاتح العربي الوحيد تقريباً الذي اتخذ في فتحه لإفريقيا طريق الصحراء عبر الواحات على عكس أغلب قادة الفتح الذين اتخذوا الطريق الساحلي؛ إلا أننا نجد في المقابل أن معظم من أرخ للفتوحات الإسلامية لبلاد المغرب خاصة على عهد ولايتي عقبة الأولى (50-55هـ)والثانية (61-63هـ) متفقون على أن "عقبة" افتتح ودان وفزان- من ليبيا – وبعث خيلاً إلى واحة غدامس الليبية فافتتحت، ثم فتح قفصه وقصطلية – منطقة الجريد – والقيروان من تونس، وفي ولايته الثانية على عهد "اليزيد بن معاوية" غزا افريقية إلى السوس، وقاتل من بها من المجوسيين وانتهى إلى المحيط الأطلسي، وخلال عودته نصب له "كسيلة" زعيم قبيلة "أوربة" كميناً في جمع من الروم والبربر في (تهودا) من بلاد الزاب أين دخل معهم في معركة غير متكافئة فاستشهد بها رفقة من معه عام 63هـ وهذا ما أشار إليه أقدم من أرخ للفتح الإسلامي لمصر وبلاد المغرب من أمثال: "ابن عبد الحكم" (ت257هـ) والعلامة "ابن خلدون"[2]، وغيرهما من المؤرخين سواء القدامى أو المحدثين .

وبهذا يتضح بأن جهود "عقبة بن نافع" في الفتح الإسلامي لبلاد المغرب ارتكزت في ولايته الأولى على ليبيا وصحراواتها وفي منطقة افريقية أين أحرز نجاح كبير حتى بداية النصف الثاني من القرن الأول للهجرة خاصة بعد تأسيسه لمدينة القيروان عام55هـ/674م، أما في ولايته الثانية(61-63هـ) - والتي كانت أقصر مدة من الأولى- اشتغل فيها بالقضاء على "كسيلة" و"أبا المهاجر دينار"، ومواصلة الفتح في الساحل حيث أخضع القبائل المجوسية المرتدة في المغربين الأدنى والأوسط وتمكن من دخول المغرب الأقصى حتى بلغ السوس الأقصى وانتهى إلى المحيط الأطلسي وأخضع القبائل المجوسية وأهل اللثام من صنهاجة[3]، ثم طفق عائداً إلى القيروان أين استشهد في طريقه إليها في منطقة تهودة من بلاد الزاب عام 63هـ/683م .

وللإشارة فقد كان لعقبة بن نافع في بلاد المغرب أربعة أولاد هم: "عياض" و"عثمان" و"أبوعبيدة" و"موسى" الذين اصطحبهم "موسى بن نصير" مع أبنائه "عبد الله" و"مروان" و"عبد العزيز" و"عبد المالك" في ولايته على افريقية وجعلهم على رأس الحملة التي وجهها إلى منطقة سجوما – قرب فاس – التي خرجت على المسلمين وأوربة قاتلي عقبة[4].

ولقد واصل القادة الفاتحون من بعد "عقبة" استكمال فتح بلاد المغرب من أمثال: "زهير بن قيس البلوي" و"حسان بن النعمان" (73-86هـ) و"موسى بن نصير"(86-101هـ) والولاة من بعدهم أمثال: "اسماعيل

---

[1]- موسى لقبال: تاريخ المغرب الإسلامي، المرجع السابق، ص 41

[2]- ابن عبد الحكم: فتوح مصر والمغرب، تح ونقد : على محمد عمر ، (د،ط) ، دار المناهل للطباعة ، د،م،ن : 1995، ص ص (222 ، 226) وانظر أيضا: عبد الرحمن بن خلدون :ديوان المبتدا والخبر، (ج6) ، المرجع السابق، ص 142

[3]- عبد الرحمن بن خلدون: ديوان المبتدأ والخبر ، (ج6)، المكان نفسه .

[4]- موسى لقبال: المرجع السابق، ص ص(98، 101) .

بن عبد الله" (100-101هـ) و"عبد الله بن الحبحاب" الذي بعث في ولايته "حبيب بن عبيدة بن عقبة بن نافع" غازياً إلى السوس الأقصى وأرض السودان فأصاب مغانم الذهب والفضة ثم رجع[1] .

و لم يشر المؤرخون قبل هذا التاريخ عمن دخل أرض السودان غيرهُ، حتى أن "ابن عبد الحكم"[2] أشاد بغزوه هذا لأرض السودان فقال: « أنه ظفر بهم ظفراً لم يُر مثله وأصاب ما شاء من ذهب »، مما يدل على أن "حبيب بن عبيدة" حفيد "عقبة بن نافع" كان أول من اقتحم أرض السودان، ثم جاء من بعده ابنه "عبد الرحمن بن حبيب" الذي قام بحفر الآبار على امتداد الطريق بين سجلماسة، والسودان في أيام ولايته على بلاد المغرب على عهد الخليفة الأموي "مروان بن محمد" فأصبحت السبل عبر الصحراء معبدة تسلكها القوافل التجارية بانتظام[3] وهي نفسها الطرق التي اجتازها العرب الفاتحون خلال القرنين الثاني والثالث للهجرة نحو الصحراء. وقد ساهمت هذه السبل في نمو الحياة الاقتصادية وازدهارها فيما بعد،كما سهلت مهمة الدول الاسلامية التي ظهرت في المغرب الإسلامي كالرستمية والأدريسية، والعبيدية، ثم المرابطين والموحدون من بعدهم على نشر الإسلام في الصحراء وترسيخه بها خاصة بين سكان الممالك الزنجية؛ فقد عنى الاباضيون مثلاً بحراسة الطرق، وتعميرها بالفنادق والمحطات، وحفر الآبار كما أقاموا الزوايا والمساجد لنشر تعاليم الإسلام في بلاد تشاد، والنيجر ومالي وفولتا العليا حتى السودان[4] ومن خلالها انطلق المرابطون في القرن الخامس للهجرة/ الحادي عشر للميلاد نحو الممالك الزنجية، ونشروا فيها الإسلام، وهو القرن الذي اعتنق فيه الفولانيون الدين الإسلامي على يد المرابطين ومن ثم تحمسوا للدعوة الاسلامية فنشروها في دولة غانا[5].

وهذا ما جعل المؤرخ الجزائري "يحي بوعزيز"[6] ينفي وصول عقبة إلى بلاد التكرور، وغانة في منحى نهر النيجر(بين النيجر والسنغال) وفتحهما، بل ويرى بأنها رواية فيها نوع من المبالغة، والذي لاشك فيه عنده هو أن "عقبة" فتح للإسلام وللتجارة الطريق إلى مدينة اوداغشت على حافة بلاد السودان الغربي، وهي الطريق التي قام "عبد الرحمن بن حبيب الفهري" من بعده بحفر الآبار على طولها، مما كان سبباً في انتشار الإسلام بين سكان الوحات الصحراوية الملثمين، وغيرهم من سكان الممالك الزنجية .

هذا ولقد أكد البعض على عروبية "الفلان" انطلاقاً من مواصفاتهم، التي يتفق جل من أرخ لهم بأنها تختلف عن مواصفات زنوج إفريقيا، فهذا "الخليل النحوي الشنقيطي"[7]يصفهم "بأن ألوانهم فاتحة تميل إلى السمرة مما يرجح في نظره أن يكونوا ثمرة امتزاج عرقين إفريقي وعربي"، ويصفهم "حسن إبراهيم حسن" المؤرخ المصري

---

[1]- أحمد بك الأنصاري الطرابلسي: المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب ، (ج1) ، (د،ط) ، منشورات مكتبة الفرجاني، طرابلس: د ، ت، ص46

[2]- المرجع السابق، ص ص (245 - 246)

[3]- محمد المختار ولد اباه: المرجع السابق ، ص ص (12 - 13)

[4]- محمود السيد : تاريخ دولتي المرابطين والموحدين، (د،ط) ، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية : 1999م ، ص 16 .

[5]- عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، شوقي الجمل: دراسات في تاريخ غرب إفريقيا الحديث والمعاصر، المرجع السابق ،ص 132 .

[6]- تاريخ إفريقيا الغربية الاسلامية، المرجع السابق ، ص 12 .

[7]- المرجع السابق ، ص ص (23- 24).

والرحالة الألماني "بارث Barth":بأنهم قوم شبه بيض سحنتهم عربية[1]وهو الوصف نفسه تقريباً الذي قدمه لهم صاحب موسوعة قبائل العرب حيث يقول عنهم[2] : "أنهم من أكبر قبائل العرب في إفريقيا، يشتغلون بالرعي والزراعة والتجارة، وهم ذوو بشرة سمراء فاتحة، وملامح رقيقة تشبه ملامح اليمنيين" ثم يؤكد بعد هذا الوصف "بأنهم من الحميريين القحطانيين" ويقدم لنا المستشرق"توماس ارنولد" وصفاً مشابهاً للوصفين السابقين حيث يقول عنهم :«بأنهم ذو بشرة سمراء ويشبهون العرب ومنهم من يتكلم العربية، والقرآن يعتبر دستورهم وأنهم يعيشون في عشائر، وقبائل ويعشقون الحرية ولا يخضعون لأي ملك ...وأنهم على جانب عظيم من النشاط الإقتصادي والزراعي»[3] .

أما المؤرخ "عثمان برايما باري"[4] فيصفهم قائلا: «يتميز الفلاني بطول القامة ونحافة القوام والوجه المستطيل والانف المستدق واللون الفاتح أو اللون الاسود مع لمعان البشرة واتساع مقلتي العينين ويغلب على أبناء هذه القبيلة الحياء المفرط وهدوء الطبع ونقاء الروح وعفة النفس وشدة الغيرة».

فالسمرة، والملامح الرقيقة، وممارسة الرعي والزراعة، وغيرها من المواصفات الأخرى التي يتميز بها الفولانيون عن بقية شعوب غرب إفريقيا الزنوج، هي ما جعل هؤلاء المؤرخون يستبعدون انتمائهم لسلالة زنوج غرب إفريقيا، بل وهي ما جعلهم يختلفون حول أصل هذه القبيلة ايضا .

صحيح أن هذه المميزات والمواصفات مشابهة لصفات عرب شبه الجزيرة العربية، الا أنها في نفس الوقت مشابهة أيضا لمواصفات البربر البتر (سكان البادية) من أهل المغرب،كما أنه يجب أن لا ننسى ما نجم عن الغزو الهلالي لبلاد المغرب من هجرة ونزوح القبائل البربرية المسلمة نحو الجنوب إلى الصحراء، وكذا نزوح فروع من العرب الهلاليين ومن بني سليم نحو الصحراء، لمناسبتها لطبائعهم أين لعبوا دوراً إلى جانب القبائل الزناتية والصنهاجية في نشر الإسلام والدم العربي، والبربري في السودان الغربي، والصحراء الجزائرية.

والظاهر أنه كلما غصنا في البحث عن أصل "الفلان" إلا واصطدمنا بروايات وآراء متعددة ومتشابكة تجعل من الصعب علينا تحديد هذا الأصل الذي يبقى لغزاً من الغاز التاريخ التي لم تحل بعد زاده تعقيداً تضارب الروايات وتشعبها حوله، فجميع الروايات التي سردناها تكاد تجمع على أن الفولاني يمثلون أكبر تجمع سكاني في إفريقيا الغربية وأنهم يختلفون عن الزنوج بكثير من المميزات والمواصفات، وأن أصولهم ليست بزنجية، الا ان أصحابها اختلفوا في هذا الأصل هل هو عربي حميري ؟ أم حامي بربري ؟ أم فينيقي؟ أم مصري؟ هذا في الوقت الذي يعمق فيه علماء الفولاني وكتابهم أصل نسبهم حتى يوصلوه بالفاتح العربي "عقبة بن نافع الفهري" مستدلين

[1]- الطيب عبد الرحيم محمد الفلاتي: المرجع السابق ، ص24 .

[2]- عبد الحكيم الوائلي : المرجع السابق، (ج4) ، ص1709 .

[3]- محمد باي بلعالم : قبيلة فلان، المصدر السابق، ص429 .

[4]- جذور الحضارة الاسلامية في الغرب الإفريقي، (ط1)، دار الأمين للطباعة، القاهرة : 2000 ، ص 316.

بالأدلة التي سبق ذكرها – والناس مصدقون في أنسابهم – لذا لا يمكننا أن نرجح رواية على أخرى إلا بأدلة تاريخية قاطعة.

ذلك لأن دعوى التعرب والاستعراب - التي ليست بالغربية علينا اليوم - ظهرت في العالم الإسلامي بشكل ملحوظ في الأراضي التي انتشر فيها الإسلام بعد الفتح الإسلامي، وانتشار اللغة العربية بينها، إذ نزعت العديد من القبائل إليها إما بدعوى أن أسر عربية هاجرت من الجزيرة العربية، أو بلد عربي آخر وحطت في تلك المنطقة واستقرت بها أوبدعوى أن فرد عربي حل بتلك المنطقة وتزوج من أهلها، وقد يجد لها المؤرخون شواهد إثبات، وقد لا يجدون .

وقد ظهرت هذه النزعة في إفريقيا على غرار بقية أرجاء العالم الإسلامي التي شملتها عمليات الفتح حتى انه وجد من ادعى المهدية والانتساب إلى آل البيت أو إلى قبائل عربية أخرى، ففي تشاد مثلاً قبيلة (تونجور) تدعي أنها قبيلة عربية نزحت من تونس، وفي السنغال (أسرة آل نياس) تنسب نفسها إلى الفاتح "عقبة بن نافع الفهري" حتى أن عالمها "محمد نياس" أخ شيخ الإسلام "إبراهيم نياس" كان يقول:«نحن عرب سودتنا الأمهات»[1] وغيرها من الأمثلة .

والمهم في نزعة الاستعراب هاته كما يقول الأستاذ "الخليل النحوي"[2] أن هؤلاء الأفارقة سواء أصح انتمائهم السلالي أم لم يصح قد دخلوا فعلاً دائرة العروبة الحضارية من بابها الواسع الإسلام، وليس انتماؤهم العربي الذي يتمسكون به إلا تعبيراً صادقاً عن تعلقهم بالإسلام، ورغبتهم في أن يكونوا من أهله الأقربين ولشعورهم بأن العروبة تقربهم إليه زلفى.

ثالثاً: مواطن الفلان:

استوطنت "قبيلة فلان" بلاد شنقيط، ونظراً لكون أهلها رعاة بدو مستقلين انتقلت بعض فروعها جنوباً إلى بلاد مالي، والسنغال واستوطنت هناك وأنشئت العديد من القرى والمدن[3] .

وكان لاعتناقهم للدين الإسلامي منذ القرن الحادي عشر الميلادي على يد المرابطين أكبر دافع لخروجهم من موطنهم الأصلي في مرتفعات فوتاجالون* وفوتاتورو** على سواحل المحيط الأطلسي، فانتشروا في كافة أرجاء إفريقيا الوسطى والغربية أين لعبوا دوراً في تخليصها من الوثنية إلى الإسلام، وكان هذا في حدود القرن الثالث عشر للميلاد حيث اتجهوا شرقاً نحو شمال نيجيريا أين سكن بعضهم المدن وتزوجوا من الهوسا، واعتنقوا الإسلام

[1]- الخليل النحوي : المرجع السابق ، ص ص(22 ، 24) .

[2]- المرجع نفسه ، ص 22 .

[3]- عبد الله مقلاتي ، محفوظ رموم : المرجع السابق ، ص 156 .

*- **فوتاجالون:** جنوب حوض السنغال وتعتبر فوتاجالون الموطن الأصلي لشعب الفولاني الذي هاجر جزء منه نحو الشرق إلى بلاد الهوسا، وسكانها الأصليون من شعب التوكولور الذين هم بقايا المرابطين، ينظر يحي بوعزيز : تاريخ إفريقيا الغربية الاسلامية ، المرجع السابق، ص ص (164- 165)

- **فوتاتورو: أو فوتاجللو أو فوتاممللي تقع فيي الشمال الغربي لجمهورية السنغال يعرف اهلها بالفوتيين وهم الجنس التوام للفلاني، ينظر، عثمان برايما باري: المرجع السابق، ص 329.

وهؤلاء أطلق عليهم اسم (فلاني جدا) أي الفلاني المهجنون أو المختلطون، في حين أن القسم الآخر منهم عاش بمعزل عن الهوسا و لم يختلط بهم وظل محتفظا بعقيدته الوثنية، ودمه النقي وهؤلاء أطلق عليهم (كاو فلاني) أي الفلاني رعاة البقر[1].

وبهذا يتضح لنا بأن اعتناق الفلان للإسلام، وتحمسهم لنشره كان أكبر سبب في خروجهم من موطنهم الأصلي على سواحل المحيط الأطلسي إلى الشرق، إذ يمثلون اليوم أكبر تجمع مسلم في غرب ووسط إفريقيا حيث يبلغ عدد مسلميهم (خمسة وستون مليون نسمة)[2]موزعين بين أكثر من أربعة عشر دولة في غرب ووسط وشرق إفريقيا ويتحدثون لغة واحدة هي الفلاني"*التي تكتب بالأبجدية العربية وهذه الدول هي: السنغال ومالي والنيجر ونيجيريا[3] كما يتواجدون في بنين – الكمرون - إفريقيا الوسطى- قمبيا- غينيا- غنيا بيساو- ساحل العاج- موريتانيا- فولتا العليا (بوركينافاسو) – سيراليون- تشاد، بل وواصلت جماعات منهم مسيرتها شرقاً حتى بلغوا سودان وادي النيل أين امتزجوا بالقبائل هناك خاصة من دارفور (جنوب السودان) أين ساهموا في نشر الإسلام بالمصاهرة والاختلاط والتعليم[4]، وهذا ما يفسر وجود فروع لهذه القبيلة في دولة السودان حالياً.

كما وصلت جماعات منهم إلى الحجاز (مكة المكرمة والمدينة المنورة) حيث هاجروا إليها من غرب إفريقيا بعد تعرضهم للاحتلال الفرنسي والانجليزي والبلجيكي، وكان معظم المهاجرين إلى الحجاز من فئة العلماء أمثال: الشيخ الإمام "ابن محمد العمري" الشهير بالفلاني والشيخ "محمد بن مورد الفلاني"[5] وغيرهم من آل فلان الذين توافدوا على الحجاز لأداء فريضة الحج، أو هرباً من بطش الاستعمار فاستقر معظمهم بالمدينة المنورة أين كانت لهم صولة تحت زعامة الشيخ "محمد بن هاشم الفوتي" الشهير بالفا هاشم (ت 1349هـ/ 1928م) الذي كفل بقاءهم في المدينة المنورة فظهر فيهم علماء، بل ووصل بعضهم إلى أعلى المراتب الإدارية، والعسكرية في الدولة السعودي كالشيخ ألفا هاشم، والشيخ "عمر بن محمد فلاته" (ت 1419هـ/ 1998م)[6] وغيرهم.

---

[1]- محمد باي بلعالم: قبيلة فلان، المصدر السابق، ص 155 .

[2]- احمد إبراهيم دياب: لمحات من التاريخ الإفريقي الحديث والمعاصر ، (ط1) ، دار المريخ ، الرياض : 1981 ، ص215.

*- **اللغة الفولاتية:** هي لغة ذات لهجات تختلف تسمياتها باختلاف المناطق والشعوب التي تتحدثها ومن أشهر تسمياتها الأخرى (البولارية) و(الفلفلدي) تتحدثها أقوام وشعوب كثيرة في غنيا والسنغال وسيراليون وغامبيا ومالي وبوركينافاسو (فولتا العليا) والنيجر ونيجيريا والكاميرون وتشاد وموريتانيا وغيرها وهي تدرس في ثلاث جامعات بالمانيا وفرنسا وبريطانيا ، ينظر الخليل النحوي : المرجع السابق ، ص34.

[3]- حسان حلاق : تاريخ الشعوب الاسلامية الحديث والمعاصر، (ط1)، دار النهضة العربية، بيروت : 2000، ص ص (394 ، 420) .

[4]- محمد باي بلعالم : قبيلة فلان، المصدر السابق، ص ص (453- 454).

[5]- المصدر نفسه، ص ص (434، 436).

[6]- المصدر نفسه، ص ص (هـ- و).

ولا يزال أحفادهم إلى يومنا هذا متوطنون بالمدينة المنورة، ويعرفون عند أهل الحجاز بالتكارنة*، بل ووصلت جماعات منهم إلى الصحراء الجزائرية وتحديداً إلى إقليم توات، حيث يذكر العلامة "محمد باي بلعالم"[1] في سرده لأسماء القبائل التي وفدت إلى اقليم توات انه في القرن السابع للهجرة/الثالث عشر للميلاد قدم إلى توات أولاد عزي وأولاد الصابون، والبرامكة وأولاد عثمان والمحاجيب وقبيلة احزوم، ثم توالت القبائل إلى منطقة توات من بعدهم، وذكر فيمن وفد قبيلتي (كنتة وفلان)؛ فخلال القرن 12هـ/18م قدم الشيخ "عبد الله احمد الفلاني" (ت 1194هـ/1780م) إلى توات قادماً من بلاد التكرور وعاش في تديكلت[2]، ثم تبعته جماعات عديدة من الفولانيين الذين استقروا بتوات بعضهم قدم من شنقيط والبعض الآخر من التكرور، وتتركز تجمعاتهم حالياً بقصر زاجلو، وقصر تيمادنين من توات الوسطى، وببلدية اقبلي** من إقليم تيديكلت أين أصبحت لهم أفخاذ مثل فخذي (محمد بن مالك وأولاد بلعالم) اللذين ينتشر أحفادهم حالياً في أولف وتيمادنين، واينغر، وعين صالح وهقار والمنيعة، وورقلة، وازداد توسع هذين الفخذين بمصاهرتهما لقبائل أخرى كقبيلة كنتة، وقبيلة الأنصار والسوفين وقبيلة عزي وأولاد الرقاني وقبيلة الزوى[3] وغيرهم من القبائل التواتية.

ولقد اشتهرت هاتين العائلتين بالعلم وحفظ القرآن فقد ظهر فيهما علماء أفذاذ ساهموا في ربط إقليم توات بالسودان الغربي حيث يقول عنهم الشيخ"احمد الطاهري الادريسي"[4]: «ويوجد باقبلي قبيلة من قبائل فلان أصحاب العلم والمعرفة ودراسة العلوم الشرعية، وحفظ القران...».

ويستبعد البعض وجود فروع أو أفخاد لقبيلة فلان في الصحراء الجزائرية، لكن من المؤكد كما يقول الأستاذ "حبيب الله عمر آل الشيخ الكنتي"[5]: « أنه نتج عن التداخل الجغرافي، والتبادل التجاري والوحدة الدينية وغير ذلك من عناصر التكامل بين الجزائر وإفريقيا روابط عائلية متينة، نتجت عن هجرات من الشمال إلى الجنوب ومن الجنوب إلى الشمال إذ نجد عائلات جزائرية صرفة في المبروك، وقصر الشيخ وتمبكتو بمالي، وولاته وتشيت وشنقيط، وودان وموريتانيا وعائلات أخرى افريقية في رقان، وتوات وغيرها من المدن الجزائرية »؛ اختلطت دماؤها الجزائرية، وذابت في النسيج السوداني مثل: عائلة (اداوعلي) بقصر أعباني الذي جاء جدها الأول الشيخ

*- **التكارنة:** نسبة إلى التكرور والتكرور كلمة تطلق أساسا على سكان جنوب نهر السنغال وعلى الفلاتة الذين أقاموا فيهم أول دولة إسلامية افريقية في مطلع القرن 5ه/ 11م بزعامة محمد الورجي الفلاني ثم أصبح الكتاب العرب يطلقون اسم التكرور على كل أقطار السودان الغربي والأوسط وزاد المقريزي على ذلك فأطلق نفس التسمية على كل الأقطار الواقعة شرقي النيجر حتى الحبشة ، ينظر محمد باي بلعالم ، قبيلة فلان، المصدر السابق، ص 92 .

[1]- الرحلة العلية ، (ج2) ، المصدر السابق ، ص549 .

[2]- مبارك جعفري : العلاقات الثقافية بين توات والسودان الغربي ، المرجع السابق ، ص 277 .

- ينسب **فلاني اقبلي إلى جدهم الأعلى محمد بن مالك بن أبي بكر بن أيوب بن حماد بن جلول بن طلحة بن سليم بن سنبل بن جابر بن بود بن أيوب و قد خلف ستة أولاد هم: الشيخ محمد الذي كان عالما في وندي بإفريقيا ، والحاج احمد والد الشيخ حمزة ، والحاج المختار ، والحاج عبد الله والحاج عبد القادر، وسيدي علي وبنتين هما : فاطمة وأم الخير، ينظر محمد باي بلعالم : الرحلة العلية، (ج2) ، المصدر السابق، ص 580 .

[3]- محمد باي بلعالم : قبيلة فلان، المصدر السابق، ص ص (13- 14) .

[4]- المصدر السابق ، ص ص (73- 74) .

[5]- (مبررات وغايات التواصل الجزائري) ، الملتقى الدولي حول التواصل الجزائري الإفريقي والتنمية الصحراوية، جامعة ادرار: أيام 5- 6-7 نوفمبر 2001م ، ص 13 .

"محمد أحمد الاداوعلي" من شنقيط إلى توات واستقر بها[1]، والعائلة الكنتية التي اختلطت بالقبائل الإفريقية، خاصة وأن المجتمع التواتي قد شهد عبر تاريخه الطويل هجرات بشرية متنوعة من الشمال والجنوب، ومن الشرق والغرب لأسباب أمنية وأخرى اقتصادية أو بدوافع شخصية، فتوافد عليه العرب والبربر والبرامكة والعلويون والأفارقة وحتى اليهود، لذا فلا غلو بل ولا شك أن تكون هناك فروع من قبيلة فلان شدت الرحال إلى الإقليم، خاصة وأن التقارب الجغرافي بين مالي وصحراء الجزائر يعد أكبر عامل مساعد على ذلك .

ولقد ظهر في فرع القبيلة الفلانية الجزائرية التي تقطن صحراءها عدة علماء نبغوا في مختلف العلوم الشرعية وساهموا بدورهم في إصلاح مجتمعهم التواتي ونشر العلم والإسلام وتثبيته في قلوب الناس من خلال حركاتهم وتنقلاتهم داخل الجزائر وخارجها من امثال: الشيخ "محمد بن مالك الفلاني"*، وحفيده الشيخ "حمزة بن مالك الفلاني القبلوي"، والشيخ "محمد الحسان الفلاني القبلوي" (1283-1352هـ/ 1932م)، والشيخ "محمد عبد الرحمن السكوتي الملايخافي" (1285-1333هـ/1911م)، والعلامة الشيخ الحاج "محمد عبد القادر بلعالم الفلاني القبلوي" (1298-1372هـ/1881-1952م) .

ومازال فرع قبيلة فلان في الجزائر ينجب علماء أعلام ومشايخ فقهاء ولعل أبرزهم في القرن العشرين الميلادي مترجمنا الشيخ محمد باي بلعالم رحمه الله الذي سيكون محل الدراسة في المبحث الموالي .

[1]- مبارك جعفري : العلاقات الثقافية بين إقليم توات والسودان الغربي ، المرجع السابق ، ص 278.

*- ولد **الشيخ محمد بن مالك الفلاني**: خلال القرن 12هـ بقصر اقبلي و تلقى دراسته بتنلان على يد الشيخ محمد بن عبد الرحمن بن عمر التنلاني وبعد حصوله على الإجازة رجع إلى مسقط رأسه (ساهل) أين تولى الخطابة و التدريس و الفتوى و أسس الخزانة العلمية بها ، وخلف هذا الشيخ أثار علمية كشروح خليل و العاصمية، وفي الحديث والتفسير والنوازل، وفاته المنية عام 1248هـ / 1832م، ينظر محمد حوتية: المرجع السابق ص192.

المبحث الثاني: محمد باي بلعالم المولد والنشأة(1348هـ - 1430هـ/ 1930- 2009م):

لقد كان للخصائص الطبيعية والتضاريسية لولاية ادرار، والحالة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي شهدتها خلال الفترة موضوع الدراسة تأثير كبير على شخصية مترجمنا - الذي ولد في هذه البيئة الصحراوية - وعلى سلوكه وأخلاقه وتعامله مع الآخرين، وهذا ماسنتعرف عليه في هذا المبحث .

أولاً – مولد محمد باي بلعالم (1348هـ / 1930م):

ولد "أبو عبد الله محمد باي بن محمد عبد القادر بن محمد بن المختار بن أحمد بن العالم" القبلوي الجزائري المالكي عام 1348هـ/1930م ببلدة ساهل من بلدية اقبلي حالياً دائرة أولف ولاية ادرار.

ولقد عَرّف "محمد باي" بنفسه، وبنسبه في تأليفه العديدة التي عادة ما يبتدئها بعد البسملة والحمدلة والصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله: (يقول محمد باي بن محمد عبد القادر) أو نظماً وهذا في شعره كقوله في كتابه الإشراق البدري[1]:

قال محمد بن عبد القادر القبلوي الساهلي القاصر
باي بها عُرف وابن العالم لقبه في دفتر المحاكم

فهذين البيتين اشتملا على التعريف به وبنسبه، ومسكنه فهو "محمد بن محمد عبد القادر بلعالم "كان والده الشيخ "محمد عبد القادر" أحد أبرز تلامذة الشيخ " حمزة بن مالك القبلوي" وأحد فقهاء بلدة ساهل وقرائها، كما كانت له رحلات علمية خاصة إلى مدينة ورقلة التي أسس بها مدرسة (بعين إبراهيم) لتعليم القرءان والعلوم الدينية، وقد تخرج على يديه عدد كبير من التلاميذ من بني ثور والمخادمة والقصر[2]، أما (القبلوي) فنسبة لبلدته أقبلي (الساهلي) نسبة للقصر الذي ولد فيه وهو (قصر ساهل) أحد قصور بلدية أقبلي الأربع، و(القاصر) نسبة للحي الذي ولد فيه وهو حي (القصر).

وعن علة تلقيبه (بباي) يذكر عن سبب ذلك: "أن ولادته تزامنت مع وفاة الشيخ العالم العلامة "محمد باي بن عمر الكنتي الازوادي"* فاختار له والده رحمه الله هذا الاسم تبركاً وتفاؤلاً به،كما يشير بأن هذا اللقب لا يدل على مدح، ولا على ذم (كباي) لمن اسمه محمد و(كبادي) لمن اسمه المختار و(حمادي) لمن اسمه محمد و(باب) لمن اسمه احمد في عرفنا"[3] ، وبهذا صار يعرف به، بل واشتهر به.

---

[1]- محمد باي بلعالم : الإشراق البدري شرح على الكوكب الزهري ، (ط1)، مطابع عمار قرفي ، باتنة : د ، ت ، ص 03.

[2] - إبراهيم بن ساسي: (من سلسلة إعلام الجنوب الجزائري الشيخ محمد عبد القادر بلعالم القبلوي راية علم وقرءان 1880- 1952) ، جريدة البصائر (ع537) : الاثنين 28 فيفري ، 6 مارس 2011م ، ص16.

*- **الشيخ باي بن عمر الكنتي**: ولد عام 1282هـ/ 1865م حصل على تعليم إسلامي ممتاز على يد والده وأخيه الأكبر واشتهر كأديب مرموق وعلى اثر وفاة والده سنة 1314هـ/1896م أصبح باي هو الزعيم الروحي لكنتة أزواد وانصرف كليا للعبادة والدراسة وكان يتحدث لغة تماشق بطلاقة، ينظر احمد الحمدي: المساهمة العلمية للمختار الكبير الكنتي بازواد(1142- 1226هـ/ 1729- 1811م)، رسالة دكتوراه في التاريخ والحضارة الاسلامية، إشراف : عبد المجيد نعمبه، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الاسلامية ، قسم الحضارة الاسلامية ، السنة الجامعية (2007-2008م)، ص86.

[3]- محمد باي بلعالم : السبائك الابريزية ، شرح على الجوهر الكترية ، (د،ط) ، مطبعة عمار قرفي ، باتنة : 1993 ، ص ص (3- 4) .

في حين أن أخاه الأكبر الحاج "محمد عبد الرحمن"[1] أخبرنا بأن الذي اختار له هذا الاسم (يعني محمد باي) هو جده للأم الشيخ "محمد الحسن القبلوي" (1283-1352هـ) الذي كان قاضياً ومفتياً باقبلي خلفا للشيخ "حمزة القبلوي" لنفس المناسبة وهي وفاة العلامة "محمد باي الكنتي" .

وعلى كل قد تكون التسمية من اختيار الجد وزكاها الأب، أو العكس، أو أنهما اتفقا عليها تبركاً لأن يكون "محمد باي" عالماً مثل العلامة "محمد باي الكنتي"، ويبدو أن لكل نصيب من اسمه، فقد مات عالم، وولد عالم في هذه السنة (1348هـ / 1930م).

أما (ابن العالم) فهو لقبه كما ذكر في الأوراق الرسمية المتعلقة بالأحوال الشخصية، وهو لقب الفخذ الثاني من قبيلة فلان في ولاية أدرار نسبة إلى جدهم الأعلى (العالم)، وأما أمه فهي "خديجة ابنة العلامة القاضي الشيخ "محمد الحسن الفلاني القبلوي"، وقد أنجبت خديجة لمحمد عبد القادر خمسة ذكور فقط هم على الترتيب، "محمد عبد الرحمن"، " أحمد العالم"*، "محمد باي"، "محمد عبد الله"، "محمد الحسان"، انتقل منهم "أحمد العالم"، و"محمد عبد الله" إلى مدينة ورقلة أين استقرا فيها وذريتهما هناك إلى يومنا هذا، فالأول كان معلماً للقرءان وملازماً لخاله الحاج "محمد بن محمد الحسن" بورقلة، والثاني كان إماماً أستاذاً بالمسجد العتيق ببني ثور، وبعد تقاعده خلفه ابنه الإمام "عبد السلام الأسمر"[2]، أما "محمد الحسان" فكان معلماً في قطاع التربية والآن هو متقاعد.

وعن الظروف العامة التي أحاطت بولادة "محمد باي" ففي العالم ميزها توتر شديد في العلاقات الدولية فالعالم كان لا يزال يعاني من تأثيرات ومخلفات الحرب الكونية الأولى (1914-1919م) ويئن من وطأة الأزمة الاقتصادية العالمية 1929م، مما أدى إلى ظهور حركات قومية مضادة قادتها أنظمة ديكتاتورية مستبدة، بدأت تظهر منذ عشرينات القرن الماضي، وما كاد يحل العقد الثالث من هذا القرن حتى اكتسبت شعبية واسعة في الأوساط واستهوت قلوب أتباعها كالنازية في المانيا، والفاشية في ايطاليا اللتان بدأتا تستعدان وتخططان لخوض حرب كونية ثانية لتعويض ما خسرتاه في الحرب الكونية الأولى من مناطق نفوذ .

وفي العالم العربي- الذي لم يكن أحسن حالاً من دول أوروبا المنهزمة في الحرب الكونية الأولى - تمكنت كل من بريطانيا وفرنسا وايطاليا من إحكام سيطرتهم عليه خلال هذه الفترة، فقد احتلت فرنسا سوريا ولبنان ومن قبلهما الجزائر وتونس والمغرب الأقصى وموريتانيا، واحتلت بريطانيا العراق والأردن ومصر، والسودان وأحكمت ايطاليا قبضتها على ليبيا، وبهذا ضاعت ممتلكات الامبراطورية العثمانية تحت شعارات الاستعمار غير المباشر المختلفة كالوصاية والحماية والانتداب أو الإستعمار المباشر.

أما بالنسبة للأوضاع العامة في الجزائر خلال هذه الفترة (1930م) فميزها تردي وتدني وتدهور المستوى المعيشي والصحي والثقافي والاقتصادي في أوساط الجزائريين نتيجة سيطرة القوى الاستعمارية الفرنسية

---

[1]- مقابلة شخصية، بمنزله (حي ساهل) ، بلدية اقبلي ، بتاريخ السبت 29 جانفي 2011.

*- توفي **احمد العالم** في صائفة 2010م.

[2]- محمد باي بلعالم : الرحلة العلية ، (ج2) ، المصدر السابق، ص ص (407- 408) .

والمستوطنون على جميع مناحي الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية كما أسلفنا ذكره، فقد قامت فرنسا في هذه السنة (1930م) باحتفالات سميت بالمئوية بمناسبة انقضاء قرن على غزوها واحتلالها للجزائر وتشييع جنازة الإسلام في هذه الأرض على حد تعبير أحد كبار مجرميها[1]، انفق فيها الفرنسيون حوالي مائة وثلاثين مليون فرنك قديم في مظاهر الأبهة والبذخ حيث نصبوا تمثالاً رمزياً للمهندس "بوتان" (boutane) في مدينة دالي إبراهيم – قرب العاصمة – اعترافاً بالجميل إلى بوتان الذي مكنهم – حسب قولهم – من الانتقام لشرف أوروبا وللإنسانية جمعاء من مدينة الجزائر،كما أعادوا ذكرى جيوش الاحتلال بلباسها وموسيقاها[2] واحتفلوا احتفالاً صارخاً هز مشاعر المسلمين، وكان صدمة قوية للشعب الجزائري، حيث أكلوا وشربوا وسكروا وتطاولت ألسنتهم على الإسلام، واللغة العربية ودامت احتفالاتهم الاستفزازية هذه مدة ستة أشهر من يناير إلى 5 يوليو 1930م[3]، هذا في الوقت الذي كانت فيه آثار الأزمة الاقتصادية تفعل فعلها في الأوساط الجزائرية البائسة فكان لهذه الاحتفالات وقعها وتأثيرها في قلوب وعقول الجزائريين، حيث أيقظت النائمين ونبهت الغافلين وقوت من عزم وتصميم المصلحين، والمناضلين السياسيين على محاربة الاستعمار والتصدي لكل سياساته الإغرائية والقمعية وبشتى الطرق المتاحة.

ففي العام الموالي من هذه المهزلة التاريخية – أي سنة 1931م- أعلن زعماء الإصلاح في الجزائر عن تأسيس "جمعية العلماء المسلمين الجزائريين" بزعامة الإمام المصلح الشيخ "عبد الحميد بن باديس"وكان تأسيسها كرد فعل على تلك الاحتفالات الاستفزازية، ولأسباب أخرى دينية وثقافية، فحملت مشعل التغيير والثورة في القرن العشرين عندما سطرت أهدافها المتمثلة في محاربة البدع والخرافات، وكل ما يسيء للدين والعقيدة الاسلامية خاصة الطرق الصوفية التي لعبت دوراً في تكريس معتقد القضاء والقدر بطريقة سلبية، وبالتالي كانت عوناً للاستعمار في السيطرة على الشعب، فقد ابتعد المرابطون والطرقيون كما يقول "سعد الله"[4]: «عن واقع الشعب ومعاناته اليومية، بل وأصبحوا عن وعي أو غير وعي أداة بيد السلطة الفرنسية لإبقاء الجماهير خامدة سهلة الاستغلال والسيطرة الاستعمارية» .

لذا رأى زعماء الإصلاح أن محاربة هذه الطرق أمر لا بد منه لإبعاد الناس عن كل معتقد مشين يُضعف ولا يُقوي، ومن أجل استرجاع الشخصية العربية الاسلامية، وهذا ما أكده رئيس الجمعية الإمام "عبد الحميد بن باديس" عام 1935 في قوله: « أن الغرض من تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، هو محاربة الخرافات والشعوذة التي عمت البلاد بسبب الطرقية والطرقيين...»[5].

---

[1] – رابح لونيسي وآخرون: تاريخ الجزائر المعاصر(1830- 1989) ، (د،ط) ، دار المعرفة ، الجزائر : 2010 ، ص 221 .

[2] – عبد الكريم بوصفصاف: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في الحركة الوطنية (1931-1945) ، (ط2) ، عالم المعرفة، الجزائر: 2009 ص 85 .

[3] – رابح لوينسي وآخرون: المرجع السابق ، ص 221 .

[4] – الحركة الوطنية الجزائرية (1930- 1945) ، (ج3) ، المرجع السابق، ص 95 .

[5] – عبد الكريم بوصفصاف: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في الحركة الوطنية (1931-1945)، المرجع السابق، ص 99 .

بل وكان يردد دائما عبارة (انتقد ولا تعتقد) تحدياً للنهج الذي تسير عليه الطرق الصوفية التي كانت توجه أتباعها من خلال مقولة (اعتقد ولا تنتقد)[1]، فقام زعماء الجمعية من أمثال: "ابن باديس" و"البشير الإبراهيمي"(1889-1965)*، و"العربي التبسي"(1893-1957) **و"الطيب العقبي" (1890-1960) ***و"مبارك الميلي"، وغيرهم بالتصدر لدروس الوعظ والإرشاد في المدارس الحرة والمساجد لمحاربة الجمود الفكري والآفات الاجتماعية وإحياء السنة واماتت البدع، والوقوف ضد كل محاولة تهدف إلى مسخ الشخصية الجزائرية أو محو معالمها التاريخية، كما انه في هذه الفترة ازدادت الروح النضالية بين أعضاء "نجم شمال إفريقيا الشمالية" الذين ازدادوا تطرفاً في الوطنية بزعامة "أحمد مصالي الحاج" .

وهكذا فقد ولد مترجمنا "محمد باي" في فترة ميزها ظهور الإصلاح – الذي سيكون احد حاملي شعلته – والحركة الإصلاحية في الجزائر، التي استمدت تعاليمها ومبادئها وأفكارها من حركات الإصلاح التي ظهرت في المشرق الإسلامي،كحركة "محمد عبده"(ت 1905م)، و"جمال الدين الأفغاني"، و"رشيد رضا" التي تدعو إلى إصلاح الفرد والمجتمع بالرجوع إلى تعاليم الدين الحقة وقيمه السمحاء .

أما بالنسبة للوضع في إقليم تيديكلت (الذي ولد فيه مترجمنا) بصفة خاصة وفي إقليم توات بصفة عامة فقد ميزه التغلغل البطيء للاستعمار الفرنسي حتى هذه السنة (1930م) في هذه المناطق من الصحراء الجزائرية الكبرى نظراً لجهله لها، ولصعوبة مسالكها.

وكان لتحكم الاستعمار في الخلق والأرزاق تأثيره على الحياة الاجتماعية في منطقة توات إذ توقفت تجارة القوافل – التي كانت بلدة اقبلي من أهم مراكزها – حيث أصبحت الادراة الفرنسية تتحكم فيها،كما تم اضطهاد رجال الدين حتى اختفت أسماء مدارس وزوايا قرءانية اشتهرت في القرون السابقة للاحتلال الفرنسي كمدرسة ساهل باقبلي، وزاوية أبي نعامة الكنتية باقبلي أيضا وزاوية أبي الأنوار التنلاني، وزاوية كنتة، ومدرسة تمنطيط

---

[1] – عاشور شرفي: المرجع السابق ، ص 29 .

*– **البشير الإبراهيمي** (1889-1965) : فقيه مصلح شاعر وخطيب مفوه اسمه الحقيقي محمد بن البشير بن عمر طالب ولد في 14 جويلية 1889 في أسرة من المتعلمين بأولاد براهم في سطيف وأسس رفقة ابن باديس وآخرون عام 1931 جمعية العلماء المسلمين الجزائريين تولى فيها منصب نائب الرئيس وبعد وفاة ابن باديس 1940 تولى رئاسة الجمعية، سجن وفرضت عليه الإقامة الجبرية عدة مرات في 1952 غادر الجزائر نحو الشرق الأوسط للإشراف على مجموعة الطلبة الجزائريين في الجامعات العربية توفى في 19 ماي 1965 من مؤلفاته عيون البصائر، أثار الإبراهيمي 3 مجلدات، ينظر، عاشور شرفي : المرجع نفسه ، ص20

– **العربي التبسي(1893- 1957) : علم من إعلام الإصلاح الديني في الجزائر مناهض للسياسة الاستعمارية ساهم في الحركة الإصلاحية في الجزائر اسمه الحقيقي جردي العربي ولد بالشريعة ولاية تبسة عين عضو في المكتب التنفيذي لجمعية العلماء (1932) ونائب الأمين العام تم إعدامه في 17 افريل سنة 1957 من طرف إدارة الاحتلال ثم أعلن انه من المفقودين، ينظر عاشور شرفي : المرجع نفسه ، ص 436 .

***– **الطيب العقبي** (1890-1960): هو الطيب بن محمد بن إبراهيم بن الحاج صالح العقبي خطيب، كاتب صحفي من رجال الحركة الإصلاحية الاسلامية ولد في بلدة سيدي عقبة وتولى الوعظ والإرشاد في نادي الترقي بمدينة الجزائر، وشارك في تأسيس جمعية العلماء المسلمين عام 1931 واختير نائبا للكاتب العام وانفصل عنها في أوائل الحرب ع2 لخلاف بينه وبين زملائه أعضاء الجمعية، مات بالجزائر العاصمة عام 1960 ، ينظر عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر ، (ط2) ، مؤسسة نويهض الثقافية للنشر، بيروت : 1980، ص ص (238-239) .

وزاوية تنيلان وغيرها من الزوايا والمدارس القرءانية التي قام الاستعمار بنهب خزائنها العلمية فأخذ ما بها من المخطوطات، التي لم يسلم منها الا ما اندس من طرف السكان، لذا تردى الوضع الثقافي في المنطقة وكذا الاجتماعي والاقتصادي نتيجة توقف حركة القوافل التجارية التي كان يعتمد عليها سكان المنطقة كمورد هام لعيشهم، ومنبع لثقافتهم فأصبح قوت أهل المنطقة الغالب هو التمر، أما المسكن فكان من بيوتات الطين المغطاة بجذوع النخل والملبس كان جله من الصوف المنسوج، أو القادم من بلاد السودان، أومن الشمال أحيانا[1].

وفي ظل هذه الأوضاع ولد "محمد باي"، وعاش أيام طفولته في مجتمع قروي بسيط تنعدم فيه أبسط متطلبات الحياة من مأكل وملبس ومسكن نهيك عن انعدام وسيلة النقل التي كانت تتمثل في أغلبها إلى هذا التاريخ (1930م) في سفينة الصحراء (الجمل)، وعلى الرغم من ظروف الحياة القاسية والأوضاع المزرية التي ولد فيها مترجمنا إلا أن ذلك لم يثن من عزمه، و لم يكسر من عزيمته في طلب العلم، والرحلة إليه .

ثانياً- نشأة محمد باي بلعالم :

نشأ وترعرع "محمد باي" في بيئة علمية محافظة فهو ينحدر من أسرة علمية متوسطة الحال اشتهرت بالعلم والجود والكرم في بلدة اقبلي، اهتمت بتعليمه منذ صغره، مما كان له انعكاس على شخصيته العلمية فيما بعد، فقد عاش في كفالة والده الشيخ "محمد عبد القادر الفلاني" منذ ولادته إلى وفاة والده عام (1372هـ/ 1952م) فقد كان أحب أبنائه إليه، إذ كان يعامله بالإحسان ويتعهده بالتربية الدينية بل وكان المدرسة الأولى له حيث أخذ عنه مبادئ الفقه والنحو كما أحاطه بكل عناية ورعاية كما يذكر عنه[2]، وإلى جانب عطف والديه وعنايتهما به أحاطه الطالب "محمد بن عبد الرحمن بن المكي بلعالم"[*] زوج خالة والدته ومربيه بعناية فائقة، وغمره بالحنان والعطف وكان يحبه حب الأب لابنه كما اخبرنا بذلك أخوه "محمد عبد الرحمن"[3] لأنه لم يكن له أولاد لذا أخذه عنده هو وأخيه الصغير "محمد الحسان"، وتكفل بتربيتهما.

وقد تحدث "محمد باي"[4] عن علاقته بالطالب المكي مربيه قائلا: « أخذت عنه الكثير من الفوائد والشرائد وكنت أنام معه في منزله مدة صغرى من الفطام إلى الصيام، وكان الأب الثاني بعد والدي ولقد دعا لي بالخير وكنت أحبه كحب والدي، وكذلك زوجته خالة والدتي نلت منها الحنو والعطف ما يناله الولد من أمه »؛ مما يدل على قوة العلاقة والرابطة التي كانت تجمعه بالطالب المكي فهو مربيه ومعلمه في نفس الوقت، حيث حفظ على يديه القرآن الكريم وتعلم عليه بعضاً من مبادئ الفقه المالكي قبل أن ينتقل إلى المدرسة الطاهرية بسالي.

---

[1] - حاجي حمادي: المقابلة السابقة .

[2] - محمد باي بلعالم: الرحلة العلية ، (ج2) ، المصدر السابق ، ص 401 .

[*] - **الطالب محمد بن عبد الرحمن بن المكي**: إمام ومعلم قرءان ولد سنة 1310هـ وتوفي سنة 1365هـ/1945م كرس حياته في تحفيظ القرءان وخدمة المسجد ببلدة ساهل من اقبلي، له معرفة بالعلوم الشرعية والفقهية، كان كثير المطالعة ومجاهدا ومجدا في تدريس القرءان، تخرج على يديه الكثير من حفظة القرءان الكريم ، ينظر ، محمد باي بلعالم : قبيلة فلان، المصدر السابق، ص 56.

[3] - المقابلة السابقة .

[4] - الرحلة العلية ، (ج2) ، المصدر السابق ، ص401 .

إن هذه النشأة والظروف التي أحاطت بولادته ساهمت كلها في تكوينه العلمي، والشخصي مستقبلا كما كان لها اثر كبير في أخلاق "محمد باي" وعلاقاته مع غيره من الناس وفيما امتاز به من الصفات في رجولته فقد تربى في جو علمي وديني متميز محاط بعناية والدتين والدته الأم "خديجة"، ووالدته المربية خالة أمه، ووالدين والده الأب الصلب الشيخ "محمد عبد القادر"، ووالده المربي والمعلم "الطالب المكي" اللذان أحاطاه بكل أنواع العناية والعطف والحنو والدعاء الصالح.

ثالثاً- زواج محمد باي وحياته الأسرية:

تزوج "محمد باي بن محمد عبد القادر بلعالم" في سنة 1954م من "فاطمة بنت الحاج العربي فرجاني"[1] من عائلة فرجاني السوفية – نسبة إلى واد سوف – المستقرين بمدينة أولف، وأنجبت له "فاطمة بنت الحاج العربي" تسعة أولاد ثلاثة ذكور هم: "محمد عبد الله"، "محمد عبد القادر" و"أحمد العالم" جميعهم موظفون في الحكومة، وستة بنات هن: "نصيرة"،"رحمة"، "الزهرة"، "عائشة"، "أم كلثوم"، و"مبروكة"، وبعد وفاة زوجه الأولى "فاطمة فرجاني" عام 1999م تزوج من السيدة "فاطمة بنت الشيخ معمري" من قبيلة الزوى في نفس العام[2] و لم يكن له معها عقب .

وكانت علاقة "محمد باي" بأفراد أسرته بما فيهم زوجه وأبنائه، وعائلته علاقة متينة، إذ كان يسأل عن غائبهم ويزوره ويجالس حاضرهم ويسليه[3]، فهذه زوجه "فاطمة معمري"[4] تصف لنا علاقتها به فتقول: «كان يعامل جميع أفراد عائلته باحترام، وكان يعاملني باحترام وكان شديد الحب للأطفال وكنت انظر إليه بعين الإكبار كما كنت احترمه احتراماً كبيراً ولا زلت احترمه ميتاً كما كنت احترمه حيا بل وأكثر»، وهذه ابنته "أم كلثوم"[5] تصف لنا علاقته بها وبإخوتها فتقول: «كانت علاقتنا بوالدي رحمه الله علاقة ود واحترام ومحبة إذ كان المدرسة الأولى لتربيتنا وتعليمنا قبل أن ننتقل إلى المدرسة القرءانية للطالب عبد الله المنوفي، وكان رحمه الله يعاملنا معاملة الأب لابنه فلم يرفع يده علينا قط، ولا غضب منا لأكثر من لحظة، وكان كثيراً ما يستأمننا على أمواله وكتبه »، كما كان محباً لأحفاده خاصة الأطفال فتجده يحرص على رؤيتهم ويحيطهم بالعطف والحنان وبالدعاء الخالص مثل دعاء: « يجعل الله لك قصورا من نور حتى لا تسقط عليك يد فاجر ولا مغرور»[6] وإليها، ومن شدة حبه للأطفال يضع لهم البيض ومالذ من الطعام ولا يتذوقه[7].

[1] – محمد عبد الرحمن بلعالم: المقابلة السابقة .

[2] – سعيدة بلعالم: مقابلة شخصية، بمنزل الشيخ محمد باي بلعالم، بحي الركينة (بلدية أولف) بتاريخ : الثلاثاء 29 مارس2011 .

[3] – محمد عبد الرحمن بلعالم : المقابلة السابقة .

[4] – مقابلة شخصية، بمنزل الشيخ باي بلعالم، بحي الركينة ، (بلدية أولف) بتاريخ : الثلاثاء 29 مارس 2011 .

[5] – مقابلة شخصية، بمنزل الشيخ محمد باي بلعالم بحي الركينة (بلدية أولف) بتاريخ : الخميس 05 افريل 2012م

[6] – سعيدة بلعالم: المقابلة السابقة .

[7] – فاطمة معمري: المقابلة السابقة .

فعلى الرغم من كثافة برنامجه اليومي، وقيامه بمهام التدريس وإمامة المصلين بالمسجد واستقبال الضيوف في المنـــزل وفي مدرسته يومياً، يضاف إليها تنقلاته الدائمة، الا أن هذا لم يمنعه من مجالسة أهله ولا من استئناســـهم والجلوس معهم .

أما عن ملبسه فكان رحمه الله شديد الحب للون الأبيض إذ كان يفضله في لبسه ونعله مما يعكس لنا صفاء سريرته، ويحب من أنواع الملابس زي الشيوخ من العباءة والعمامة أو الشاش بالمحلية، ويفضل منها أقدمها علـــى الرغم من أن العديدين كانوا يهدون له ملابس جديدة، الا انه كان يهديها ولا يرتدي من الثيـــاب الا قـــديمها تواضعاً منه، كما كان رحمه الله قليل الخروج الا للمدرسة أو المسجد لأداء الصلوات الخمس، أو لدعوة عـــرس فتجده طوال الوقت في حجرته عاكفا على قراءة القرءان[1]، وأكثر ما يحبه من أنواع الأطعمة، التقليديـــة منـــها كالكسكس والخبز، ومن المشروبات الشاي، بل وكان حريصاً على أن يضيف بها ضيوفه[2].

وبالجملة فقد كان "محمد باي بلعالم" على هدي السلف الصالح ممن صحبوا الرسول عليه الصلاة والسلام مقتدياً بهم خُلقاً وسيرةً وتعاملاً في لبسه وجلوسه وتعامله مع أفراد أسرته أو مع الآخرين، فقد كان جم التواضع زاهدا في الدنيا معرضاً عن زخرفها، ناكراً لذاته وهو ما يعطينا فكرة عن طبيعة شخصه وفكره، ورؤيته الإصلاحية في مجتمعه.

رابعاً– أخلاق محمد باي بلعالم:

لقد كان للتربية الدينية التي حظي بها "محمد باي" منذ الصغر، والبيئة الصحراوية التي نشأ فيهـــا والـــتي منحته الكثير من الخصال الحميدة كالجود والكرم وسمو النفس والصبر والمثابرة والتضحية التي جعلته يتبوأ مكانـــة علمية ودينية واجتماعية مرموقة أثرهما الواضح على شخصيته وصفاته فيما بعد، فقد كان كما أخبرتنـــا زوجـــه "فاطمة معمري"[3]: «ذا قلب طيب، لا يغضب من احد لا علي ولا على أبنائه أو أحفاده، يحب الجميع ويعاملهم باحترام فتجده لا يرد هاتف ولا ضيف ولا طارق يطرق بابه حتى وان طرق ليلاً وأكثر مـــا يحـــب الضـــيوف والأطفال، فتجده لا يمل من مجالسة الضيوف ومحاكاتهم، ولا من إطرافهم وإتحافهم بطرائفه وموائده » .

ونظرا لتعامله الطيب مع الناس كانوا يقبلون عليه من كل مكان، بل ومنهم من كان يأتيه ليلقي عليـــه التحية لا غير وبلغ من حبه لمجالسة الناس والتقرب إليهم ومحاورتهم والاستماع إليهم إلى درجة إن سألت أحدهم عن علاقته بالشيخ "محمد باي" يجيبك قائلاً: (بأنني من المقربين والمحببين للشيخ كثيراً)، فقد كان رحمه الله لا يحقد على أحد أو يأخذ منه موقفاً وأحياناً تجده يشدد على الناس أو يغضب لكن في حاجة لله لا لنفســـه[4]، إذ كـــان يسامحهم إذا أذوه ويجهر لهم قائلاً: أنتم في حل[5]. ومن سماحته كان كلما قدم من الحج ينادي في ســـكان دائـــرة

---

[1] – فاطمة معمري: المقابلة السابقة .

[2] – أم كلثوم بلعالم: المقابلة السابقة .

[3] – المقابلة السابقة .

[4] – عبد الله حامد لمين: مقابلة شخصية، بمكتبة الشيخ محمد باي بلعالم بحي الركينة ، (بلدية أولف) بتاريخ : الأربعاء 30 مارس 2011م

[5] – محمد باي بن مالك: (كلمة تأبينية في فقيد الإسلام والمسلمين الشيخ محمد باي بلعالم)، فعاليات الأمسية التي أقيمت بحي ساهل ترحما على روح فقيد الإسلام والمسلمين الشيخ محمد باي بلعالم ، بتاريخ : الثلاثاء 12 ماي 2009 ، ص 8 .

أولف الذين يتوافدون لاستقباله مع وفد الحجاج من كل سنة قائلاً: إني مسامحاً للجميع كما أطلب من الجميع أن يسمحوا لي[1] .

نلاحظ أن هذه الصفات الحميدة والأخلاق الفاضلة التي امتاز بها، من الكرم والجود وحسن الضيافة والسماحة والعطف والإيثار والمحبة، والتقوى وغيرها من مكارم الأخلاق، وفضائل الصفات التي استمدها من وحي القرءان الكريم ومن هدي الرسول صلى الله عليه وسلم جعلت منه يسير على هدي السلف الصالح من الأمة فكان لا يغضب على أحد إلا في حاجة لله، خاصة فيما يتعلق بأمور الدين من عبادات ومعاملات، وفي المقابل كان شديد الحرص على كسب ثقة الناس وحبهم فتجده يقربهم إليه، ويفتح قلبه وبيته ومكتبته لهم اقتداء بسيد المرسلين الذي كان يدعو قومه بالحكمة والموعظة الحسنة ويؤلف بينهم. لذا كان كثيرا ما يسال الله الإخلاص في العمل الله وأن يوفقه للهداية وأن يرزقه حسن الخاتمة من ذلك دعاؤه: (**اللهم اهدنا فيمن هديت وعافينا فيمن عافيت وتولنا فيمن توليت وبارك لنا في ما أعطيت، وقنا برحمتك واصرف عنا شر ما قضيت انك تقضي ولا يقضى عليك**) ودعاء: (**اللهم أجرنا من النار**)[2] ودعاء: (**اللهم إنا نسألك السعادة والستر وحسن الخاتمة والموت على الشهادة والحسنى وزيادة**) ودعاء: (**اللهم ارزقنا الإخلاص في العمل**)[3]، وغيرها من الأدعية التي وردت عن الرسول صلى الله عليه وسلم.

ونظراً لما امتاز به من طيبة القلب والأخلاق الفاضلة والصفات الحميدة كان محل تقدير واحترام وإعجاب بكل من التقى بهم أو تعرف عليهم أو جالسوه أو تعلموا على يده أو استفادوا منه، حيث ترك في قلوبهم وذاكرتهم انطباعاً لا ينسى مهما طال الزمن، ومهما تقلب بهم الوقت؛ من ذلك ما قاله عنه الرئيس السابق "لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين" "عبد الرحمن شيبان"* رحمه الله واصفا إياه: « أنه مرشد بصير يدعو إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة التي تهدي إلى الصراط المستقيم ...وهو عالم يحب العلم، ويجل العلماء ومعلم ناجح في التعليم، مؤلف في شتى العلوم والفنون... دمث الأخلاق متواضع مؤنس محسن باللسان واليد والقلم يؤلف بين القلوب ويصالح بين الناس في مختلف المشكلات التي ما بين الأقارب والأباعد، وظريف يحب الطرفة وينشئها إلى غير ذلك من الكملات الاسلامية والإنسانية...»[4]، وقال عنه السيد "بكراوي عبد الرحمن" مدير الشؤون الدينية والأوقاف لولاية ادرار واصفاً إياه:« هو علم من أعلام المنطقة ومرجعية من مرجعياتها، الجامع بين الورع والكرم المتصف

---

[1] – إبراهيم ابلالي: مقابلة شخصية ، بمنـــزله بحي ساهل (بلدية اقبلي) دائرة أولف ، بتاريخ : الجمعة 26 أوت 2011 م.

[2] – فاطمة معمري: المقابلة السابقة.

[3] – محمد الحسان بلعالم: مقابلة شخصية ، بمنزله بحي ساهل (بلدية اقبلي) ، دائرة أولف ، بتاريخ : السبت 29 جانفي 2011 .

* – **عبد الرحمن شيبان**: من مواليد 1918بالبويرة ، وزير الشؤون الدينية (1980-1986) ورئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين منذ 1998 تحصل على دبلوم العالمية من جامعة الزيتونة وكان عنصرا نشيطا ضمن جمعية العلماء ومحررا دائما في الجريدة الناطقة بلسانها البصائر شغل عدة مناصب كما كان عضوا بالمجلس الأعلى الإسلامي عندما أصبح وزير للشؤون الدينية في 1980 حتى 1986، ويعد أول نائب لرئيس جمعية العلماء المسلمين التي أحييت في 1991 ورئيسا لها منذ وفاة الشيخ احمد حماني في جوان 1998 ينظر، عاشور شرفي : المرجع السابق ، ص922 ، توفي الشيخ شيبان في أوت / رمضان 1431هـ/2011م.

[4] – محمد باي بلعالم: الرحلة العلية ، (ج1) ، المصدر السابق ، ص ي1 .

بالأدب والوقار، المعروف بسعة الدراية وضبط الرواية صاحب الحافظة القوية، والذكاء الثاقب الكاتب المبدع والشاعر المفلق الفقيه والمؤرخ المدقق»[1]، وقال فيه الإمام "عبد الحميد بكري"[2]:« واحد من أعظم علماء منطقة توات في العصر الحالي، لا يضاهيه أحد في الكتابة فقيه، نحوي، شاعر، بكل ما تحمله الكلمة من معنى له مؤلفات فاقت الأربعين تنوعت ما بين فقه ونحو وحديث وغير ذلك قمة في الأدب، والأخلاق...»، وهذا "الشيخ ناصر بونيف" مدير الشؤون الدينية والأوقاف لولاية النعامة يصفه تقريباً بنفس الوصف فيقول عنه: « انه ذو حافظة قوية وذكاء المعي ومطالعة واسعة واجتهاد لا يعرف الملل »[3].

ومن الأساتذة والدكاترة الذين ربطتهم به علاقة واستفادوا منه وترك فيهم انطباعاً نذكر: الأستاذ "إبراهيم ابلالي"[4] الذي قال فيه: « إن أستاذنا وشيخنا المرحوم محمد باي بلعالم القبلوي علم من الأعلام الذين يعدهم التاريخ الحاضر من ذخائره، فهو إمام متبحر في العلوم الاسلامية نافذ البصيرة، وافر الاطلاع، كريم جواد محب محبوب أقرأ وأفاد...وجه الحائرين وأزال اللبس والغموض عن المسائل المستعصية وأمن الخائفين وقلل من روعهم فكان كالنواة التي تتمركز وسط الشيء لا تغيب عنه شاردة ولا واردة الا أتى عليها وفك لغزها » والاستاذ "محمد دباغ"[5] الذي اخبرنا عن رأيه الشخصي فيه فقال:« انه شخصية نادرة قلما توجد، فقد كان رحمه الله فقيهاً، لغوياً وأديبا ومؤرخاً ونسابة ومصلحاً ومجدداً في كثير من القضايا العلمية والإصلاح الاجتماعي » وحدثنا أيضا "الأستاذ محمد حوتية"[6] عن شخصيته فقال: «كان محاور فكاهي يساعد الباحثين يحب من طلبة المنطقة أن يدرسوا، وكان عصرياً مقارنة مع شيوخ الزوايا الآخرين- حداثي - وكان محاوراً للكل، ويستمع للكل ويعتمد على الحجج العقلية كثيراً » ويقول عنه الاستاذ "مبروك المصري"[7]:«كان رحمه الله يتميز بالأخلاق العالية سواء في أقواله، أو أفعاله، أو تصرفاته أو في حله وترحاله، وكان يتخلق بأخلاق العلماء العاملين لذا أفاد الكثير سواء داخل الوطن أو خارجه » ويقول عنه تلميذه "حامد لمين عبد الله"[8]: «انه متواضع مصلح يحب مجالسة الناس وإصلاح ذات بينهم ويحب اليتامى ويسأل عنهم ويؤدي الأمانة لهم»، وقال فيه تلميذه "محمد باي بن مالك"[9]في كلمة تأبينية يرثيه فيها والتي كانت جامعة لخصاله وصفاته وأخلاقه وفضائله وأعماله ما يلي: «كان شيخاً عالماً ناصحاً داعياً معلماً مدرساً مرشداً مجاهداً مناضلاً مثابراً مسامحاً أباً رحيماً عطوفاً رفيقاً حبيباً محباً متواضعاً... يذهب إلى الناس قبل أن يأتوه ويحبهم قبل أن يحبوه ويقربهم قبل أن يقربوه ويسامحهم ويجهر لهم (أنتم في حل) وهم يؤذوه ... ، يُعلم الناس ويسأل عن أحوالهم ويتألم لألآمهم ويسعى في قضاء مصالحهم وتفريج كربهم، يدعُ الله

[1] – محمد باي بلعالم: الرحلة العلية ، (ج1) ، المصدر السابق ، ص ي21 .

[2] – المصدر السابق، ص ص (17- 18) .

[3] – محمد باي بلعالم : الرحلة العلية ، (ج1)، المصدر السابق ، ص ي28 .

[4] – المقابلة السابقة .

[5] – مقابلة شخصية ، بالجامعة الإفريقية (العقيد احمد دراية) ولاية ادرار، بتاريخ: الاثنين 13 جوان 2011.

[6] – مقابلة شخصية، بالجامعة الإفريقية (العقيد احمد دراية) ولاية ادرار، بتاريخ: الاثنين 23 ماي 2011.

[7] – مقابلة شخصية، بالجامعة الإفريقية (العقيد احمد دراية) ولاية ادرار، بتاريخ: الأحد 30 اكتوبر 2011.

[8] – عبد الله حامد لمين: المقابلة السابقة .

[9] – (كلمة تأبينية في فقيد الإسلام والمسلمين الشيخ محمد باي بلعالم)، فعاليات الأمسية، المرجع السابق، ص 8.

لهم، يعين ذا الحاجة ويقف معه، يطعم الضيف ويبش له ويكرمه، ولا يعدم سائله نواله ولا جليسه نوبته في مخاطبته....» .

فلقد كان "محمد باي بلعالم" من العلماء الذين سلكوا طريق علماء السلف الصالح عقيدة وعملاً وسلوكاً وأخلاقاً يحافظ مثلهم على زي الشيوخ ووقارهم وسمتهم العامة وهذا بشهادة تلامذته بالأراضي المقدسة أيضا حيث يقول عنه تلميذه الدكتور "آدم محمد علي العروسي"[1] (ابوخالد) المدني في رسالة بعث لنا بها* سطر فيها رأيه الشخصي في العلامة "محمد باي" فكان مما قال فيه: « الشيخ الوالد الجهبذ محمد باي بلعالم الجزائري، فلم تر عيني مثله علماً وفضلاً وتواضعاً رحمه الله تعالى،كان له رحمه الله تأثير عظيم على كل من رآه وقابله وتتلمذ عليه واستفاد من علمه الغزير وخلقه الكريم... ويصعب على المرء إحاطة ما للشيخ من مكانة علمية، وصفات حميدة وخلق كريم ...»، ويقول فيه تلميذه " مصطفى بن محمد إبراهيم برناوي" (أبو أسامة)[2] الذي راسلناه أيضا**: «... هو مثال في التواضع مثال في شخصية العالم الذي يهب جل وقته في طلب العلم وتعليمه وتبليغه للناس ابتغاء وجه الله تعالى هذا العالم الجليل فريد عصره ووحيد دهره نادرة من النوادر بقية السلف الصالح رضوان الله عليهم أجمعين، فقد ضرب بسهمه في شتى مجالات العلم والمعرفة ... وعلى ضعف جسمه ورقة عوده لكنه صاحب قلب كبير قوي بالله تعالى مفعم بالإيمان له مؤلفات عديدة نافعة... وفي بلاد الحرمين الشريفين مكة المكرمة، والمدينة المنورة ...كان يلتقي بطلبة العلم الذين يلتفون حوله، ويقتبسون من علمه وهديه، وسمته وخلقه الكريم فكان لا يبخل على أحد بالنصيحة أو التوجيه والإرشاد مع الابتسامة، والدعابة الهادئة التي لا تفارقه على كل الأحوال...».

إذاً هذه نتف من أقوال بعض المشايخ والأساتذة والتلاميذ الذين ربطتهم بالعلامة "محمد باي" علاقة أخوية إسلامية شهدوا له فيها بالصفات الحميدة، والخُلق الحسن – فقد كان قمة في الأخلاق – حتى ألحقوه بالسلف الصالح من علماء الأمة ومن علماء المذهب المالكي، وإلى جانب هذا كانت له علاقات واسعة مع مختلف أطياف المجتمع من أطباء وقضاة وأدباء ومهندسين وعامة حتى أصبح محل ثقة الجميع فكسب ودهم واحترامهم.

[1]- مراسلة شخصية بتاريخ : 2010/11/01 وكان الرد في شهر ديسمبر من نفس السنة .

*- ينظر الملحق رقم : 01 .

[2]- مراسلة شخصية بتاريخ : 2010/11/01 ، وكان الرد في شهر ديسمبر من نفس السنة ص1 .

**- ينظر الملحق رقم : 02 .

وما لاحظناه على علاقاته المنفتحة هذه على مختلف طبقات المجتمع أنها قلما تكون لعالم من العلمـــاء في وقتنا هذا نظراً لاتساع الفجوة في أذهان بعض الناس بين ما يسمى بعلوم الدين وعلوم الدنيا، إلا انه استطاع أن يردمها بفضل انفتاحه العلمي والاجتماعي، لأن الأمة في بعض الأحيان قد تكون أحوج للطبيب، أو المهندس، أو الأستاذ من الفقيه .

ويبدو أن "محمد باي" كان حكيماً في انفتاحه هذا على فئات المجتمع، لأنه كان على دراية تامـــة بـــأن إصلاح مجتمعه والقضاء على مظاهر الفساد فيه يحتاج أولاً إلى إصلاح القلوب كأول خطوة، وإصلاح القلوب لا يكون الا باستهوائها – حتى لا تنفر منه – ثم يأتي بعد ذلك إصلاح العقول كخطوة ثانية .

المبحث الثالث : محمد باي بلعالم طالباً للعلم .

نشأ مترجمنا في بيئة وأسرة علمية اهتمت بتدريسه وتعليمه منذ الصغر لا سيما والده الشيخ "محمد عبد القادر"– كما أسلفنا ذكره – فاجتاز بذلك جميع مراحل الدراسة الدينية المعروفة في إقليم توات بدءاً بمرحلة الكتاب ثم الانتقال إلى الزاوية، وأخيراً مرحلة الإجازة العلمية أو التأهيل وهذه المراحل هي أشبه ما تكون بمراحل التعليم الحكومي النظامي حالياً .

أولاً : مرحلة الكتاب .

أدخل الشيخ "محمد عبد القادر" ابنه "محمد باي" إلى الكتاب أو ما يسمى (اقربيش) باللهجة المحلية وهو في السن الخامسة من عمره على عادة أهل توات أين درس القرآن الكريم، وأتم حفظه كاملاً على يد مربيه ومعلمه الإمام "محمد بن عبد الرحمن بن المكي" وهو ابن سبعة عشر سنة[1]،كما تعلم عليه قواعد الكتابة (الإملاء)، ودرس عليه بعضاً من متون العقيدة ومبادئ التوحيد، ومبادئ الفقه كأحكام الطهارة والصلاة بالإعتماد على متون تدرس للطلبة في هذه المرحلة (مرحلة الكتاب)كمتن ابن عاشر[2]*، ومتن الأوجلي والسنوسية الصغرى**.

ومما لاشك فيه أن القرآن الكريم يعد الدعامة الأولى في تثبيت العقيدة، وإدراك أسرار اللغة العربية نحواً وصرفاً وبلاغةً وعلى تعلمه يَنبني ما يحصل لطالب العلم من الملكات فيما بعد، إذ يقول العلامة "ابن خلدون"[3]، في فضل تعليم الولدان القرآن الكريم ما يلي: « اعلم إن تعليم الولدان للقرآن شعار الدين أخذ به أهل الملة ودرجوا عليه في جميع أمصارهم لما يسبق فيه إلى القلوب من رسوخ الإيمان وعقائده من آيات القرآن... لأن السابق الأول للقلوب كأساس للملكات، وعلى حسب الأساس وأساليبه يكون حال ما ينبني عليه ».

لذا كان يحرص الأجداد ومن بعدهم الآباء في المنطقة على تعليم أولادهم القرآن الكريم وفي سن مبكرة،كما أن تعليم القرآن يكسب الطلاب مهارة التلاوة، ويجعلهم على اتصال دائم مع كتاب الله لتدبر معانيه ولغته وأساليبه التعبيرية، ويكسبهم قدرة الاستشهاد بآياته سواء في دراستهم، أوحياتهم .

ولعل مترجمنا قد حصلت له الملكة من تعلم القرآن الكريم، ثم تعمقت وتأصلت بعد انتقاله إلى المدرسة الطاهرية بسالي – من توات الوسطى – وخلال تنقلاته ورحلاته، إذ بلغ من حبه الشديد للقرآن الكريم، والعلم

---

[1] – أم كلثوم بلعالم : المقابلة السابقة .

* – **ابن عاشر** : هو أبو محمد عبد الواحد بن احمد بن علي بن عاشر الأنصاري نسباً الأندلسي أصلاً الفارسي منشئاً وداراً كان عالماً ورعاً أخذ عن شيوخ كثيرين في القراءات والنحو والفقه والتوحيد ودرس الأصول والفقه والحساب والفرائض والمنطق والبيان توفى رحمه الله عام 1040 هـ ، ومتنه هو عبارة عن ملخص للأحكام الأساسية الضرورية من علوم الدين وهو أحد المتون الفقهية المعتمدة للتدريس في الزوايا والمدارس : ينظر محمد الدباغ : (الكتابة الصوفية عند الفقهاء ، متن ابن عاشر أنموذجاً) مجلة الأثر ، (ع3) ، دار الهدى للطباعة والنشر ، عين مليلة: ابريل 2009 ، ص ص (94-95) .

– **السنوسية الصغرى: نسبة إلى مؤلفها محمد بن يوسف بن عمر بن شعيب السنوسي ولد سنة 832هـ توفى سنة 895 هـ كان من كبار علماء تلمسان وزهادها من أهم آثاره : العقيدة الكبرى، والعقيدة الصغرى ثم المختصر وهي المعروفة بصغرى الصغرى، ينظر، احمد جعفري : المرجع السابق ص 92 .

[3] – المقدمة ، تحقيق وتعليق : محمد صديق المنشاوي ، (د،ط) ، دار الكتاب ، دار الفضيلة ، القاهرة : 2005م ، ص 688 .

وشغفه بهما أن كان منذ صباه يتشوق للآذان، إذ كان كثير الترديد لعباراته حتى قال فيه يوماً معلمه ومربيه الطالب "محمد بن عبدا لرحمن بن المكي" وهو يسمعه يردد الآذان:(هذا الصبي نظن فيه أن يكون داعية)[1]، وما كان لمربيه ومعلمه الطالب "بن المكي" أن يتوسم فيه ذلك إلا لما رآه فيه من شغف بالعلم وحب للآذان الذي هو إعلاء لكلمة التوحيد كلمة (لاإله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم) .

وبعد حفظه للقرآن الكريم كاملاً على يد معلمه "الطالب بن المكي"، قرأ على والده بعضاً من المبادئ الفقهية والنحوية وغيرها من الفنون العلمية، ذلك لأن تعلم الفقه من عبادات ومعاملات يجعل المتعلم على دراية ومعرفة بالتشريعات التي تنظم علاقته بربه كالصلاة والزكاة كما يتم له التعرف على أساليب التكافل الاجتماعي[2] وتعلم اللغة بما فيها النحو والبيان أمر ضروري على أهل الشريعة كما يقول العلامة "ابن خلدون"[3]خاصة النحو إذ به تتبين أصول المقاصد بالدلالة فيعرف الفاعل من المفعول، والمبتدأ من الخبر ولولاه لجهل أصل الإفادة، لذا عكف والده على تعليمه الضروري من علوم الدين قبل أن يبعثه إلى المدرسة الطاهرية بسالي؛كما لازم ودرس على جملة من مشايخ بلدة "ساهل" كالشيخ "محمد عبد الكريم المغيلي المنوفي" (1284-1369هـ/1949م) خال والدته حيث لازمه مدة قبل أن ينتقل إلى المدرسة الطاهرية بسالي وأخذ عنه مبادئ النحو (كالأجرومية، وملحة الإعراب وبعضاً من ألفية ابن مالك، وأخذ عنه أيضا المبادئ الفقهية ومما قال فيه "محمد باي بلعالم"[4]:« انه كان رجلاً ورعاً تقياً يتلو كتاب الله أناء الليل والنهار وكان كثيراً مارى النبي صلى الله عليه وسلم في المنام ....وكان متمكناً من النحو والصرف والمبادئ الفقهية »، والطالب "محمد عبد الرحمن بن احمد بن الشيخ حمزة"* الذي جالسه واستفاد منه، ومما قال فيه "محمد باي"[5]:« ...انه كان يحفظ القرآن حفظاً جيداً، وكان يحفظه للطلبة وله مشاركة في الفقه والمعرفة وله خُلق حسن وسلوك طيب قليل الكلام، ممن لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً يضرب به المثل في الخلق، والسلوك وأولاده على شاكلته ....» بالإضافة إلى خاله السيد "أحمد بن محمد الحسان بن مالك" (1323- 1416هـ/ 1995م) الذي أجازه إجازة عامة[6] في مختلف العلوم التي أخذها عنه .

ثانياً: مرحلة الزاوية .

نظراً لأن "محمد باي" كان محباً وشغوفاً بالعلم، فضلا عن الملكة التي وهبها الله له من قوة الذاكرة والحفظ الجيد قرر والده أخذه إلى مدرسة مولاي "أحمد الطاهر الادريسي السباعي" بقرية "سالي" من رقان عندما سمع

---

[1]- محمد الحسان بلعالم : المقابلة السابقة .

[2]- فؤاد حسن أبو الهيجا : طرق تدريس الدراسات القرآنية الاسلامية ، (ط2) ، دار المناهج للنشر والتوزيع ، عمان : 2002 ، ص 151 .

[3]- المقدمة ، المرجع السابق ، ص ص (699 - 700) .

[4]- الرحلة العلية، (ج2) ، المصدر السابق، ص 402 .

*- **الطالب محمد عبد الرحمن بن أحمد بن الشيخ حمزة** : هو والد الإمام أحمد بن مالك إمام مسجد مصعب بن عمير وأستاذ في المدرسة الدينية التابعة للمسجد وصهر الشيخ محمد باي بلعالم ، كان والده المذكور معلماً فقيها حافظاً إماماً حيث انتقل إلى ورقلة وعلم فيها ثم انتقل إلى تونس ورجع بعدها إلى مسقط رأسه (ساهل) أين تولى الإمامة مدة 50 سنة : ينظر محمد باي بلعالم : قبيلة فلان ، المصدر السابق ، ص ص(57 - 58)

[5]- المكان نفسه .

[6]- محمد باي بلعالم : الرحلة العلية ، (ج2) ، المصدر السابق ، ص 402 .

بفتحها وكانت هذه هي العادة المعروفة في مزاولة التعليم الديني آنذاك حيث كان الآباء يبعثون بأبنائهم إلى الزوايا والمدارس الدينية – بعد حفظهم القرآن – للاستزادة والتمكن والتبحر في علوم الدين على يد مشايخها، ولملاقاة مشايخ آخرين حتى يحصل الكمال في التعلم لأنه على قدر كثرة الشيوخ يكون حصول الملكات ورسوخها[1] .

صورة المدرسة الطاهرية الواقعة بحي "العلوشية" ببلدية سالي (دائرة رقان) التي تخرج منها العلامة محمد باي بلعالم[2] .

ولقد اخبرنا أخوه الأكبر الحاج "محمد عبد الرحمن"[3]: "بأن والدهما "محمد القادر" عندما سمع بفتح المدرسة الطاهرية بسالي خيرهم فيمن يذهب لها، فحرص هو وألح على والده أن يترك أخاه "محمد باي" بأن يذهب إليها ليتزود من العلوم الشرعية لما رآه فيه من حب للعلم"، بينما اخبرنا أخاه الأصغر الحاج "محمد الحسان"[4]:"بأن محمد باي هو الذي طلب من والده الذهاب إلى زاوية الشيخ "مولاي أحمد الطاهري" بسالي ليواصل دراسته هناك"، في حين أن مترجمنا "محمد باي" لم يُشر في كتابه (الرحلة العلية) – الذي دون فيه أغلب أحداث حياته – سبب ذهابه إلى "المدرسة الطاهرية" ولا كيف تم ذلك، ولا بطلب من، أمنه هو ؟ أم إخوته ؟ .

والظاهر أن طلب الذهاب تم منه نفسه (يعني محمد باي)، وما كان لوالده أن يظهر لأبنائه تفضيل بعضهم على بعض لذا استشارهم، فكان أن وقع اختيارهم على أخوهم "محمد باي" الشغوف بالعلم . أما عن تاريخ

[1] – عبد الرحمن ابن خلدون: المقدمة ، المرجع السابق ، ص 692 .

[2] – صورة التقطتها الباحثة .

[3] – المقابلة السابقة .

[4] – المقابلة السابقة .

ارتياده للمدرسة الطاهرية بسالي فكان في عام 1942م، وظل فيها إلى غاية 1952م على ما حدثنا به أخوه "محمد عبد الرحمن"[1]، أما أخوه "محمد الحسان" فذكر لنا بأن انتقاله إلى المدرسة الطاهرية كان عام 1945م وبقي فيها إلى غاية 1952م، وانه كان من الرعيل الأول لهذه المدرسة[2]، في حين يذكر "محمد باي"[3] في كتابه (الرحلة العلية): "بأن شيخه "أحمد الطاهري" كان قد قدم لتوات سنة 1363هـ/ 1944م لتعليم العلوم الشرعية وانه قدم عليه سنة 1366هـ/1946م، وفي منتصف هذه السنة بنيت المدرسة الطاهرية من طرف الشرفاء أولاد السي حمو" الذين تكفلوا بجميع متعلقاتها بعد أن كانت مدرسة صغيرة، فأصبح الطلبة يتوافدون عليها من كل ناحية من زاجلو وأقبلي ومن بعض قرى مقاطعات اقليم توات؛ وكان "محمد باي" من الأوائل الذين ارتادوها حيث يذكر على لسان حاله قائلاً[4]:«.... وبعد تمام المدرسة انفتحت أبوابها أمام طلبة العلم وبدأ الطلبة يتوافدون من كل ناحية، وكنت أول طالب فيها بعد أن كنت في المدرسة القديمة التي داخل البلد، فورد علينا طلبة من بشار ثلاثة هم: "عيني المهدي بن عبد الله" و"عرابي عبد الله" و"عبد المالك بن الإمام" فكنا إذ ذاك أربعة فقط وصارت المدرسة تنمو وتزداد ....» بالإضافة إلى أبناء بلدة سالي .

وما يؤيد ما ذهب إليه "محمد باي" بأنه كان من الرعيل الأول في المدرسة القديمة، ثم بالمدرسة الطاهرية ذات النظام الداخلي ما أخبرنا به صديقه وزميله في الدراسة الشيخ "عبد الرحمن حفصي"[5]:- الذي كان من الرعيل الأول أيضاً – : «بأنهم كانوا يقيمون في البداية عند "أولاد السيحمو" ثم أصبحوا يقيمون في المدرسة بعد أن أصبح نظامها داخلي »، وما ورد أيضا على لسان شيخه " أحمد الطاهري"[6] الذي ذكر في كتابه (نسيم النفحات):"بأن مدرسته لما أصبح الطلبة يتوافدون عليها من كل مكان ضاقت بهم الدار التي كانوا يدرسون بها، ونظراً لهذا الضيق تبرع عليهم السيد " مبارك بن عبد الرحمن" صاحب زاوية المحارزة بقطعة أرض كبيرة كانت له بين العلوشية وقصبة أولاد سيدي الشريف، فأوقفها لهم بالعدول، ثم قام "مولاي المهدي"[*] واخوته ببناء دار للسكنى ومجلساً للتدريس ومدرسة كبيرة لسكنى الطلبة بها"؛ ومن جهته يذكر "محمد باي"[7]عن نفسه بأنه مكث

---

[1] – المقابلة السابقة .

[2] – المقابلة السابقة .

[3] – محمد باي بلعالم : الرحلة العلية ، (ج1) ، المصدر السابق ، ص (357- 358) .

[4] – المصدر نفسه، ص 358 .

[5] – المقابلة السابقة .

[6] – المصدر السابق، ص 87 .

[*] – **مولاي المهدي** : أحد شرفاء سالي وهو الذي تكفل مع إخوته بعملية بناء المدرسة الطاهرية فبنو بها دار السكنى ومجلساً للتدريس ومدرسة كبيرة لسكنى الطلبة و تكفلوا بإطعام الطعام للطلبة والإنفاق عليهم : ينظر ، أحمد الطاهري : المصدر السابق ، ص 87 .

[7] – الرحلة العلية ، (ج2) ، المصدر السابق ، ص 378 .

في زاوية شيخه "مولاي أحمد السباعي الادريسي" مدة (سبع سنوات) وهي المدة التي في الغالب يلازم فيها الطالب شيخه ثم يتحصل بعد ذلك على الإجازة.

وهذا ما يجعلنا نستبعد ما قاله أخوه "محمد عبد الرحمن" وإلا فانه يكون قد لازم شيخه في المدرسة مدة عشر سنوات وبالتالي يبقى التاريخ الذي حدثنا به أخوه "محمد الحسان"، وأورده عن نفسه هو الصواب .

وكانت إقامة الطلبة في المدرسة الطاهرية دائمة فلا يعودون إلى منازلهم الا في المناسبات الدينية، إذ تكفل السيد "المهدي"وإخوته بإطعام الطلبة وبتوفير ما يحتاجونه من كسوة ومال[1]، أما تنقلهم فكان على ظهور الإبل نتيجة قساوة الحياة في ظل السيطرة الاستعمارية، ونادراً ما يتاح لهم التنقل بواسطة وسائل النقل الحديثة (كالسيارة)[2] وخلال تواجد "محمد باي" بالمدرسة الطاهرية كان يتردد عليه أخوه "محمد عبد الرحمن" أحياناً لزيارته والاطمئنان عليه،كما أن والده "محمد عبد القادر" كان يبعث له برسائل يدعو له فيها بالحفظ والنجاح ويحثه على الجد والاجتهاد في طلب العلم نذكر من ذلك أبياتاً بعث له بها يحثه فيها على الجد والاجتهاد، وترك النوم ويوصيه فيها بتقوى الله، وإتباع طريق الهدى والامتثال لأوامر شيخه مما جاء فيها :

محمد باي يا أخا الدين والهدى وقاك إله العرش من شرك الردى
ولازلت محفوظاً أميناً مكرماً مجداً في علم الله رب موحدا
بني أجتهد في العلم واترك تكاسلا وكثرة نوم تحظ بالخير والهدى
وكن واقفاً في أمر شيخك وامتثل أوامره تكن أديباً ومرشدا
عليك بتقوى الله في كل ساعة ولازم طريق المصطفى أعني أحمد[3]

إلى آخر الأبيات وكلها في النصح والإرشاد، والدعاء موجهة من والد إلى فلذة كبده البعيد عنه .

ا- مناهج الدراسة في المدرسة الطاهرية وعلاقة محمد باي بشيخها احمد الطاهري:

مكث "محمد باي" في المدرسة الطاهرية سبع سنوات (1366-1373هـ/ 1946-1952م) تشبع خلالها بأصول المذهب المالكي إلى جانب جملة من العلوم الأخرى التي أخذها عن شيخه بالمدرسة، ومن أهم المواد التي درسها هناك رفقة زملائه .

1- القرءان الكريم: حفظاً وتلاوةً حيث كان الطلبة يتلون الحزب الراتب يوميا في الصباح وبعد صلاة المغرب[4].

2- الفقه المالكي وأصوله: أعتمد الشيخ "مولاي أحمد الطاهري" في تدريسه على كتب الفقه المعروفة مثل: المرشد المعين لإبن عاشر، الرسالة لابن أبي زيد القيرواني، العاصمية، أسهل المسالك، مختصر خليل، تحفة الأحكام

[1] - محمد باي بلعالم: الرحلة العلية ، (ج2) ، المصدر السابق ، ص 87 .

[2] - محمد عبد الرحمن بلعالم: المقابلة السابقة .

[3] - محمد الحسان بلعالم: المقابلة السابقة .

[4] - عبد الخالق عقيد: مقابلة شخصية ، بزاوية الشيخ احمد الطاهري ، العلوشية (بلدية سالي) بتاريخ : السبت 26 نوفمبر 2011م.

لامية الدقاق، وهي من أهم الكتب التي تدرس في الزوايا في مادة الفقه خاصة مختصر خليل الذي يعد العمدة عند الفقهاء والقضاة المغاربة[1].

3- الحديث: كان الشيخ "أحمد الطاهر" يعتمد في تدريسه على كتب الصحاح الستة خاصة صحيح الإمام البخاري معتمدا الطريقة الحوارية فكان يساءل التلاميذ أثناء الدرس[2].

4- الميراث (علم الفرائض)[*]: من أهم الكتب التي اعتمدها الشيخ "الطاهري" في تدريسه: الرحبية، الرسموكي الدرة البيضاء؛ بالإضافة إلى المواد الشرعية الأخرى كالتفسير، العقيدة (التوحيد)، السيرة النبوية الشريفة، والعلوم اللغوية كالنحو، والصرف والعقلية كالحساب (حساب الجمل)[**]، وكان يخصص يومي الخميس والجمعة للمديح الذي كان يعتمد في قراءته على البردة والهمزية؛ في حين نلاحظ غياب العلوم العقلية كالجبر والمنطق، والتجريبية كالطبيعيات، ولربما هذا عائد إلى عدم ضرورة الأخذ بهذه العلوم في تلك الفترة أو لجهل الناس بها .

أما عن طريقة تدريس الشيخ "أحمد الطاهري" فهي لا تختلف عن طريقة تدريس مشايخ توات في الزوايا سواء من حيث المنهجية، أو الطريقة مما يدل على عمق التواصل الثقافي بين اقليم توات، وأقطار المغرب العربي حيث كان يشرع في التدريس مبتدئاً بألواح صغار الطلبة الذين كان يشرح لهم المتون ارتجالاً، اما الكبار فكان يشرح لهم المتون من الشروح، معتمداً في ذلك كله على الطريقة التقليدية التي عمدتها التلقين والشرح[3].

وكثيراً ما كان الشيخ "أحمد الطاهري" يطرح على تلاميذه وطلبته ألغازا يشحذ بها أذهانهم إقتداء بسيد العالمين محمد صلى الله عليه وسلم، وكان "محمد باي" كثيراً ما يجيب عليها باعتراف زملائه الذين شهدوا له بتفوقه عليهم أيام الدراسة فقد اخبرنا صديقه وزميله الشيخ "عبد الرحمن حفصي"[4]: «انه خلال الدروس التي كان يلقيها عليهم الشيخ "الطاهري" رحمه الله بمناسبة المولد النبوي الشريف، أو أثناء الدروس اليومية سواء في الفقه، أو

---

[1] - الفرد بل: الفرق الاسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم، تر ، عبد الرحمن بدوي ، (ط3) ، دار الغرب الإسلامي، بيروت : 1987، ص ص(126- 127) .

[2] - عبد الرحمن حفصي: المقابلة السابقة

[*] - **علم الفرائض:** هو العلم بالأحكام الشرعية العملية المتعلقة بالمال بعد موت مالكه ، وأما موضوعه التركات لأنه يبحث فيه عن عوارضها الذاتية من مؤن تجهيز وقضاء دين وتنفيذ وصية وارث ، وأما واضعه فالمجتهدون كما في الخضري ، وأما نسبته فهو أخص من الفقه والحساب ومباين لغيرهما وأما استمداده فمن الكتاب والسنة : ينظر محمد باي بلعالم : فواكه الخريف شرح على بغية الشريف في علم الفرائض المنيف ، المصدر السابق ، ص27 .

[**] - **حساب الجمل** (بضم الجيم وتشديد الميم وسكون اللام) وهو الحساب بالحروف الأبجدية كالأتي :

أ	ب	ج	د	هـ	و	ز	ح	ط	ي	ك	ل	م	ن
1	2	3	4	5	6	7	8	9	10	20	30	40	50

مثلاً اسم أحمد بحساب الجمل يكون:

أ	حـــ	م	د
1	8	40	4

=53 : ينظر محمد متولي الشعراوي : الفتاوى : إع ، وتع ، وتقد : السيد الجميلي ، (د،ط) ، المكتبة العصرية ، بيروت : 2000 ، ص 274 .

[3] - محمد باي بلعالم : الرحلة العلية ، (ج1) ، المصدر السابق ، ص 276 .

[4] - المقابلة السابقة

الحديث أو الميراث، أو النحو أو غيرها والتي كانت تتخللها أسئلة من طرح شيخهم كان "محمد باي" هو الـــذي يجيب على معظم تلك الأسئلة»، وهو أيضا ما أخبرنا به زميله في الدراسة الشيخ "عبد الخالق عقيد"[1] في رده عن السؤال الذي طرحناه عليه عن نشاط "محمد باي" في الدراسة فأجاب بانه :"كان متفوقا على بقيـــة زملائـــه في الدراسة، وأنهم كانوا يقبلون عليه ليشرح لهم ما عُسر عليهم فهمه نظراً لما تميز به من نشـــاط وذكـــاء وحـــب الاطلاع الواسع وحسن السلوك" .

ومن جملة ما ألغز به الشيخ "الطاهري" تلاميذه وأجابه عليه تلميذه "محمد باي" نذكر ما يلي:

ألغزهم مرة في مسألة الوقوف الركني بعرفة، والذي لا ينجبر إلا بالدم إذا فات وقته بطلوع الفجر، ومن آتى في آخر الليل و لم يكن صلى المغرب والعشاء بحيث لو صلاهما لفاته الوقوف، ولو ذهب للوقوف يفوته وقت الصلاة فقال :

إني إليكم أيها الطلاب أسال عن حكم فما الجواب
عن حكم من خاف طلوع الفجر و لم يقف وضاق ليل النحر
و لم يصل المغربـــين فهل يقف أو يصلي هذا مقولي

فأجابه تلميذه "محمد باي" بالأبيات التالية وفي مجلس الدرس :

هاك جواب ما سألت سيدي لازلت تهدينا لسبل الرشـــد
قال أبو المودة الشيخ خليل صلي ولو فات الوقوف يا خليل
لأن ما في تركه القتل بـــدا مقـــدم عمـــا ســـواه أبـــدا
صدر ذا القرافي وابن رشـــد وصاحب المدخل فافهم قصدي
وهو الذي الفتوى به لأنما ما يبعد فيه القضاء قدمـــا
وفي اجتماع الضررين يرتكب ما خف منهما فحقق السبب[2]

ومن المسائل التي ألغزهم فيها الشيخ "أحمد الطاهري" الاستلحاق (إقرار البنوة) فقال :

وشخص له ميراث شخص بأسره ولا عكس أن يسبقه ذاك إلى اللحد

فأجابه تلميذه "محمد باي" بهذين البيتين :

وقولكم فشخص له الإرث كامل وعكسه إن ارث يؤل إلى الضد
ففي باب الاستلحاق رد جوابكم إذا وقع الإنكار قصد التمرد

ويقصد به إن استلحق ولداً، ولحق به شرعاً ثم أنكره ثم مات الولد قبل المستلحق فلا يرثه، لأنه نفاه ووُقف مالـــهُ فان مات الأب فلورثته، فان مات الأب أولاً ورثه الولد بالإقرار الأول، وهو الاستلحاق، ولا يسقط نسبه بإنكاره

[1] – المقابلة السابقة .

[2] – محمد باي بلعالم: السبائك الابريزية شرح على الجواهر الكنـــزية ، المصدر السابق، ص ص (159- 160) .

بعد استلحاقه، ثم إن مات الابن بعد ذلك ورثهُ عصبتهُ من قبل أبيه المستلحق[1].كما أنه بعث بمسائل من المغـــرب الأقصى لتلاميذه بعد مغادرته لتوات، قصد الإجابة عنها جاءت في أبيات من البحر الطويل مما جاء فيها:

وشخص إذا صلى إماماً صلاته تصح وإن يأتم تبطل و لم تجد

ونقد بعام قد تذوب زكاته فيا للعلم ما شأن ذا النقد

إلى آخر الأبيات وعددها واحد وأربعون بيتاً تتضمن ثلاثين سؤالاً في مختلف الفنون التي درسها لهم، وقد أجابـــه عنها تلميذه "محمد باي" من نفس البحر والقافية في ثلاثة وثمانين بيتاً وكان مما جاء في نص جوابه :

وذو صمم أعمى وأحكم فقهه يصح إماماً للجماعة والفرد

وليس له اقتداء يصح ومثله قريب مقيم في الجمعة يقتدي

ولكن ذا الأخير صح اقتداؤه إذا نحن لم نجعله في ذلك العد[2].

فالمتتبع لهذه الإجابات يلمس من خلالها مدى عبقرية وتفوق "محمد باي" في مختلف العلوم الشرعية خاصة علمي الفقه والميراث، وتمكنه من العلوم اللغوية خاصة علم العروض الذي حذق فيه واشتهر به، ولا أدل علـــى شاعريته من مؤلفه الأول الذي ألفه نظماً أيام دراسته في علم الفرائض الذي شغف به منذ صغره والذي سماه بـــ: (الدرة السنية في علم ما ترثه البرية) المشتمل على مائة وثمانية وثلاثين بيت وكان ذلك عام1371هـ/1950م أثبت من خلاله براعته في الشعر وقدرته على النظم، بل وأثبت من خلاله تفوقه على زملائه إذ تقبله شيخه ووالده بفرح ورضى بعدما عرضه عليهما[3].

ونظراً لما أتاه الله من عبقرية وذكاء وقوة حافظة، وما تميز به من تفوق على زملائه بفضل الملكة الـــتي حصلت له بملازمة أشياخه وكثرة مطالعته كان "محمد باي" محل ثقة وتقدير من شيخه " أحمد الطاهري" الـــذي كان يصحبه معه خلال رحلاته وتنقلاته إلى قصور توات، حيث كان يختار الطلبة النجباء لهذه الرحلات وكـــان "محمد باي" من ضمنهم[4] ، كما كان يقدم له أحياناً بعض المسائل ليجيب عليها؛ فقد اخبرنا تلميذه "حامد لمين عبد الله"[5] «بأن شيخه "محمد باي" كان كثيراً ما يستفتيه شيخه " احمد الطاهري في مختلف المسائل». ونظراً لخطه الغير جيد – كما حدثه في حياته – كان يطلب من زمليه "أحمادو البوحامدي"[*]، بتدوين الإجابة ثم يقدمها بعد ذلك لشيخه "مولاي أحمد"، وروى له يوماً بأن: شيخه طلب منه ذات مرة الإجابة عن سؤال سائل فأجابه "محمد باي" وعندما جاء صاحب السؤال للشيخ "الطاهري" حتى يسمع الجواب سمع "محمد باي" شيخه " أحمد" يقول للسائل:« لست أخاف عليه – يقصد محمد باي – أي عالم من علماء توات ...»[6]، وهو ما حدثنا بـــه زميلـــه

[1] – محمد باي بلعالم: زاد السالك شرح أسهل المسالك ، (ج2) ، (د،ط) ، دار هومة ، الجزائر : 2002 ، ص 157 .

[2] – محمد باي بلعالم: الرحلة العلية ، (ج1) ، المصدر السابق، ص ص (278 – 279).

[3] – محمد باي بلعالم: الأصداف اليمية شرح الدرة السنية ، مخطوط بخزانة الشيخ محمد باي بلعالم بحي الركينة، بلدية أولف ، ص 1 .

[4] – احمد بن المختار بوسعيد: المقابلة السابقة .

[*] – **الشيخ أحمادو البوحامدي** : شيخ مدرسة زاجلو يقول عنه شيخه الطاهري أنه في غاية الاستقامة وحفظ القرآن الكريم والمداومة على دراسة العلم الشريف وله مدرسة يعلم بها العلم بزاجلو وهو من الرعيل الأول للمدرسة الطاهرية : ينظر، أحمد الطاهري : المصدر السابق ، ص 97 .

[6] – المقابلة السابقة .

الشيخ "عبد الخالق عقيد"[1] أيضا إذ أخبرنا: « بأن إجابات محمد باي على أسئلة الفتاوى التي كان يطلب منهم الشيخ الطاهري الإجابة عنها كانت دائما مطابقة للصواب، نظرا لما أتاه الله من موهبة وعلم»؛ بل وكان شيخه يجعله خليفة له في التدريس عند غيابه مع بعض زملائه أمثال: الشيخ "أمحمد الرقاني"والشيخ "بلحبيب" و"الدهبي عمار" والحاج "أحمادو البوحامدي" .

ومن الواضح أن شيخه "مولاي أحمد" كان شديد الثقة بقدراته العلمية وتمكنه من علوم الدين، وإلا ما كان ليعتمد عليه في الإفتاء – على عظمة منصب المفتي – وهو لازال طالباً .

أما عن علاقته بشيخه "أحمد" فقد كانت كعلاقة الأب بابنه، إذ اخبرنا زميله الشيخ "عبد الرحمن حفصي"[2]: «بأن الشيخ الطاهري كان يعاملهم معاملة الأب لأبنائه بل وكان يعتبرهم أبناءً لهُ»، وهي صفة كل معلمي القرآن وكل مدرس للعلوم؛ وبلغ من حب الشيخ "مولاي أحمد" لتلميذه "محمد باي" أن جعله بمثابة ابنه الروحي الصالح ورفعه إلى درجة التلميذ الصادق الناصح، وما يؤكد عمق العلاقة بينهما ومتانتها المراسلات التي كانت بينهما سواء خلال فترة تواجد شيخه بسالي، أو بعد انتقاله إلى المغرب الأقصى، من ذلك رسالتين بعث له بهما من مدرسته بسالي الأولى مؤرخة بتاريخ 22 رمضان 1372هـ/ 1952م والأخرى بتاريخ 22 ربيع الثاني 1373هـ*، شهد له فيهما بأنه بمقام الابن الصالح والتلميذ الصادق، الناصح وأوصاه فيهما بوصايا عدة كتقوى الله، والعمل بالسنة والنصح للمسلمين وإتباع ماجاء في الكتاب المبين، والتوبة من المعاصي والإعراض عن ملذات الدنيا،كما أوصاه بأن يلين الجانب مع الطلبة والمسلمين ومراعاة حق الأشياخ .

وما استنتجناه من خلال اطلاعنا على هاتين الرسالتين أن شيخه بعث له بهما بعد تخرجه من المدرسة الطاهرية، وتوليه منصب الإمامة والتدريس بمدينة "أولف" لذا أحاطهما بالنصح والتوجيه، حتى يذكره بما يجب وبما لا يجب وكانت الأولى أطول من الثانية.

كما بعث له برسائل عديدة من المغرب الأقصى بعد انتقاله إليه منها أربعة سجلها في كتابه (الرحلة العلية) الأولى مؤرخة في 7/6/ 1962م، والثانية بدون تاريخ، والثالثة مؤرخة في 1967/10/5م، والرابعة في 01/13/ 1969م**، شهد له فيها بالحذق والنباهة والنزاهة، كما أحاطه فيها بالدعاء الخالص ومما دعا له به: «... أوصل الله إليك كل خير حسياً ومعنوياً، ظاهراً وباطناً، وجعلك مفتاحاً لكل خيراً ومغلاقاً لكل شر، وحفظك بما حفظ به الذكر الحكيم، وفتح عليك وعلى يديك ونصرك على الأعداء، وأنار بك تلك البلاد وأن همة الأشياخ معك ودعاؤنا دائماً معك، ونرجو من الله أن يحقق لك الرجاء انه قريب مجيب بجاه النبي الحبيب ...»[3].

---

[1] – المقابلة السابقة

[2] – المقابلة السابقة .

*– ينظر الملحق رقم : 03 .

**– ينظر الملحق رقم : 04 .

[3] – محمد باي بلعالم : الرحلة العلية ، (ج1) ، المصدر السابق ، ص 370 .

ولقد ظل "محمد باي" مخلصاً لشيخه ووفياً له حتى بعد انتقاله إلى المغرب الأقصى، فبعد وفاته عام 1979م رثاه بقصيدتين جاء في مطلع الأولى :

حدث اليم جاء بالحسرات والدم منه دب في العبرات

في طيبة وردت لنا أنباؤه بجوار طه وصحبه الهدات

وجاء في مطلع الثانية :

دع الدمع يجر من جفوني بكثرة ففيه عزائي إن بليت بنكبة

لقد داهم الخطب العظيم تواتنا في يوم أتى نعي السباعي بوحشتي[1]

إلى أخر القصيدة وعدد أبياتها خمسون بيتاً عدد فيها محاسن ومنجزات وأعمال شيخه،كما عبر فيها عن حسرته وحزنه ولوعته على فراقه، وكذا حسرة وحزن كل من عرفه، وأحبه داعياً له بالرحمة وأن يرزقه الله الجنة وحتى بعد وفاته ظل "محمد باي" مخلصاً لشيخه حيث كانت له رحلات إلى المغرب الأقصى بقصد زيارة قبره والترحم عليه وزيارة أهله*.

ب – زملاء محمد باي في الدراسة :

استقبلت المدرسة الطاهرية بسالي منذ تأسيسها الكثير من طلاب العلم ومن مختلف مقاطعات إقليم توات فقد درس على يد الشيخ "مولاي أحمد الطاهري" عدد كبير من الطلبة نذكر منهم بعض الذين كانوا زملاءً لمحمد باي أيام دراسته .

1– من سالي (مقر المدرسة): أبو سعيد المختار بن أحمد البرمكي إمام مسجد أولاد عبد الواحد سابقاً– السيد الأنصاري أحمد بن الجومي – السيد البركة بن عبد الله البرمكي – الشيخ الحبيب بن عبد الرحمن بلحبيب الخليفة الأول للشيخ الطاهري بعد غيابه وشيخ مدرسة تسفاوت فيما بعد (ت 2005م)– السيد الطالب أحمد أباها – السيد بلحبيب مولاي مبارك بن عبد الرحمن– الشيخ أحمد بن المختار البوسعيد – السيد عبد القادر بن سالم آل الشيخ المغيلي وآخرون .

2– من خارج سالي نذكر: الثلاثة الذين جاؤوا من بشار (عينيي المهدي بن عبد الله– عرابي عبد الله– عبد المالك بن الإمام) وكانوا أول من التحق بالمدرسة من خارج سالي– السيد الدهبي عمر بن محمد التيلوليني – السيد عبد الرحمن بن العلامة محمد بن جعفر– السيد الطالب محمد بن باحمو إمام العلوشية سابقاً– الشيخ أحمادو البوحامدي وصنوه الشيخ أحمد – الشيخ أمحمد الرقاني – الشيخ محمد بن محمد المختار بن مالك – الطالب الفقي

[1] – عبد المجيد قدي : المرجع السابق ، ص ص (107 – 108)

*– كان للعلامة محمد باي ثلاث رحلات إلى المغرب الأقصى اثنان منها في فترة الثمانينات والثالثة في فترة التسعينات (1993) من القرن الماضي.

رحمه الله – بن مالك عبد الكريم – الشيخ عبد الرحمن حفصي وهؤلاء الأربعة الأخيرين كانوا ممن رافقوا "محمد باي" من دائرة أولف حالياً. بالإضافة إلى الشيخ التوهامي الزجلاوي – الشيخ الحسن التنلاني – السيد عبد الرحمن الثعالبي من قصر دلدول – السيد محمد مامو– حجاج الحاج العيد بن الحاج أحمد المنيعي[1] الذي كان من أصدقائه المقربين، بل ومن خواصهم حيث كان يتدارس معه يوميا[2]– وعبد الخالق عقيد، وغيرهم بالإضافة إلى تلاميذه المتأخرين عن هؤلاء مما يدل على حجم التلاميذ الذين استقبلتهم المدرسة الطاهرية .

الشيخ مولاي الحبيب بن عبد الرحمن بالحبيب (ت2005م)

الشيخ عبد القادر بن سالم آل الشيخ المغيلي (ت 1995)[3]

ولازالت هذه المدرسة تواصل نشاطها ومهمتها التعليمية إلى يومنا هذا من طرف شيخها "عبد الله الطاهري"[*] نجل الشيخ "أحمد الطاهري" .

ولقد جمعت "محمد باي" علاقات طيبة وودية بزملائه إذ كان ذا أخلاق حسنة يعامل زملائه بأدب واحترام فكان يشرح لهم ويوضح لهم ما غاب عنهم، أو ما عسر عليهم فهمه[4].

---

[1] – محمد باي بلعالم: الرحلة العلية ، (ج1) ، المصدر السابق ، ص ص(358 – 359) .

[2] – عبد الخالق عقيد: المقابلة السابقة .

[3] – صور لدى الباحثة.

[*] – **عبد الله الطاهري الادريسي السباعي:** ولد سنة 1948م بحي العلوشية – بلدية سالي – ولاية أدرار درس القرآن الكريم بمدرسة والده ثم انتقل إلى قرية أقبلي دون البلوغ أين أتم دراسته القرآنية وتلقى فيها مبادئ العلوم الشرعية واللغوية على يد الفقيه الشيخ الحاج أحمادو الحاج الصديق الأنصاري ثم انتقل إلى مدينة ادرار عام 1965م أين أتم دراسته للعلوم الشرعية واللغوية على يد الشيخ محمد بن الكبير بأمر من والده، حصل على عدة إجازات من شيوخه أمثال محمد بلكبير، الشيخ محمد باي بلعالم ، الشيخ سيدي الحاج محمد بن السيد علوي المكي الحسني المالكي في جميع العلوم الشرعية والصحاح الستة، وهو يشغل مدرساً بمدرسته المعروفة بالطاهرية بسالي منذ 1974م خلفاً لوالده وتخرج على يديه عدد كبير من الفقهاء وحملة القرآن الكريم : ينظر، عبد الله الطاهري: تفنيد المفتريات وآلافك الواردة في محاضرة إزاحة الكذب والشك عن جواز معاملة البنك (د، ط) ، د،ن ، سالي: 2009 ، غلاف الكتاب .

[4] – عبد الخالق عقيد : المقابلة السابقة .

وقد أنشأ متفوقي هذه المدرسة من الرعيل الأول- بما فيهم مترجمنا - بعد تخرجهم منها عدة مدارس منتشرة عبر ربوع ولاية أدرار تعد فروعاً للمدرسة الأم بسالي، مواصلين مسيرة العطاء من بعد شيخهم "مولاي احمد" ومساهمين بذلك في مسار الحركة الدينية والثقافية داخل الولاية بصفة خاصة، وفي الوطن بصفة عامة .

ج- إجـــازات* محمد باي:

بعدما لازم "محمد باي" شيخه " أحمد" مدة سبع سنوات (1366- 1373هـ/1946-1952م) ونهله من مختلف العلوم الشرعية، طلب من شيخه الإجازة على عادة الطلبة في الزوايا الدينية، ونظراً لأن شيخه كان واثقاً من مستواه العلمي، ومتأكداً من استيعابه وتمكنه من العلوم التي درسها له سواء الشرعية منها، أو اللغوية منحه الإجازة العامة** عند إنهاء دراسته، في كل ما تلقاه عن أشياخه رواية ودراية، وبما له من شرح وتقدير وتعليم وتحرير كما شهد له فيها بملازمته له والقراءة عنه عدة فنون وجلة كتب من شروح ومتون – لا شك أنه أحرز فيها التحصيل - وختمها بالدعاء له بالخير كما أنه أوصاه على عادة المجيزين بتقوى الله، ومراعاة حقوق الأشياخ وكان هذا يوم 14 شعبان من عام 1373هـ/1952م[1]؛ وبعد حصوله على الإجازة انتقل الشيخ "محمد باي" إلى مدينة أولف أين أسس مدرسة للعلوم الشرعية تعنى بتدريس الطلاب والطالبات الأمور الدينية واللغوية للمساهمة في رفع المستوى الثقافي الديني لدى أبناء وطنه إبان الفترة الاستعمارية .

وللإشارة فإن مدة الدراسة في "المدرسة الطاهرية" لم تكن محددة بسنوات معينة[2]- على غرار المدارس الدينية في الجزائر والمغرب العربي- فمتى شعر الشيخ من تمكن تلميذه من العلوم الشرعية، وبلوغه تحصيلاً علمياً يؤهله للقيام بمهام التدريس والإمامة في القصور، والزوايا فله أن يجيزه ثم بعد ذلك يعود إلى بلدته، ومن أراد البقاء في المدرسة حتى بعد حصوله على الإجازة لملازمة الشيخ فله ذلك، وفي المقابل كان هناك من يظل لسنوات عدة حتى يحصل على الإجازة وهذا تبعاً لقدرات وكفاءات الطالب .

---

*- مفرد **إجازة والإجازة لغة** : مأخوذة من جواز الماء الذي يسقاه يقال استأجرت فلاناً فأجازني إذا سقاك ماء لأرضك أو ماشيتك .

اصطلاحا : إذن الشيخ للطالب بالرواية عنه العلم كالحديث والفقه والتفسير وغيرهما والمجيز هو الشيخ والمجاز هو الطالب ويشترط فيها الفهم والترسيخ في العلم فقد كره مالك وغيره الإجازة لمن ليس من أهل العلم والإجازة أنواع وأحسنها أن يحمل العالم كتاباً من كتبه أو مروياته ويقول للطالب هذا الكتاب أو هذه الكتب سمعتها من فلان وأني أجيز لكم روايتها عني وهذا ما يسمونه أجاز لمعين وهو الشيخ لمعين وهو الطالب في معين وهو الكتاب المجاز فيه ، والنوع الثاني أن تجز للطالب المرويات كقول الشيخ للأخذ عنه أجزتك مسموعاتي أو مروياتي أو ما شابه ذلك وهي إجازة معين في غير معين والنوع الثالث إجازة العموم أي إجازة لغير معين بوصف العموم كقوله أجزت للمسلمين أو من أدرك زماني أو أجزت لكل واحد أو ما أشبه ذلك ، ينظر محمد باي بلعالم : كشف الدثار شرح على تحفة الآثار ، (د،ط) ، مطبعة عمار قرفي ، باتنة : د ، ت ، ص 58 .

**- ينظر الملحق رقم : 08 .

[1] - محمد باي بلعالم : الرحلة العلية ، (ج1) ، المصدر السابق ، ص 366 .

[2] - عبد الرحمن حفصي : المقابلة السابقة .

أما عن قيمة الإجازة في ذلك الوقت فكانت لها قيمة كبيرة آنذاك على ما أخبرنا الشيخ "عبد الرحمن حفصي"[1] خاصة في ظل غياب معاهد أو جامعات دينية في المنطقة، فكانت تعد بمثابة الشهادات العلمية العالية المستوى حالياً لذا كان الطلبة يتنافسون في الحصول عليها من كبار المشايخ، بل ويشدون الرحال من أجل ذلك .

وتلقى **إجازة عامة مطلقة من خاله الحاج "أحمد بن محمد الحسن بن مالك"** بطلب منه*، وقد أجازه في جميع العلوم التي هو متضلع فيها كالتوحيد، والتفسير والحديث والفقه واللغة والنحو، وغيرها وما تلقاه عن أشياخه بأسانيد متعددة وثبتها متصل بالإمام مالك والإمامين البخاري ومسلم، وسائر أصحاب الكتب الستة واشترط عليه ما يشترطه كل مجيز على مجاز وهو تقوى الله والدعاء له ولمشايخه .

وما يلاحظ أن وجود سلسلة الأشياخ أو السند يزيد في قيمة الإجازة، خاصة إذا كان سندها ينتهي بالتواتر إلى الرسول عليه الصلاة والسلام، ولا أكثر من هذا مفخرة وتباهي بالنسبة للمجاز، لذا كان يحتفظ بها الطلبة المجازون ويجيزون بها طلبتهم وتلاميذهم من بعدهم، **وله إجازة أخرى من الشيخ السيد "محمد بن الحاج بن جعفر"** في الأذكار مكتوبة بخط يده حتى أن "محمد باي" يعتبرها من الكنوز التي لديه[2].

ولما كان الحصول على الإجازة عنواناً لكسب نصيب من العلم بالنسبة للمستجيز، وعلامة على التبحر والتخصص في العلوم بالنسبة لمانحها، عمل بعض النابهين من المجازين الرحلة إلى المغرب، أو المشرق لاستكمال زادهم العلمي والتحلي بإجازات جديدة تكون – ما أمكن – عالية السند على حدّ تعبير الأستاذ "أحمد الحمدي"[3] وهذا ما فعله مترجمنا الشيخ "محمد باي" فإلى جانب إطلاعه الواسع وملازمته لبعض شيوخ الولاية كان رحالة زمانه شدّ الرحال إلى داخل الوطن وخارجه، للإفادة والاستفادة فحصل هناك على إجازات أخرى في شتى العلوم شهِد له فيها مجيزوه بالأهلية العلمية منها: **إجازة من الشيخ "علي البوديلمي التلمساني"**(1905-1989م) **في الحديث وعلومه**** تلقاها منه عام 1388هـ/ 1967م وهي إجازة لها ثبت متصل أيضا، حيث أجازه بجميع ما في ذلك الثبت من أسانيده ومروياته عن أساتذته الذين ذكرهم في السلسلة من بينهم مثلاً: وزير المعارف بالمغرب الأقصى العلامة "محمد الحجوي"، والشيخ "عبد الحي الكتاني" الفاسي والمحدث الحافظ "أبو شعيب الدكالي" الذي أجازه في البخاري بالزيتونة في تونس، والشيخ "عبد الحميد بن باديس" الذي قرأ عليه وأجازه في الموطأ، والشيخ "حسن العلوي المالكي المكي" الذي أجازه في جميع مروياته[4] وغيرهم من المشايخ

---

[1] – المقابلة السابقة .

*– ينظر الملحق رقم: 09 .

[2] – محمد باي بلعالم: الرحلة العلية ، (ج2) ، المصدر السابق ، ص 403 .

[3] – المرجع السابق، ص 82 .

**– ينظر الملحق رقم : 10 .

[4] – محمد باي بلعالم: كشف الدثار شرح على تحفة الآثار ، المصدر السابق ، ص 81 .

العظماء، ويذكر الشيخ "علي البوديلمي" في نص الإجازة: «بأنه أجاز الشيخ محمد باي لما رآه فيه من الأهلية والصلاحية بالشروط المقررة عند رجال فن الإجازة من الأئمة»[1] .

وله **إجازة أخرى من الشيخ عبد الرحمن الجيلالي**[*] بسنده **وإجازة من الشيخ محمد الصالح الصديق وإجازة من الشيخ محمد علوي المالكي الحسني المكي**[**] **(1362هـ- 1425هـ/1943- 2004م)** بطلب منه فأجازه هذا الأخير في جميع مروياته من معقول ومنقول وفروع وأصول التي أجازه فيها مشايخه من أمثال: والده "علوي بن عباس المالكي" (ت1391هـ/1970م)، والشيخ "حسن بن سعيد يماني" (ت1391هـ/1970م) وأوصاه فيها بتقوى الله في السر والعلن، والدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة وحث العباد على طاعة الله والتحلي بأخلاق الرسول صلى الله عليه وسلم وأن لا ينساه من الدعاء[***] .

الشيخ علي البوديلمي التلمساني

الشيخ محمد علوي المالكي المكي

[1] - محمد باي بلعالم : الرحلة العلية ، (ج2) ، المصدر السابق ، ص 490 .

*- **الشيخ عبد الرحمن الجيلالي** : مؤرخ ومفسر ولد في 9 فيفري عام 1908م بالجزائر العاصمة درس القرآن والفقه والأدب العربي بالجزائر وتونس عمل منذ سنة 1925م في مساجد مراقبة من طرف الإدارة الاستعمارية ، عمل إماماً ثم مدرساً ثم داعية وهو عضو في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين عمل محرراً في مجلة الشهاب لابن باديس وهو مؤرخ تقليدي ، وقد أهتم بتاريخ الجزائر ، أهم مؤلفاته تاريخ الجزائر العام (4 أجزاء) : ينظر عاشور شرفي : المرجع السابق ، ص 555 ، توفي الشيخ الجيلالي في نوفمبر 2009 .

** - **محمد بن علوي المالكي الشريف الحسني** : ولد بمكة عام 1362 هـ وهو شخصية عالمية له زاوية كبيرة ومؤلفات تزيد عن 50 مؤلفاً في فنون كثيرة : ينظر محمد باي بلعالم : الرحلة العلية ، (ج2) ، المصدر السابق ، ص ص (521 - 522) .

***- ينظر الملحق رقم : 11 .

كما تلقى الشيخ "محمد باي" **إجازة من العالم اللبناني الشيخ "أبو بكر محمد زهير بن مصطفى الشاويش"**[*] وهي إجازة عامة مطلقة أجازه فيها بجميع مروياته من مقروء ومسموع، وأصول وفروع مما أجازه به مشايخه، وما لهُ من مؤلفات وتحقيقات ومقابلات ومقالات وتعليقات، وذكر فيها سلسلة أشياخه الذين أجازوه منهم: العلامة الدكتور "تقي الدين الهلالي المغربي"، والعلامة المجاهد الشيخ "محمد البشير الإبراهيمي الجزائري" واشترط عليه التحري فيما يقوله وفيما يفتي فيه، وأوصاه بالإقتداء بسنة الرسول صلى الله عليه وسلم، وبذل العلم لأهله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن لا ينساه من خالص الدعاء .

وأخرى **من الشيخ "مالك بن العربي بن أحمد الشريف السنوسي الليبي"** تلقاها عنه في المدينة المنورة ولها كذلك ثبت متصل بالأعلام السابقين[**] .

وما لاحظناه من خلال عرض هذه الإجازات، أن الثلاثة الأخيرة منها تلقاها من المشرق، وبسند متسلسل يصل إلى مشايخ مشاهير وعلماء أعلام،كما أن مترجمنا قد حصل بواسطة السند على إجازة العلامة "عبد الحميد بن باديس" في رواية الموطأ، وإجازة الشيخ "محمد البشير الإبراهيمي" في ما رواه من مقروء ومسموع، على الرغم من عدم التقائه بهما أو أخذه عنهما، وإلى جانب هذه الإجازات تحصل الشيخ "محمد باي" على عدد كبير من الشهادات نذكر منها :

1- شهادة إمام أستاذ من وزارة الشؤون الدينية والأوقاف: منحت له بعد الاستقلال، بعد اجتيازه لمسابقة الإلتحاق بوزارة الأوقاف بنجاح عام 1963م، حيث زار مدينة أولف في هذه السنة الشيخ "محمد محبوب" من ولاية بسكرة المكلف من طرف الشيخ "بلقاسم البيضاوي" المفتش الجهوي ببسكرة لوزارة الأوقاف آنذاك بإجراء اختبارات على رجال الدين قصد اختيار البعض منهم للالتحاق بوزارة الأوقاف فاختار الشيخ "محمد محبوب" على مستوى دائرة أولف ثلاثة أئمة هم: الشيخ "محمد باي بلعالم"، والشيخ "حفصي عبد الرحمن"، والشيخ "محمد الطالب أحمد"[1] وفي العام الموالي (1964م) التحق الشيخ "محمد باي" بالسلك الديني فأصبح من الناحية الرسمية إماماً وخطيباً ومفتياً ومدرساً معترفاً به من قبل الدولة لمسجد أنس بن مالك (بحي زاوية حينون) بأولف ومدرسة "مصعب بن عمير" الدينية (بحي الركينة) .

2- كما حصل على شهادة تعادل الليسانس في العلوم الاسلامية عام 1971م بعد مشاركته في مسابقة أجرتها وزارة الأوقاف (الشؤون الدينية حالياً) لمجموعة من المشايخ لتحديد مستواهم العلمي[2] .

3- ونال وسام استحقاق من قبل رئيس الجمهورية السيد "عبد العزيز بوتفليقة" عام 2002م بمناسبة الذكرى الأربعين لعيد الاستقلال 5 جويلية " تقديراً واعترافاً" وصله عن طريق والي ولاية أدرار السابق"مبروك بليوز".

---

*- ينظر الملحق رقم : 12.

**- ينظر الملحق رقم : 13 .

[1] - محمد باي بلعالم: الرحلة العلية ، (ج2) ، المصدر السابق ، ص ص (501 - 502) .

[2] - المصدر نفسه، ص 379 .

الوسام الذي ناله الشيخ "محمد باي بلعالم" من طرف فخامة رئيس الجمهورية السيد: "عبد العزيز بوتفليقة" عام 2002م[1]

4- نال أيضا شهادة تقدير من والي الولاية السابق "جاري مسعود" تقديراً وعرفاناً لما قدمه من أعمال جليلة في نشر المبادئ الاسلامية، والعلوم الشرعية وتربية الأجيال خدمة لما فيه خير للبلاد والعباد .

5- كما نال شهادة (تكريم) من أكاديمية المجتمع المدني الجزائري في ذكرى تأسيسها، عرفاناً وتقديراً للجهود الكبيرة التي بذلها في خدمة المجتمع الجزائري، قدمت له من طرف رئيس الأكاديمية "عبد المالك بن حبيلس" .

6 - وشهادة أخرى من "جمعية النور للعلوم الثقافية" ببني ثور من ورقلة عرفاناً وتقديراً لمجهوداته الجبارة في خدمة الإسلام والمسلمين عامة، وسكان ورقلة خاصة قدمت له من طرف رئيس الجمعية "بوغرارة بكار" .

7- كما تحصل على عدة شهادات تقديراً وعرفاناً من ملتقيات الأسابيع القرآنية التي تنظمها وزارة الشؤون الدينية والأوقاف وعددها تسع شهادات من الأسبوع الوطني للقرآن الكريم الأول الذي نظم في عام1421هـ/2000م إلى الأسبوع الوطني التاسع الذي نظم في عام1429هـ/ 2008م .

8- وحصل على شهادات أخرى من "المعهد الإسلامي لتكوين الإطارات الدينية بعين صالح"، نالها من طرف مدير المعهد "بن مالك أحمد"، تقديراً وعرفاناً للمجهودات التي بذلها في تأطير ملتقيات المعهد، بالإضافة إلى شهادات عدة نالها خلال مشاركته في العديد من الملتقيات، أو نالها من طرف بعض اللجان .

[1] – الصورة اخذتها الباحثة من خزانة الشيخ محمد باي بلعالم باولف.

صور لبعض الشهادات التي منحت للشيخ محمد باي بلعالم خلال أعمال الأسابيع القرآنية التي تنظمها وزارة الشؤون الدينية والأوقاف[1] .

ثالثاً– مذهب وفكـــر الشيخ محمد باي بلعالم :

كان الشيخ "محمد باي بلعالم" مالكي المذهب وهو المذهب السائد ليس في الجزائر فحســـب، وإنمـــا في المغرب العربي ككل نظراً لتشابه البيئة في كل من الحجاز (المدينة المنورة)، وبلاد المغرب، ونظراً أيضا للخصائص التي يمتاز بها هذا المذهب من انفتاح على المذاهب الفقهية الأخرى والمرونة وقابليته للتجديد، ومواكبته العصـــر ومراعاته لدين العامة وملاءمته لفطر الناس وطبائعهم، وغيرها من الخصائص التي يطول جلبها في هذا المقام*، لذا لقي اهتماماً واسعاً من طرف أتباعه سواء بالدراسة أو التأليف، ولعل الشيخ "محمد باي" كان أحد هؤلاء إذ كان متمسكاً بمذهبه شديد الاهتمام به – ولا أدل على ذلك من كثرة مؤلفاته في المذهب المالكي والتي قاربت الأربعين كتاباً – غير متعصب له لأن العصبية المذهبية ممقوتة في مذهب مالك[2]، لذا كان ينبذ العصبية المذهبية إذ يقول في جلبه للأدلة التي تجيز القبض في الصلاة في أحد كتبه موجهاً الكلام لطالب العلم والقارئ معاً[3] : « ... وحيث أن المذهب قد علمت أنه لا يكون إلا فيما لا نص فيه، وأما ما فيه نص من الشارع فلا يسع المسلم إلا اتباعه صلى

[1] – الصور اخذتها الباحثة من خزانة الشيخ محمد باي بلعالم باولف.

*– للاطلاع على خصائص المذهب المالكي ينظر، بوغزالة محمد رشيد : (المذهب المالكي المراحل والخصائص) ، الملتقى الدولي الثالث عشر المذهب المالكي تاريخ وآفاق ، المرجع السابق ، ص 41 .

[2] – محمد رشيد بوغزالة : (المذهب المالكي المراحل والخصائص)، المرجع نفسه ، ص 41.

[3] – محمد باي بلعالم: مرجع الفروع إلى التأصيل من الكتاب والسنة والإجماع الكفيل شرح على نظم خليفة بن حسن السوفي المسمى جواهر الإكليل ، (ج1) ، (ط1) دار الوعي ، الجزائر : 2009 ، ص 292 .

الله عليه وسلم، فإنني سوف ألخص لك ماجاء في الموضوع راجياً من الله تعالى أن يجعلني وإياك ممن نبذوا التعصب المذهبي وجعلوا الإتباع نصب أعينهم يريدون بذلك وجه الله تعالى » .

وما يدل على عدم تعصبه لمذهبه ونبذه للتعصب المذهبي، هو تفتحه وأسلوبه الموضوعي، وكثرة إطلاعه على ما جاء في المذاهب الأخرى لذا استطاع التعامل مع أصحابها، خاصة أصحاب المذهب الاباضي بالجزائر[1]، إذ ربطته علاقة وطيدة بشيوخ وعلماء هذا المذهب المعاصرين له أو الذين أدركهم سواء كانوا من ورقلة أو من غرداية أو من القرارة أو في بريان مثل: الشيخ "إبراهيم بيوض" الذي كان أحد أبرز أعضاء "جمعية العلماء المسلمين الجزائريين"حيث استدعاه للحفل الرسمي لختم تفسير القرآن الكريم عام 1400هـ/1980م الذي حضره نخبة من العلماء*، والشيخ "عبد الرحمن بكلي" الميزابي (ولد 1901م)، ومنهم من كان يبادله الزيارة وأفادهم واستفاد منهم وتبادل معهم هدايا من كتب أمثال: الشيخ "بكوش" مدير مدرسة الحياة سابقاً، والشيخ "ناصر المرموري" (من مواليد1927م) الذي زاره أكثر من عشرين مرة في أولف وكان حريصاً على ملاقاته خلال زياراته لورقلة، والشيخ "محمد المرموري" رحمه الله مدير مدرسة الحياة الذي زاره مراراً لأولف أيضا، والشيخ "بلحاج بن سعيد الشريفي بن الشيخ عدون" والشيخ "إبراهيم باريز"[2] وغيرهم من علماء الإباضية؛ فلم تجعله مالكيته كما يقول الأستاذ "عبد المجيد قدي"[3]: (بعيداً عن إخوانه من الإباضية الذين وجدوا فيه الشيخ الجامع والعالم الواصل لوشائج الإيمان فكانت الصلة بينهم، وبينه لا تنقطع والزيارات متبادلة على الدوام) .

كما جمعته علاقة طيبة بعلماء حنابلة من المملكة العربية السعودية حصلت له المعرفة بهم خلال زياراته المتكررة لها في موسم الحج أو العمرة من أمثال: الشيخ "سبيل" إمام المسجد الحرام رحمه الله، و"محمد بن ناصر لخزيم" الرئيس العام لشؤون المسجد الحرام المكي والنبوي، و"عبد الله ناجي" أحد الموظفين في المسجد النبوي وأحد تلامذته هناك، والشيخ "سليمان العبيدي" رئيس الإرشاد والتوجيه للمسجد النبوي، والشيخ "محمد فلاتة" الذي كان "محمد باي" يحضر لدروسه في المسجد النبوي، والدكتور "محمد بن الشيخ عمر فلاتة" رئيس قسم التربية بالجامعة الإسلامية والمشرف على مكتبة أهل الحديث بالمدينة المنورة[4]، وغيرهم من العلماء والدكاترة والأساتذة فمنهم من كان يحضر الشيخ "محمد باي" لدروسه، ومنهم من كان يحضر لمجلس "محمد باي" العلمي استفاد منهم واستفادوا منه وتبادل معهم الأفكار والآراء، كما أنه إلى جانب هذا كان كثير التردد على مكتبة

---

[1] – محمد الدباغ : المقابلة السابقة

*– من جملة العلماء الذين حضروا الحفل الشيخ عبد الحميد أبو القاسم والشيخ سعيد الشريفي عدون والأستاذ مولود قاسم نايت بلقاسم والأستاذ أحمد حماني والأستاذ أحمد بوضبة ، والدكتور عبد الرزاق قسوم والأستاذ عبد القادر قدي والشيخ عبد اللطيف سلطاني والشاعر محمد الأخضر السائحي والدكتور عمار طالبي، والدكتور محمد ناصر، والأستاذ صالح باجو ، والشاعر صالح خباشة والأستاذ أطفيش الحاج محمد . ينظر، محمد باي بلعالم : الرحلة العلية (ج2) ، المصدر السابق ، ص 446

[2] – محمد باي بلعالم : الرحلة العلية ، (ج2) ، المصدر نفسه، ص ص (453 – 454).

[3] – (في ذكرى رحيل عالم توات الشيخ محمد باي) ، عيون المقالات، (ع 832)، الجزائر : الأربعاء 11 ماي 2011 ، ص 17 .

[4] – محمد باي بلعالم : الرحلة العلية ، (ج2) ، المصدر السابق، ص ص (506 ،510 ،519).

المسجد النبوي الشريف، وغيرها من المكتبات هناك للاطلاع على الكتب الفقهية والدينية، بل وأوقف مجموعة من كتبه الفقهية على مكتبة المسجد النبوي الشريف علماً بأنها في الفقه المالكي .

ولقد أخبرنا تلميذه وخليفته الإمام "أحمد بن مالك"[1] بأن شيخه "محمد باي" كان لا يتقيد بمذهبه الخاص (المالكي) في الحج، بل كان يُفتي الحجاج الذين يستفتونه بمذاهبهم الاسلامية شريطة أن يكون للفتوى دليل ترتكز عليه .

نلاحظ أن اختلاف المذهب لم يؤد به إلى الانعزال، والتعصب بل زاده اعتدالاً، ووسطية فلم يكن مغالياً ولا متشدداً في الأحكام، وإنما كان محاوراً منفتح الجانب العلمي غير متعصب للمذهب المالكي إلى درجة أننا يمكننا أن نعده كما يقول الدكتور "محمد الدباغ"[2]:(مدرسة مستقلة في الاعتدال المذهبي والموضوعية العلمية) .

ولقد شهد له أيضا بهذا الاعتدال كل من اجتمع به من المشايخ والعلماء سواء داخل الوطن، أو خارجه من أمثال: الشيخ "عبد الرحمن شيبان" (رحمه الله) الذي قال فيه:« ... أنه مرشد بصير يدعو إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة التي تهدي إلى الصراط المستقيم، وذلك لانتهاجه في الدعوة نهج الوسطية في العقيدة والعبادة والسلوك ...»[3].

والشيخ "محمد الطاهر آيت علجت"* الذي قال فيه: « ... العلامة النحرير الأديب البليغ النافع بتوجيهاته وتعليمه وتآليفه القيمة التي يُرى من خلالها وخلال تصرفاته كلها متخلقاً بهذا الخلق خلق الاعتدال والوسطية الذي هو سبيل النجاح في الحياتين الدنيوية والأخروية، بل نجد له مقولات تجسد في طلابه ومريديه هذا الخلق، خلق الاعتدال من ذلك قوله: نحن (لا نتطرف ولا نتخرف) وإليها ...»[4]، ويقول فيه الشيخ "البكاي بن عبد الله الكنتي المختاري المالي" في رسالة بعثها له يشكره فيها على خدمته للمذهب المالكي بمؤلفاته العديدة التي كان يرسلها إليهم: «... فهو على ذلك مواظب محافظ بأوجز تعبير مع حسن بيانه غير الطويل الممل، ولا القصير المخل مقتصراً على المشهور، مشيراً للراجح في الكثير، لم يمزق مذهب مالك بإدخال الاختيارات الشاذة وبدع المهالك فالله يجازيه بالخير ...»[5] .

---

[1] – مقابلة شخصية، بخزانة الشيخ محمد باي بلعالم ، (بحي الركينة) ، بلدية أولف بتاريخ : الأحد 03 افريل 2011 .

[2] – المقابلة السابقة .

[3] – محمد باي بلعالم: الرحلة العلية ، (ج1) ، المصدر السابق ، ص ي1.

*– **محمد الطاهر آيت علجت**: من مواليد قرية تاموقرة (ولاية بجاية) عام 1917م درس في زاوية بحملاوي قرب قسنطينة علوم الفقه واللغة والأدب والرياضيات ،كما حضر لبعض دروس عبد الحميد بن باديس ثم عاد إلى مسقط رأسه أين تفرغ للتعليم والتدريس والإفتاء ، فتخرج على يده الكثير من الطلاب شاركوا في الثورة وفي عام 1957 التحق بتونس وعين عضواً في مكتب جبهة التحرير الوطني بطرابلس إلى غاية 1962 أين عاد إلى الجزائر وعين أستاذ في إحدى الثانويات حتى تقاعد ، وما يزال حياً يمارس دروس الوعظ والإرشاد في مسجد حيدرة ويتمتع بسمعة كبيرة جداً في أوساط سكان المنطقة ولدى كل المثقفين : ينظر يحيى بوعزيز : أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة ، المرجع السابق، ص ص (233 – 234).

[4] – محمد باي بلعالم: السيف القاطع والرد الرادع لمن أجاز في الفروض المنافع ، (د،ط) ، دارهومه ، الجزائر : 2007 ، ص و.

[5] – محمد باي بلعالم: الرحلة العلية ، (ج2) ، المصدر السابق ، ص ص (523 – 524).

أما تلميذه "مصطفى برناوي"[1] (أبو أسامة) فيقول عنه في الرسالة التي بعث لنا بها:«... أنعم به وأكرم علم من الأعلام فهو عالم بكتاب الله حفظاً وإتقاناً وتعليماً وتفسيراً وتدريساً، إماماً في العلم إماماً في الفتوى والإقراء عالماً بالناسخ والمنسوخ، فقهياً مالكياً غير متعصب للمذهب، بعيد النظر، يحث على الوسطية قولاً وعملاً وينصح طلابه بذلك رحمه الله .... وهو صاحب مدرسة تمتاز بالوسطية والاعتدال ...»؛ بل وقضى على التعصب بقوله إذ كان دائما منطقي منطقه منطق علمي، لا يتحدث الا بالعلم ولا يتدخل من منطلق عصبي، أو جهوي وإذا ناظر أوحدث حدث بالعلم والبينة، لذا استطاع أن يغير الكثير من الأشياء، كما قضى عليه بفعله حيث كان يقبض في صلاته والقبض مكروه عند المالكية جائز في السنة، فقطع في الأمر من الناحية الفعلية بعد أن كان مسألة خلاف، فاقتنع الناس بأنها ليست مسألة خلافية[2].وإلى جانب اعتداله وتفتحه كان العلامة "محمد باي" ذا فكر تجديدي كما قال عنه الأستاذ "محمد الدباغ"[3] وعصري، محاور(حداثي) إذا ما قارناه بشيوخ زوايا آخرين كما قال عنه الأستاذ "محمد حوتيه"[4].

وما يدل على فكره التجديدي حضوره للعديد من الملتقيات سواء أكانت متعلقة بالجانب الفقهي، أو الدعوي أو التاريخ الحضاري، إلى جانب أسفاره العديدة داخل الجزائر وإلى المغرب والمشرق (الحجاز) والتي فتحت أمامه آفاق واسعة، وفكراً جديداً، واتصالاً أخوياً إسلامياً مع علماء تلك الربوع الذين جالسهم وناقشهم وتحاور معهم، ولعل القارئ لمؤلفاته يلمس من خلالها فكره التجديدي وانفتاحه العلمي، إذ جمع فيها بين منهجية المتقدمين (الشروح والتعاليق) والمتأخرين(المحاضرات والمصنفات) بل وحاول من خلالها عصرنة الخطاب والأمثلة طارحاً فيها ما استجد من قضايا (كقضية تأخير الإحرام إلى جدة بالنسبة لراكب الطائرة من حجاج أهل المغرب وجواز التوكيل في الرمي بالنسبة للنساء قياسا على العجزة، والفوائد البنكية،..الخ) مبسطاً مسائلها ومقربها حتى تكون في متناول المثقف العامي .

وإلى جانب فكره التجديدي كان الشيخ "محمد باي" يحمل فكراً إصلاحياً حاول من خلاله إصلاح أحوال مجتمعه الأولفي بصفة خاصة، والتواتي بصفة عامة خاصة في الجانب العقدي كما سنتطرق إلى ذلك في الفصل الموالي؛ ولا نعلم ما إذا كان "محمد باي" في دعوته الإصلاحية الدينية أو الاجتماعية كان متأثراً بحركات

[1] – الرسالة السابقة، ص 1 .

[2] – مبروك المصري: المقابلة السابقة

[3] – المقابلة السابقة .

[4] – المقابلة السابقة .

الإصلاح في المشرق كالوهابية*، أو بالحركة الباديسية في الجزائر. إذ اخبرنا زميله في الدراسة الشيخ "عبد الرحمن حفصي"[1]:« بأنهما لم يفكرا في الانضمام إلى جمعية العلماء المسلمين الجزائريين» .

إلا أن هذا لا يجعلنا نستبعد وصول صدى الحركة الإصلاحية الباديسية إلى مسامعهما، خاصة وأنها قد عمت أرجاء الوطن الجزائري خلال العقدين الرابع والخامس من القرن العشرين الميلادي،كما أننا لا نستبعد أن تكون بذور الفكرة الإصلاحية عنده تعود إلى عوامل ذاتية، مستوحاة من تعاليم الدين الحقة وقيمه السمحاء التي تلقاها على يد والده ومشايخه، خاصة وأن ما ألم بالمجتمع التواتي بصفة خاصة والجزائري بصفة عامة من جمود فكري وانتشار الجهل والاعتقاد بأصحاب القبور والطرقيين، وإتباع كل ما هو خارج عن دين الإسلام خلال الحقبة الاستعمارية،كان كفيلاً لإعلانه دعوة الإصلاح ومحاربة الضلال والفساد الذي انتشر في مجتمعه.

والى جانب فكره التجديدي كان للشيخ "محمد باي" موقف من التصوف** يعكس لنا طبيعة فكره ودعوته الإصلاحية (المرتكزة أساساً على إصلاح الفرد والمجتمع عقيدةً وسلوكاً وتعليماً) فهو لم يكن من المتصوفة على الرغم من أنه كانت له دراية بعلم التصوف وإلا كان انعزل عن المجتمع ومشاغله ومشاكله وعاش في تفكيره الضيق، وأهمل الدين الصحيح العملي،كما أنه لم ينكر على الصوفية ودليل ذلك أنه يعتقد في الكرامة لأنها ثابتة بالكتاب إذ يقول:[2]:« ولا نشك أن الكرامة ثابتة بالكتاب كما في قصة مريم وأهل الكهف وآصف بن برخيا ...»، وإنما ما كان ينكره هو الغلو والتطرف، والتخرف والتصوف البدعي لذا كان أغلب ما يردد عبارة: (**نرغب الوسطية لاتطرف ولاتخرف**)، وكان كثيراً ما يدعو بهذا الدعاء: (**اللهم أني أعوذ بك من سلفي نطاح وصوفي شطاح**)[3].

ذلك لأن ما كان يرتكبه بعض أصحاب الطرق الصوفية من البدع، وما يتمسكون به من الخرافات وأنواع الشعوذة المضللة للعامة، ورياضتهم وملابسهم (التي تعلوها عمامات مميزة) وإدعاؤهم للكرامات والخوارق كان موضوع استنكار وإدانة من العلماء، وفي مقدمتهم "ابن تيمية" والفقهاء في العصور القديمة الذين اتهموهم

---

*- **الحركة الوهابية**: مؤسسها هو الإمام محمد بن عبد الوهاب ولد سنة 1700م من أسرة علم تتلمذ على يد والده، وتلقى أصول الشريعة الصافية على يد مشايخه مما مكنه من قوة الحجة والدليل في نشر دعوته التي كان من سببها ظهور الضلال والتخلف والفوضى والاضطراب في نجد حتى أصبح الناس يعتقدون بالأشجار والأحجار وبنفعها وضرها فبدأ دعوته بالإرشاد والتوجيه في العيينة ولقي ما لقي من عناء في دعوته من بعض العلماء العوام ثم تحولت دعوته إلى سياسية بعدما انتقل إلى الدرعية واحتضن الدعوة محمد بن سعود الذي بايعه خليفة للمسلمين، وتوفي محمد بن عبد الوهاب عام 1787م: ينظر عجيل جاسم النمشي: (الحركات الاسلامية ودورها في يقظة العالم الإسلامي)، محاضرات وتعقيبات الملتقى السادس للتعرف على الفكر الإسلامي، (مج5)، قسنطينة، دار البعث: 1973، ص ص (268، 271).

[1]- المقابلة السابقة .

- **التصوف: عرفه ابن خلدون قائلا : هذا العلم من العلوم الشرعية الحادثة في الملة ، ... وأصلها العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من مال ولذة وجاه والانفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة ، وكان ذلك عاماً في الصحابة والسلف فلما فشا الإقبال على الدنيا في القرن الثاني وما بعده وجنح الناس إلى مخالطة الدنيا ، اختص المقبلون على العبادة باسم الصوفية والمتصوفة ، ينظر ، عبد الرحمن بن خلدون : المقدمة ، المرجع السابق ، ص 576 .

[2]- الرحلة العلية، (ج1) ، المصدر السابق ، ص 351 .

[3]- محمد الحسان بلعالم: المقابلة السابقة .

بأشنع الاتهامات[1]،كما أن قادة الإصلاح الحديث كالشيخ "محمد عبده" في مصر(ت1905م)، والعلامة "عبد الحميد بن باديس" في الجزائر استنكروا الطرقية لنفس الأسباب ولأسباب أخرى جاءت مع الاستعمار منها أن هذا الطرق (الصوفية البدعية) أصبحت دعامة للاستعمار في تخدير العقول، وتشويه سمعة الإسلام في نظر الآخر ووسيلة لنشر نفوذه وسيطرته في المناطق التي كان يحل بها .

و لم يكن لمترجمنا هو الآخر أن ينكر التصوف البدعي إلا لهذه الأسباب المتقدمة الذكر، لذا كان يدعو ويرغب في الوسطية دون تشدد ولاتخرف ولا تطرف، ولعل هذا ما سنلمسه ونلاحظه ونتتبعه في أعماله العلمية ونشاطه الإصلاحي، والاجتماعي في الفصل الموالي .

رابعاً – علاقة العلامة محمد باي بلعالم بعلماء عصره وبأولي الأمر :

ربطت الشيخ "محمد باي" معرفة وعلاقات بشيوخ وعلماء وأساتذة عدة من داخل الوطن، ومن خارجه في إفريقيا والمشرق العربي، وهذا نتيجة لتنقلاته وأسفاره العديدة، مما فتح أمامه أفقاً علمياً واسعاً، واتصالاً اخوياً بهم.

1- من داخل الوطن :

جمعت العلامة "محمد باي" علاقات ودية وطيبة بعدة علماء من داخل الوطن ممن يطول جلب أسمائهم في هذا المقام نذكر منهم: الشيخ "بن مالك أحمد بن محمد العم" المعروف بالفلاني (ت1954م) الذي كان مقيما بالهقار لنشر العلم لازمه "محمد باي" لما نزل إلى أولف عام 1954م واستفاد منه الكثير، والطالب الفقيه الشيخ "محمد التوهامي الحينوني القبلوي" (1312هـ- 1403هـ/1983م) الذي كان أحد أصدقاء والده، حيث كانت بينهما علاقة طيبة ومراسلات إذ يذكر محمد باي[2]:"أنه كان يتبادل معه المراسلات أكثر من مرتين في الشهر" .

ومن مدينة عين صالح جمعته علاقة بالشيخ "محمد بن محمد المختار بن مالك"، أحد زملائه أيام الدراسة في المدرسة الطاهرية، وابنه "احمد" مدير "المعهد الإسلامي" لتكوين الإطارات الدينية، وكذا الشيخ "الحاج الجيلالي بن أبي عمامة" أحد زملائه في الدارسة، والشيخ "محمد الزاوي بن عبد الرحمن" (ولد 1941م) مؤسس المعهد الإسلامي، ومما قال هذا الاخير في الشيخ "محمد باي": «...انه نابغة عصره وفريد زمانه ...» [3] .

ومن بلدية تيط ربطته علاقة طيبة بجملة من مشايخها من أمثال: الإمام "أحمادو بوسليم"، والشيخ "محمد بن محمد وايني" مدير الشؤون الدينية والأوقاف بولاية تمنراست، ومن بلدية أولف التي اتخذها مقراً له بعد تخرجه من المدرسة الطاهرية عام 1373هـ/1952م جمعته علاقة طيبة وودية بشيوخها المعاصرين له، والذين أدركهم من أمثال: الشيخ الطالب "محمد بن الحاج محمد داده محمد" (1886-1953م)، والشيخ "عبد الرحمن حفصي"

[1] – إسماعيل العربي: المرجع السابق ، ص 220 .

[2] – الرحلة العلية ، (ج2)، المصدر السابق، ص 406 .

[3] – محمد باي بلعالم: السيف القاطع والرد الرادع ، المصدر السابق ، ص 24 ي.

زميله وصديقه أيام الدراسة، ومساعده في التدريس في المدرسة الدينية "مصعب بن عمير"،كما كان واقفاً معه في كل مواقفه التي دعا من خلالها إلى محاربة البدع والخرافات والضلالات، ومما قال في الشيخ "محمد باي": «فشيخنا حياه الله وبياه واسطة عقد المصنفين، والمؤلفين كرس حياته كلها في خدمة العلم الشريف، نهاره وليله وهو متمكن من الاطلاع الواسع وتبصرة بالأحكام الشرعية سواء كانت في العبادات أو المعاملات أو المعتقدات »[1]، بالإضافة إلى تلاميذه الذين تخرجوا على يده من أمثال الشيخ "أحمد بن مالك" صهره وخليفته على مشيخة المدرسة حالياً والأساتذة "لكصاسي محمد" ، "حامد لمين عبد القادر"، "حامد لمين عبد الله" و"لعروسي عبد القادر"، وكذا الإمام "ثابت عبد الرحمن" فكل هؤلاء يعتبرون تلامذة له كانوا يحاورونه ويناقشونه في عدة أمور حيث يقول عنه تلميذه "حامد لمين عبد الله[2]" واصفا إياه: « لقد كان له من العزيمة والقدرة التي ليست عندنا نحن الشباب، كما كانت لديه قوة في النظم، وكان رحمه الله كثير المطالعة واسع الاطلاع ».

أما في منطقتي توات الوسطى، وقورارة فقد حصلت له المعرفة بالكثير من مشايخها من أمثال: الشيخ "أحمد ديدي التمنطيطي" (1878-1951م) أحد أصدقاء والده وشيخ مدرسة مدينة تمنطيط التي تخرج منها العلامة "محمد بن الكبير"، حيث زاره "محمد باي" في عام 1368هـ/ 1947م في منزله وحضر مجلسه العلمي واستفاد منه، وتعرف على الشيخ "محمد بن عبد الكريم" القاضي (ت1374هـ/ 1954م) صاحب مخطوط (جوهرة المعاني) ومخطوط (درة الأقلام)، والشيخ "الحبيب الحاج أحمد بن محمد الصديق التلولييني"(1910-1989م)،كما أدرك وتعرف على الشيخين "محمد البركة بن عبد الرحمن" (ت1954م)[3] و" اليزيد بن مبارك" (1326-1381هـ) الذي احتك به خلال زيارات هذا الأخير للمدرسة الطاهرية حيث كان يتناقش معه في بعض المسائل الفقهية والنحوية[4].

وتعرف أيضا على الشيخ "العالمي الحاج محمد بن عبد القادر" شيخ مدرسة زاجلو، وأحد تلامذة الشيخ "محمد بن الكبير"؛ ومن الشيوخ الذين جمعته علاقة طيبة بهم: العلامة الشيخ "محمد بن الكبير " الذي تعرف عليه خلال أيام دراسته بالمدرسة الطاهرية بسالي في أواخر شهر شعبان من سنة 1367هـ/ 1946م إذ يذكر "محمد باي"[5] : "بأنه التقى به في مدينة ادرار في طريقه إلى مسقط رأسه (أقبلي) حيث اجتمع معه في منزل السيد الحاج "عبد الرحمن بن ناصر" أين استفاد منه خلال جلسته الأولى هذه عدة فوائد احتفظ بها في ذاكرته" كما اجتمع به عدة مرات خلال زياراته المتكررة للشيخ "بن الكبير" في زاويته بمدينة أدرار، أو خلال ملاقاته به في

---

[1] – محمد باي بلعالم: ملتقى الأدلة الأصلية والفرعية الموضحة للسالك على فتح الرحيم المالك في مذهب الإمام مالك ، (ج1) ، (د،ط) ، دار هومة، الجزائر : 2008 ،ص ص (د- خ) .

[2] – المقابلة السابقة .

[3] – محمد باي بلعالم: الرحلة العلية ، (ج2) ، المصدر السابق ، ص ص (411 - 412 - 413) .

[4] – المصدرنفسه، ص ص (415 -.416) .

[5] – المصدر نفسه، (ج1) ، ص 347 .

الحرمين الشريفين في عامي 1383هـ/1964م وسنة 1974م، أين دارت بينهما محاورات في مواضيع فقهية مختلفة .

وأدت زياراته المتكررة هذه إلى توطيد العلاقة بينهما حيث كانت بينهما مراسلات من ذلك الرسالة* التي بعث بها الشيخ "بن الكبير" إلى الشيخ "محمد باي"، شهد له فيها بالمحبة والعهد ودعا له فيها بالعافية والسداد والتأييد من الله تعالى، ولما توفي الشيخ "محمد بن الكبير" عام 1421هـ/ 2000م رثاه الشيخ "محمد باي" بأبيات بعنوان "الشيخ محمد بن الكبير في ذمة الله" يقول في مطلعها:

بكينا عليك ياشيخ الأنام وحق لك البكاء ألف عام[1]

إلى آخر الأبيات وعددها أربعة وعشرون بيتاً عبر فيها عن مدى حسرته وألمه على فقده، وعدد فيها مناقبه وأعماله ودعا الله أن يتغمده برحمته، ومنهم الشيخ "عبد العزيز سيدي اعمر المهداوي"** رحمه الله شيخ زاوية "المهدية" سابقاً كانت بينهما محاورات، ومناقشات حيث كان الشيخ "عبد العزيز" يرجع إلى الشيخ "محمد باي" في فتواه ويستشيره فيها؛ كما جمعته علاقة طيبة بالشيخ "الحسان الأنزجميري" شيخ مدرسة أنزجمير، إذ كانت بينهما معرفة ومحبة متبادلة ولقاءات متكررة، وكذا الشيخ "عبد القادر بن سالم آل الشيخ المغيلي" وهما من زملائه أيام الدراسة ومن الشيوخ المعاصرين له أيضا في منطقتي توات الوسطى وقورارة: الحاج "عبد الرحمن البكراوي" مدير الشؤون الدينية والأوقاف لولاية أدرار إذ كان ممن يلتقي بهم ويناقشهم، ومما قال هذا الأخير في الشيخ "محمد باي": « العالم والفقيه النجيب والأديب الأريب الداعية الإسلامي الصادق المرشد المبدئ الحاذق الكاتب المبدع والمؤرخ المتضلع الشيخ محمد باي بلعالم....»[2]، وكذا الشيخ "سالم بن إبراهيم" (ولد1927م) إمام مسجد الجيلاني بأدرار، وعضو المجلس الإسلامي الأعلى ومدير الشؤون الدينية والأوقاف لولاية ادرار سابقاً ومنهم الشيخ "عبد الله الطاهري" نجل شيخه "أحمد الطاهري" وخليفته حالياً في التدريس بالمدرسة الطاهرية جمعته به علاقة أخوية طيبة فلقد قرظ له بعضاً من مؤلفاته (كالسيف القاطع والرد الرادع، وقبيلة فلان، والرحلة العلية، وزاد السالك).

ولقد كان الشيخ "عبد الله الطاهري" مؤيداً للشيخ "محمد باي" في جميع مواقفه، خاصة في موقفه من فتوى الذي أجاز القروض البنكية مع أخذ فائدة، ومما قاله في الشيخ "محمد باي":«...شيخنا الهمام الثابت القدم الشجاع المقدام ...شيخنا ابن العالم الشيخ محمد باي، من لا يحتاج في شهرته إلى أي آي فكم له من مؤلف

*- ينظر الملحق رقم : 05 .

[1] - محمد باي بلعالم: الرحلة العلية، (ج1)، المصدر السابق ، ص 345 .

- ولد **محمد عبد العزيز سيد أعمر المهداوي عام 1342هـ تلقى تعليمه على يد عمه محمد الصالح و الشيخ محمد عبد الكريم بن الحاج محمد البلبالي، كان مدرسا بزاوية المهدية بتيمي، ينظر، محمد عبد العزيز سيد أعمر: المصدر السابق، ص ص (9- 10) ، وتوفي الفقيه سيد أعمر عام 2003م.

[2] - محمد باي بلعالم : قبيلة فلان ، المصدر السابق، ص ن .

كشف به عن شبهة ورد به قولة باطلة عن قصد من صاحبها أم عن جهل...»[1]، بالإضافة إلى الشيخ "عبد الكريم الدباغي" شيخ مدرسة "رقان" حالياً وهو من الفقهاء المعاصرين الذين تعرف عليهم العلامة "محمد باي"، ومما قاله في هذا الاخير: «...العلامة النحرير والجهبذ المنير الشيخ محمد باي بلعالم هذا الرجل الذي تميز بسعة العلم، وباع القلم بمقدار قلما يجتمعان لغيره ... »[2] .

كما تعرف واحتك بشيوخ آخرين أمثال: الشيخ الحاج "عبد الكبير بن محمد عبد الكبير الغماري" شيخ مدرسة "عثمان بن عفان"، والشيخ "أحمد بن عبد الرحمن البكراوي" المعروف (نومناس) الذي التقى به الشيخ "محمد باي" وتحاور معه عدة مرات في مدينة أدرار وفي الديار المقدسة عام 1974م، وجمعته علاقة بابنه الشيخ الحاج "عبد القادر البكراوي" شيخ مدرسة "نومناس" سابقاً حيث كانت بينهما محاورات ومناقشات[3] والشيخ الطالب "محمد بن الحرمة" شيخ مدرسة تاظول، والشيخ "الحبيب بالحبيب"، والشيخ "الحبيب الحاج أحمد بن محمد الصديق التلولييني" (1910-1989م)، والشيخ "أبو سعيد المختار بن أحمد" أحد زملائه في الدراسة وكذا الشيخ "الدهبي عمر بن السيد محمد" الذي كان صديقاً حميماً لوالده الشيخ "محمد عبد القادر"، وقد تعرف عليه "محمد باي" منذ صغره واحتك به أكثر في المدرسة الطاهرية[4]،كما جمعته علاقة بالشيخ "سالم بن الشيخ عبد الله البلبالي" الذي كان مساعداً لقاضي توات "محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق"، وأخرى بالشيخ "محمد بكاري" شيخ مدرسة "بني مهلال" حالياً بتيميمون والشيخ "محمد بلهامل" المعروف (بمامو) المؤسس لمدرسة "بني مهلال"، وأحد زملائه أيام الدراسة وغيرهم ممن يطول ذكرهم؛ فقد جمعته بهم علاقة ودية وطيبة بعيدة عن المحسوبية، وعن العنهجية[5]،حيث كانت له معهم مناقشات ومحاورات ومراسلات ومناظرات ولقاءات وزيارات متكررة،كما أن بعضهم كان يرجع إليه في المشورة والفتوى والأخذ بالرأي .

وإلى جانب علماء ومشايخ توات كان للعلامة "محمد باي بلعالم" علاقات بعلماء ومشايخ من مختلف أنحاء الوطن تعرف عليهم خلال تنقلاته وأسفاره ورحلاته العديدة، أو من خلال مشاركته في ملتقيات ومناسبات مختلفة من أمثال: الشيخ "محمد علي بن محمد الصالح المنصوري القبلوي" (1920-2002م) الذي كان مقيماً بالهقار والشيخ "ناصر" المفتش في مديرية الشؤون الدينية التابعة لولاية تمنراست، وهو يعد من خواص أصدقائه[6] ومن مدينة "ورقلة" التي كان كثير التردد عليها لإلقاء دروس الوعظ والإرشاد والمحاضرات، جمعته علاقة طيبة وودية بجل علمائها ومشايخها أمثال:

[1] - محمد باي بلعالم: السيف القاطع و الرد الرادع، المصدر السابق، ص ط .

[2] - محمد باي بلعالم: الرحلة العلية ، (ج1) ، المصدر السابق ، ص ي19 .

[3] - المصدر نفسه، (ج2) ، ص ص (420 -421) .

[4] - المصدر نفسه، ص ص (412- 413) .

[5] - أحمد بن مالك: المقابلة السابقة .

[6] - محمد باي بلعالم: الرحلة العلية ، (ج2) ، المصدر السابق ، ص ص (420 ، 428) .

خاله الحاج "محمد بن محمد الحسان بن مالك" (1328-1418هـ/ 1997م) الفقيه النحوي الذي كان مستقراً بورقلة، والشيخ"حمزة خضران" (1813- 1976م)* والشيخ الطالب "محمد ناجي بن الحاج النعيمي" (1895-1974م) أحد تلامذة والده الشيخ "محمد عبد القادر" والشيخ "عبد القادر بن الشيخ محمد ناجي" (1929 - 1993م)، والشيخ "علي فياض" (ولد 1921م) الذي كان كثيراً ما يساءل الشيخ "محمد باي" عند حلوله بورقلة بالإضافة إلى الإمام "قريشي عبد القادر" إمام مسجد أولاد عريمة (الإمام مالك) هذا المسجد الذي كان محطة للعلامة "محمد باي" في ورقلة لإلقاء دروس الوعظ والإرشاد،كما تعرف أيضاً على علماء من أولاد ساسي هناك مثل: السيد الفقيه "بن ساسي محمد البخاري" الذي كان من الملازمين لدروسه خلال زياراته لورقلة من كل سنة والأستاذ "إبراهيم بن ساسي" الذي كان أيضا مداوماً على حضور حلقاته العلمية بورقلة[1].

ومن ولاية غرداية حصلت له معرفة بالشيخ "العيد بن الحاج أحمد حجاج المنيعي" (توفى في الثمانينات من القرن العشرين الميلادي) وهو أحد زملائه وأصدقائه زمن الدراسة، وممن تعرف عليهم أيضا الشيخ "محمد الدكالي" الجلفاوي الذي أفاده واستفاد منه حيث كانت بينهما مناقشات، ومن جملة المناقشات التي تمت بينهما أن الشيخ "محمد باي" ذكر للشيخ "الدكالي" بأن "التوفيق" لم يذكر في القرآن إلا مرة واحدة وهي في قوله تعالى: ﴿**وما توفيقي إلا بالله**﴾[2] فأجابه الدكالي: بأن "التوفيق" ذكر في القرآن مرتين ثم تلا عليه قوله تعالى: ﴿**ثم جاءوك يحلفون بالله إن أردنا إلا إحساناً وتوفيقا**﴾[3]، فوضح له الشيخ "محمد باي" بأن التوفيق المذكور في (سورة هود) المراد به الرُشد والمذكور في (سورة النساء) المراد به موافقة الحق وأن الشائع على الألسن أن التوفيق لم يذكر إلا مرة واحدة في القرآن الكريم، وهو المذكور في سورة (هود) وهما إن اختلفا معنىً فقد اتفقا لفظاً[4]، كما حصلت له المعرفة خلال مشاركته في الملتقيات والأسابيع القرآنية التي كانت تنظمها وزارة الشؤون الدينية بجملة من المشايخ أمثال: الشيخ "عبد الكريم الجزولي" التموشنتي والشيخ "مصطفى السنوسي الغليزاني" (ولد1936م) الذي التقى به في عدة ملتقيات للزوايا، وفي أماكن أخرى من الوطن، وربطته علاقة بالشيخ "محمد محبوب البسكري" الذي زار تيديكلت عام 1963م لإجراء مسابقة رجال الدين للالتحاق بالسلك الديني فرافقه "محمد باي" في رحلته هذه فكانت بينهما مذاكرات[5].

كما حصلت له المعرفة بالشيخ "أحمد سحنون الجزائري" إذ زاره الشيخ "محمد باي" في منزله واطلع على محتويات مكتبته الخاصة، والشيخ "محمد نسيب" رحمهما الله، ومن علماء الجزائر الدين تعرف عليهم أيضا

*- يقول عنه **العلامة محمد باي**: بأنه كان عالماً جليلاً طيب الأخلاق والأدب حسن السلوك في الطلب ... أعماله جميلة وأفعاله جزيلة ، يكل القلم عن كتب محاسنه ويعجز اللسان عن ذكر مآثره : ينظر محمد باي بلعالم : المصدر نفسه ، ص 438 .

[1] - المصدر نفسه، ص ص (437 - 438 - 439) .

[2] - سورة هود: الآية 88.

[3] - سورة النساء، الآية 62 .

[4] - محمد باي بلعالم: الرحلة العلية ، (ج2) ، المصدر السابق ، ص ص(496 -497) .

[5] - المصدر نفسه، ص ص (500 ، 502) .

الشيخ "إبراهيم بن علي المقلاتي" إمام "مسجد فرافور" بولاية "البويرة" الذي التقى به عدة مرات في ملتقيات الزوايا بالعاصمة وفي أدرار وتيزي وزو وقد كانت بينهما مراسلات[1]، وكذا الشيخ الإمام الحاج "عبد القادر الزبير الوهراني" ممثل وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الذي كان كثيرا ما يدعو الشيخ "محمد باي" لإلقاء درس الجمعة بالمسجد الذي يؤم فيه بوهران خلال زياراته له، وما كان له أن يقدم الشيخ "محمد باي" لإلقاء الدرس – وهو زائر فقط – إلا لما رآه فيه من الأهلية العلمية .

كما اجتمع بالشيخ "أحمد الشريف الأطرش السنوسي" المستغانمي (ولد 1919م)، إذ كانت بينهما علاقة ودية طيبة، كما كانت بينهما مناقشات حول بعض المسائل مثل: (الإحرام من جدة، ومسألة القرض من البنوك) ومنهم أيضا الشيخ "النعيم الرحالي" الذي زاره في أولف عام 1990م رفقة السيد "محفوظ نحناح" الأمين العام لحزب حماس (ت2003م) ثم تكررت زيارته له وفي المقابل زاره الشيخ "محمد باي" بوهران، ولقد كلفه الشيخ "النعيم" مرتين بإلقاء درس الجمعة "بمسجد زين العابدين" الذي يؤم فيه وكانت بينهما خلال هذه الزيارات المتبادلة محاورات ومناقشات أدبية، ودينية خاصة المتعلقة بالجانب العقدي والخرافات[2].

واجتمع ايضا بالشيخ "عامر بن المبروك المحفوظي" الجلفاوي الذي تبادل معه الزيارات مرات عدة في فترة الثمانينات من القرن العشرين وكانت بينهما مناقشات ومحاورات؛ ولقد خط الشيخ "عامر" مؤلفاً في نسب "أولاد نايل" الشريف بخط بنانه ونصح بإهدائه لأحد مثقفي أولاد نايل، إلا أن السيد "الحسن بن علجية" أهداه للشيخ "محمد باي" ذاكراً في أول صفحة من المخطوط بأنه :«لم يعلم، ولا يعرف من العلماء والمثقفين من يستحق أن يهدى له هذا العمل سوى شخصية الشيخ محمد باي»[3] ، وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على المكانة العلمية التي حظي بها الشيخ "محمد باي" على المستويين المحلي والوطني،كما أنه تعرف على العديد من شيوخ الزوايا بولاية الجلفة مثل: الشيخ "عطية بن مصطفى مسعودي" (ولد1900) والشيخ "رابح بن لطرش" (ولد1940م) وغيرهم.

ومن ولاية "البليدة" جمعته علاقات طيبة بالشيخ "الزبير الكبير" الذي تبادل معه الزيارات والأفكار وكذا الشيخ "مصطفى اسطنبولي" الذي تبادل معه الزيارات أيضا[4]، ومن علماء الجزائر الذين حصلت له صلة وصداقة بهم الشيخ "عز الدين عباسي السوفي" الذي كان مفتشاً جهوياً في ولاية بسكرة، تعرف عليه منذ 1969م خلال زيارة الأخير لمدينة أولف، وكذا الشيخ "مصباح لحويدق السوفي الجزائري" الذي كان يشغل منصب القضاء في الثورة تعرف عليه أثناء نفيه إلى مدينة أولف، ويذكر الشيخ "محمد باي"[5] بأنه : "تدارس وتذاكر معه جملة من المسائل الدينية والفقهية والعلمية" عندما كان يستعد للسفر إلى ورقلة لإجراء امتحان إثبات المستوى في أوائل

[1] – محمد باي بلعالم: الرحلة العلية ، (ج2) ، المصدر السابق، ص 538 .

[2] – المصدر نفسه ، ص ص (466، 468) .

[3] – المصدر نفسه، ص 471 .

[4] – المصدر نفسه، ص ص (472- 473) .

[5] – المصدر نفسه، ص ص (458 ، 460) .

السبعينيات من القرن العشرين الميلادي فقال له الشيخ "مصباح": « من الآن أني أهنئك بالنجاح » وكأنه توسم فيه علامات النجاح وفعلاً كانت نتيجة الامتحان النجاح بإمام ممتاز، ولقد ظلت بينهما مراسلات أخوية بعد انتقال الشيخ "مصباح" إلى مستغانم إلى أن توفى في عقد السبعينيات من القرن الماضي.

كما تمت له المعرفة بشيوخ معاصرين بارزين وعاملين في السلك الديني ووزارة الشؤون الدينية والأوقاف نذكر منهم: الشيخ "أحمد حماني"(1915-1998م) رئيس المجلس الإسلامي الأعلى سابقاً منذ 1972م التقى به الشيخ "محمد باي" في عدة ملتقيات، وفي وزارة الشؤون الدينية والأوقاف وفي رئاسة الجمهورية مع بعض من علماء الجزائر لمناقشة بعض الأمور المتعلقة بالعاملين في السلك الديني، والعلامة السيد "ساسي لعموري" (ولد1940م) الوزير السابق للشؤون الدينية والأوقاف،كان بينهما لقاءات متكررة في الحل والحرم، تبادلا خلالها النقاش والحوار واستفاد كلاً منهما من الآخر، ومنهم الشيخ "محمد الطاهر آيت علجت" الذي كان من أجل أصدقائه المخلصين بالمحبة وصدق المودة، ولقد قرظ الشيخ "محمد الطاهر" للشيخ "محمد باي" بعضاً من كتبه مثل: (قبيلة فلان، الرحلة العلية وملتقى الأدلة) ومما قال فيه: « ... هو محل الثقة التامة لما عرف عنه من الفهم المستقيم والذوق السليم لدى عارفي فضله وغزارة علمه وسداد رأيه ...»[1]، ومنهم الشيخ "عبد الرحمن الجيلالي" رحمه الله الذي جمعته به معرفة علمية ودينية وأخوية، فقد قرظ الشيخ "الجيلالي" للشيخ "محمد باي" بعضاً من كتبه شهد له فيها بالأهلية العلمية والتضلع في الفقه والتحقيق،كما أنه أجازة إجازة عامة من طرفه ومما قال فيه في تقريظه لمؤلفه (ملتقى الأدلة) ما يلي:« ... فالأستاذ المؤلف – يقصد الشيخ محمد باي – جدير بأن يلحق بالرعيل الأول ممن صحبوا مالكاً في عصره، وشاركوا أتباعه وتلامذته الأفذاذ في تقليده والعمل على قواعده واجتهاداته المحكمة فلله دره من فقيه فاضل ضليع ...»[2].

ومنهم أيضاً الشيخ "عبد الرحمن شيبان" (رحمه الله) رئيس "جمعية العلماء المسلمين الجزائريين" سابقاً الذي ربطته به علاقة كبيرة، إذ كان الشيخ "شيبان" يستفتيه في بعض المسائل خاصة في الفقه المالكي بواسطة الهاتف[3] ومنهم الشيخ "الوالي بن دوينة بن سعيد الحسني الوهراني" وهو من الفقهاء المعاصرين الذين تعرف عليهم التقى به عدة مرات في الحل والحرم كما أنه زار الشيخ "محمد باي" في مدرسته بمدينة أولف، ولقد قرظ الشيخ "الوالي بن دوينة" لمؤلفات الشيخ "محمد باي" الشرعية نظماً باستثناء مؤلفاته الأخيرة ويحتوي هذا النظم على تسع وثلاثين بيتاً*،كما تعرف واحتك بالشيخ "الأخضر الدهمة المتليلي" حيث كانت بينهما مراسلات وتبادل هدايا خاصة الكتب، ولقد قرظ له بعض مؤلفاته (كالرحلة العلية، والسيف القاطع) ومما قاله في "محمد باي" أنه: « يملك جرأة في الصدع بكلمة الحق يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر لا تأخذه في الله لومة لائم، ولا يثبط من عزيمته ما يشيعه

[1] – محمد باي بلعالم: ملتقى الأدلة الأصلية والفرعية الموضحة للسالك على فتح الرحيم المالك في مذهب الإمام مالك ، (ج1) ، المصدر السابق ، ص ص (ب– ت).

[2] – المصدر نفسه، ص ج .

[3] – عبد الله حامد لمين: المقابلة السابقة .

*– ينظر الملحق رقم : 15 .

عنه أنصار الجمود الفكري ودعاة الإبقاء على الموروثات التي لا يقرها التدين الصحيح، ولا يرتضيه الشرع الحنيف ...»[1] كما أنه جعله من الخلف العدول الذين ينفون عن الدين ما أُدخل عليه لا تأخذهم في الله لومة لائم ولا يعوقهم عن الصدع بكلمة الحق عرض زائل[2]، نظراً لما اشتهر وعرف به الشيخ "محمد باي" من مواقفه الصارمة والحازمة ضد كل من يريد أن يمس شرائع الدين الإسلامي بإدخال ما ليس فيه وما ليس لهم سلطان ولا علم به .

كما جمعته علاقات طيبة بالشيخ "مكركب محمد بن أحمد بن موسى أبران" احد ابرز أعضاء "جمعية العلماء المسلمين الجزائريين"حيث التقى به عدة مرات في ملتقيات وزارة الشؤون الدينية، وفي ملتقيات الزوايا وفي مكة المكرمة وفي مدينة أولف، وبالشيخ "أبو عبد السلام جعفر أولفقي" مستشار وزير الشؤون الدينية والأوقاف الذي قال في الشيخ "محمد باي": «... انه عامل في سبيل الله، آخذ بأيدي عباد الله إلى خير يعمهم من عند الله ....»[3] وبالأستاذ "يوسف بلمهدي" نائب التوجيه الديني والتعليم القرءاني بوزارة الشؤون الدينية، إذ كان صديقاً له، التقى به مراراً في ملتقيات الأسابيع القرآنية وفي مدينة عين صالح، كما زاره مرات في مدرسته "مصعب بن عمير" بمدينة أولف، وقد كتب له تقاريظ لبعض مؤلفاته مثل: (الرحلة العلية، وقبيلة فلان) ومما قاله "يوسف بلمهدي" في الشيخ "محمد باي" ما يلي: «...الرجل الفياح شيخنا العالم باي بلعالم ...لا يترك لحظة تمر من غير فائدة، إما بتدريس أو تعليم أو تأليف ينثر بين جلسائه القلائد، ويصصح العقائد ويستنبط الحكم ويُبين الحكم ...»[4]، وتعرف مترجمنا كذلك على السيد "ناصر بونيف بن عبد القادر" مدير الشؤون الدينية بولاية البيض ثم بولاية النعامة فقد جالسه وحاوره ومما قال في الشيخ "محمد باي":«...الفقيه العلامة سليل بيت العلم والعلماء ...ذو الحافظة القوية، وذكاء المعي، ومطالعة واسعة واجتهاد لا يعرف الملل ....»[5] .

وربطته علاقة وطيدة وأخوية ببعض علماء المذهب الاباضي بالجزائر، إذ كان يحاورهم ويحضر لدروسهم على الرغم من اختلاف المذهب كالشيخ "إبراهيم باريز" إمام مسجد عزي بورقلة، والشيخ "عومر باريز"(بومعقل) رحمه الله الذي كان أحد أصدقائه المقربين[6]، والشيخ "ناصر المرموري" (ولد 1927م) وهو ممن جالسهم وحاورهم في الحل والحرم حيث زاره أكثر من عشرين مرة في أولف وكان الشيخ "ناصر" حريصاً على زيارة الشيخ "محمد باي" أثناء قدومه إلى ورقلة لملاقاته والاستفادة منه، ومنهم الشيخ "محمد المرموري" رحمه الله مدير مدرسة الحياة سابقاً الذي تبادل معه الزيارات[7]، بالإضافة إلى جملة من شيوخ الاباضية الذين التقى بهم وجالسهم وحاورهم أمثال: الشيخ "محمد أرشوم" (رحمه الله) صاحب كتاب (مناسك الحج)، والشيخ "عبد

---

[1] – محمد باي بلعالم: الرحلة العلية ، (ج1)، المصدر السابق، ص ي7 .

[2] – محمد باي بلعالم: السيف القاطع والرد الرادع ، المصدر السابق، ص ص (21ي – 22ي) .

[3] – محمد باي بلعالم: الرحلة العلية ، (ج1)، المصدر السابق، ص ص (ي28 – ي29) .

[4] – المصدر نفسه، ص ي23 .

[5] – المصدر نفسه، ص ص (ي28 – ي29) .

[6] – المصدر نفسه، (ج2)، ص ص (445 – 446) .

[7] – المصدر نفسه، ص ص (453 – 454) .

الرحمن بكلي " (ولد1901م) الميزابي الذي حضر معه بالقراراة مهرجان تأبين الفقيد الشيخ بيوض، والشيخ "بكوش" مدير معهد الحياة سابقاً حيث كانت بينهما صداقة وزيارات متبادلة، ومنهم أيضا الشيخ "صالح حدبون" الكاتب الخاص للشيخ بيوض والشيخ "داود سليمان بن يوسف" المؤرخ الاباضي الذي التقى به في عدة ملتقيات للفكر الإسلامي كملتقى تمنراست عام 1979م[1] وغيرهم.

فكل هؤلاء جالسهم وحاورهم، بل ومنهم من كان من أصدقائه المقربين كالشيخ "بكوش" والشيخ "محمد الشيخ بلحاج" على الرغم من اختلاف المذهب، كما لا ننسى الشيخ "إبراهيم بيوض الاباضي" فقد كانت له معرفة به حيث دعاه هذا الأخير إلى حفل ختم تفسير القرآن الكريم عام 1400هـ/1980م، وخلال خطابه الذي ألقاه بهذه المناسبة والذي جاء فيه بكلمة للعلامة "ابن باديس" كان قد ألقاها عند ختمه لتفسير القرآن الكريم بالجامع الأخضر بقسنطينة عام 1938م مما جاء فيها :«... إنني أعاهدكم إنني سأقضي بياضي على العربية والإسلام كما قضيت سوادي عليهما وإنها لواجبات، وهذا عهدي لكم وأطلب منكم شيئا واحدا وهو أن تموتوا على الإسلام والقرآن ولغة الإسلام والقرآن...»[2].

فأحدثت هذه الكلمة تأثيراً كبيراً في نفس العلامة "محمد باي" حتى راح كما يروي عن نفسه يسير في معناها وينطبق عليها مغزاها[3] لأنه كان قد عاهد نفسه أيضا كما عاهد "ابن باديس" نفسه أن يقضي سواده وبياضه على العربية والإسلامي، فكان له ما تمنى، و وفى بعهده إلى أن لاقى ربه في شهر افريل من عام 2009م وغيرهم من المشايخ والأئمة الذين تعرف عليهم واحتك بهم من مختلف أنحاء الوطن والذين يطول ذكرهم في هذا المقام.

ونظرا لاحتكاكه العلمي الدائم ربطته علاقة بالعديد من الأساتذة والدكاترة من مختلف أنحاء الوطن مما يدل على تفتحه العلمي، وحبه للحوار نذكر منهم: الدكتور "عبد الرحمن الطالب" أستاذ الحديث النبوي بجامعة وهران (ولد1939م)، والأستاذ "تامر سعيد الجوهري الحسني الموسوي البغدادي" المقيم بالجزائر إذ كانت بينهما مراسلات ودية كثيرا ما يطلب فيها الأستاذ "تامر" من الشيخ "محمد باي" أن يدعو له[4]، بل ومنهم من كان يزوره في محل إقامته بمدينة أولف للتزود من علمه والانتفاع من كتبه وخزانته الخاصة خاصة من ولاية ادرار كالأستاذ "محمد الدباغ" الذي قرظ له بعض مؤلفاته (كالسيف القاطع، والرحلة العلية، وقبيلة فلان)، وكذا الأستاذ "محمد حوتية" الذي تعرف عليه منذ الثمانينات من القرن الماضي واستفاد منه في انجاز بحوثه خاصة المتعلقة باقليم توات كما انه كتب له تقريظاً لكتابه (الرحلة العلية) ومما قال فيه: «انه كان من الاشخاص القلائل بعد الاستقلال الذين

[1] – محمد باي بلعالم: الرحلة العلية ، (ج2)، المصدر السابق ، ص ص (455 – 456 – 457) .

[2] – محمد الصالح الصديق: الإمام الشيخ عبد الحميد بن باديس من آرائه ومواقفه، (ط1) ، دار البعث ، قسنطينة : 1983م ، ص 65.

[3] – محمد باي بلعالم: الرحلة العلية ، (ج2) ، المصدر السابق ، ص 447 .

[4] – المصدر نفسه، ص ص (498 ، 541) .

نشروا العلم واسسوا الزوايا وقاموا باصلاح ذات البين، وانه شارك في صنع عدة أحداث على المستوى المحلي والوطني والخارجي...»[1] .

ولا شك أن الإنفتاح العلمي للعلامة "محمد باي" هو ما جعل هؤلاء الأساتذة والدكاترة، وغيرهم من الباحثين يقبلون عليه لمساعدتهم في الأبحاث العلمية، ومدهم بمختلف المخطوطات والكتب التي يحتاجوها، فقد كان يختلف كثيراً عن العديد من المشايخ المنغلقين في مستواهم العلمي الضيق، الذي لا يتعدى الاختلاط بشيوخ الزوايا من أمثالهم .

ومن الأساتذة الذين احكتوا به أيضا الأستاذ "إبراهيم بن ساسي" الذي كان يحضر لمجالس الشيخ "محمد باي" بورقلة ومما قال في العلامة "محمد باي"[2]: « أنه يعتبر من الأعلام الأفذاذ الذين تركوا بصماتهم في عالمنا العربي والإسلامي»، بالإضافة إلى أساتذة آخرين امثال: الأستاذ "مبروك المصري" والأستاذ "الحمدي أحمد" والأستاذ "قدي عبد المجيد" وغيرهم من الأساتذة.

وبالجملة فقد كانت للعلامة "محمد باي" علاقات طيبة وودية وأخوية بعلماء ومشايخ وأئمة وأساتذة وباحثين من مختلف أرجاء الوطن، كان يناقشهم ويحاورهم فيما استجد من نوازل ومشاكل كالربا، ومسألة الإحرام من جدة ....الخ ، وكان معظمهم مسانداً له فيما ذهب إليه من فتوى أو رأي .

2- من خارج الوطن:

حصلت للعلامة "محمد باي" معرفة وربطته علاقة بجملة من المشايخ والعلماء والاساتذة من خارج الوطن سواء في بلاد الحرمين الشريفين أو في قارة إفريقيا:

ففي **المملكة العربية السعودية** التي كان يزروها مرتين في العام الزيارة الأولى في شهر شعبان لأداء العمرة والثانية خلال موسم الحج أين كان يترأس ركب حجاج دائرة أولف، فعلى الرغم من المهام الملاقاة على عاتقه من توجيه الحجاج سواء في الحرم المكي أو في المدينة المنورة، إلا أن هذا لم يمنعه من الاحتكاك بعلماء هناك سواء أكانوا حنابلة أومالكيين أو شافعيين أمثال: الشيخ "بادي باي الكنتي" المقيم بالمدينة المنورة الذي جمعته به صداقة منذ أن تعرف عليه عام 1995م، إذ كان الشيخ "بادي" من المرافقين للشيخ "محمد باي" خلال زياراته للبقاع المقدسة اين أتحفه بالكثير من الفوائد كما كانت له علاقة بزميله الباحث "عبد الأول" الصومالي الأصل[3] وحصلت له المعرفة بالشيخ "سليمان العبيدي" رئيس الإرشاد والتوجيه للمسجد النبوي، والشيخ "سبيل" إمام المسجد الحرام سابقا الذي التقى به عدة مرات في مكتبه، وفي الرئاسة العامة لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي، وكذا العالم اللبناني" مصطفى زهير الشاويش" الذي منحه الإجازة العامة .

[1] – محمد باي بلعالم: الرحلة العلية ، (ج1)، المصدر السابق ، ص ي13 .

[2] – (من سلسلة إعلام الجنوب الجزائري الشيخ محمد عبد القادر بلعالم القبلوي)، جريدة البصائر ،(ع537) ، المرجع السابق ص17

[3] – محمد باي بلعالم: الرحلة العلية ، (ج2) ، المصدر السابق ، ص ص (544 – 545) .

ومنهم أيضا الشيخ "أحمد بن الأمين الشنقيطي" الجكاني أحد علماء المسجد النبوي الشريف كانت بينهما مهاداة للكتب،كما كانت بينهما مناقشات في مواضيع عدة خاصة فيما يتعلق بالمخطوطات القديمة،كما أنه تعرف على الشيخ العلامة "محفوظ الشنقيطي" المدرس في المسجد النبوي القديم، وقد حضر الشيخ "محمد باي" لحلقاته العلمية خلال مواسم الحج أين احتك ببعض تلامذته هناك، وحصلت له المعرفة أيضا بالشيخ "عمار المختار بن ناصر الأخضري" الفرضي الجزائري الأصل المدرس بالمسجد النبوي، ومنهم أيضا العلامة الشيخ "محمد فلاتة" المدرس بالمسجد النبوي سابقاً الذي كان "محمد باي" يحضر لدروسه أمام باب الرحمة في المسجد النبوي[1]. بالإضافة إلى جماعة من الأساتذة، والباحثين والطلبة الذين تعرف عليهم هناك واستفاد منهم خاصة فيما يتعلق بالابحاث العلمية واستفادوا منه أيضا "كمحمد بن ناصر لخزيم" الرئيس العام لشؤون المسجد الحرام المكي والنبوي الذي أجازه الشيخ "محمد باي" وأهدى له بعضاً من مؤلفاته، والأستاذ "عبد الله ناجي" أحد الموظفين بالمسجد النبوي وأحد تلامذته ومن الملازمين له خلال حله بالديار المقدسة، ومنهم أيضا السيد "محمد بن عبد الرزاق الصانع" رئيس قسم المخطوطات بمكتبة باب عثمان التي كان الشيخ محمد باي كثير التردد عليها، كان بينهما تعامل علمي وثيق فقد ساعد الأستاذ "محمد الصانع" الشيخ "محمد باي" على الاطلاع على جملة من مخطوطات مكتبة باب عثمان، وكذا الأستاذ "محمد علي بن محمد الأمين الشنقيطي" الذي ساعده على الاطلاع على ما تحتويه مكتبة المسجد النبوي بباب عثمان[2] التي أوقف عليها جملة من مؤلفاته المطبوعة، كما أن الأستاذ "محمد علي الشنقيطي" وضع له ترجمة لحياته العلمية والاجتماعية* نظرا لأنه يُعد أحد الواقفين على مكتبة المسجد النبوي بالإضافة إلى الدكتور "آدم محمد علي العروسي" (أبو خالد) أحد موظفي المسجد الحرام وأحد تلامذته الذين اجازهم هناك ومن المرافقين له إلى عدة مؤسسات مثل: مكتبة الملك عبد العزيز، ودار الحديث بالمدينة المنورة وإلى منازل بعض الأعلام كما ساعده في الاطلاع على العديد من المعلومات، والمخطوطات خاصة المتعلقة بقبيلة فلان.

كما حصلت له معرفة بالدكتور "محمد بن الشيخ عمر فلاتة" رئيس قسم التربية بالجامعة الاسلامية والمشرف على مكتبة أهل الحديث بالمدينة المنورة، الذي كان من الملازمين له أيضا، بل وكان يترقب فرصة اللقاء به في كل موسم حج وعمرة للاستفادة من علمه، والتباحث معه في القضايا التاريخية خاصة المتصلة بقبيلة فلان[3] فقد ساعد الشيخ "محمد باي" في جمع المادة التاريخية خلال تأليفه لكتاب (قبيلة فلان) ووضع له تقديم للكتاب المذكور، ومنهم الأستاذ "مصطفى بن محمد بن إبراهيم برناوي" (أبو أسامة) أحد تلامذته والملازمين له أيضا

[1] – محمد باي بلعالم: الرحلة العلية ، (ج2) ، المصدر السابق ، ص ص (507 ، 510) .

[2] – المصدر نفسه، ص ص (506 – 516) .

*– للاطلاع على هذه الترجمة ، ينظر ، محمد باي بلعالم : المصدر نفسه ، ص 376 .

[3] – محمد باي بلعالم: قبيلة فلان ، المصدر السابق ، ص ح .

درس عليه الأربعين النووية بمكتبة المسجد النبوي الشريف بباب عثمان واستفاد منه أشياء عدة وطلب منه الإجازة فأجازه[1]، وغيرهم من الأساتذة والمشايخ الذين تعرف عليهم هناك، واحتك بهم .

وبهذا يتضح لنا بأن رحلات العلامة "محمد باي" للحج لم تكن دينية خالصة بغرض تأدية المناسك فحسب، وإنما كانت علمية أيضا ميزها احتكاكه الدائم، وتعرفه على الكثير من العلماء والأئمة هناك .

ومن علماء **جمهورية مصر** الذين تعرف عليهم في الحرم المكي الشيخ "محمد محمد صقر" رحمه الله رئيس بعثه الحج المصرية إلى الديار المقدسة سابقاً، فقد كان يجتمع به في رحاب المسجد الحرام أين تناقش معه في الكثير من المسائل وكانت بينهما مراسلات تدل على صدق الأخوة والمودة[2]، كما تعرف على بعض مشايخ **المغرب الأقصى** خلال رحلاته الثلاث إليه التي كانت بهدف زيارة قبر شيخه "مولاي أحمد"، ووصل أهله من بعده فحصلت له معرفة واجتماع بعلماء ومشايخ هناك أمثال: الشيخ "عبد الرحمن" ابن عم شيخه "أحمد الطاهر والشيخ "عبد الوهاب" صنو الشيخ مولاي عبد الرحمن، وشيخ زاوية "أولاد عبد المولى" بمراكش[3] ومنهم أيضا الشيخ "عبد المعطي بن عبد الله بن عبد المعطي السباعي" الذي جمعته به علاقة صداقة وأخوة، فقد زاره في مدينة أولف عام 1410هـ /1989م خلال زيارته التفقدية للزوايا التابعة لمدرسة الشيخ "أحمد الطاهري" في الجزائر.

ولقد أثنى على العلامة "محمد باي" جهوده في التأليف، ومما قال فيه عند زيارته لأولف: « ... محمد باي علّمه الله كل علم نافع وجعله صدراً لكل مجلس من مجالس العلم والخير فإنه بارك الله في علمه وبارك في قلمه وفكره ألف تآليف مفيدة في فنون من العلم عديدة ...» وأنشد فيه أبياتاً ينوه فيها بفضائله وشمائله وعلمه جاء في مطلعها :

إذشئت أن تحوز فضل ذوي الفضل ... عليك بالشيخ باي تظفر بالسؤل
بأولف تشرفنا وزرنا محمد ... كريم الفعال طيب الأصل والنسل
إذا زرته ترى العلوم بأسرها ... به جمعت الفرع يتبع الأصل
وإن جئته تلق البشاشة كلها ... وصدراً رحيباً طيب القول والفعل[4]

إلى آخر الأبيات وعددها إحدى عشر بيت .

[1] - مصطفى برناوي: الرسالة السابقة ، ص 1 .
[1] - محمد باي بلعالم: الرحلة العلية ، (ج2) ، المصدر السابق ، ص 532 .
[3] - المصدر نفسه، ص ص (244 ، 248).
[4] - المصدر نفسه، ص 253 .

ومن المشايخ والعلماء الذين جمعتهم به معرفة وعلاقة من **غرب إفريقيا** نذكر: العلامة السيد "عقباوي ديدي المالي"* إذ كان هذا الأخير يراسل العلامة "محمد باي" ويحاوره ويناقشه هو وجملة من علماء ولاية أدرار كشيخه "مولاي أحمد الطاهري"، والشيخ "بن الكبير"،كما تعرف على الشيخ "البكاي بن عبد الله الكنتي المختاري" – من آل المختار الكبير- الذي كان يبعث إليه الكثير من القصائد الشعرية، والمقالات النثرية ينوه فيها بجهوده العلمية والعملية[1].

كما جمعته علاقة علمية أخوية وطيدة بالعلامة "محمد بن بادي الكنتي"** على الرغم من عدم ملاقاتهما حيث كان الشيخ "محمد باي" يكاتبه ويستفسره في بعض الأمور الفقهية قديمها ومستجدها، ولقد قام الشيخ "محمد باي" بتخريج بعض مؤلفات "ابن بادي" مثل نظمه على خليل المسمى (مهمات من مختصر خليل) ونظمه للعزية كما شرح نظمه في علم الفرائض المسمى (بغية الشريف في علم الفرائض المنيف)، ومنهم أيضا الشيخ "همادة بن الميمون بن حمادي الأدغاغي" الذي زاره في أولف مرتين الأولى في عام1975م والثانية في الثمانينات أين تذاكر معه الكثير من الفنون العلمية .

فكل هؤلاء العلماء والمشايخ الذين تعرف عليهم كانت له معهم مناقشات ومحاورات ومناظرات ومراسلات ولقاءات وزيارات متكررة تعكس لنا مدى تفتحه على مختلف المذاهب الأخرى، نابذاً بهذا العصبية المذهبية الممقوتة في المذهب المالكي،كما تعكس لنا مدى سماحته واعتداله وكرم خلقه.

3- علاقته مع أولي الأمر :

جمعت العلامة "محمد باي" إلى جانب أولئك المشايخ علاقة أخوية وعلمية ببعض الشخصيات السياسية التي تعرف عليها من أمثال: الشيخ "محفوظ نحناح" الأمين العام لحزب حماس الذي زاره بمنزله بأولف في أوائل التسعينات من القرن الماضي،كما التقى به عدة مرات في البقاع المقدسة أين كان الشيخ "نحناح" يحضر لدروس الشيخ "محمد باي" هناك وكان واسطة بينه وبين الشيخ "أبو بكر محمد زهير بن مصطفى الشاويش اللبناني" الذي

---

*- **السيد عقباوي ديدي** : هو السيد البكاي بن عبد الله بن البكاي بن كنان بن السيد الأمين عقباوي ، من قبيلة كنتة المنتشرة في الكثير من المناطق ولد سنة 1946 بمنطقة أزواد بدولة مالي نشأ في بيئة علمية ودينية ، أخذ العلم عن مجموعة من الشيوخ منهم العلامة السيد السالك بن البكاي الكنتي والعلامة محمد بن بادي الكنتي عالم الصحراء المالية ، والشيخ باي بن عمر الذي يعتبر شيخه في السلوك والطريقة ،كان كثير التنقل ما بين الجزائر وليبيا وبور كينافاسو والنيجر ، والسنغال وغيرها قصد الاستزادة من العلم أين تعرف على العديد من العلماء ، له عدة مؤلفات تراوحت موضوعاتها ما بين السياسة وعلوم الدين وعلوم اللغة مثل: الناصح الأمين لجميع المسلمين ، الحق الظاهر لكل قلب طاهر، روضة الأزهار والفوائد الذهبية وله منظومات عديدة ، وله ديوان شعر تضمن الكثير من القصائد الصوفية والنصائح الدينية : ينظر ، عبد المجيد قدي : صفحات مشرقة ، المرجع السابق ، ص ص (126 ، 129) .

[1]- محمد باي بلعالم : الرحلة العلية ، ج2 ، المصدر السابق ، ص ص (523 – 524).

- **محمد بن بادي الكنتي : هو المختار بن محمد بن الشيخ المختار الكنتي الكبير ولقبه (باي) (وبادي) لقب والده ولد نهاية القرن 13هـ وتوفى عام 1387 او 1388ه عن عمر 88 سنة من مؤلفاته : نظم مهام من مختصرات خليل ، نظم كتاب العزية وشرحه ، الشموس الطوالع بظلام ما أحدث عند القبور من مناكر البدائع وله محاورات مع بعض العلماء مثل : الشيخ محمد الحسن القبلوي ، وكان محمد بن بادي شخصية علمية بارزة في الصحراء الجنوبية التي تربط الجزائر ومالي والنيجر ، ينظر محمد باي بلعالم : إقامة الحجة بالدليل شرح على نظم ابن بادي لمختصر خليل ، (ج1) ، (ط1) ، دار ابن حزم بيروت :2007 ، ص ص (38-41).

منحه الإجازة العامة ويؤكد العلامة "محمد باي"[1] في كتابه (الرحلة العلية): "بأن علاقته بالشيخ نحناح كانت علاقة علمية ودعوية لا سياسية لأن تعرفه به كان بين المسجد الحرام، والمشاعر المقدسة، والمسجد في أولف من خلال المحاضرات الدينية والثقافية، وأما الجانب السياسي فإنه لم يشاركهُ فيه، وأنه كان يكفيه منه الجانب العلمي والثقافي والديني"، وتعرف أيضا على السيد الدكتور "أبو عبد الله غلام الله"[*] الوزير الحالي للشؤون الدينية والأوقاف، إذ جالسه خلال زياراته المتعددة لولاية أدرار وفي عدة ملتقيات خاصة ملتقيات الأسابيع القرآنية، أو في مقر البعثة الجزائرية بمكة المكرمة أثناء موسم الحج أين كان لهذا الأخير نشاط بارز فيه شهِد به العلامة "محمد باي"[2] حيث يذكر عنه بأنه:"كان يتابع كل الدوريات ولجان الحج في مقر البعثة، وفي عمارات الحجاج، وفي مشاعر عرفات والمزدلفة ومنىً".

وممن عرفهم برسم المحبة في الله والثقافة الرائعة السيد "عبد العزيز بوتفليقة" الرئيس الحالي للجمهورية الجزائرية تعرف عليه منذ التسعينات من القرن الماضي أي في الفترة التي كان متجرداً فيها من المسؤولية حيث زاره في منزله بأولف، وقد عُرف عن السيد "بوتفليقة" أنه محباً للعلم والعلماء مجلاً مبجلاً للفقهاء الصلحاء دائم الصلة بهم وافياً لمحبتهم، مجتهداً في إكرامهم مصغياً لنصائحهم وتوجيهاتهم،كما أنه إلى جانب هذا شديد الاهتمام بالزوايا الدينية التي تعمل على تربية الأجيال وتنشئتهم النشأة الصحيحة التي تبعدهم عن التطرف والغلو في الدين لذا نجده يقوم بتفقدها ومتابعتها ويحث على التعريف بها والوصاية عليها، ويزورها من حين لآخر اقتداء بحكام المسلمين السلف[3].

ولقد شهِد له العلامة "محمد باي"[4] بحبه للعلم وللعلماء وعلو مكانته الثقافية خلال لقائه به في عدة ملتقيات سواء في ولاية أدرار أو في الجزائر العاصمة، كما شهد له بأنه أنقذ الأمة الجزائرية من الفتن حيث قال عنه: «فهذا الرجل ليس هو رجل سياسة ورياسة فحسب بل هو رجل الرحمة والشفقة والمصالحة والصبر...ونحن نشهد لهذا الرجل بأنه أنقذ الأمة من الفتن التي كانت سائدة في الشعب الجزائري، وأنه رفع مكانة الجزائر في الداخل والخارج، وأن مكانته في الثقافة والمعرفة والحكمة والصبر الجميل على أعلى مستوى لا يسبقه من مسؤولي العصر سابق ولا يدركه لاحق، ونشهد له بأنه يحب العلماء والصالحين وأهل الدين »؛ وعلى علو مكانة رئيس الجمهورية لم يتوان العلامة "محمد باي" في تقديم النصح له فعند استقباله له في آخر حملة انتخابية له عام(2004م)

---

[1]- الرحلة العلية، (ج2) ، المصدر السابق ، ص ص (490 - 496) .

*- **أبو عبد الله غلام الله:** ولد في سبتمبر 1934 بوريزان ولاية غليزان دكتوراه درجة ثالثة في علم الاجتماع شيخ زاوية سيدي عدة بتيارت أستاذ الفلسفة ، مدير التربية بالعاصمة ، مدير مركزي بوزارة التربية الوطنية ثم أمين عام بنفس الوزارة ، انتخب في المجلس الشعبي عن ولاية تيارت في قائمة التجمع الديمقراطي عام 1997 ، دخل الحكومة كوزير الشؤون الدينية : ينظر ، عاشور شرفي : المرجع السابق ، ص 1100 .

[2] - الرحلة العلية، (ج2) ، المصدر السابق ، ص 505 .

[3]- التهامي غيتاوي: وقفات مشرقة من حياة المجاهد الكبير السيد عبد العزيز بوتفليقة ، المرجع السابق، ص ص (160 - 161- 162) .

[4] - الرحلة العلية، (ج2) ، المصدر السابق ، ص 548

بولاية بشار خاطبه ناصحاً إياه:« إنك في أمور الدنيا اخترت الأمة على نفسك، ولكن في أمور الآخرة لا تختـــر أحداً على نفسك، وتلى عليه قوله تعالى:﴿**قل أني لن يجيرني من الله أحد**﴾[1]فعانقه وبكى[2].

الشيخ محمد باي رفقة رئيس الجمهورية السيد عبد العزيز بوتفليقة في آخر حملة انتخابية له عام 2004م.[3]

ومن هذا يتضح لنا بأن العلامة "محمد باي" كان بعيداً كل البعد عن أمور السياسة، والساسة وما يـــدل على هذا العلاقة العلمية والأخوية التي جمعته ببعض رجالها، وعلى الرغم من بعده عنها إلا أن هذا لم يمنعه مـــن تقديم النصح لرجالها لوجه الله لا لغرض آخر.

خامساً – وفاة العلامة محمد باي بلعالم 23 ربيع الثاني 1430هـ /19 افريل 2009م:

كان العلامة "محمد باي "كثيرا مايدعو بدعاء: (**اللهم اني نسألك السعادة والستر، وحســـن الخاتمـــة والموت على الشهادة والحسنى وزيادة**)[4] إلى ذلك اليوم الذي سقط فيه بين كتبه، ومؤلفاته حيث أصيب بمرض في آخر عمره مرضا أخفاه على محبيه ومقربيه، بل وتحداه بمشاركته في الملتقى الدولي حول (الفقه المالكي) بولاية "عين الدفلة" في افريل2009م – الذي كان خاتمة نشاطه الفكري وآخر زيارة علمية له – كما كان يتحـــدى التعب وكما تحدى مرض السكري الذي كان مصاباً به، فبعد عودته من ولاية عين الدفلة أحس بوطء المـــرض لكنه أخفاه على الجميع .

[1] – سورة الجن: الآية 22

[2] – محمد باي بلعالم: الرحلة العلية ، (ج2) ، المصدر السابق ، ص 548.

[3] – الصورة اخذتها الباحثة من خزانة الشيخ محمد باي بلعالم باولف.

[4] – محمد الحسان بلعالم: المقابلة السابقة .

صورة ملتقطة للشيخ محمد باي بلعالم في آخر ملتقى حضر له بولاية عين الدفلة أفريل 2009م[1] .

وفي يوم السبت الثامن عشر من شهر أفريل عام 2009م استيقظ كعادته باكراً وقال لزوجه: «بأنه رأى والده في رؤيا» إلا أنها لم تسأله عما رأه بل تأملت وجهه[2] ثم خرج بعدها إلى "مسجد مصعب بن عمير" كعادته وأمّ المصلين في صلاة الصبح، وكان ما تلاه في صلاة الصبح الآيات الأخيرة من سورة "الفرقان" التي كان كثيراً ما يصلي بها في صلاة الصبح[3]، وهي قوله تعالى: ﴿**وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما والذين يبيتون لربهم سُجدا وقياما والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراما إنها ساءت مستقرا ومقاما...**﴾[4] وبعدها عاد إلى منزله ثم اتجه إلى مدرسته مصطحبا معه حفيده "عبد القدوس"، وفي طريقه إلى المدرسة شعر بالمرض قد أنهكه فعاد إلى المنزل وطلب من زوجه عصاه ثم قال لها: اتركيها وطفق راجعاً إلى المدرسة[5] أين استقبل ضيوفه وودع تلاميذه دون أن يشعروا منه بأنه آخر لقاء لهم به، ثم اصطحب معه ضيوفه إلى مكتبته وزودهم بالمعارف وأحاطهم بالدعاء الصالح، ثم أمر بإكرامهم[6]، وهناك أغمي عليه فجلبوا له الطبيب "عبد الحق" وبعد ان كشف عليه الطبيب أخذوه إلى منزله، ثم جلبوا له سيارة الإسعاف فخرج على قدميه متحدياً في ذلك كله المرض والهرم والتعب وقال لأخيه الأصغر "محمد الحسان"

[1] – الصورة اخذتها الباحثة من خزانة الشيخ محمد بلعالم باولف .

[2] – فاطمة معمري: المقابلة السابقة

[3] – محمد الحسان بلعالم: المقابلة السابقة

[4] – سورة الفرقان: الآيات من 63 الى77

[5] – فاطمة معمري: المقابلة السابقة

[6] – محمد باي بن مالك: (كلمة تأبينية في فقيد الإسلام والمسلمين الشيخ محمد باي بلعالم) ، فعاليات الأمسية ، المرجع السابق ، ص9.

وتلميذه وصهره الإمام "أحمد بن مالك" قبل أن يصعد سيارة الإسعاف[1]:« تشاوروا وانظروا أين يقع الدفن هنا في أولف أو في أقبلي » – يقصد مسقط رأسه– وكأنه كان على يقين بأنه لن يعود من رحلته هذه.

ولما وصل مستشفى (ابن سيناء) بمدينة ادرار بعد ساعتين، أو ثلاثة أخذ يردد الشهادة ويشهد لله بالوحدانية ويقول لأولاده والحاضرون: «اشهدوا باني أقول لا اله إلا الله محمد رسول الله، واني والحمد لله على يقين»[2]، حتى فاضت روحه يوم الأحد 23 ربيع الثاني 1430هـ/19افريل2009م على الساعة الثانية بعد منتصف الليل عن عمر يناهز التسعة والسبعين سنة، وكان يستعد للذهاب في هذا اليوم – الذي قدر الله أن يأخذ فيه روحه – إلى مدينة "عين صالح" لحضور تعيين الأئمة بالمعهد الإسلامي لتكوين الإطارات الدينية[3] .

وبهذا رحل العلامة "محمد باي" عن أعين محبيه وأقاربه وأصدقائه وطلبته وكل من يعرفه، وغادر الدنيا وقد ترك فراغاً في قلوبهم ومجالسهم وفي مساجدهم وفي صفوف حجاجهم وفي المحاضرات، والملتقيات بل وفي جميع المناسبات.

ولقد رثاه العديد من الشعراء والعلماء والمشايخ، وطلبته فقد رثاه السيد "سليمان حكوم" من ولاية ورقلة – التي كان كثير التردد عليها – بأبيات من (ثمانية عشر بيتاً) يصف فيها حاله وحال أهل ورقلة بعد رحيله عنهم مما جاء فيها قوله:

ما عاد يحلو مأكل و شراب أو يستلذ قصيدة وخطاب
أظلمت يا دنيا و كنت مضيئة من بعد ان ضم الحبيب تراب
ما كنت أسمع و الدروس كثيرة أو عاد ينفعني الغداة كتاب
من سوف يلقاني غدا بشوشا ضاحكا ولكل أسئلتي لديه جواب
من سوف يجمعنا و يجمع بيننا خصماؤنا بوجوده أحباب
وبمن نلوذ ولا تحرج عندنا في مجلس يتزاحم العلماء و الطلاب

إلى أن قال:

غادرتنا و تركت فينا ثلمة جاء الحديث وخطة الكتاب
غادرتنا فأنعم بصحبة مالك والأشعري رفيقك و الحطاب
والقابسي و أصبغ و الأشهب وخليل والعلماء نعمت الأصحاب
بلغت عنهم زهدهم و علومهم مثلتهم فكأنهم ماغابوا[4]

ورثاه الشاعر "هيبة الله بن هاشم" في قصيدة من ستة وأربعين بيت جاء في مطلعها:

[1]– محمد الحسان بلعالم: المقابلة السابقة .

[2]– المصدر نفسه .

[3]– فاطمة معمري: المقابلة السابقة .

[4]– (مرثية في وفاة الشيخ محمد باي بلعالم)، فعاليات الأمسية، المرجع السابق، ص17 .

الله أكبركم في الموت من عبر ولا اعتراض لما يجري به القدر
فالعين تدمع و القلوب تنعصر وحسبنا الله قد تخفف الضرر
عزاؤنا اليوم للإسلام قاطبة فيمن بكى فقده الأشجار والحجر

إلى ان قال:

من للحيارى من بعد الشيخ يرشدهم من للعقائد إن أصابها عور
من لفتاوى الضلال من يجابهها بقول حق إذ الروابض انتشروا
من للحجيج و من يقود رحلتهم إلى البقاع إذا ما حجوا واعتمروا
من للمساجد ان حنت منابرها هل يعتليها كمثل الشيخ مقتدر[1]

إلى آخر القصيدة التي عدد فيها خصاله، وبين فيها فضله وغزارة علمه وجهوده الإصلاحية، والعلمية وختمها بالدعاء له بالمغفرة متضرعاً إلى الله عز وجل أن يجعل الجنة مثواه، وغيرهم من الشعراء الذين رثوه بقصائد جادت بها قريحتهم في هذا المصاب الجلل، معبرين فيها عن ألمهم وحسرتهم على فقده، في وقت هم أحوج فيه إلى رأيه وعلمه وتوجيهاته ونصحه وكفاءته حتى شبه الأستاذ "إبراهيم ابلالي"[2] فقده بالامتحان الشنيع، الذي يكون فيه نقص في الرجال وأي رجال ؟ إنهم العلماء المصلحون كما يقول.

أما تلميذه"محمد باي بن مالك" فقد وصف رحيله عنهم: بأنه مصيبة ليست كالمصائب بلبلت العقول وشتت الأفكار وأخرست الألسن وأهمرت الدموع، مصيبة يبكيها القلب القاسي، وتتزلزل لها الجبال الرواسي فقال في فقده[3]: «... فقدنا بفقده شيخاً عالماً ناصحاً داعياً معلماً مدرساً مرشداً مجاهداً مناضلاً مثابراً مسامحاً... رحل وترك فراغاً كبيراً في قلوبنا وفي مجالسنا وفي مساجدنا، ترك فراغاً في صفوف حجاجنا ترك فراغاً في المحاضرات والملتقيات بل في جميع المناسبات رحل عن حياة لم يعرف فيها مللاً ولا سأما ولا تراخياً ولا كسلاً ولا فتوراً .....».

وقد شيعت جنازة العلامة "محمد باي بلعالم" يوم الإثنين24 ربيع الثاني 1430هـ/ 20 أفريل 2009م بمقبرة (حي الجديد) ببلدية أولف مساءً بعد صلاة العصر، حيث صلى عليه الشيخ "عبد الله الطاهري" نجل شيخه " أحمد الطاهري".

ولقد حضر لتشييع جنازته موكب مهيب يضم علماء، ومشايخ وأئمة ومثقفين، وباحثين وأساتذة وإطارات دولة من وزراء، ووفود يتقدمهم ممثل رئيس الجمهورية السيد "عبد العزيز بلخادم" الذي ألقى تعزية رئيس الجمهورية السيد"عبد العزيز بوتفليقة" بهذه المناسبة الأليمة، مما جاء فيها بعد ان عدد مناقب وأعمال الشيخ محمد باي واعترف بصداقته له قوله: « ... لقد فقدت فيه الجزائر علماً بارزاً ومصلحاً دينياً نشطاً ومربياً مقتدراً

[1]- (مرثية في وفاة الشيخ محمد باي بلعالم)، فعاليات الأمسية، المرجع نفسه، ص ص (17- 18) .
[2]- (الرجال أعمال) ، فعاليات الأمسية ، المرجع نفسه ، ص 6 .
[3]- (كلمة تأبينية في فقيد الإسلام و المسلمين) ، فعاليات الأمسية ، المرجع نفسه ، ص ص(8- 9) .

... »[1]،كما حضر الجنازة وزير الشؤون الدينية والأوقاف السيد "أبوعبد الله غلام الله" والشيخ "مكركب موسى أبران" والأستاذ "يوسف بلمهدي" الذي قال في فقده: «... ان فارقنا جسده فلا يفارقنا طيفه، ولا كتبه وعلمه ولا خلقه ولينه، ولا حكمته وحنكته ولا فقهه وفتاواه ولا حرصه وجده، ولا استعداده واهبته لأن يلبي نداء الله ونداء رسوله صلى الله عليه وسلم ... فقد ترك باباً لا أخاله يُسد، ولكنه يُسد بإذن الله بدعوة صالحة منكم، ومن الطلبة الذين تربوا على يديه»[2] وغيرهم من مشايخ وعلماء الوطن .

ولقد خلف العلامة "محمد باي" عدة مؤلفات ناهزت الأربعين مؤلفاً في مختلف الفنون، والعلوم الشرعية واللغوية والأدبية وكذا في التاريخ، والتراجم والسير بالإضافة إلى محاضراته المتعددة، والمتنوعة التي ألقاها في مناسبات مختلفة، نهيك عن رحلاته وتنقلاته التي اقترنت في اغلبها بالعلم، وفتاويه العديدة، ودروسه المتنوعة والكم الهائل من الأشعار التي نظمها من تقاريظ ومراثي وردود والغاز وفتاوى فقهية، والتي لو جمعت لكانت ديواناً* .

[1] – قرص مضغوط لجنازة العلامة محمد باي بلعالم 19افريل 2009م ، إخراج : المصور جمغات أمحمد بلدية أولف .

[2] – المرجع نفسه.

*– سنتطرق إلى التعريف بهذه المؤلفات في الفصل الرابع من البحث .

خاتمة الفصل

مما سبق عرضه وتحليله في هذا الفصل يمكن استخلاص عدة نتائج أهمها :

أولاً- يرجع نسب العلامة "محمد باي بلعالم" إلى قبيلة فلان المنتشرة في مناطق عدة من القارة الإفريقية والتي اختلف الباحثون والمؤرخون في تحديد أصلها نظراً لتضارب الروايات حول ذلك، وهي وان اختلفت فإنها جميعا تتفق على ان الفلان يختلفون عن بقية شعوب إفريقيا السوداء من حيث الملامح الجسمانية والبشرية مما يرجح ان يكون أصلهم عربي او بربري ثم اختلطوا بالزنوج .

ثانياً- أن الظروف العامة التي صاحبت مولد الشيخ "محمد باي بلعالم" ميزها توتر شديد في العلاقات الدولية نتيجة الأزمة الاقتصادية العالمية 1929م ومخلفات الحرب الكونية الأولى، أما في الجزائر فقد ميزها التسلط الاستعماري الفرنسي على الأرض والإنسان معاً مما أدى إلى تردي الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والثقافية في إقليم توات بصفة خاصة وفي الجزائر بصفة عامة .

ثالثاً- نشأ وتربى الشيخ "محمد باي بلعالم" في أسرة علمية محافظة اهتمت بتربيته وتعليمه منذ الصغر خاصة والده الشيخ "محمد عبد القادر" مما كان له انعكاس واضح على تكوينه الشخصي والعلمي وحتى الفكري، فقد جمع بين العلم والأدب والأخلاق الفاضلة وهذا بشهادة الكثيرين ممن احتكوا به أو تعرفوا عليه .

رابعاً- اجتاز الشيخ "محمد باي" مختلف مراحل التعليم الديني المعروفة بإقليم توات بدءاً بمرحلة الكتاب إلى مرحلة الزاوية تلقى خلالها مختلف العلوم الشرعية واللغوية والأدبية على يد شيوخ عدة أجازوه فيها، أبرزهم شيخه "مولاي أحمد الطاهري" الذي شد الرحال إلى مدرسته بمدينة سالي ولازمه مدة سبع سنوات، تخرج بعدها كإمام ومعلم للقرآن الكريم .

خامساً- أن الشيخ "محمد باي بلعالم" لم يكن من المتصوفة وإلا كان انعزل عن المجتمع وقضاياه، وإنما كان مالكي المذهب متخلق بخلق الاعتدال والوسطية، غير متعصب لمذهبه، منفتح الجانب العلمي، ذا فكر تجديدي عصري حداثي إذا ما قارناه بشيوخ زوايا آخرين.

سادساً- ربطت العلامة "محمد باي بلعالم" علاقات أخوية إسلامية بمجموعة من المشايخ الذين عاصرهم وحاورهم والتقى بهم وناقشهم سواء داخل الجزائر أو خارجها ومن مختلف المذاهب (المالكي، الاباضي، الحنبلي الشافعي) كالشيخ "عبد الرحمن شيبان" والشيخ "عبد الرحمن الجيلالي" والشيخ "محمد محمد صقر" والشيخ "عبد العزيز سيد أعمر المهداوي" والشيخ "بن الكبير" وغيرهم شهدوا له من خلالها بالأهلية العلمية وبالتمكن في العلم والأخلاق الفاضلة،كما ربطته علاقات بأطراف سياسية إلا إنها لم تكن لغرض تحقيق مصالح خاصة أومحاباة، بل كانت أخوية إسلامية لا غير.

سابعاً- أحدثت وفاة العلامة "محمد باي بلعالم" فراغاً هائلاً في صفوف محبيه وأقاربه ومعارفه ومن سمع به وهو ما تجلى لنا من خلال رثائهم له إذ هزت مشاعرهم، وحركت ضمائرهم، وأرهبت قلوبهم، نظراً لما كان له من وزن علمي متميز .

الفصل الثالث

أعمال الشيخ محمد باي بلعالم العلمية ونشاطه الإصلاحي

مقدمة

المبحث الأول: أعمال ومنجزات العلامة محمد باي العلمية

المبحث الثاني: نماذج لفتاوى العلامة محمد باي بلعالم

المبحث الثالث: نشاط العلامة محمد باي الإصلاحي

خاتمة

مقدمة الفصل:

يتناول هذا الفصل بالدراسة أعمال العلامة محمد باي بلعالم العلمية ونشاطه الإصلاحي الديني والاجتماعي في منطقة تيديكلت بصفة خاصة وفي ولاية ادرار بصفة عامة الذي يعكس لنا تكوينه الشخصي والعلمي، كما يعطينا فكرة عن دوره الثقافي والاجتماعي في الفترة المعاصرة في إقليم توات.

وسأتطرق أولاً إلى عرض أعماله وأنشطته العلمية سواء داخل الوطن أو خارجه لمعرفة أهم انجازاته العلمية التي قام بها في سبيل نشر العلم وتصحيح العقيدة الاسلامية.

ثم سأرصد وأناقش بعض المسائل التي أفتى فيها أو أجاب عليها في الجانب الطبي والأحوال الشخصية وفي الجانب الاقتصادي لاستخراج آرائه من بعض القضايا المستجدة أو المخالفة للشريعة، والتي أفتى فيها بما أفتى به القدماء من علماء المذهب المالكي.

كما يعالج الفصل نشاطه الإصلاحي الديني والاجتماعي في تصحيح العقيدة وإحياء السنة ومحاربة البدعة والتصدي لكل محاولة تسعى إلى هدم الدين والمساس بكرامة المسلمين وبمقدساتهم شأنه شأن العلماء العاملين المصلحين بإبراز مواقفه من بعض العوائد السلبية التي تتنافى مع ما جاء به الدين الحنيف، والتي ظهرت في المجتمع التواتي منذ القدم كنتيجة لتعدد الأعراق التي يضمها، وجهوده في محاربتها واقتلاع جذورها خاصة التي توقع في حبال الشرك، كما سنتطرق إلى اهتماماته ببعض الفئات الاجتماعية كالمرأة والشباب وعنايته بإصلاح ذات البين الذي لا يخرج من دائرة اهتمامه بالإصلاح الاجتماعي، وكذا موقفه من بعض الآفات الاجتماعية التي حاربها في حله وترحاله كالخمر، والتدخين، والمخدرات.

فما هو الدور الذي لعبه العلامة محمد باي بلعالم في إصلاح مجتمعه الادراري ؟ وما موقف العامة مما دعا إليه ؟

المبحث الأول: أعمال ومنجزات العلامة محمد باي بلعالم العلمية .

تعددت إسهامات الشيخ "محمد باي" العلمية من تأسيسه لمؤسسة علمية تعليمية دينية، وإلقاء الدروس المسجدية مع التصدي للإفتاء، وحضور الملتقيات والندوات داخل الوطن، ومحاورته لعلماء عصره، كما كان له نشاط علمي بارز خارج الوطن من خلال رحلاته الدينية والعلمية وهو ما سنتعرف عليه في هذا المبحث.

أولاً: نشاط العلامة محمد باي بلعالم داخل الوطن:

كان العلامة "محمد باي بلعالم" رحمه الله يتميز بالحركية الدائمة والمثابرة من اجل تعليم الناس وإرشادهم لما فيه خير لهم في دينهم ودنياهم، لذا خلف وراءه جملة من المنجزات العلمية التي أقامها بغرض تحقيق ذلك، كما كانت له أنشطة علمية متعددة داخل الوطن تعكس لنا فكره التجديدي وحضوره العلمي المتميز وتتمثل هذه الانجازات والأنشطة في:

أ – تأسيس "مدرسة مصعب بن عمير" للعلوم الدينية :

بعدما تلقى "محمد باي" مختلف العلوم الشرعية، واللسانية على يد شيخه "مولاي أحمد الطاهري"، وبعد حصوله على الإجازة من شيخه عام 1373هـ/1952م انتقل إلى مدينة أولف ليتولى مهمة التدريس بها، وكان هذا بطلب من شيخه "أحمد" الذي طلب منه أعيان مدينة أولف أن يبعث لهم معلماً إماماً يدرسهم الفقه فعينه شيخه على مدينة أولف، في حين عين زميله "حفصي عبد الرحمن" على قرية بلاد المهدي[1] من بلدية تمقطن حالياً وكان هذا عام 1953م بعام قبل اندلاع الثورة التحريرية (1954م) .

ويبدو أن أعيان مدينة أولف ليسوا بمفردهم من طالب بحضوره بينهم ليفقههم في أمور دينهم، بل طلب منه ذلك أهل عين صالح أيضا، وهذا ما عثرنا عليه في رسالة له مكتوبة بخط بنانه، أرسل بها إلى الفقيه الطالب "التهامي الحينوني" بتمنراست، مؤرخه في ذي القعدة*، حيث أخبره فيها عن حاله، ومما قال له في ملحق الرسالة: « واني أيه الأحب السيد الطالب – يقصد محمد التهامي- الآن في أولف طلب منا الأحب ....عمار** أن نمكث عنده أياما لأجل تعلم الناس بعضا من الديانات،كما أن أهل عين صالح طلبوا مني ذلك، ولا أدري ما يفعل الله ...».

وفي مدينة أولف نزل "بحي الركينة" أين وضع النواة الأولى لمدرسته الدينية المعروفة حالياً بمدرسة "مصعب بن عمير" وفي نفس الوقت تولى الإمامة بمسجد "انس بن مالك" بحي (زاوية حينون) من أولف، وظل كذلك، وبعد الاستقلال اعترف به كإمام وخطيب رسمي بعد اجتيازه لمسابقة اختبار الأئمة عام 1963م. ولقد

---

[1] – عبد الرحمان حفصي: المقابلة السابقة .

*– ينظر الملحق رقم : 06 .

– **عمار هذا هو الحاج عمار بن الطالب سالم فرحاني الذي وهب أبنائه وأبناء أخيه الحاج العربي قطعة أرضهم لبناء المدرسة الدينية مصعب بن عمير وهو والد السيد محمد عمار فرحاني الممول الكبير للمدرسة ، ينظر: لمحات في التعريف بالمدرسة القرآنية الدينية التابعة لمسجد مصعب بن عمير باولف خزانة الشيخ محمد باي بلعالم ، ص1

ذكر مترجمنا[1] في كتابه (الرحلة العلية) السبب الذي جعله يؤسس المدرسة القرآنية ويخضع لطلب شيخه واعيان مدينة أولف، وهو الحث على طلب العلم وتعلمه، ونشره عملاً بقوله تعالى: ﴿**فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون**﴾[2].

فمن اجل نشر العلم، وتفقيه الناس في أمور دينهم، أنشأ الشيخ "محمد باي بلعالم" مدرسته القرآنية باولف بمساعدة أهلها الميسورين من محبي الخير، والإحسان فتوافد عليها عدد كبير من التلاميذ ذكور وإناث ومن مختلف قرى دائرة أولف حالياً (عمنات، زاوية حينون، الركينة، ومن أقبلي مسقط رأسه، ومن بلديتي تيط وتيمقطن ...)، وكانت مدرسته في بداية الأمر ذات نظام خارجي[3] على غرار بقية المدارس الحرة التي كانت منتشرة في ربوع الوطن، نظرا للتسلط الاستعماري القائم آنذاك .

وبعد اندلاع الثورة التحريرية المباركة عام 1954م، اضطر الشيخ "محمد باي" إلى غلق مدرسته مؤقتاً بعدما تغلغلت الثورة في الجنوب الجزائري، وعمت التراب الوطني من شرقه إلى غربه ومن شماله إلى جنوبه، خوفاً على طلبته من المعارك التي كانت تدور آنذاك[4] من جهة، وخوفاً من قمع ومتابعة الإدارة الفرنسية من جهة أخرى.

فقد قامت السلطات الفرنسية عقب اندلاع الثورة التحريرية بممارسة الترهيب، والاضطهاد ضد معلمي الكتاتيب القرآنية، وضد "جمعية العلماء المسلمين الجزائريين" بعدما تفطنت لخطورتها، وما أحدثته من تغيير في العقلية الجزائرية فقامت بغلق مدارس الجمعية، والمساجد والكتاتيب القرآنية في شتى أنحاء القطر الجزائري، بل واشترطت في كل من يمارس التعليم الحر الابتعاد عن جمعية العلماء المسلمين، وهذا لضرب نشاط الجمعية الذي ازداد خلال هذه الفترة[5]؛ كما أن الشيخ "محمد باي" كان قد عاين وشاهد بنفسه مدى تضييق الإدارة الفرنسية على شيخه "مولاي احمد الطاهري" أيام دراسته فقد اخبرنا زميله "عبد الرحمن حفصي"[6]: "بأن القائد العسكري بمقاطعة رقان كان كثيراً ما يتردد على شيخهم مولاي "احمد الطاهري"، ويطرح عليه عدة أسئلة مثل: الأسباب التي دعته إلى فتح المدرسة ؟ وهل له علاقة بجمعية العلماء ؟ وما هي المواد التي يدرسها في المدرسة ؟ وأسئلة أخرى عن التلاميذ كمن أين اتو مثلاً ؟ خاصة بعد اندلاع معارك العرق بقورارة، لذا كان هو والشيخ محمد باي شديدي الحذر من التسلط الاستعماري بعد فتحِهما للمدارس القرآنية، نظرا للوشايات" إذ كان الاستعمار يضع أعين له في أوساط الناس .

---

[1] – محمد باي بلعالم: الرحلة العلية ، (ج2) ، المصدر السابق ، ص359 .

[2] – سورة التوبة: الآية 122 .

[3] – عبد الرحمن حفصي: المقابلة السابقة .

[4] – محمد باي بلعالم: الرحلة العلية ، (ج2) ، المصدر السابق، ص378 .

[5] – عبد الكريم بوصفصاف: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في الحركة الوطنية (1931– 1945)، المرجع السابق ، ص ص (145، 147) .

[6] – المقابلة السابقة .

وعلى الرغم من أن الشيخ "محمد باي" أغلق مدرسته بعد وصول الثورة إلى الجنوب الكبير إلا انه ظل مُخلصاً لقضية وطنه مثله كمثل أي جزائري يتمنى زوال ليل الاستعمار واستقلال بلاده، فقد كان يعمل على تحريض الناس على الجهاد سراً، كما كان منزله مفتوحاً لاستقبال المجاهدين والمناضلين الذين كان يجمع لهم المؤن[1].

وبعد استقلال الجزائر عام 1962م أعاد الشيخ "محمد باي" فتح مدرسته من جديد، لتستقبل الطلاب بأعداد كبيرة على اختلاف مستوياتهم وتباين أسنانهم (أطفال، شباب،كهول، شيوخ)، وكانت آنذاك تحتوي على قاعة للدرس، وأربع غرف ملحقة بها بناها بمساعدة السيد الحاج "عمار بن الطالب سالم فرجاني" بجوار مسجد "مصعب بن عمير"، ونظراً للإقبال الكبير عليها من طرف طلاب العلم سواء من الوطن أو من خارجه*، ونظرا أيضا لتوسع أنشطتها العلمية، بالإضافة إلى الخدمات المتعلقة بالإيواء، والأكل أصبحت المدرسة غير قادرة على الاستيعاب مما جعل الشيخ "محمد باي" يفكر في بناء مدرسة جديدة تكون ذات نظام داخلي، قادرة على استيعاب الطلبة وتقديم خدمات الإيواء، والأكل لهم فاختير لها الأرض الواقعة شرق حي الركينة، والتي كانت ملكا للمرحومان "الحاج عمار" و"الحاج العربي" أبناء الطالب سالم فرجاني، وهذا بعد طرح الفكرة على أولادهم فوهب أبناؤهم هذه الأرض لبناء المدرسة — ابتغاء وجه الله – وتم تسجيل أرضية المدرسة لدى مكتب التوثيق بورقلة من طرف شيخها ومؤسسها "محمد باي بلعالم" .

صورة ملتقطة لمدخل مدرسة "مصعب بن عمير" الواقعة شرق حي الركينة ببلدية أولف .

[1] – محمد عبد الرحمن بلعالم: المقابلة السابقة .

*–أخبرنا تلميذه عبد الله حامد لمين في المقابلة الشخصية التي أجريناها معه بان المدرسة وفد عليها طلاب علم من نيجيريا وموريتانيا ، وليبيا ومن مختلف أرجاء الوطن خاصة في فترة السبعينات والثمانينات، أما حاليا فهي تستقبل تلاميذ من أنحاء الوطن فقط.

وشُرع في بناء المدرسة في أواخر شهر جوان1981م، حيث وضع لها الحجر الأساس بحضور جم غفير من الوجوه البارزة باولف يتقدمهم شيخ المدرسة "محمد باي"، ومفتش الشؤون الدينية بولاية ادرار وقتئذ السيد الحاج "سالم بن إبراهيم"[1]، واستمر مشروع البناء حوالي ثلاث سنوات إلى غاية 1984م، وكان المشروع على نفقة السيد "محمد بن عمار فرجاني" الذي يعتبر الممون الرئيس للمدرسة إلى اليوم[2]، وغيرها من المدارس في ولاية ادرار والوطن وخارج الوطن حيث يقول عنه الشيخ "محمد باي"[3]:«... ومن أهل الخير والإعانة للمدارس القرآنية والدينية في أولف وادرار والعاصمة الجزائرية وإفريقيا وبالضبط في النيجر الحاج محمد بن عمار فرجاني فهو الذي بنى في أولف مدرسة مصعب بن عمير وهو الآن القائم بجميع شؤونها بكل ما تحتاجه من إنفاق، وإيواء للطلبة وتجهيز المدرسة بكل المرافق ...» .

وفي أواخر شهر ماي من عام 1983م قام الشيخ "محمد باي" بتدشين الجزء الكبير من مدرسته في حفل ختم صحيح البخاري، فانتقلت دروس صحيح البخاري للقاعة الكبيرة، في حين كانت عملية البناء متواصلة .

ولقد ظل الشيخ "محمد باي" طيلة فترة الانجاز يبذل المجهود ليل نهار، فلم يرتح له بال ولا هدأ له قرار إلا بعد ما رأى ما كان يطمح إليه قد تحقق، وان حلمه أصبح واقعا فما حلت سنة 1984م حتى اكتمل بناء المدرسة وأصبحت تحتوي على أربعة عشر غرفة منها قاعة كبيرة للدروس والمحاضرات عند المدخل الرئيسي وقاعات أخرى للتدريس، ومكتبة، ومطبخ ومخزن وغرف جماعية لإيواء الطلبة ومصحات ومضاءات، بالإضافة إلى حديقة تتوسطها وبهذا أصبحت معهداً كبيراً معداً لاستقبال الطلبة، في حين أن المدرسة القديمة التي كانت بجوار المسجد صارت ملحقاً تابعاً للمدرسة الجديدة يتعلم فيه البنات[4].

وبعد إتمام بناء المدرسة كاملاً قام الشيخ "محمد باي" بتدشينها في حفل بهيج دعيت له شخصيات كبيرة من ولايات الجنوب، إلى جانب سكان دائرة أولف ختم في هذا الحفل القرءان الكريم، ودروس الصحاح في الحديث النبوي الشريف، وعقدت خلاله انكحة عدد كبير من العرسان[5].

وقد ألقى شيخها "محمد باي بلعالم" كلمة بهذه المناسبة دعا فيها سكان دائرة أولف والحاضرين إلى الانضمام إلى المدرسة والاستفادة من دروسها وإثرائها بحضور أبنائهم، كما بين فيها فضل العلم، وفضل تحصيله ومكانة العلماء مستدلاً في ذلك كله بآيات من القرآن وبأحاديث نبوية شريفة، كما دعا الله تعالى بالستر والسعادة في الدارين لمن كان السبب في إنشاء هذه المدرسة ومن أعان عليها، ومن حضر افتتاحها، ومما جاء في هذه الكلمة: «... أيها المسلمون إن المدرسة مدرستكم وطلبتها أبناءكم، وهي في حاجة إلى حضوركم، في حاجة إلى نصائحكم وفي حاجة إلى دعواتكم لها بالنجاح، في حاجة إلى إثرائها بحضور أبنائكم للدراسة بها، إن المدرسة في

[1] – لمحات في التعريف بالمدرسة الدينية التابعة لمسجد مصعب بن عمير : المرجع السابق ، ص1 .

[2] – احمد بن مالك: المقابلة السابقة .

[3] – محمد باي بلعالم: الرحلة العلية ، (ج2) ، المصدر السابق ، ص397 .

[4] – لمحات في التعريف بالمدرسة الدينية التابعة لمسجد مصعب بن عمير باولف: المرجع السابق ، ص ص (1- 2) .

[5] – المرجع نفسه ، ص2 .

أمس الحاجة إلى كل معلم أن يعلم فيها ولو آية قرآنية، وفي حاجة إلى كل طالب أن يدرس فيها ولو آية قرآنية أو يتلقى فيها مسالة فقهية، ونسال الله لها التوفيق والنجاح، ونسال الله أن يجعلها نوراً يشع على قلوب أولاد المسلمين...»[1].

فكانت كلمة جامعة شاملة للأهداف التي أسست من اجلها مدرسة "مصعب بن عمير" للعلوم الدينية كما حددت في نفس الوقت الأهداف، والمبادئ التي بنى عليها حركته الإصلاحية التجديدية في المجتمع التديكلتي بصفة خاصة والتواتي بصفة عامة، والقائمة على نشر العلم، وإسداء النصيحة، والتفقه في أمور الدين، والبعد عن كل ما هو غريب عنه أو يسئ إليه، وبهذا أصبحت مدرسته إحدى زوايا ولاية ادرار الداخلية البالغ عددها – حالياً- اثنان وعشرون زاوية*، بل وأصبحت مركزاً من مراكز الإشعاع الثقافي في ولاية ادرار يقصدها طلاب العلم من كل مكان لتلقي العلوم الشرعية واللسانية، فقد قصدها طلاب من مختلف ولايات الوطن من تمنراست ورقلة، الاغواط، غرداية اليزي، بسكرة، عين الدفلة، بشار، عنابة، وهران، تيارت، الجزئر العاصمة، البليدة غليزان، سطيف، الوادي، بجاية الشلف، البويرة، تلمسان، سعيدة، سيدي بلعباس، معسكر البيض، النعامة، ومن خارج الوطن مثل: النيجر، مالي وموريتانيا، وهذا في فترة السبعينات والثمانينات؛ أما حالياً فهي تضم تلاميذ من الوطن فقط[2] إضافة إلى الطلبة الذين قصدوها من مناطق مختلفة من الولاية من أولف واقبلي وتيط، وتمقطن وتوات الوسطى، بالإضافة إلى اينغر، وعين صالح من ولاية تمنراست وهذا نظراً لما أصبحت توفره من إيواء وإطعام للطلبة.

أما بالنسبة لتمويل المدرسة، فالمدرسة تتلقى دعم وإعانات من أهل البر، والإحسان فبالإضافة إلى الممون الرئيس لها والمنفق عليها السيد "محمد بن عمار فرجاني"، هي تتلقى إعانات من أشخاص آخرين أمثال: "باية مولاي عبد الكريم" الذي بنى فيها قاعة للدروس، وكذا السيد "صمادي الصديق"[3]، وغيرهم من أهل البر والإحسان.

وهو ما يجعلنا نقر بان المدارس الدينية لازالت إلى يومنا هذا، تستمد حياتها من أموال الوقف والهبات كما كانت عليه سابقاً سواء في العهد الإسلامي أو العثماني، في حين تظل الدولة الممون الرئيس، والأول للمدارس النظامية التابعة لها.

1- القانون العام لمدرسة مصعب بن عمير:

مدرسة "مصعب بن عمير" باولف هي كبقية مدارس الوطن الدينية، لها قانون ونظام داخلي وبرنامج تعليمي خاص بها، يشرف عليه شيوخ وأساتذة المدرسة، تم وضعه من طرف لجنة كونها شيخها محمد باي[4].

---

[1] – عبد الله حامد لمين: المقابلة السابقة .

*– ينظر الملحق رقم : 17

[2] – لمحات في التعريف بالمدرسة الدينية التابعة لمسجد مصعب بن عمير باولف ، المرجع السابق ، ص 2 .

[3] – محمد باي بلعالم: الرحلة العلية ، (ج2) ، المصدر السابق ، ص ص (399- 400) .

[4] – لمحات في التعريف بالمدرسة الدينية التابعة لمسجد مصعب بن عمير ، المرجع السابق ، ص 2 .

فبالنسبة **لقانونها العام** فهو يتكون من مادتين:

المادة الأولى: هيكلة المسؤولية : والتي تضم شيخها ورئيسها وكاتبها العام محمد باي بلعالم .

– مجلس المشايخ للتعليم القرآني، والديني وهو مكلف بتسيير التعليم وإعداد برامجه، وهو أشبه بالمجلس التعليمي في المؤسسات الحكومية.

– مجلس تسيير شؤون الطلبة، ويتكون من ستة أعضاء يختارهم شيخ المدرسة يقومون بتسيير شؤون الطلبة وتنظيم مرافقهم.

– لجنة المدرسة الدينية المعتمدة من طرف والي ولاية ادرار بتاريخ 26 فيفري 1991م، تحت رقم 52/ق- ت- ت- و-ع/91 .

المادة الثانية: النظام العام للمدرسة .

تضم هذه المادة جملة من القوانين المتعلقة بنظام المدرسة، والتي يجب على الطالب احترامها، والالتزام بها في إطار المحافظة على النظام العام للمدرسة، فمن حيث النظام الداخلي الذي أدخلته المدرسة في الثمانينات، يقوم بتسييره احد الطلبة القدماء تبعاً لما جاء في قانون المدرسة الداخلي، والذي يحتوي على ثلاث وعشرين مادة* تتضمن برامج وتعليمات يخضع لها الطلبة أثناء مزاولتهم الدارسة، كما تحدد علاقتهم، وتضبط سلوكهم بالمشرفين على التدريس، أو المسيرين لشؤون المدرسة .

وتعمل المدرسة في إطار قانونها الداخلي على ضبط الحضور، واعتماد المناداة اليومية ومحاربة التسرب والتحلي بحسن المعاملة، وتحبيب الدراسة للتلاميذ للرفع من مستوياتهم وبالتالي من مستواها، كما تمنع طلابها من إحضار أي كتب تتعارض مع توجيهها الفكري – الذي هو ديني سني خالص- كالكتب التي تبث الفرقة والفتنة بين المسلمين وتكفرهم وتستحل دمائهم، وأموالهم، وأعراضهم، وتنبذ الوحدة التي دعا إليها الإسلام خاصة وأنها قد ظهرت في هذا الزمان وبان ضررها واستطار شررها[1].

كما أن هناك مواد أخرى تحظر على الطالب مغادرة المدرسة بدون إذن، وإذا أساء فانه يُعرض للتأديب وعادة ما يكون التأديب بالإنذار الكتابي، وإذ تكرر منه ذلك ثلاث مرات (مثل الغيابات غير المبررة) فانه يطرد سواء كانت الإساءة عدم الحضور للدراسة، أو الخروج إلى الأماكن غير المسموح بها، أو مرافقة قرناء السوء[2]، مما يدل على أن المدرسة حريصة كل الحرص على تعليم، وتربية طلابها تربية إسلامية مشبعة بأخلاق، وتعاليم الدين الإسلامي السمحاء .

والى جانب هذا هناك قوانين خاصة بالمطعم والمرقد كالحفاظ على الوسائل المستعملة والمحافظة على النظام الداخلي داخل المطعم والمرقد .

---

*- ينظر الملحق رقم: 16 .

[1] - احمد بن مالك: المقابلة السابقة .

[2] - المصدر نفسه .

أما بالنسبة للتلاميذ فالمدرسة لها سجل قيد يضبط أسماء الطلبة الداخليين، وذوو النظام الخارجي والذين يقدر عددهم الإجمالي ثمانمائة تلميذ حالياً[1] منهم ما يقارب الثلاثمائة إناث، يدرسون في المُلحق التابع للمدرسة والمسمى (فرع البنات) يشرف على تدريسهن "الأستاذ عبد القادر لعروسي" بمساعدة معلمات مثل: "عائشة بن المنوفي"، "كريمة بن المنوفي"، "كلثوم بوبكر"،"سامية وايني" و"عائشة يوسفي" كن فيما مضى تلميذات للشيخ "محمد باي" وتعليمهم في هذا الملحق هو امتداد لتعليم الشيخ "محمد باي" في المدرسة الأم .

وعلاوة على تقديمها لخدمات الإيواء، والإطعام تقدم المدرسة للطلبة الغرباء في أيام الأعياد، وعند رجوعهم إلى ذويهم إعانات مالية[2].

2- المواد المدرسة في المدرسة ومستويات التدريس :

بالنسبة للمواد المقرر تدريسها في مدرسة "مصعب بن عمير" هي نفسها المواد التي تدرس في باقي المدارس القرآنية في الولاية وفي الوطن، يأتي في مقدمتها القرآن وحفظه – الفقه على مذهب مالك- عقائد التوحيد- العبادات – الفرائض – الأخلاق والمعاملات- السيرة النبوية – الحديث – الحساب- الكتابة – القواعد – مبادئ فن التجويد بقراءة ورش- التفسير- حضارة عربية إسلامية .

وما لاحظناه من خلال تتبع الجدول الأسبوعي للدراسة[*] في المدرسة، أن مادتي القرآن الكريم (حفظه وتلاوته) والفقه المالكي ينالا حصة الأسد من حيث عدد الساعات المخصصة لهما في الأسبوع، في حين نسجل غياب العلوم العقلية كالمنطق، والتجريبية كالطب، والطبيعيات التي أصبحت بالنسبة للعلماء المعاصرين ضرورية الأخذ لمعرفة الإعجاز القرءاني.

هذا ولكل مادة برنامجها الخاص بها يتناوله التلميذ عبر مراحل الدراسة المقسمة إلى مرحلتين :

- مرحلة حفظ القرآن.
- مرحلة التحصيل.

يُقسم التلاميذ خلال هاتين المرحلتين إلى ثلاثة أقسام هي:

- الصغار من 04 إلى 15 سنة: يتعلمون إلى جانب حفظ القرآن الكريم المبادئ الدينية،كالعقائد وشروط الصلاة ويدرسون ما يتعلق بها من المتون الفقهية المالكية الصغرى،كالمرشد المعين والعبقري في السهو[**]، ومختصر الأخضري والقرطبية، وغيرها من المتون التي تسجل لهم أسفل اللوحة لتتربي نفوسهم على محبة الدين، والتفقه

[1] – احمد بن مالك: المقابلة السابقة .

[2] – المصدر نفسه.

[*] – ينظر الملحق رقم: 18 .

[**] – **كتاب العبقري** لمحمد بن أب المزمري نظمه من بحر الرجز يشمل على 159 بيت نظمه سنة 1128هـ ، وهو أكبر مرجع في أحكام السهو يعتمد عليه في كل المدارس التواتية ، ينظر : محمد باي بلعالم : الرحلة العلية ، (ج1) ، المصدر السابق ، ص ص (273- 274) .

فيه ولينطبع فقه العبادة في قلوبهم[1].

– المتوسطين من 15 إلى 20 سنة: وفي هذه المرحلة ينتقل الطالب إلى قراءة المتون الفقهية المالكية المتوسطة الحجم مثل: نظم أسهل المسالك في المذهب المالكي الذي يشتمل على جميع العلوم الضرورية من (توحيد، وفقه ومعاملات وآداب)، والرسالة لابن أبي زيد القيرواني*، ونظم مقدمة ابن رشد، والعزية، والعشماوية، والرقعي إلى جانب حفظ القرآن الكريم، ويمثل التلاميذ الصغار والمتوسطون المرحلة الأولى من التعليم .

– الكبار من 20 سنة فما فوق: وهؤلاء يمثلون المرحلة الثانية من التعليم، أي مرحلة التحصيل ويدرسون في هذه المرحلة أمهات الفقه المالكي الكبرى كالمختصر لخليل، والورقات لإمام الحرمين في الأصول، والتحفة العاصمية والدرة السنية، والرحبية في الفرائض[2]، وغيرها من الكتب الفقهية الكبرى، وخلال هذه المرحلة يتحصلون على معارف عامة تناسب المرحلة، والتي قد تسمح لهم بالعمل ضمن سلك الأئمة بعد قضاء فترة تكوين، أو مواصلة التعليم بالمعاهد المختصة بالتكوين بعد إجراء مسابقة تؤهلهم للاشتراك في التكوين .

أما بالنسبة لتقييم مستوى الطلبة في المدرسة فيكون بعد اجتيازهم للامتحانات الثلاث المقررة في السنة والتي يقدر عمر الثلاثي الواحد منها بثلاثة أشهر، يُقّيم الطالب من خلالها عن طريق إجراء امتحان كتابي ثم شفوي، وفي حالة نجاحه وتأهله تمنح له إجازة من الشيخ "محمد باي"** بعد طلبها منه، تسمح له بالالتحاق بالمعاهد الدينية والتكوينية المختصة لمواصلة التعليم أو العمل ضمن سلك الأئمة بعد قضاء فترة التكوين كما ذكرنا،كما تمنح له جوائز تشجيعية وشهادات تحفيزية خاصة عند حفظه القرآن الكريم، وفي حالة ما إذا كان الطالب غير مؤهل للحصول على الإجازة فإنه يبقى في المدرسة إلى أن يتأهل، ويستفيد الطلبة من عطلة صيفية سنوية على غرار المدارس الحكومية مدتها تسعون يوماً بعد انقضاء الموسم الدراسي الذي يبدأ من شهر سبتمبر إلى غاية أواخر شهر جوان[3] .

3– حلقات العلامة محمد باي التعليمية وطريقته في التدريس:

كان للشيخ "محمد باي" حلقتين في مدرسته يومياً إحداهما في الصباح من التاسعة صباحاً إلى العاشرة ونصف، والأخرى بعد صلاة الظهر لتدريس طلابه المواد المقررة عليهم خاصة في الفقه والعقيدة والفرائض،كما كانت له حلقتان في المسجد لعامة الناس إحداهما في الصباح بعد إمامته للناس في صلاة الصبح "بمسجد مصعب بن عمير" بحي الركينة والأخرى بعد صلاة العصر في "مسجد أنس مالك بن" بحي (زاوية حينون)، هذا الأخير الذي داوم عليه منذ أن كان إماماً بزاوية حينون أين يعكف على قراءة وشرح الموطأ وصحيح مسلم، وكان في كل هذه

---

[1] – محمد باي بلعالم: المصدر نفسه ، ص 265 .

*– يقول عنها صاحبها: كتابنا هذا مما ينتفع به إن شاء الله من رغب في تعليم ذلك من الصغار ومن احتاج إليه من الكبار ، وفيه ما يؤدي الجاهل إلى علم ما يعتقده من دينه ويعمل به من فرائضه ويفهم كثيرا من أصول الفقه وفنونه ومن السنن والرغائب والآداب، ينظر، عبد الله بن أبي زيد القيرواني: رسالة ابن أبي زيد ، (د،ط) ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر : 1988، ص171 .

[2] – عبد الله حامد لمين: المقابلة السابقة .

**– ينظر الملحق رقم: 14.

[3] – احمد بن مالك: المقابلة السابقة .

الحلقات يُلقي دروساً مختلفة خاصة في العقيدة والعبادات والمعاملات إذ كانت دروسه ثورة على البدع والخرافات ونبذ العصبيات الجنسية والمذهبية مما حرك أفكار الناس وعقولهم، وظل هذا دأبه كل يوم إلى أن اقترب منه الأجل فترك المجال لطلبته ليتابعوا مهمة التدريس[1].

أما بالنسبة لطريقته في التدريس، فقد اعتمد العلامة "محمد باي" في تدريسه على الطريقة القديمة (التلقينية الإلقائية) التي تستقي إيجابيات الطرق الحديثة، فالطريقة القديمة عُمدتها حفظ المتون، وفهمها ودراسة الشروح والتعاليق عليها بالاعتماد على ذاكرته وكان في ذلك موفقاً، إذ يجعل تلامذته يستعرضون الأقوال ويستنبطون ويرجحون الصحيح منها، بل وكان لها دور إيجابي في ترسيخ المعلومة للطالب كما اخبرنا بهذا تلميذ، وصهره وخليفته على المدرسة حالياً الشيخ "أحمد بن مالك"[2]، وأما الطريقة الحديثة عنده (الحوارية الاستنتاجية) فتعتمد على أسلوب الحوار، والنقاش بينه وبين تلامذته، والمشاركة في دراسة النصوص وتوجيه الأسئلة المفاجئة لهم من الدرس، مما يضفي على الدرس طابع النقاش العلمي بتدخلات وانتقادات ومقارنات التلاميذ، وبهذا الأسلوب الحكيم كان يضمن فهم التلاميذ للدرس؛ وأثناء تلقينه الدرس للطلبة يطرح عليهم جملة من الأسئلة لاختبارهم، وفي المقابل كان يتقبل كل طرح من الطالب، خلافاً لبعض المشايخ الذين تجدهم يتقززون من الأسئلة وينفعلون من مواصلتها عليهم[3]، وخلال محاورته ومناقشته لطلابه، كان يشير أحياناً إلى الاتفاق أو الاختلاف في مسألة ما مع مذهب آخر من المذاهب الفقهية الأخرى[4] .

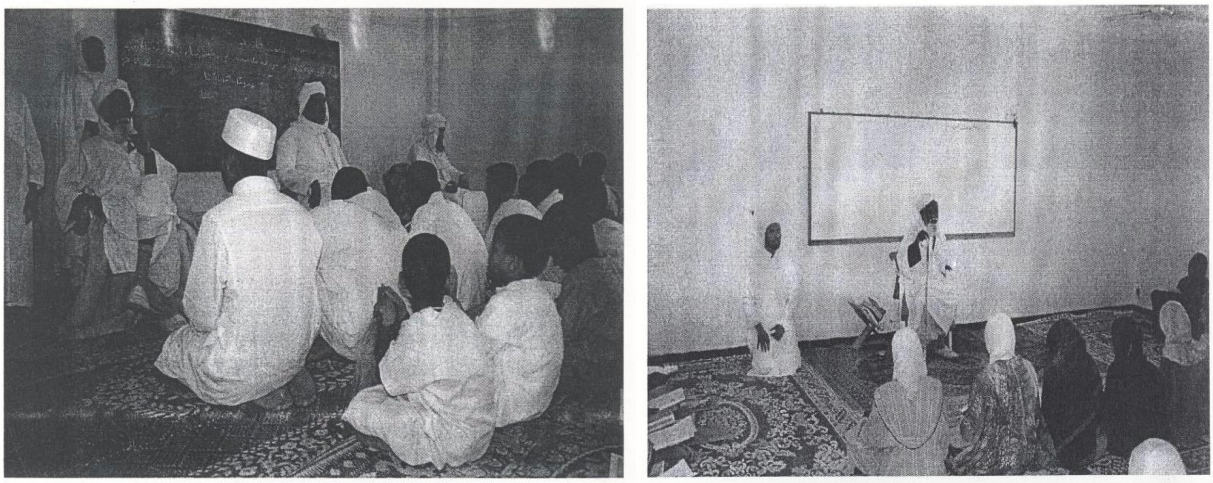

صورتين لإحدى الحلقات العلمية للشيخ محمد باي بمدرسة "مصعب بن عميرالدينية" فرع الذكور ويلحق الإناث تبين الطريقة التي كان يعتمدها في التدريس (التلقين والحوار)[5].

[1] – عبد الله حامد لمين : المقابلة السابقة .

[2] – المقابلة السابقة .

[3] – المصدر نفسه .

[4] – عبد الله حامد لمين : المقابلة السابقة .

[5] - الصورة أخذتها الباحثة من خزانة الشيخ محمد باي بلعالم.

فعلى الرغم من اطلاعه الواسع على مختلف المذاهب الفقهية الخمس، إلا إنه كان متمسكاً بمذهبه (المذهب المالكي) بل وعدم إشارته لأحكام المذاهب الأخرى دائماً كان حكمة منه حتى لا تتفرق قلوب طلبته على المذاهب الأخرى من جهة، وحفاظاً منه على الوحدة المذهبية في البلاد من جهة أخرى .

وحتى يرفع الملل والعناء عن طلبته خلال الدرس، وحتى يواصلوا التحصيل بكل جدية ونشاط كان يستعمل في مجالسه النكت الفقهية، والطرائف التي اشتهر بها في مجالسه التعليمية، وفي المحاضرات، والندوات والرحلات والجلسات حتى قال عنه الشيخ "عبد الرحمن شيبان" رحمه الله[1]:« أنه دمث الأخلاق، متواضع، مؤنس محسن باللسان واليد والقلم... وظريف يحب الطرفة وينشئها...».

ومن النكت التي كان يستعملها في مجالسه التعليمية نذكر :

• – أن أحد الشعراء قيل له ائتينا ببيت شعر قافيته ليس فيها حرف من الحروف الهجائية فقال :

مررت بعطار يبيع قرنفلاً ومسكاً وعنبراً فقلت له\

وقد قال لي العطار رد قرنفلي ومسكي وعنبري فقلت له/

• – ومن نكته أيضا: أن رجل من مصر كتب على لافتة: (المغاربة حمير أهل مصر) فجاء رجل من بلاد المغرب وأضاف الضمير (هم) لعبارة (حمير) فصارت "المغاربة حميرهم أهل مصر" .

• – ومنها أن أهل مصر كتبوا، من أراد العلم النفيس فعليه بمذهب الإمام محمد بن إدريس (الشافعي)، فأضاف لها رجل من المغرب، (وكيف لا يكون ذلك وشيخه الإمام مالك)[2]، وغيرها من النكت التي يطول جلبها في هذا المقام والتي كان يستعملها للترويح على قلوب تلاميذه، ومن كان يحضر مجالسه التعليمية، لرفع الملل عنهم جريا وراء المقولة التي تقول (روحوا هذه القلوب فإنها تكل كما تكل الأبدان)[3].

أما عن المواد التي كان يدرسها العلامة "محمد باي" في مدرسته والمتون التي كان يعتمد عليها فهي كالتالي :

– **التوحيد**: (العقيدة) اعتمد في تدريسه على أدلته الشرعية من الكتاب، والسنة بالإضافة إلى جوهرة اللقاني ومتن الخريدة للدردير، وعقيدة السنوسي، ونظم الاوجلي .

– **الفقه المالكي**: واعتمد في تدريسه على أمهات الفقه المالكي مثل: مختصر خليل بن إسحاق، مختصر الاخضري في العبادات، العاصمية لابن عاصم، أسهل المسالك، الرسالة لابن أبي زيد القيرواني، متن العزية، العبقري، نظم الرقعي متن العشماوية، مقدمة ابن رشد، المرشد المعين لابن عاشر، لامية الدقاق، بالإضافة إلى مؤلفاته الفقهية مثل: (الاستدلال بالكتاب والسنة، فتح الرحيم المالك في مذهب الإمام مالك، الجواهر الكنزية شرح نظم العزية السبائك الابريزية، إقامة الحجة بالدليل، ملتقى الأدلة الأصلية والفرعية، فتح الجواد، زاد السالك شرح أسهل

[1] – محمد باي بلعالم : الرحلة العلية ، (ج1) ، المصدر السابق ، ص ي7.

[2] – محمد الحسان بلعالم : المقابلة السابقة .

[3] – احمد بن مالك : المقابلة السابقة

المسالك، الكوكب الزهري، الإشراق البدري)، وغيرها من الكتب بالإضافة إلى اعتماده على جملة من الشروحات في شرح المتون الكبرى كشرح الدردير، والخرشي، والحطاب، والزرقاني لخليل، وشرح التسولي وميارة للعاصمية.

– **أصول الفقه**: اعتمد في تدريسه على عدة كتب منها: منظومة العمريطي* في علم الأصول، وكتاب ركائز الأصول، والورقات لإمام الحرمين .

– **علم الفرائض**: كان يعتمد في تدريسه على: الدرة السنية في علم ما ترثه البرية وهي من نظمه، الدرة البيضاء الرحيبية، النيل الفائض، جوهرة الطلاب لابن أب المزمري، الرسموكي، كشف الجلباب على جوهرة الطلاب مركب الخائض على النيل الفائض، فواكه الخريف على بغية الشريف وغيرها من الكتب .

– **التصوف الصحيح** : اعتمد في تدريسه على إحياء علوم الدين للغزالي، والحلية لأبي نعيم.

– **السيرة النبوية الشريفة**: اعتمد في تدريسها على مختصر سيرة ابن هشام، ونور اليقين في سيرة سيد المرسلين وفقه السيرة.

– **الحديث النبوي الشريف**: من الكتب التي اعتمدها في تدريسه الأربعون النووية، جواهر البخاري، رياض الصالحين، صحيح البخاري، صحيح مسلم، الموطأ للإمام مالك، الشفا للقاضي عياض السبتي.

– **علوم الحديث**: اعتمد في تدريسه على متن البيقونية، تحفة الآثار، كشف الدثار على تحفة الآثار، نخبة الفكر وغيرها من كتب علم الحديث.

– **التفسير****: اعتمد في تدريسه على مجموعة من كتب التفسير مثل: صفوة التفاسير للصابوني، حاشية الصاوي على الجلالين، تفسير المراغي، تفسير"ابن كثير"، تفسير فتح البيان للعلامة"الصديق حسن خان"، تفسير القرطبي*** المسمى الجامع لأحكام القرآن، وتفسير الالوسي**** المسمى(روح المعاني) وغيرها من كتب التفاسير.

– **علوم القرءان**: من الكتب التي اعتمدها في تدريسه، ضياء المعالم، المفتاح النواري، وهي من مؤلفاته وغيرها من الكتب .

---

*– **العمريطي**: هو شرف الدين يحي بن بدر الدين موسى بن رمضان بن عميرة الشهير بالعمريطي نسبة لبلاد عمريط من نواحي مصر القاهرة، كان آية في النظم ألف فيه و احكم من مؤلفاته : التيسير نظم التحرير لشيخ الإسلام زكرياء، نهاية التدريب غاية التقريب، نظم الاجرومية، ينظر: محمد باي بلعالم : ركائز الوصول على منظومة العمريطي في علم الأصول، (د،ط) ، مطبعة عمار قرفي، باتنة : د،ت ، ص ص (6 – 7) .

– **التفسير: لغة : التبيين والإظهار والكشف يقال فسرت الشيء تفسيرا ، أو فسرا أي كشفت عن المراد به ونقول أسفر الصبح إذا انكشف . اصطلاحا : هو العلم المتعلق بالقران من حيث الكشف عن أسباب نزول آياته وعن محكمه ومتشابهه ، ومنسوخه و خاصه وعامه ومطلقه ومقيده ومجمله ومفره وعن حلاله وحرامه، وقصصه وأخباره وروائعه وأمثاله ، ينظر ، أمير عبد العزيز : دراسات في علوم القران ، (ط2) ، دار الشهاب ، باتنة : 1988، ص141 .

***– **القرطبي** : هو أبو عبد الله محمد بن احمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي ولد سنة 556هـ كان من عباد الله الصالحين والعلماء العارفين الزاهدين في الدنيا جمع تفسير القران كتابا فيه 15 مجلدا سماه الجامع لأحكام القران توفي سنة 631هـ ، ينظر، سليمان داود بن يوسف : حلقات من تاريخ المغرب الإسلامي (د،ط) ، مطبعة أبو داود ، الحراش : 1983، ص ص (160- 161) .

****– **الالوسي** : هو الإمام شهاب الدين محمود الالوسي ولد عام 1217هـ وتوفي سنة 1270ه مفتي بغداد ، حجة الأدباء وقدوة العلماء ومرجع أهل الفضل والعرفان كان على جانب كبير من الفهم والعلم له كتاب في التفسير سماه (روح المعاني) ، ينظر ، سليمان داود بن يوسف: المرجع نفسه، ص164

– **التجويد:** اعتمد العلامة "محمد باي" في تدريسه على مجموعة من الكتب الخاصة بهذا الفن مثل: متن الجزرية الدرر اللوامع لابن بري .

– **اللغة العربية:** اعتمد في تدريسها على جملة من الكتب اغلبها من مؤلفاته مثل: اللؤلؤ المنظوم على نظم مقدمة ابن أجروم*، وشرحه كفاية المنهوم، نزهة الحلوم وشرحها الرحيق المختوم، ملحة الإعراب للحريري** وشرحها منحة الأتراب، متن الاجرومية، ألفية ابن مالك، وشروحها للمكودي وابن عقيل وابن حمدون لامية الأفعال للعلامة بحرق[1] قطر الندى وبل الصدى، وغيرها من الكتب المتعلقة بهذا الفن .

وخلال عملية التدريس كان العلامة "محمد باي" يراعي التدرج في تلقين العلوم لطلابه، فيبدأ معهم من اصغر مرجع ثم المتوسط فالكبير، ويقرب لهم معاني المتون بشرحها مراعياً في ذلك قوة عقولهم إلى أن ينتهي بهم إلى آخر الفن فتجود بهذا ملكتهم، وهو وجه الصواب في تعليم العلوم وطريقة إفادتها كما يقول العلامة "ابن خلدون"[2].

وما سجلناه من خلال عرضنا لأهم المتون التي كان يعتمدها الشيخ "محمد باي" في تدريسه للمواد الشرعية هو الحضور العلمي لمؤلفاته التي اعتمد عليها أيضا في عملية التدريس كزاد السالك، والاستدلال بالكتاب والسنة فتح الرحيم المالك، الجواهر الكنزية، السبائك الابريزية، فتح الجواد، الكوكب الزهري المباحث الفكرية، الإشراق البدري في الفقه وضياء المعالم، والمفتاح النوراني في علوم القرءان، واللؤلؤ المنظوم وكفاية المنهوم، والرحيق المختوم ومنحة الأتراب في النحو، وكشف الجلباب، ومركب الخائض، وفواكه الخريف في الفرائض، وكشف الدثار في علم الحديث وغيرها من مؤلفاته الأخرى .

مما يدل على أن مؤلفاته أصبحت مرجعية علمية لتلاميذه وطلابه، بل وللمدرسين في مدرسته سواء في حياته أو بعد مماته، إذ أخبرنا تلميذه "حامد لمين عبد الله"[3]: «بأنهم مؤخراً– يعني أساتذة مدرسة مصعب بن عمير–كثيراً ما يعتمدون على ما كتبه شيخهم محمد باي من كتب فقهية ولغوية في عملية التدريس» خاصة وان مؤلفاته هذه هي في اغلبها عبارة عن شروح، أو تعاليق وضعها تبسيطاً لما جاء في بعض أمهات الفقه المالكي كمختصر خليل، وأسهل المسالك ومتن العزية....حتى يقرب المعنى للطلبة، ويساعدهم على فهم مقاصدها .

---

*–**ابن أجروم** : هو محمد بن محمد بن أجروم بفتح الهمزة الممدودة وضم الجيم والراء المشددة ومعناه بالبربرية الفقيه الصوفي ولد سنة 672ه وتوفى في صفر 723ه ودفن بفاس، ينظر ، محمد باي بلعالم : الرحيق المختوم لنزهة الحلوم ، (د،ط) ، مطبعة عمار قرفي ، باتنة : د ،ت ، ص11 .

– **الحريري: هو الإمام أبو محمد القاسم بن علي بن محمد بن عثمان الحريري البصري الحرامي كان احد أئمة عصره ، له تأليف حسان منها درة الغواص في أوهام الخواص و منظومة الملحة أي (ملحة الإعراب في النحو) وله أيضا شرحها وله ديوان رسائل شعر وله كتاب المقامات المشهورة ب (مقامات الحريري) ولد سنة 446ه/1054م وتوفي عام 510هـ /1121م في البصرة في سكة بني حرام ، ينظر محمد باي بلعالم : منحة الأتراب شرح على ملحة الإعراب ، (د،ط) ، دار هومة ، الجزائر : 2001، ص ص (4– 5) .

[1] –لمحات في التعريف بالمدرسة القرآنية الدينية التابعة لمسجد مصعب بن عمير باولف : المرجع السابق، ص5 .

[2] – المقدمة ، المرجع السابق ، ص683 .

[3] – المقابلة السابقة .

ونظراً لثقل المسؤوليات الملقاة على عاتقه فانه كان يساعده في عملية التدريس مجموعة من المشايخ والأساتذة الذين كانوا تلامذة له فيما مضى وأجازهم في العلوم التي أخذوها عنه وهم :

– **الشيخ "عبد الرحمن حفصي"**: وهو صديقه وزميله في أيام الدراسة كان يساعده في عملية التدريس بطلب منه (يعني الشيخ محمد باي) منذ أن افتتح مدرسته[1] فبالإضافة إلى تدريسه بمسجد "الإمام البخاري" بحي عمنات وبمدرسته بحي تقراف، كان يلقي ثلاثة دروس أسبوعياً في مدرسة "مصعب بن عمير"[2] في علم النحو والميراث وغيرها من العلوم الشرعية.

– **الشيخ "احمد الطالب بن مالك"**: خليفة الشيخ محمد باي على مشيخة المدرسة حالياً،كان مكلفا في عهده بتدريس الفقه، والميراث والنحو وغيرها من العلوم المتضلع فيها .

– **"لقصاصي محمد"**: أستاذ الفقه وأصوله، وعلوم أخرى .

– **"حامد لمين عبد الله"** : أستاذ الفقه والتجويد.

– **"حامد لمين عبد القادر"**: أستاذ الفقه وأصوله، وعلوم أخرى.

– **"لعروسي عبد القادر" (بن باحبيب)** : أستاذ في فرع البنات[3].

وهؤلاء كلهم تلاميذه كانوا يُدرسون في حياته تحت إشرافه، وهم يواصلون مهمتهم إلى الآن، وبنفس المنهج الذي كان يدرس به شيخهم "محمد باي"، كما أن الشيخ "محمد باي" كان يأمر في بعض الأحيان تلاميذه النجباء بإلقاء الدروس على زملائهم تحت إشرافه، وما هذا إلا تواضعاً منه ومحاولة منه لفتح المجال أمام طلابه لإبراز قدراتهم وإمكاناتهم وكفاءتهم العلمية وإثارة روح التنافس بينهم، على عكس ما كان، أو ما يفعله بعض المشايخ الذين يحتكرون مهمة إلقاء الدروس على أنفسهم دون أن يفتحوا مجالاً لطلابهم، مما يقتل الجرأة والإقدام في روح الطالب .

4– أبرز تلامذة العلامة محمد باي:

تمدرس على يد العلامة "محمد باي" عدد كبير من الطلبة الذين تحصلوا على حفظ القرءان، وعلى معلومات لا بأس بها في التوحيد والفقه، وغيرهما من فنون العلم، منهم من التحق بالسلك الديني كإمام خطيب أو إمام معلم، ومنهم من يواصل مهمة التدريس بالمدرسة خلفا لشيخها – وقد أسلفنا ذكرهم – ومنهم من التحق بمختلف القطاعات الأخرى كالخدمات والفلاحة والصناعة والتجارة نذكر منهم: صمادي محمد المختار* – الطالب

---

[1] – عبد الرحمن حفصي: المقابلة السابقة.

[2] – محمد باي بلعالم : الرحلة العلية ، (ج1) ، المصدر السابق، ص 382 .

[3] – عبد الله حامد لمين : المقابلة السابقة .

*– **صمادي محمد المختار**: من مواليد 1935 بزاوية حنون أولف انضم إلى مدرسة ومجلس العلامة محمد باي بعد قدومه إلى أولف فتمكن من الفقه خاصة علم الميراث حيث أصبح يشار إليه فيه بالبنان ، ولهذا كان يتولى قسمة التركات ، وكتابة العقود والمواثيق والتكفل بتغسيل الموتى وتكفينهم وكثيرا ما كان يخلف الشيخ محمد باي في مجلسه بزاوية حنون عند غيابه فيقوم بالتدريس بدلا عنه ويؤم الناس في الجمعة عند غيابه أيضا أسس مدرسة لتعليم القران ، توفى في فبراير 1976 وترك عدة تلاميذ ، ينظر ، عبد المجيد قدي: صفحات مشرقة من تاريخ مدينة أولف العريقة : المرجع السابق، ص ص (117- 118- 119).

عبد الرحمن الثابت- بن مالك عمر بن محمد- مسعودي بشير - بن مالك محمد بن محمد العابد- مبارك بن أبا قادي قدي - محمد بن أب قادي قدي - الشيخ بن عبد الله سويتم- نبيل العايب- السعيد غربية- مدني المقود- الحاج الدباغ* - إبراهيم بن عبد الرحمن حفصي - محمد حامدين النيجيري- مصطفى خلات - المختار بن محمد عبد القادر بن مالك[1]- كمال عزوز، وغيرهم من الطلبة الذين نهلوا من علمه وتخرجوا على يديه سواء من داخل الوطن، أو من خارجه .

أما عن العلاقة التي كانت تجمعه بتلاميذه فكانت كعلاقة الأب مع أبنائه[2] إذ كان لا يرضى أن يرى احدهم جائع، ولا أن يمسهم احد بأذى، ولقد صورها لنا تلميذه "محمد باي بن مالك" في كلمته التأبينية في فقده فقال[3]:«فقدنا بفقده أباً رحيماً عطوفاً رفيقاً حبيباً محباً متواضعاً ...»، وهذا الدكتور "آدم محمد علي العروسي" احد تلامذته الذين جالسوه في الديار المقدسة يقول فيه[4]:« الشيخ الوالد الجهبذ محمد باي بلعالم الجزائري، فلم تر عيني مثله علماً وفضلاً وتواضعاً رحمه الله»؛ فقد كان لهم بمثابة الوالد والأب الروحي، بل وقدوتهم في الأخلاق والتعامل والتوجيه والإرشاد إذ كان شديد التواضع معهم شديد الاهتمام بهم يسال عن غائبهم ويعود مريضهم ويطعم جائعهم ويتصدى لمن يتعرض لهم بالأذى .

ولا زالت "مدرسة مصعب بن عمير" تواصل مهمتها في تخريج الطلبة إلى يومنا هذا، فلم تضعف برحيل شيخها "محمد باي" والنتيجة ايجابية فيها إلى حدّ ما في المدرسة الأصلية، وملحقها الخاص بالبنات، وقد شهد لها بهذه النتيجة شيخه "مولاي احمد الطاهري"[5] الذي زارها خلال فترة السبعينات من القرن الماضي، حيث قال في حديثه عن مدينة أولف وذكره لتلميذه الشيخ "محمد باي": «... وهناك توجد مدرسته الكبيرة المشهورة يعلم بها العلوم الشرعية بجميع فنونها، وفروعها بجد واجتهاد من اليوم الذي تخرج على أيدينا، وقد نفعه الله، ونفع به خلقاً كثيراً ولله الحمد...» .

ولا أدل على هذه النتيجة من التحاق طلبتها المتخرجين منها بمختلف المناصب في الشؤون الدينية، وفي سائر الأسلاك وفي الدوائر الحكومية، وفي سلك التربية في مناطق عدة من الوطن ومن خارج الوطن نذكر منها

*- **الحاج الدباغ**: هو السيد الحاج بن أحمد بن احمد الدباغ المعروف بالحاج الطالب ولد سنة 1931م تتلمذ على يد الشيخ محمد باي وهو كبير ، وجالس السيد عبد الرحمن حفصي وبعد إجازته للتدريس بدأ يعقد مجلسه بحي بلاد المهدي بزاوية السيد مولاي عبد الحي الهيباوي من تلاميذه : ابنه الدكتور محمد الدباغ ، بامبارك بوجمعة ، بن عبد الكريم محمد توفى يوم 27 جويلية 1997 ، ينظر ، عبد المجيد قدي : صفحات مشرقة : المرجع نفسه ص ص (116-117) .

[1] - محمد باي بلعالم : الرحلة العلية ، (ج2) ، المصدر السابق ، ص ص (387- 388) .

[2] - عبد الله حامد لمين : المقابلة السابقة .

[3] - (كلمة تأبينية في فقيد الإسلام والمسلمين الشيخ محمد باي بلعالم) ، فعاليات الأمسية ، المرجع السابق، ص8 .

[4] - الرسالة السابقة .

[5] - المصدر السابق ، ص 72 .

على سبيل المثال: ادرار، بسكرة، غرداية، أولف، فقارة الزوى بعين صالح، عين غار، البيض، بلكور بالجزائر ورقلة، بني ونيف والقنادسة من ولاية بشار، عين صالح، بجاية، اكدز من جمهورية النيجر[1].

فهذه المناطق كلها، وغيرها من مناطق الوطن يوجد بها حاليا إطارات من أئمة، ومشايخ وأساتذة ومعلمين تخرجوا من رحم مدرسة "مصعب بن عمير" للعلوم الدينية باولف، وحتى بالنسبة لفرع البنات فقد انتفع به بنات بلدية أولف حتى أصبح الكثيرات منهن يحفظن المتون الفقهية، ويحفظن عدة أحزاب قرآنية[2]، مما كان له تأثير واضح في القضاء على الأمية المتفشية في وسط هذه الفئة .

ولعل من الأسباب التي جعلت مدرسة "مصعب بن عمير" تحرز هذه القفزة النوعية – علاوة على تحفيز شيخها وتحريضه على طلب العلم- حتى أصبحت من أشهر المدارس والزوايا الدينية بولاية ادرار، بل والوطن كله تُشد لها الرحال من مختلف ولايات الوطن، هو إدخالها للوسائل العصرية إلى جانب الأدوات التقليدية (الدواة والقلم والألواح) فقد أدخلت السبورات حتى تسهل عملية توصيل الفكرة للطلبة، كما أن شيخها رحمه الله كان قد زودها بخزائن كتب في القاعة الكبيرة المخصصة للمحاضرات ليستفيد منها طلاب العلم، وأعدها وجهزها بمكتبة خاصة به* تحتوي على أدوات الكتابة، والاتصال العصرية من آلة حاسوب، وهواتف وفاكس وانترنت ووسائل أخرى مما يدل على مواكبته لتغيرات العصر، على عكس ما تتميز به بعض الزوايا التي لا زالت تعتمد على الوسائل التقليدية مما أدى إلى تقلص دورها، وكل هذا حتى تؤدي زاويته دورها المنوط بها غير منقوص .

كما انه جهزها بكل الوسائل التي تحفظ بقاءها من هندسة القاعات، وتقسيمها فمنها ما هو مخصص للتدريس والمحاضرات، وأخرى مخصصة لإيواء الطلبة بالإضافة إلى الإدارة المحكمة، والتنظيم والتسيير المحكم وبهذا جعل من زاويته مؤسسة حضارية شانها شان أي مؤسسة حكومية أخرى، مما جعل "مولاي التهامي غيتاوي"[3] شيخ "زاوية اوقديم" بمدينة ادرار يصنفها من ضمن الزوايا العصرية في توات التي أدخلت بعض البرامج العصرية حتى تنشئ جيلاً يساير علوم عصره إلى جانب مدرسته، ومدرسة رقان لصاحبها الشيخ "عبد الكريم الدباغي" ومدرسة الحاج "خليل" بتيميمون ومدرسة الحاج "سالم بن إبراهيم" بادرار .

---

[1]- لمحات في التعريف بالمدرسة الدينية التابعة لمسجد مصعب بن عمير باولف ، المرجع السابق ، ص ص (6- 7) .

[2]- احمد بن مالك: المقابلة السابقة .

*- تحتوي مكتبة الشيخ "محمد باي بلعالم" إلى جانب الوسائل العصرية جملة من المخطوطات القديمة والحديثة لعلماء توات و الشيخ المختار الكنتي مثل: غنية المقتصد السائل فيما حل بتوات من المسائل- الدر المصون للشيخ عبد الرحمن التنلاني-نوازل القصري- شرح ابن العالم لشيخ الزحلاوي – نزهة الرواي وبغية الحاوي للشيخ المختار الكنتي- مؤلفات ابن أبا- ديوان الشيخ البكري بن عبد الرحمن- بعض مؤلفات الشيخ المغيلي- الشفا للقاضي عياض- كفاية المحتاج للشيخ احمد بابا التمبكتي- مخطوطات متعددة نظما ونثرا لعلماء قرية ساهل من اقبلي ونتف من الفتاوى والأشعار- أجزاء من شرح البخاري بالإضافة إلى مؤلفاته المخطوطة والمطبوعة ، وكتبا أخرى أهديت له أو اقتناها من نفقته الخاصة ،وتعد مكتبته هذه من أفضل المكتبات والخزائن في دائرة أولف صيانة وتنظيما وهي مفتوحة للزائرين والباحثين حتى بعد وفاته رحمه الله و في توقيتها المعهود من 10:30 صباحا إلى 13:00 زوالا تحت إشراف: تلميذه عبد الله حامد لمين .

[3]- (اهتمام زوايا منطقة الصحراء بالقراءة والخطابة) ، مجلة رسالة المسجد ، (ع2) ، الجزائر : أوت 2007 ، ص52 .

خزانة الشيخ محمد باي بلعالم.[1]

ب- إلقاء العلامة محمد باي بلعالم لدروس الوعظ والإرشاد وتصديه للإفتاء:

كان البرنامج اليومي للعلامة "محمد باي" مكثف، فإلى جانب قيامه بالتدريس في مدرسته، والتأليف في مكتبته يقوم بشعائر الدين، وإمامة الناس في الصلوات الخمس، وفي صلاة الجمعة والعيدين، وقيام ليالي رمضان وفي المسجد الذي يعتبر مكان العبادة، ومنتدى للنظر في شؤون المسلمين،كان العلامة "محمد باي" يلقي دروساً في الوعظ والإرشاد لعامة الناس على مختلف أعمارهم، ومستوياتهم من خلال حلقتين إحداهما صباحاً في مسجد "مصعب بن عمير" بحي الركينة نظراً لقربه من منزله، والأخرى بعد صلاة العصر بمدرسة "مسجد أنس بن مالك" بحي زاوية حينون التي عكف على إلقاء الدروس بها منذ تأسيسها عام 1383هـ/1964م إلى آخر عمره ونظراً لشدة حرصه على حضور الطبقات الشعبية (المثقف والعامي، الكبير والصغير، والغني والفقير) خصص لدروسه بمدرسة "مسجد أنس بن مالك" هذا الوقت – يعني بعد صلاة العصر إلى آذان المغرب – لأنه الوقت المناسب للعمال والفلاحين[2]، إذ يكونون قد انهوا أشغالهم؛ ولقد ركز الشيخ "محمد باي" في إلقاء دروسه المسجدية على العقيدة (علم التوحيد) أكثر، لأنها الأساس الذي تبنى عليه الأحكام والتكاليف، ونظراً لانتشار أمور البدع والشرك، ثم على الفقه (العبادات) لأنه وجد الكثير من الناس من لا يعرف إتقان الوضوء، أو الغسل ثم فقه المعاملات[3] الذي هو ضروري خاصة لفئة التجار .

ويرجع سبب اختيار العلامة "محمد باي" للمسجد كمكان لإلقاء دروس الوعظ، لكونه مكان للعبادة والمركز الجوهري الأول في التربية الإسلامية عقائدياً وأخلاقياً وتعليمياً ونفسياً واجتماعياً، لذا اتخذه مدرسة شعبية جامعة لكل الطبقات الاجتماعية على مختلف شرائحها، وقد ساعده احتكاكه بها على التأثير فيها، فأظهر قدرة فائقة في الوعظ الديني معالجاً بذلك الكثير من الآفات الاجتماعية، ومصححاً الكثير من الأمور العقائدية ضارباً بهذا مثلاً لمدرس القرآن العالم العامل، الداعي إلى الله في نهاره وليله، وفي مدرسته، ومسجده، ومجتمعه لا يقصر

[1] -الصورة التقطتها الباحثة.

[2] – محمد باي بلعالم : الرحلة العلية ، (ج2) ، المصدر السابق ، ص 388 .

[3] – احمد بن مالك : المقابلة السابقة .

عمله على طلابه، متخذاً من رسول الله صلى الله عليه وسلم قدوته ومثله الأعلى، وهذا ما جعل الدكتور "عبد المجيد قدي"[1] يصنف مجلسه العلمي من ضمن أهم المجالس المعروفة بتيديكلت قديماً وحديثاً، إذ كان يحضره جمع غفير من طلاب المعرفة ومن العوام .

هذا بالإضافة إلى خطبه المسجدية التي كان يلقيها في صلاة كل جمعة منذ أن عُين إماماً خطيباً على مسجد "الإمام انس بن مالك" بزاوية حينون، ثم بعد ذلك في مسجد "مصعب بن عمير" بحي الركينة فقد عالج فيها عدة مواضيع دينية وأخلاقية واجتماعية أظهر من خلالها غزارة مادته العلمية وقوة حافظته، فقد كان يلقيها ارتجالاً[2] وفي كل ذلك تجده يستشهد بالأدلة من القرآن والسنة والشعر والتاريخ والأمثال العربية والقصص ليؤيد بها كلامه، مقصده الأسمى في خطبه تلك هو نصرة دين الله ونيل رضى الله، وإصلاح أحوال مجتمعه دينياً وأخلاقياً لذا كان دائماً يدعو بدعاء: (**اللهم صحح عقيدتنا وارزقنا الإخلاص في العمل**)[3] .

صورة للشيخ محمد باي يلقي درساً في الوعظ بمسجد "مصعب بن عمير" ويظهر على يساره صهره وخليفته الإمام "احمد بن مالك"[4]

وللإشارة فان نشاطه هذا لم يقتصر على مساجد دائرة أولف فحسب، بل تعداها إلى مساجد أخرى في مختلف أرجاء الوطن كمسجدي "أبي يعقوب الورجلاني"، وبن عريمات (الإمام مالك بن أنس) بورقلة، ومسجد "زين العابدين" بوهران، وغيرها من مساجد تيديكلت وتوات التي كان يُلقي فيها دروساً في الوعظ والإرشاد أثناء تنقلاته وأسفاره ويزداد نشاطه هذا كثافة خلال شهر رمضان، إذ يتنقل بين مختلف مساجد دائرة أولف يوم بعد يوم ليحاضر ويلقي بها دروساً في الحديث من الموطأ وصحيح مسلم وزاد المسلم، وأخرى في تفسير القرآن بعد

[1] – صفحات مشرقة من تاريخ مدينة أولف العريقة ، المرجع السابق، ص ص (222- 223) .

[2] – أحمد بن مالك : المقابلة السابقة .

[3] – محمد الحسان بلعالم : المقابلة السابقة .

[4] -الصورة أخذتها الباحثة من خزانة الشيخ محمد باي بلعالم باولف.

صلاة التراويح، كما كان يختم يومياً السلكة (ختمة القرءان الكريم) في مسجد "أنس بن مالك" خلال شهر رمضان بعد أن يوزع الأحزاب على الرجال ثم بعد ذلك يُهدي ثواب ما قرأوه إلى أرواح الأموات أو من سمع بموته، وفي ليلة الخامس عشر منه كان يخصصها لإلقاء محاضرة عامة بمسقط رأسه (بلدية أقبلي) يحضرها جمع غفير من أهل بلدته بل وكان في فترة الثمانينات من القرن الماضي يلقي دروساً في الوعظ والإرشاد في الثكنة العسكرية للجيش بمنطقة (التارقية) من ضواحي مدينة رقان[1].

وفي كل هذا لا يمل ولا يكل، بل تجده يتحدي طول المسافات وازدحام الأوقات وتراكم الأشغال، أما ليلة القدر المباركة فيحييها بمحاضرة دينية حول القرآن العظيم دستور الأمة الإسلامية تتبعها أسئلة ومناقشات وأذكار ودعوات يحضرها جمع غفير من سكان دائرة أولف، وتختم بعد منتصف الليل[2]، كما كان يستغل مواسم الزيارات (زيارة أضرحة الأولياء) التي لم يكن يقصدها للتبرك – لربما كما يفعل بعض المشايخ – وإنما كان يقصدها للترحم على أصحاب القبور ولإلقاء دروساً في الوعظ والإرشاد، وتوجيه العامة وتنبيههم عن ما هم فيه من غفلة قد تؤدي بهم إلى الوقوع في حبال الشرك، فقد اخبرنا الشيخ "احمد بن المختار بوسعيد"[3]: « بأنه كان يحضر لزيارة الرقاني برقان ليلقي الدرس فقط وبأنه كان ثاقب النظر، يلاحظ وينقد ويغير المنكر بما استطاع بالكلمة والردع » .

صورة ملتقطة للعلامة "محمد باي بلعالم" في زيارة الرقاني وهو يؤم الحاضرين في صلاة المغرب بعد إلقائه درساً في الوعظ والإرشاد.[4]

[1] – عبد الله حامد لمين : المقابلة السابقة .

[2] – لمحات في التعريف بالمدرسة الدينية التابعة لمسجد مصعب بن عمير ، المرجع السابق ، ص 6.

[3] – المقابلة السابقة .

[4] - الصورة أخذتها الباحثة من خزانة الشيخ محمد باي بلعالم.

والظاهر أن العلامة "محمد باي" اختار هذه الأماكن لوعظ العامة، لأنه رأى أن الناس يجتمعون فيها ويتفرقون في غيرها لذا فضل أن يعظهم في الأماكن التي يجتمعون فيها (المسجد والزيارات) عله بذلك يلقى أذاناً صاغية وقلوباً واعية؛ إلا انه في سنوات عمره الأخيرة التي أنهكه فيها ضعف الشيخوخة،كان يأمر تلامذته أمثال: "احمد بن مالك" و"لقصاسي محمد" و"عبد الله حامد لمين" بإلقاء الدروس في مسجد "مصعب بن عمير" بعد صلاة التراويح[1]، في حين داوم هو على إلقاء المحاضرات، والدروس في مساجد الدائرة إلى غاية وفاته رحمه الله .

وخلال شهر المولد النبوي الشريف كانت له أيضا وقفات في مسجدي "مصعب بن عمير" و"انس بن مالك" يلقي خلالها دروساً في السيرة والشمائل والأخلاق المحمدية بين المغرب والعشاء، وكان يُحيي هذا الشهر بمحاضرات، وندوات ومدائح دينية[2] على عادة مساجد بقية أرجاء الوطن .

وإلى جانب الدروس والخطب التي كان يلقيها العلامة "محمد باي" في مساجد الدائرة، وغيرها من مساجد الولاية وخارج الولاية لم يتوقف عن التأليف ولا عن التصدر للفتوى إذ كان منزله ومدرسته مفتوحان لاستقبال الضيوف، والمستفتين الذين كانوا يقبلون عليه ليل نهار فكان لا يرد سائلاً، أو مستفتياً قصده أو طرق بابه، أو كلمه هاتفيا أو أرسل له، كما لم يكن يرد شيخاً أو عالماً رجع إليه في الفتوى، فكثيراً ما كانت تعرض عليه فتاوى وفي مواضيع مختلفة (في الميراث، الطلاق، الأحوال الشخصية، والفقارة ...) وغيرها من الأمور الفقهية، إذ كانت ترد عليه مكالمات من مختلف ولايات الوطن بل ومن فرنسا، والمغرب الأقصى والسودان والمملكة العربية السعودية، يستفتيه أصحابها في عدة أشياء عن أمور دينهم ودنياهم، أو إصلاح ذات بينهم، فكان هاتفه لا يعرف التوقف عن المكالمات، إلا انه كان في كل هذا يلبي طلباتهم، ويجيب عن تساؤلاتهم دون تشدد ولا غلو، نهيك عن المشاكل والمسائل التي كانت تعرض عليه من أولف وعين صالح، ورقان وتوات الوسطى والتي كان يتدخل في حلها، وغالباً ما يوفق في ذلك .

كما كانت النسوة بدورهن يسألنه عن أمور دينهن، وعن البدع، والمنازعات الزوجية فمنهن من كانت ترسل له ابناً لها، ومنهن من كانت ترسل له زوجها فيجيب على أسئلتهن أيضاً[3].

فكان بهذا مفتي الديار الأولفية، ومرجعاً لهذه الأمة يوم تضل الآراء وتزل الأقدام، فيسدي لها بالنصيحة ويحل مشكلاتها، وكل ذلك في سبيل الإصلاح، وخلق الوئام بين أفرادها فصدق بهذا فيه ما قاله عنه شيخه " أحمد الطاهري": (من أراد أخبار الدنيا يسألك، ومن أراد أخبار الآخرة يسألك)[4] .

---

[1] – فاطمة معمري: المقابلة السابقة.

[2] – لمحات في التعريف بالمدرسة الدينية التابعة لمسجد مصعب بن عمير ، المرجع السابق، ص 6 .

[3] – فاطمة معمري: المقابلة السابقة .

[4] – محمد الحسان بلعالم: المقابلة السابقة.

ج- تفسير العلامة محمد باي بلعالم للقرآن الكريم وشرحه للصحاح:

ختم العلامة "محمد باي" تفسير القرآن الكريم مرة واحدة في عمره، حيث شرع في تفسيره ابتداءً من سنة 1975م وأنهى تفسيره سنة 2005م[1]؛ وبهذا يكون قد استغرق مدة ثلاثين سنة في تفسيره، ومن أهم التفاسير التي اعتمدها في تفسيره للقرآن الكريم: فتح البيان في مقاصد القرآن للعلامة المحقق "الصديق حسن خان"، وكان يستعمله أكثر من غيره من التفاسير، بالإضافة إلى تفسير "القرطبي" المسمى الجامع لأحكام القرآن، تفسير "الألوسي" المسمى (روح المعاني) الذي يعتبر من خيرة المراجع في علم التفسير بالرواية، والدراية لأنه جمع فيه خلاصة ما سبقه من التفاسير[2]، تفسير "ابن كثير" تفسير "المراغي"، حاشية الصاوي على الجلالين، وصفوة التفاسير للصابوني .

ولما كان مفسر القرآن الكريم يحتاج إلى جملة من العلوم ليكون مشروعاً له الإقدام على هذه المهمة الكبيرة والخطيرة والمتمثلة في اللغة، النحو، الصرف، الاشتقاق، علوم البلاغة، أصول الفقه، ومعرفة أسباب النزول وعلم القراءات[3] والتي لا تتأتى إلا للأقل، فإن مترجمنا كان متضلعاً فيها، ومتمكناً منها، ويمتلك ناصية وأهلية فيها مما أهله لتفسير القرءان الكريم .

ولعل ما دفعه إلى تفسير القرآن الكريم وتبيان معانيه، وإخراج أسراره وإظهار حكمه وغاياته للناس – على الرغم من جسامة هذه المهمة وعظمتها – هو كون القرآن دستور هذه الأمة وهداية الخالق، وشريعة الله لأهل الأرض وهو النور الرباني والهدي السماوي، والتشريع العام الخالد الذي تكفل بكل ما يحتاجه البشر في أمور دينهم ودنياهم ولأن تفسيره يحرر من عبادة العباد وتبعية البشر إلى عبادة رب العباد، لذا حث العديد من المشايخ على تفسيره لتبيينه للعباد مثل: الشيخ "محمد عبده" الذي قال: « بأن تفسير القرآن من أصعب الأمور، وما كل صعب يُترك لذا ينبغي ألا يُمتنع عن تفسيره حتى نفهم الكتاب من حيث هو دين يُرشد الناس إلى ما فيه سعادتهم في حياتهم الدنيا وحياتهم الآخرة »[4] ، كما أن العلامة "محمد باي" اتخذ من تفسيره وسيلة في التربية والتعليم اللذان هما أساس النجاح في كل مشروع سياسي أو اجتماعي .

أما بالنسبة لختمه لصحيحا البخاري ومسلم، والموطأ فقد عكف العلامة "محمد باي" على سرد صحيح البخاري منذ سنة 1373هـ/ 1952م حيث كان يبدأ سرده بين شهري شعبان وذي الحجة[5] على عادة أسلافه وعلى عادة مدارس توات، وقد اختار الفترة الصباحية لسرده في مدرسته، حيث كان يساعده في عملية السرد الشيخ "عبد الرحمن حفصي" الذي يتولى قراءة الحديث في حين يأخذ هو في الشرح[6]، ومن أهم الكتب التي اعتمد

---

[1] – لمحات في التعريف بالمدرسة الدينية التابعة لمسجد مصعب بن عمير، المرجع السابق ، ص 5.

[2] – سليمان داود بن يوسف: المرجع السابق، ص 164.

[3] – أمير عبد العزيز: المرجع السابق، ص ص (155- 156).

[4] – سليمان داود بن يوسف : المرجع السابق، ص ص (151- 152).

[5] – محمد باي بلعالم: الرحلة العلية، (ج2) ، المصدر السابق ، ص 383.

[6] – عبد الرحمن حفصي: المقابلة السابقة .

عليها في شرح صحيح البخاري هي: فتح الباري للإمام "ابن حجر العسقلاني" المشتمل على ثلاثة عشر جـــزء – إرشاد الساري شرح الإمام القسطلاني على البخاري (المشتمل على عشرة أجزاء) وهو شرح عظيم فقد حـــوى زبدة جميع الشراح الذين تقدموا، وبالتالي فهو كتاب مفيد في شرح صحيح البخاري – شرح العيني على البخاري المسمى (عمدة القارئ) ويشتمل على خمسة وعشرين جزءاً[1].

وكان في تدريسه لصحيح البخاري يبدأ بدعاء الافتتاح المعهود عند قراءة البخاري وهو (الحمد لله أفضل المحامد على كل حال والصلاة والسلام الاتمان الاكملان على سيد المرسلين ...) وفي ختم الدرس يدعو بالصلاة المعهودة على النبي صلى الله عليه وسلم في الجزائر عقب البخاري وهي: (اللهم صلي على أشرف مخلوقاتك سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم عدد مخلوقاتك، ومداد كلماتك كلما ذكرك وذكره الذاكرون وغفل عن ذكـــرك وذكره الغافلون ...)[2] .

أما بالنسبة لتدريس الموطأ للإمام مالك وصحيح مسلم فقد خصص لهما الفترة المسائية، حيث كان يختم الموطأ في كل عام ابتداء من عام 1965م، أما صحيح مسلم فيختمه كل عامين، أو ثلاث بمدرسة "مسجد انـــس بن مالك" بزاوية حينون بالإضافة إلى شرحه كل يوم لحديث أو حديثين من "زاد المسلم" حيث يتولى الطالـــب "عبد الرحمن الثابت" سرد نص الموطأ، وأحاديث زاد المسلم، أما صحيح مسلم فيتولى سرده بعض الطلبة بالمداولة منهم: الطالب "محمد قدي" والطالب "محمد علي بخيتي" والطالب "حامد لمين عبد الله"[3]، في حـــين يتـــولى هـــو الشرح؛ وبهذا يكون الشيخ "محمد باي" قد ختم صحيح البخاري اثنتين وستين مرة (62) وموطأ الإمام مالـــك أربع وأربعين مرة (44) وختم صحيح مسلم خمس عشرة مرة (15)[4].

وكان العلامة "محمد باي" يقيم حفلاً دينياً كبيراً من كل سنة بمناسبة ختمه لصحيح البخاري يحضـــره جمع غفير من المسلمين من مختلف ولايات الجنوب الجزائري، وكذا الأئمة ومعلموا القـــرآن الكـــريم والطلبـــة والمواطنون من مختلف بلديات دائرة أولف، تمنح فيه جوائز وشهادات لحفظة القرآن من الطلبة تشجيعاً لهم كمـــا تعقد فيه الانكحة، إذ يستفيد السكان من هذه التظاهرة الدينية في هذا الحفل لمن أراد أن يعقد نكاحا فيتخلص من المصاريف الباهضة التي يتكبدها لو عقد نكاحه في بيته[5]؛ ويتناول فيه الحاضرون مأدبة عقب الفراغ مـــن قـــراءة الحديث الذي يختمه الشيخ بتلاوة أدعية وتوسلات، يهنئ بعدها الحاضرون بعضهم البعض على أمل أن يعيـــد الله الذكرى عليهم مراراً وتكراراً .

[1] – أحمد بن مالك: المقابلة السابقة .

[2] – عبد الرزاق بن حمادوش الجزائري: رحلة ابن حمادوش الجزائري المسماة لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال، تقد وتح : أبو القاسم سعد الله ، (د،ط)، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر : 2007 ، ص 125.

[3] – محمد باي بلعالم: الرحلة العلية ، (ج2)، المصدر السابق ص ص (384 ، 388).

[4] – احمد بن مالك: المقابلة السابقة .

[5] – عبد الله حامد لمين: (تراجم وسير الشيخ محمد باي بلعالم حياته ومؤلفاته) ، مجلة الثقافة الاسلامية ، (ع6) : 2010، ص 84.

وما لاحظناه أن عادة الاحتفال بختم صحيح البخاري هذه هي عامة في الجزائر كما هي عامة في المغرب العربي بل وهناك من يضفي عليها طقوس خاصة مثل: إضاءة الشموع الضخمة وطوفان القراء في الشوارع وهم حاملون المصابيح وعزف الموسيقى، وإنشاد الشعر الديني والموشحات مثلما كان عليه في العهد العثماني[1].

د- مشاركة العلّامة محمد باي في الملتقيات والندوات الوطنية والولائية :

على الرغم من كثافة برنامج العلامة "محمد باي" اليومي، وقيامه بمهام التدريس والإمامة، وانشغاله بالتأليف إلا أن هذا لم يمنعه من المشاركة في مختلف الملتقيات والندوات الوطنية والولائية المتعلقة بالجانب الديني أو الثقافي أو التاريخي بل وسجل حضوره فيها بما ألقاه من محاضرات متنوعة (دعوية، دينية، ثقافية، تاريخية) مما يدل على فكره التجديدي وانفتاحه العلمي ومن أهم الملتقيات الوطنية التي كان يحضرها نذكر:

- ملتقيات الفكر الإسلامي: التي كانت تعقد في فترة السبعيناتالى بداية التسعينات من القرن الماضي، والتي تهدف إلى التعريف بالإسلام، والتركيز على دوره في تحرير البلدان الإسلامية، وتوحيد المسلمين، وضرورة كتابة تاريخ المسلمين من جديد ومن وثائقهم، وليس من خلال نظرة الغير إلى تاريخهم، كما كانت هذه الملتقيات فرصة لاجتماع العلماء من شتى الأقطار الإسلامية لمعالجة المشاكل التي يعاني منها المسلمين بإيجاد حلول لها، إذ كان يحضرها علماء ومشايخ وأساتذة من مختلف دول العالم الإسلامي والغربي .

وكان يشرف على تاطيرها أعضاء سامون في الدولة، من بينهم وزير التعليم الأصلي والشؤون الدينية آنذاك السيد "مولود قاسم نايت بلقاسم"[*]، وقد حضر منها العلامة "محمد باي" :

1- ملتقى وهران: المنعقد في 1391هـ/1971م (الملتقى الخامس للتعرف على الفكر الإسلامي)، ركز هذا الملتقى على موضوعات اقتصادية واجتماعية وفقهية وقانونية وتربوية وثقافية عامة كدور اللغة ومفهوم الثورة الثقافية .

2-كما حضر **لملتقى الجزائر العاصمة**: (الملتقى السادس للتعرف على الفكر الإسلامي المنعقد في 1972م)، وقد صادف انعقاده الذكرى الألفية لتأسيس عاصمة الجزائر الحالية، ومدينتي المدية وملیانة، كما صادف العيد العاشر لاستعادة الاستقلال، لذا ركز على التاريخ، كما تناول نظرة المؤرخين غير المسلمين إلى الإسلام والحضارة الإسلامية وأكد على ضرورة كتابة تاريخنا من جديد[2].

---

[1] - أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي ، (ج2) ، المرجع السابق ، ص 247.

[*]- **مولود قاسم نايت بلقاسم** (192-1992). رجل المناظرة و السياسية من مواليد جانفي 1927 في أقبو (بجاية) ، مناضل في الحركة الوطنية كان عضوا في حزب الشعب الجزائري ثم ممثلا لجبهة التحرير الوطني في ألمانيا ، ثم في البلدان الاسكندافية خلال حرب التحرير الوطني ، تولى منصب مدير سياسي في وزارة الشؤون الخارجية سنة1963 ثم أصبح مستشارا سياسيا ودبلوماسيا لدى رئاسة الجمهورية سنة 1967 قبل أن يشغل منصب وزير الشؤون الدينية من سنة 1970الى 1979 أسندت إليه رئاسة المجلس الأعلى للغة العربية (1983- 1989) ، توفي يوم الخميس 27اوت 1992 بمدينة الجزائر ، ينظر ، عاشور شرفي : المرجع السابق ، ص 1398.

[2] - محاضرات وتعقيبات الملتقى السادس للتعرف على الفكر الإسلامي : (مج1) ، المرجع السابق ، ص 6.

3- وحضر أيضا لملتقى الفكر الإسلامي **المنعقد بورقلة**، والمنعقد أيضا **بولاية تمنراست** عام 1979م؛ ولقد أتاحت له هذه المشاركة التعرف على الكثير من العلماء، والأساتذة الذين حاورهم وتناقش معهم في بعض المسائل من أمثال: الأستاذ "محمد كتو"، الشيخ "احمد حماني"، الأستاذ "سعيد شيبان"، الشيخ "داود سليمان بن يوسف" من علماء الاباضية وغيرهم، كما سجل العلامة "محمد باي" حضوره في ملتقى السيرة النبوية بالأرشيف خلال التسعينيات من القرن الماضي، وحضر لملتقى آخر تابع لوزارة الشؤون الدينية تحت رعاية الشيخ "عبد الرحمن شيبان"، والشيخ "احمد حماني" أين تعرف على جملة من العلماء أمثال: الشيخ "علي شنتير" الذي كان عضواً معه في لجنة الفتوى التابعة للبعثة الجزائرية للحج، وكذا الشيخ "علي المغربي"، والشيخ "أمعمر حني الوهراني"[1] .

ونظرا لحضوره المميز في الملتقيات وطول باعه في علوم الشريعة، طلب منه السيد "ساسي لعموري" الوزير السابق للشؤون الدينية والأوقاف عدة مهام منها: إلقاء دروس على شاشة التلفزة، والاجتماع مع لجنة الأهلة والاجتماع لاستدراك بعض الأخطاء الواقعة في بعض المصاحف، حيث كان يستدعيه إلى الوزارة من اجل هذه المهمات، كما عرض عليه أن يكون عضواً في المجلس الإسلامي الأعلى الذي تأسس منذ سنة 1966م[2].

والظاهر أن مترجمنا قد تحرج من هذه المهمة الأخيرة لحاجة في نفسه لم يبدها، أو لأنه رأى فيها شدة التكليف وأنها تشغله عن مهمة التدريس .

ومع نهاية القرن العشرين وبداية القرن الحادي والعشرين الميلادي سجل العلامة "محمد باي" حضوراً متميز ومشاركة فعالة في عدة ملتقيات وطنية منها :

1- ملتقيات الزوايا في العاصمة سنة 1991م والاغواط، وتيزي وزو عام 2001م، وغيرها من ملتقيات الزوايا التي ألقى خلالها جملة من المحاضرات التي تحدث فيها عن المنهج التعليمي في زوايا ولاية ادرار وواقعها، ففي ملتقى "تيزي وزو"مثلاً شارك بمحاضرة بعنوان: (أهداف نشأة الزوايا، وواقعها في منطقة توات) تناول فيها طريقة التدريس بالزوايا التواتية وطرق تموينها وواقعها في العصر الحالي.

2- كما حضر وشارك في أعمال ملتقيات الأسابيع القرآنية* ابتداء من الأسبوع الأول الذي انعقد بتاريخ (7-11 ربيع الأول1421هـ/10- 14جوان2000م) إلى الأسبوع التاسع المنعقد بتاريخ (16-19 ربيع الأول 1429هـ/ 24-27 مارس 2008م)، وكان في كل أسبوع يفوز بجائزة، وشهادة تقدير وعرفان من طرف وزير الشؤون الدينية والأوقاف الحالي السيد "أبو عبد الله غلام الله".

---

[1] - محمد باي بلعالم : الرحلة العلية ، (ج2) ، المصدر السابق ، ص ص (481- 482).

[2] - المصدر نفسه ، ص ص (482- 483)

*- **ملتقيات الأسابيع القرآنية** تجرى تحت رعاية رئيس الجمهورية السيد "عبد العزيز بوتفليقة" وتحت إشراف السيد وزير الشؤون الدينية والأوقاف "غلام الله"، وهي ملتقيات يحضرها مجموعة من المشايخ، والدكاترة والأساتذة، والطلبة من مختلف ولايات الوطن، تعالج مواضيع متعلقة بالزوايا، ودورها ومهمتها في تدريس وتحفيظ القرآن الكريم،كما تعالج منهج التربية القرآني ، ومستقبل المجتمع الإنساني على هدي القرآن، وغيرها من المواضيع كما تعالج مواضيع من محاضرات ملتقيات الفكر الإسلامي ، وعادة ما تنهي هذه الأسابيع أشغالها بمجموعة من التوصيات التي تحث على خدمة القرآن الكريم كالاعتناء بنخبة القراء الفائزين في مسابقات الأسابيع القرآنية وإصدار منظومة التعليم القرآني، ومضاعفة الجهود الوطنية من اجل إحياء مجد الإقراء في الجزائر .

صورة للشيخ محمد باي وهو يستلم جائزة الأسبوع القرآني من طرف وزير الشؤون الدينية أبو عبد الله غلام الله.

ولقد حصل للعلامة "محمد باي" خلال مشاركته في هذه الملتقيات معرفة واحتكاك ولقاء بعدة مشايخ وشخصيات من مختلف أرجاء الوطن منهم: رئيس الجمهورية السيد"عبد العزيز بوتفليقة"، ووزير الشؤون الدينية والأوقاف السيد "غلام الله" والسيد "إبراهيم بن مجراد البشاري"، والأستاذ "يوسف بلمهدي"، والشيخ "رابح بن لطرش" الجلفاوي والشيخ "محمد الطاهر آيت علجت"، والإمام "جلول حجيمي"، والدكتور "عبد الرحمن الطالب" أستاذ الحديث بجامعة وهران وعضو المجلس الإسلامي الأعلى، وغيرهم من المشايخ والدكاترة والأساتذة .

وعلى المستوى الولائي فقد سجل العلامة "محمد باي" حضوراً علمياً له وزن كبير من خلال مشاركته الفعالة في مختلف الملتقيات، والندوات التي كانت تعقد على المستوى المحلي، فقد شارك في ملتقيات الأسبوع الثقافي الذي كان يقام من كل سنة في ولاية ادرار، والذي انطلقت فعالياته سنة 1979م تحت إشراف مديرية التربية لولاية ادرار إذ كان يحضر لهذا الأسبوع نخبة من الأساتذة، والمؤرخين والباحثين مثل: الأستاذ "المهدي البوعبدلي"، وشيوخ زوايا بارزين شاركوا بطرح مداخلاتهم حول تاريخ المنطقة الثقافي والاقتصادي والحضاري ففي نفس العام الذي انطلقت فيه فعاليات الأسبوع شارك الشيخ "محمد باي" بمحاضرة تحت عنوان: (لمحات من خلال المخطوطات)، وفي الملتقى الثقافي التربوي الثاني المنعقد بتاريخ(13- 20 مارس1980م) ببلكين ألقى محاضرة بعنوان: (التعرف على بعض علماء الصحراء وما دار بينهم من المحاورات)[1]* ابرز فيها بعضاً مما دار بين علماء توات من محاورات ومناقشات في مواضيع دينية شرعية، مثل: محاورة الشيخ "المغيلي" و"العصنوني" في نازلة اليهود، و"المغيلي" مع "السيوطي" في علم المنطق ومحاورة علماء تنيلان لعلماء تمنطيط حول المرض المخوف ومحاورة علماء اقبلي (الشيخ حمزة) مع علماء كسام حول الصلاة في الغار، ومحاورة بين علماء الصحراء ومكلمي

*- للاطلاع على المحاضرة ينظر: محمد باي بلعالم : الرحلة العلية ، (ج2) ، المصدر السابق، ص 80

القبور، وغيرها من المحاورات التي جمعها من خزائن المخطوطات وأخرجها ونفض عنها الغبار بعد أن كادت تصبح في طي النسيان، كما شارك في فعاليات ملتقى الأسبوع الثقافي لسنة 1981 ببلكين (من 16 إلى 22 افريل) أين تعرف على الشيخ "محمد الصالح بن عتيق" الذي كان عضوا في المجلس الإسلامي الأعلى منذ 1966م[1]،كما شارك في بقية الأسابيع الأخرى .

وفي سنة 1985م شارك في أعمال المهرجان الذي أقيم إحياءً لذكرى الشيخ "المغيلي" التلمساني أين ألقى محاضرة تناول فيها التعريف ببعض الجوانب من حضارة منطقة توات، والتعريف بها مع ذكر أعمال المجاهد "عبد الكريم المغيلي" وغيره من علماء توات، وتعد هذه المحاضرة جامعة شاملة لتاريخ منطقة توات إلا أنها لا زالت عبارة عن مخطوط حتى أن الشيخ "محمد باي" لم يسجلها في كتابه (الرحلة العلية)، على الرغم من اعتماده عليها في كتابه هذا.

ونظرا لاهتمامه بتاريخ المنطقة فقد شارك العلامة "محمد باي" في الملتقيات التي أجريت حول تاريخ المقاومة الشعبية في منطقة توات(ادرار) بالإضافة إلى مشاركته في ملتقيات الزوايا المنعقدة بالولاية كملتقى 26-27 محرم 1421هـ/2000م .

ومن الندوات الولائية التي حضرها وأثراها بمحاضراته، وتدخلاته ندوة دينية أقيمت بمسجد الجيلاني بولاية ادرار عام 1986م، نظمت بحضور أئمة المساجد وأساتذة ومدرسون ورجال السلك الديني بصفة عامة ألقى خلالها محاضرة بعنوان "الرسول صلى الله عليه وسلم المعلم الأول والإمام المربي نماذج من توجيهاته في طلب العلم والحث على مكارم الأخلاق"* وهي محاضرة جامعة للشمائل المحمدية .

والى جانب حضوره المتميز في الملتقيات الدولية والوطنية والولائية السابقة الذكر سجل العلامة "محمد باي" حضوراً في بعض الملتقيات الوطنية الأخرى، والتي جلها كان له صلة بفقه إمام دار الهجرة "مالك بن انس" مثل: مشاركته في ملتقيات "المعهد الإسلامي لتكوين الإطارات الدينية" بعين صالح من ولاية تمنراست، التي لعب دوراً كبيراً في تاطيرها وإثرائها بمحاضراته القيمة حيث نال شهادات عدة من طرف مدير المعهد"احمد بن مالك" تقديراً وعرفاناً للمجهودات التي بذلها في تاطير ملتقيات المعهد التي حضرها، ومشاركته في الملتقى الدولي حول (الفقه المالكي) بولاية "عين الدفلة" في افريل 2009م الذي كان آخر زيارة علمية له، وختام نشاطه الفكري إذ توفى بعده بيومين .

وهكذا شاءت إرادة المولى عز وجل أن يُختم نشاطه الفكري والعلمي بمشاركته في ملتقى حول مذهب إمام دار الهجرة هذا المذهب الذي كان متعلقا به تعلق الفقيه الواعي غير المتعصب ولا المنغلق، تعلق المتشبث بنهج السلف وفقه الدليل كما قال عنه الأستاذ "عبد المجيد قدي"[2].

---

[1] – محمد باي بلعالم: الرحلة العلية ، (ج2) ، المصدر السابق ، ص483 .

*– للاطلاع على هذه المحاضرة، ينظر، محمد باي بلعالم : الرحلة العلية، (ج1) ، المصدر السابق، ص 281 .

[2] – (في ذكرى رحيل عالم توات الشيخ الحاج محمد باي) ، عيون المقالات ،(ع832)، المرجع السابق، ص17

هـــ- رحلات* العلامة محمد باي بلعالم العلمية داخل الوطن:

كانت للعلامة "محمد باي" عدة جولات وتنقلات داخل الوطن وإلى ولايات عديدة كالعاصمة، ووهران وتلمسان وتيزي وزو، والجلفة، وورقلة، والاغواط، وغرداية، وتمنراست، وبشار، واليزي، وعين الدفلة وداخل ولاية ادرار وغيرها من ولايات الوطن، شارك خلالها في ملتقيات وندوات عدة ألقى فيها محاضرات متنوعة المواضيع والأهداف (دينية ثقافية، تاريخية، تعليمية، ودعوية..) ، ففي ولاية ورقلة مثلاً التي كان يتردد عليها أكثر من مرة في السنة على عادة أسلافه الذين درسوا بها كوالده "محمد عبد القادر"، وخاله "بن مالك محمد بن محمد الحسان" والتي يتواجد بها أيضا ذرية أخويه "احمد العالم" رحمه الله، و"محمد عبد الله" الذين يواصلون مهمة التدريس بورقلة إلى اليوم كان مداوماً على إلقاء الدروس بمساجدها متى حل بها مثل: مسجد "أبي يعقوب الورجلاني"، ومسجد "بن عريمات" (الإمام مالك بن انس) أين يلقي دروساً في التربية الإسلامية للأولاد ومحاضرات وحلقات دروس وعظ للائمة والمؤذنين والوعاظ، علماً بأنه لم يكن يخصص لها وقت محدد، بل كان يلقيها على طول اليوم في الصباح وبعد العصر وبعد المغرب وبعد العشاء خاصة عندما يطلب منه أئمة المساجد ذلك، وكان الناس يتوافدون على حلقاته هذه بكثرة من الصباح إلى العشاء ليستفيدوا من غزارة علمه، ويستفتوه في مسائل مختلفة[1] .

ولقد خلف العلامة "محمد باي" في ورقلة عدداً كبيراً من التلاميذ الذين استفادوا من علمه من أمثال: "إبراهيم بن ساسي" السيد "قريشي عبد القادر" إمام مسجد أولاد عريمة، والسيد "بن ساسي محمد البخاري" والشيخ الإمام الطالب "إبراهيم باريز الاباضي" الذي كان مداوما على حضور دروس الشيخ "محمد باي" بمسجد "أبي يعقوب الورجلاني"، وغيرهم كثيرون، كما احتك هناك بجملة من المشايخ الذين كان يجاورهم ويناقشهم من أمثال: الشيخ "محمد ناجي بن الحاج النعيمي" (1825- 1974م) والشيخ "عبد القادر بن الشيخ محمد ناجي"(ولد 1929م) والشيخ "علي عياض" (ولد1921م) الذي حضر الشيخ محمد باي لمجالسه العلمية،كما أن الشيخ "عياض" كان كثيراً ما يطرح على الشيخ "محمد باي" بعض الأسئلة الدينية[2]، ومنهم الشيخ "ناصر المرموري الاباضي" الذي كان شديد الحرص على ملاقاة الشيخ "محمد باي" في ورقلة، إذ كان يزروه كل سنة في ورقلة عند زيارته لها[3] وغيرهم من المشايخ الأعلام في ورقلة .كما كانت له دروس وحلقات في بعض مساجد وهران كمسجد "زين العابدين" الذي يعمل فيه الشيخ "النعيم الرحالي" أحد أصدقائه إذ كان كثيراً ما يطلب منه

---

*- **مفرد رحلة** : **اصطلاحا** : هي فن نثري وصفي مدون في سفر بأسلوب مميز يشتمل تاريخ الخروج والوصول إلى كل مدينة مع إعطاء لمحة وافية عنها ، وعن رجالها مع ذكر مراحل السفر وألاودية ومراكز ورود الماء وهي عدة أنواع تختلف حسب الأغراض 1) الرحلات الدينية الحجازية (أداء فريضة الحج) 2) الرحلات العلمية (طلبا للعلم) 3) الرحلات الاستكشافية (للبحث عن المجهول) 4) الرحلة الادارية5) الرحلة الشخصية للفرجة 6) الرحلة الخيالية ينظر :الصديق حاج احمد :(الرحلات العلمية و دورها في التفاعل الثقافي بين حاضرتي توات و فاس خلال القرن 12ه) ، الملتقى الوطني الأول، العلاقات الحضارية بين إقليم توات وحواضر المغرب الإسلامي ، المرجع السابق ، ص237 .

[1] - عبد الله حامد لمين: المقابلة السابقة .

[2] - محمد باي بلعالم: الرحلة العلية ، (ج2) ، المصدر السابق ، ص 439 .

[3] - المصدر نفسه، ص453 .

هذا الأخير إلقاء درس الجمعة خلال زياراته لوهران وظل هذا هو دأبه أينما حل في بقعة من بقاع الوطن، لا يترك لحظة تمر عليه من غير فائدة، إما بتدريس أو تعليم أو تأليف كما قال عنه الأستاذ "يوسف بلمهدي"[1] مسخراً علمه لرفع الوعي الديني، والرقي الاجتماعي لدى رواد حلقاته العلمية في أولف وفي ورقلة وغيرهما، وفي مجالسه التي تخصص له أثناء رحلاته ومروره ببعض البلدان أو القرى غير موظفه في الحصول على لقمة العيش كما هو شان الكثير، ولا للجري وراء المصالح الخاصة كما قال عنه الشيخ "الأخضر الدهمة المتليلي"[2].

ثانياً– نشاط العلامة محمد باي العلمي خارج الوطن:

لم يقتصر نشاط العلامة "محمد باي بلعالم" العلمي على التدريس والتأليف والتصدي للفتوى وحضور الملتقيات والندوات الوطنية والولائية فحسب، وإنما تعداه إلى الرحلة لنشر العلم، فقد كانت له عدة رحلات وجولات إلى خارج الوطن، ألقى خلالها دروساً في الوعظ والإرشاد، كان فيها موجهاً معلماً، وهو نفسه الأسلوب الذي انتهجه رجال "جمعية العلماء المسلمين الجزائريين"، فإلى جانب إنشائه للمدرسة العميرية لتعليم وتربية النشء على خُلق القرءان شد الرّحال إلى بعض البلدان العربية، أين التقى بمشايخ وعلماء أعلام خالطهم واحتك بهم مواصلة للتحصيل العلمي، فاستفاد وأفاد هناك، ومن أهم رحلاته إلى الخارج نذكر:

1– رحلاته إلى البقاع المقدسة:

كان للعلامة "محمد باي" أسفار دينية إلى البقاع المقدسة اقترنت بالعلم، فقد زار العربية السعودية لأول مرة عام1383هـ/ 1964م لأداء فريضة الحج براً، ثم عاد إلى البقاع المقدسة عام 1974م للمرة الثانية، ومنذ هذا التاريخ أصبح يقبل إلى الحج[3] كشيخ لركب حجاج ومعتمري دائرة أولف فحج بهذا سبع وثلاثين حجة (37) منها ست وثلاثين حجة متتابعة متتالية، أما عدد عُمراته فكانت خمس عشرة (15) عُمرة منفردة، وسبع وثلاثون عمرة متمتعاً فيها أو مقترناً وبهذا يكون مجموعها اثنتين وخمسين عمرة (52) منها ما اعتمر بها عن نفسه، ومنها ما اعتمر بها عن أشخاص طلبوا منه ذلك لعجزهم[4]، فكان خلال ست وثلاثين سنة أمير ركب حجاج دائرة أولف يوجههم ويرشدهم فاحيا بهذا سنة الشيخ "أبي نعامة الكنتي القبلوي" الذي كان يترأس وفد حجاج توات وصحراء مالي خلال القرن السابع عشر الميلادي .

[1] – محمد باي بلعالم: الرحلة العلية ، (ج1) ، المصدر السابق ، ص ي23 .

[2] – المصدر نفسه، ص ي7 .

[3] – المصدر نفسه، (ج2) ، ص379 .

[4] – فاطمة معمري: المقابلة السابقة .

صورة تبرز نشاط العلامة "محمد باي" في موسم الحج وهو يتأمر حجاج دائرة أولف عام 1994م بالمدينة المنورة بمقبرة الشهداء بأحد .

وفي هذا الموسم (الحج)كان له نشاط كبير على مستوى دائرة أولف، إذ يقوم بتوعية حجاج الدائرة من كل سنة عن طريق تنظيم محاضرات وندوات تمكنهم من معرفة مناسك الحج، وتزودهم بالزاد الروحي العلمي الذي يؤهلهم لأداء فريضتهم بكل وعي وراحة واطمئنان،كما يقوم خلال هذه الندوات والمحاضرات التحسيسية بجمع تكاليف الطائرة وجمع الزاد وتذاكر السفر أيضا، إذ كان يختار لفوجه الذي عادة ما يتكون من "خمسين حاج" فما فوق والذين صنفهم بعبارة: (ت- ت- أ- أ) يعني (تيط – تمقطن – أولف- اقبلي) – البلديات الأربع لدائرة أولف – الرحلة التي تناسبه (مكة – المدينة)، حيث يكون السبق من "مكة" والإحرام في "جدة" ثم أخيرا زيارة قبر الرسول عليه السلام والأماكن التاريخية في المدينة المنورة، فتجده يعمل على تنظيم فوجه، ويسهر على راحته وتوجيهه من بداية الرحلة إلى نهايتها وهذا بشهادة الكثيرين ممن رافقوه في حجهم إذ كان يعقد لحجاج فوجه دروساً في الحج ومناسكه في الصباح من كل يوم بعد الساعة الثامنة، مخصصاً لكل يوم درس يناسب النسك الذي سيقومون به[1] .

وكانت تتخلل هذه الدروس مناقشات وتساؤلات من طرف الحجاج الذين كانوا يستفتونه، ويسألونه وكان في كل ذلك يجيب على أسئلتهم، بل وتجده ينشرح لما يسألونه[2]، وغالباً ما يحضر لهذه الدروس حجاج من الوطن (من عنابة إلى تلمسان ومن العاصمة إلى تمنراست)، ومن دول أخرى كمصر وباكستان[3]، وغيرها حيث يطرحون عليه تساؤلات فيما يعترضهم من مشاكل في أمور حجهم،كما كانوا يقبلون عليه في (منىً) قبل وقفة عرفة وكذا أمام القباب الثلاث غرب المسجد الحرام التي اعتاد الجلوس أمامها قبل شد الرحال إلى المدينة المنورة

[1] – إبراهيم ابلالي : المقابلة السابقة .

[2] – عبد الله حامد لمين : المقابلة السابقة .

[3] – المصدر نفسه .

فيمدهم بالجواب الشافي، وبالرأي الفقهي السديد السمح الموازن بين مقاصد الشريعة، وظروف وأحوال النـــاس والمشاق التي تلحق بهم خاصة وانه قد عايش من خلال تجربته الطويلة في البقاع المقدسة نمو وتطور الحرم المكـــي والمدني وشاهد مختلف توسعاتهما، وعاصر مختلف الإجراءات والقوانين التنظيمية بهما، وهاهو يخبرنا عن نشاطه في (منىً) فيقول[1]: «إننا بحمد الله وحسن عونه في كل سنة مدة تواجدنا بمنىً، نلقي درساً في المناسك خلـــف كـــل صلاة من الصلوات الخمس نُعلم الحجاج فيها مناسكهم، وأعمالهم اليومية ففي ذلك كفاية عن الخطبة (خطبـــة عرفة)، والحمد لله على نعمه نسأله العون والتوفيق والإخلاص » .

وفي ذلك كله لا يمل ولا يكل بل كان يتقوى في الحج على الرغم من كبر سنه ونحافة جسمه حتى انك لا تشعر بالتعب ولا بالملل معه في الحج[2]، وكان أيضا هذا هو دأبه في المدينة المنورة، حيث ينظم فوجـــه تنظيمـــا محكماً ويقسمهم حسب الأنماط والسن ثم يتوجه بهم إلى زيارة المآثر الإسلامية في المدينة بدءا بالمسجد النبوي، ثم قبر الرسول صلى الله عليه وسلم فالبقيع، والمزارات الأخرى كمسجد القبلتين ومسجد قباء، وغيرها من المزارات، وفي أثناء العودة يشرف مرة ثانية على إجراءات الرجوع، كما يتدخل أحياناً في إجراءات حجاج آخـــرين مـــن الوطن، وينشرح قلبه ويرتاح ضميره عندما يطمئن على سلامة حجاج فوجه وعودتهم إلى ديارهم سالمين[3] .

ولقد شهد له بتنظيمه المحكم لفوجه وسهره على خدمته وحسن معاملته للحجاج الكثيرين ممن رافقوه أو التقوا به هناك، كما اعترفت له بذلك الوكالة السياحية وحتى البعثة الجزائرية للحج[4] التي كان من احد أعضـــاء لجنة الفتوى التابعة لها في الثمانينات والتسعينات من القرن الماضي[*] .

صورة ملتقطة للعلامة "محمد باي بلعالم" في موسم الحج يَظهر فيها بلباس الإحرام رفقة بعض حجاج فوجه .

[1] – محمد باي بلعالم : مرجع الفروع إلى التأصيل من الكتاب والسنة والإجماع الكفيل ،(ج3) ، المصدر السابق ، ص95 .

[2] – عبد الله حامد لمين : المقابلة السابقة .

[3] – إبراهيم ابلالي: المقابلة السابقة .

[4] – عبد الله حامد لمين : المقابلة السابقة .

[*] – يذكر العلامة محمد باي بأنه كان احد أعضاء لجنة الفتوى التابعة للبعثة الجزائرية للحج رفقة مجموعة من المشايخ أمثال : الشيخ علي شنتير ، الشيخ الطاهر اقريقة الشيخ علي المغربي، والشيخ أمعمر حني الوهراني، ينظر محمد باي بلعالم: الرحلة العلية ، (ج2)، المصدر السابق، ص ص (481-482) .

هذا و لم تكن رحلات العلامة "محمد باي" إلى الحجاز دينية فحسب، بل كانت علمية أيضا إذ التقى خلالها بعلماء من الجامعة الإسلامية، ومشايخ من الحرم المكي، ومن المدينة المنورة حضر لمجالسهم واحتك بهم وحاورهم وناقشهم من أمثال: الشيخ "سبيل" إمام المسجد الحرام سابقا، والعلامة الشيخ "احمد بن الأمين الشنقيطي" والشيخ محفوظ الشنقيطي، والشيخ محمد فلاتة، والدكتور محمد بن عمر فلاتة، والشيخ "محمد يحي الكرار الشنقيطي" بل ومنهم من أجازوه أمثال: الشيخ "محمد بن علوي المالكي المكي"، والشيخ "زهير بن مصطفى الشاويش اللبناني"

كما أجاز هو بدوره العديد من طلبة الجامعة الإسلامية، وطلبة المسجد النبوي بالمدينة المنورة الذين كانوا مواظبين على حضور مجالسه والاستماع إلى دروسه العلمية خلال رحلاته الحجازية في شهر شعبان للعمرة، وفي ذي الحجة للحج امثال: الأستاذ "محمد علي الأمين الشنقيطي" احد الموظفين بمكتبة المسجد النبوي الشريف والأستاذ "عبد الله ناجي" احد موظفي المسجد النبوي، كما أجاز ابني الشيخ "حماد الأنصاري" صاحب المكتبة الشهيرة في المدينة المنورة (عبد الأول، والدكتور عبد الباري)، ومنهم أيضا الدكتور" آدم محمد علي العروسي" (أبو خالد) الذي كان ممن ينتظرون ويترقبون رحلته إلى الحج على أحر من الجمر للقائه، والاستفادة من علمه وتوجيهاته القيمة وإرشاداته السديدة[1]، وكذا الأستاذ "مصطفى بن محمد بن محمد إبراهيم برناوي" (أبو أسامة) الذي كان أيضا احد تلامذته المترقبين لزيارته للبقاع المقدسة للأخذ عنه ومن الذين أجازهم حيث يذكر في الرسالة التي بعث لنا بها[2]: « بأنه نال شرف الإجازة منه سنة 1425هـ/2005م وجددها له سنة 1427هـ/2007م ، بعد أن قرأ عليه الأربعين النووية » .

كما أجاز العديد من الطلاب هناك الذين يستحقون الإجازة كتاب، أو شفاهة أو هما معاً، لاتصال سنده العالي إلى مشيخات أهل العلم والفضل من العلماء الاثبات الذين اخذوا العلم بالسند الصحيح المرفوع إلى النبي صلى الله عليه وسلم؛ وهو ما يتسابق الطلاب عليه، بل ويشدون الرحال إليه لما فيه من الحصول على السند العالي من كبار المشايخ، بل كان يحاور ويناقش ويلتقي بنخبة من العلماء من السنغال ومن موريتانيا ومن مصر مثل: الشيخ "محمد محمد صقر" وآخرين من الوطن أمثال: الشيخ "مكركب أبران"، والشيخ "الوالي بن دوينة الوهراني" والشيخ "محفوظ نحناح" رحمه الله وغيرهم من العلماء، فمنهم من كان يقبل على زيارته في محل إقامته في الفندق ومنهم من يلتقي به في أماكن أخرى، ومن كرمه وحبه للناس تجده يقيم مأودبات غذاء أو عشاء على شرفهم[3].

والى جانب احتكاكه العلمي الدائم ببعض علماء ومشايخ الحرم المكي، والمسجد النبوي كان كثير التردد على مكتبة "الملك عبد العزيز" بالمدينة المنورة في كل موسم حج حيث زار خزاناتها، وأقسامها وأهدى بعضاً من

[1] – آدم محمد علي العروسي: الرسالة السابقة .

[2] – الرسالة السابقة ، ص ص (1- 2) .

[3] – إبراهيم ابلالي : المقابلة السابقة .

كتبه لها، وقد أهداه مديرها "عبد الرحمن بن سليمان المازيني" بدوره عدة كتب[1]- وهذا في إطار تبادل الأفكار والثقافات – كما كانت له زيارات متكررة في كل عام من موسم الحج، أو العمرة إلى مكتبة "المسجد النبوي" بباب عثمان في المدينة المنورة أين اطلع على الكثير من الآثار والكنوز الموجودة بها خاصة المخطوطات الاسلامية، وقد أوقف عليها جملة من كتبه ومؤلفاته المطبوعة والمخطوطة مثل: ملتقى الأدلة (أربعة أجزاء) – الاستدلال بالكتاب والسنة (جزءان) – زاد السالك على أسهل المسالك – فتح الرحيم المالك-كشف الجلباب- كشف الدثار – ركائز الوصول – المفتاح النوراني – منحة الأتراب وغيرها من مؤلفاته، حتى أن الواقفون على هذه المكتبة خصصوا له جناحا باسمه أطلقوا عليه "معرض الشيخ محمد باي بلعالم" يضم كل ما أهداه إلى المكتبة من محابر وألواح وأقلام من الإنتاج الجزائري[2] ومن التراث المحلي ليؤكد بها تجذر الإسلام واقدميته في الجزائر، بل والمغرب العربي بصفة عامة .

ومن هذا يتبين لنا بأن رحلات العلامة "محمد باي" إلى الحج، لم تكن لغرض التجارة المربحة،كما هو هدف البعض ولا للنزهة والتفريج عن النفس،كما هو هدف البعض الآخر، وإنما كانت رحلات دينية علمية خالصة، ولا أدل على ذلك من نشاطه المكثف خلال هذا الموسم فقد كان موجاً للحجاج، ومرشداً لهم لما فيه مصلحتهم وفوق كل ذلك كان يجالس، ويحاور نخبة من العلماء والمشايخ هناك، من الجزائر والعربية السعودية وغيرهما، بل واسهم في نشر أفكاره ودعوته التعليمية والإصلاحية بما أوقفه من مؤلفات على مكتبة المسجد النبوي، فكان بهذا احد أعلام الأمة الجزائرية المعاصرين الذين تركوا بصمتهم داخل الوطن، وخارجه .

2- رحلاته إلى المغرب الأقصى:

إلى جانب رحلاته الدينية العلمية كانت للعلامة "محمد باي" رحلات إلى المغرب الأقصى كرحلته في عام 1414هـ/1993م إلا أنها لم تكن مقصورة على زيارة قبر شيخه "مولاي احمد الطاهري" ووصل أهله فحسب بل كانت أيضا لغرض الاستزادة والاستفادة وهذا ما اتضح لنا بعد الاطلاع على أحداثها فقد حصل له اللقاء بنخبة من الشخصيات العلمية، والدينية بعد وصوله إلى المغرب من أمثال: السيد "عبد الرحمن" ابن أخ شيخه "احمد الطاهري"، الذي تذاكر معه جملة من المسائل الدينية واللغوية خلال هذه الرحلة، وكذا الشيخ "عبد المعطي" شيخ زاوية أولاد السباعي بمراكش الذي تحاور معه في القبض والسدل في الصلاة، إذ كان العلامة "محمد باي" يقول بسنية القبض في الصلاة على الرغم من انه مكروه عند المالكية إلا انه جائز في السنة حيث كان يقبض في صلاته[3]، وغيرها من المسائل،كما زار خلال رحلته هذه وغيرها عدة زوايا في مدن مغربية مختلفة مثل: زاوية "أحمد بن مبارك بن يحي الرسموكي" التي تأسست منذ القرن الثالث عشر الهجري/التاسع عشر الميلادي وزاوية

[1] – محمد باي بلعالم : الرحلة العلية ، (ج2) ، المصدر السابق ، ص507 .

[2] – المرجع السابق، ص 83. عبد الله حامد لمين : (تراجم وسير الشيخ محمد باي بلعالم حياته ومؤلفاته) ، مجلة الثقافة الاسلامية

[3] –مبروك المصري : المقابلة السابقة .

الشيخ "محمد الحبيب الدرقاوية" بمكناس، كما زار جامع القرويين بفاس وجامع الشيخ "سيد احمد التيجاني"[1] وأماكن علمية أخرى في تونس وليبيا ومصر خلال أدائه لفريضة الحج براً عام 1964م .

فكان بهذا رحالة عصره جاب عدة أماكن مشهورة في المغرب الأقصى بما فيها الجامعات التي كانت، ولا زالت مقصداً لطلاب العلم كجامع القرويين وزاوية أولاد السباعي، وغيرهما .

ومن الواضح أن أسفاره وتنقلاته المتعددة هذه، سواء في الجزائر أو خارجها قد فتحت أمامه آفاقاً علمياً واسعاً وفكراً جديداً، واتصالاً اخوياً إسلامياً بعلماء تلك الربوع، كما مثلت له أهم وسيلة للاتصال بالجماهير – خاصة في فترة الاستقلال التي أعطته حرية اكبر في التنقل – لنشر أفكاره ودعوته التعليمية والإصلاحية التي ارتكزت على نشر العلم وتصحيح العقيدة وأحوال المجتمع وهو ما سنتطرق إليه في المبحث الثالث من هذا الفصل.

ثالثاً– محاورات العلامة محمد باي بلعالم لعلماء عصره.

سبق وأن ذكرنا بان الشيخ "محمد باي" كانت تربطه علاقات وطيدة بعلماء الولاية بصفة خاصة والوطن بصفة عامة بل وحتى بعلماء من خارج الوطن من الذين تعرف عليهم، وهذا بشهادة الكثير من العلماء الذين التقوا به وتعرفوا عليه وحاورهم وناقشهم خاصة من الولاية، إذ كانوا يرجعون إليه في الفتوى، وطلب المشورة كالعلامة "محمد بن الكبير" والشيخ "مولاي الحبيب" والشيخ "عبد العزيز سيد أعمر" رحمهم الله، وغيرهم كما كان بدوره يرجع إليهم في بعض الفتاوى، وحتى محاوراته التي دارت بينه، وبينهم كانت ذات أسلوب وطابع علمي بعيد عن التعصب للرأي لذا لم نسجل أي محاورة له – حسب ما توفر لنا من مصادر كتابية وشفوية – في مسائل خلافية معهم اللهم إلا إذا كانت ردود على فتاوى مخالفة للصواب سنتطرق إليها في المبحث الثاني، أما عن أهم المحاورات التي دارت بينه وبين علماء المنطقة والتي اثبت من خلالها رسوخه وجدارته في علوم الشريعة نذكر منها :

1-محاورته للشيخ محمد بن الكبير: كانت له معه محاورات ومناقشات عدة سواء خلال زياراته له في مدرسته بمدينة ادرار، أو خلال ملاقاته به في الحرم حيث يذكر الشيخ "محمد باي"[2] بأنه التقى به في حجته الأولى عام 1964م عند مطوف يسمى (الدغساتي) أين دار بينهما حوار ونقاش حول مسالة الإحرام من جدة*، حيث كان الشيخ بن الكبير يرى بجواز تأخير الإحرام إلى البر بالنسبة لراكب البحر أو الطائرة ويذكر عدة فقهاء من الذين أفتوا بذلك .

[1] – محمد باي بلعالم : الرحلة العلية ، (ج2) ، المصدر السابق ، ص ص (261- 262- 263) .

[2] – المصدر نفسه، (ج1) ، ص 348 .

*– تعتبر مسالة الإفتاء بجواز الإحرام للحاج أو المعتمر من "جدة" من بين الفتاوى المبنية على المصلحة ومراعاة الضرورة خاصة في الحج التي أفتى بها علماء توات المعاصرين ، وكذا الإفتاء بجواز الرمي في اليوم الثالث قبل الزوال لمن أراد الإفاضة والإفتاء بجواز التوكيل في الرمي للنساء خاصة ، ينظر مبروك المصري : (مفردات المدرسة الفقهية التواتية المالكية) ، الملتقى الدولي الثالث عشر المذهب المالكي تاريخ وآفاق ، المرجع السابق ، ص ص (440- 441) .

ويبدو أن الشيخ "محمد باي" كان يرى بان الإحرام يجب أن يكون من الميقات الرسمي وهو "الجحفة"* ميقات أهل المدينة ومن مر بها من أهل الشام ومصر وبلاد المغرب، لذا بحث في هذه القضية في فتاوى العلماء أمثال: "الشيخ إبراهيم بيوض"، وغيره فكان مما جاء في فتوى الشيخ "إبراهيم بيوض" في هذه المسالة بعد أن ذكر بان الطائرات المغربية الذاهبة إلى جدة تمر بعيداً عن سمت الجحفة غير محاذية لها، مما يتعذر معه القيام بواجبات الإحرام في الطائرة من اغتسال ووضوء وصلاة ولبس ثوبي الإحرام ثم الإهلال بالحج، أو بالعمرة لان الطائرة تكون أثناءها فوق الميقات، أو في سمته من احد جانبيه فلا يكاد الحاج يشرع في القيام بشعائر الإحرام حتى تكون الطائرة قد ابتعدت بكثير من الميقات لذا قال: « فنحن مضطرون إذا بالقول بوجوب التقديم، أو القول بجواز التأخير...ونظراً لما في التقديم من تعريض الحاج إلى مشقة كبيرة، ومع ما ثبت من كراهية كثير من الصحابة ومن العلماء لتقديم الإحرام على الميقات، بل منعه بعضهم و لم يجزه وممن كرهه الإمام مالك فيما صح عنه فكانت الفتوى بجواز تأخير الإحرام إلى ميقات أهل جدة أولى لما فيه من تخفيف ورفق ورفع للمشقة عن الحاج...» [1]

كما أن الشيخ "بيوض" استدل بأدلة أخرى منها أن الكثير من العلماء أجازو لمن مرّ بميقات وهو يريد أن يمر على ميقات آخر لحاجة، أن يؤخر الإحرام إلى الميقات الأخير، وعليه تكون مسامتة أو محاذاة الطائرة المغربية لسمت الجحفة ميقات أول، ونزول الطائرة المغربية في جدة ميقات أخير[2] وبهذا تبين للشيخ "محمد باي" بان الصواب كما قال الشيخ "محمد بن الكبير" في جواز تأخير الإحرام إلى البر كما تبين له بان فتواه هي المطابقة لليسر[3].

ولقد أضاف العلامة "محمد باي" تتمة أخرى حول هذه المسالة مفادها أن الرسول صلى الله عليه وسلم لما حدد المواقيت حددها للبلاد الإسلامية آنذاك، والتي مسها الفتح الإسلامي فقال البخاري ومسلم عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم: (وقت لأهل المدينة ذا الحليفة، ولأهل الشام الجحفة، ولأهل نجد قرن المنازل ولأهل اليمن يلملم فهن لهن ولمن أتى عليهن من غير أهلهن لمن كان يريد الحج والعمرة)، و لم يحدد ميقاتاً لبلاد المغرب ولا غيرها من البلدان التي لم يصلها الإسلام بعد، وإنما كان تحديد ميقاتها من اجتهاد العلماء الذين اجتهدوا وجعلوا للمغرب ومصر "الجحفة" ميقات أهل الشام لأنه طريقهم انذاك، وأما الآن فصار السير في البحر والجو، مما جعل النزول في جدة محتماً إلا أن النازل فيها حسب رأيه[4] – والمبني على تجربته الطويلة في السفر إلى الديار المقدسة – لا يملك أمر نفسه فهو لا يدري هل يذهب لمكة، أو إلى المدينة المنورة ؟ حسب إجراءات السلطات كما انه لا يدري هل يسمح له بالدخول للمملكة أم لا لأنه يوجد الكثير من الحجاج الذين منعتهم السلطة من الدخول نظرا لأسباب تمنعهم من ذلك مثل: تفشي الأمراض الخطيرة، والمعدية مما استوجب حمايتهم،كما أنه يوجد العديد من الحجاج من يحرمون على متن الطائرة، ولما ينزلون يؤمرون بالتوجه للمدينة فكانت عليهم

*– **الجحفة**:بين مكة والمدينة وهي بالقرب من رابغ وبينها وبين البحر ستة أميال والجحفة ميقات الشام والمغرب ومصر ، ينظر ، محمد باي بلعالم : فتح الجواد شرح على نظم العزية لابن باد ، (د،ط) ، مطابع عمار قرفي ، باتنة : د ، ت ، ص198 .

[1] – محمد باي بلعالم: أنوار الطريق لمن يريد حج البيت العتيق ، (د،ط) ، دار هومة ، الجزائر : 2009، ص ص (19– 20) .

[2] – المصدر نفسه، ص20 .

[3] – محمد باي بلعالم: الرحلة العلية ، (ج1) ، المصدر السابق ، ص 348 .

[4] – محمد باي بلعالم: مرجع الفروع إلى التأصيل من الكتاب والسنة والإجماع الكفيل ، (ج3) ، المصدر السابق ، ص 40 .

مشقة وحرج، ونظراً للأمور الحرجة هذه التي تقع للحاج في الآونة الأخيرة يرى، بل يؤكد العلامة "محمد باي"[1]: بأنه ينبغي لركاب الطائرة أن يؤخروا الإحرام إلى مطار "جدة" ليحرموا منه، مادام مصيرهم مجهول بعد النـــزول من الطائرة أهو الاتجاه إلى المدينة ؟ أم إلى مكة ؟.

فالعلامة "محمد باي" نظرا لما اتصف وعرف به من دقة الملاحظة والتحليل الدقيق أشار هنـــا إلى إشـــارة مهمة لربما لم ينتبه لها البعض، وهي مصير الحاج بعد نـــزوله من الطائرة تبعا لإجراءات السلطات اهو إلى مكة ؟ أم إلى المدينة ؟ فان كان لمكة مباشرة فانه سيقع له الحرج في عدم الإحرام، وان كان إلى المدينة وكان قد احـــرم على متن الطائرة فستكون عليه مشقة وحرج .

ومن جهته كان الشيخ "محمد بن الكبير" يرجع للشيخ "محمد باي" في بعض المسائل، من ذلك نذكر: ما وقع له في عام 1974م في الحج من مشكلة وهي انه تأخر – يعني الشيخ بن الكبير – في (منىً) مع رفقائه وأهله يوم التعجيل بالنفير حتى غربت عليهم الشمس وهم على متن الحافلة في (منىً) فتحرج من ذلك وأمر من معه أن يدعو له الشيخ محمد باي فلما جاء هذا الأخير طرح عليه السؤال، واخبره بما وقع له من التأخير وكان قد تخوف أن يكون وجب عليه الدم بسبب التأخير في (منىً) إلى غروب الشمس، فأجابه الشيخ "محمد باي": بأنـــه لا دم عليهم بما أنهم نووا النفير وكانوا جاهزين للخروج من (منىً) قبل الغروب، وإنما الهدي يلزم من كان مختاراً قادراً على الخروج، ولم يخرج حتى غروب الشمس، ولم يزد اليوم الرابع كما هو المطلوب فهذا هو الذي يلزمه الهدي لأنه غير متعجل فقد فاته التعجيل بغروب الشمس في (منىً) وقد فرح الشيخ بن الكبير فرحاً شـــديداً بالإجابـــة واخبره بأنه كان مهموماً جداً بهذه القضية[2].

ويبدو أن استفسار الشيخ "بن الكبير" للشيخ محمد باي" كان محل استغراب لدى البعض الـــذين قـــالوا للشيخ بن الكبير: انك لا تحتاج لفتوى الشيخ باي فرد عليهم قائلا:« إن ذكر النخل لا يؤبر نفســـه»[3] أو كمـــا قال، إلا أن هذا في الحقيقة يعد تواضعا من الشيخ "محمد بن الكبير" الذي على علو شانه، وهمته وعلمه إلا انه لم يتوان في استفسار الشيخ "محمد باي" فيما وقع له من حرج وتأخير في منىً .

2- محاورته مع الشيخ عبد العزيز سيد عمر المهداوي رحمه الله :

كان الشيخ "عبد العزيز سيد عمر" يرجع إلى الشيخ "محمد باي بلعالم" في فتواه أيضا من ذلك نذكر مـــا وقع في سنة 1418هـــ/1997م من خلاف بين الحجاج في وقت الرمي يوم الثاني للعيد، وما بعده حيث أفتى لهم بعض الطلّبة (معلمو القرءان) بجواز الرمي قبل الزوال وأصدروا في ذلك مقالة بعنوان "حكم الرمي قبل الزوال" مع أن الوقت المشروع للرمي في يوم الثاني العيد وثالثه و رابعه لمن لم يتعجل الزوال – أي بعد الـــزوال – وقـــد رد الشيخ "عبد العزيز سيد عمر" على تلك الفتوى في مقالة طويلة بعث بها للشيخ "محمد باي" وطلب منه رأيه فيها

[1] – محمد باي بلعالم: مرجع الفروع إلى التأصيل من الكتاب والسنة والإجماع الكفيل ، (ج3) ، المصدر السابق، ص ص (41- 42) .

[2] – محمد باي بلعالم: الرحلة العلية ، (ج1) ، المصدر السابق ، ص 350 .

[3] – المكان نفسه .

ومناقشتها حيث قال له: « وها أنا أقدمها إليكم ساداتي العلماء مع المقالة التي ناقشتها لتنظروا بنظركم السديد فان وجدتم الصواب مع مناقشي هذه فصححوها وامضوا عليها، وإلا فقولوا ما لديكم، والحق أحق أن يتبع فانه ليس مقصودي من المناقشة لتلك المقالة إلا النصح، والنفع لعباد الله، والله على ما أقول وكيل...»[1].

نلاحظ أن الشيخ "سيد عمر المهداوي" شهد للعلامة "محمد باي" في هذه الرسالة بالأهلية العلمية، وسداد النظر والتحقيق، وبعد تتبع الشيخ "محمد باي" لرد الشيخ "عبد العزيز" على تلك المقالة وجد الصواب معه، وتبين لهُ بان جوابه شافي .

وحتى تكون فتوى رمي الجمرات بعد الزوال أيام التشريق الثلاث واضحة وجلية للخاص، وللعام أثرى الشيخ محمد باي موقف الشيخ "سيد عمر" بمجموعة من الأدلة التي جلبها منها: قوله صلى الله عليه وسلم :« **أن وقت رمي الجمار الثلاث يدخل بزوال الشمس**» رواه ابن ماجه، وما جاء في الموطأ عن "ابن عمر" انه كان يقول :«**لا ترمى الجمار حتى تزول الشمس في الأيام الثلاثة التي بعد يوم النحر**»[2]، وهو المعتمد في جميع المذاهب المعروفة، والمفتى به، لان كل من تأمر على الحج بعد الرسول صلى الله عليه وسلم اقتدوا بإمامهم ورائدهم، وأن كل من روى الحديث رواه بان الرمي كان بعد الزوال، لان النبي صلى الله عليه وسلم لم يحج إلا مرة واحدة بين فيها جميع المناسك[3]، وأوقاتها لذا دعا العوام أن يعملوا بما ثبت فعله عن الرسول صلى الله عليه وسلم .

واستناداً لهذه الأدلة وغيرها بين الشيخ "محمد باي" بان الرمي قبل الزوال أيام التشريق لا مستندا له البتة مع مخالفته للسنة الثابتة عنه صلى الله عليه وسلم، وعليه فلا ينبغي لأحد أن يفعله، وان من رمى قبل الزوال فعليه هدي أو صيام عشرة أيام عند عدمه لأنهُ ترك واجباً من واجبات الحج التي يلزم فيها الدم، بل واعتبر بان الفتوى بجواز الرمي بعد الفجر وقبل الزوال من هذه الأيام (يعني أيام التشريق) خطأ، وتضليل لا ينبغي تشهيره وفتوى العوام به، لأنه فعل مخالف تمام لقول وعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم، وخلفائه وأصحابه ومن تبعهم، ودعا من قلدوا المقالة وأجازوا العمل بها الرجوع إلى السواد الأعظم[4].

3- مراسلاته ومحاوراته للشيخ محمد بن بادي الكنتي :

كان الشيخ "محمد باي"رحمه الله كثيرا ما يكاتب ويساءل الشيخ "بن بادي" في الكثير من الأمور الفقهية قديمها ومستجدها عن طريق المراسلة فقط، إذ اخبرنا تلميذه "حامد لمين عبد الله"[5] بأنهما لم يلتقيا قط، وكان الشيخ "ابن بادي" يجيبه على تساؤلاته على الرغم من عدم حصول اللقاء بينهما، ومن الأسئلة التي طرحها عليه الشيخ "محمد باي" سؤال عن حكم الزكاة في الفول السوداني ؟ المعروف محليا (بالكاكاو)، وكان الذي حمله على السؤال عن زكاته هو جمعه لشرطي الزكاة وهما (الاقتيات والادخار) في نفس الوقت، فأجابه "ابن بادي": «بأنه

---

[1] – محمد باي بلعالم: مرجع الفروع إلى التأصيل ، (ج3) ، المصدر السابق ، ص116 .

[2] – موطأ الإمام مالك، رواية محمد بن الحسن الشيباني: تع وتح : عبد الوهاب عبد اللطيف، (ط1) ، دار القلم ، بيروت : د،ت، ص167 .

[3] – محمد باي بلعالم: مرجع الفروع إلى التأصيل ، (ج3) ، المصدر السابق، ص ص (117 ، 120) .

[4] – المصدر نفسه ، ص ص (120- 122) .

[5] – عبد الله حامد لمين: المقابلة السابقة .

من القطاني وأن فيه زكاة لان أكثر المفسرين يحددون القطاني بأنها ما لهُ غلاف، ثم قال بعـــدها ولا ادري هـــل الكاكاو من أجناس ذلك، أم لا لجهلي لها ؟» .

ونظرا لان الشيخ "ابن بادي" قدم له إجابة مشابهة لإجابة شيخه "مولاي احمـــد الطـــاهري" في هـــذا الموضوع بحث الشيخ "محمد باي" في هذه المسالة وتبين له بعد التحري والبحث بان (الكاكاو) من الحبوب الـــتي تجب فيها الزكاة لأنه يمثل الحبوب في الاقتيات والادخار، وذوات الزيتون في الزيت[1] .

ومن النـــوازل المستجدة التي ناقش فيها الشيخ "ابن بادي" خبر ثبوت الهلال بواسطة القنوات، الذي لم يتعرض له العلامة "ابن بادي" في نظمه لمهمات من مختصر خليل الذي وضع له الشيخ "محمد باي" شـــرحا مـــن أربعة أجزاء، إذ لم يذكر في نظمه هذا ما يثبت به من رؤية هلال رمضان[2]. ولا ندري ما إذا كان "ابن بادي" في عدم إشارته لثبوت هلال رمضان بواسطة وسائل الإعلام الحديثة هل هو ناتج عن عدم اقتناع بصحة خبرها؟ أم لأمر آخر؟ .

وعلى كل فان مترجمنا العلامة "محمد باي" كان مقتنعا بصحة خبر وسائل الإعلام الحديثة التي يذاع عن طريقها ثبوت هلال رمضان،كالمذياع والتلفزة خاصة إذا كان بأمر حكومي من المسؤولين، لأنه يلزم على العامة أن تعمل بمقتضى حكامها، حيث يقول في نظمه "فتح الرحيم المالك في مذهب الإمام مالك" :

ويثبت الصوم بما استجّدا من ءالة أخبارها قد جدا
وءالة الإرسال مثل التلفزة وفاكس وهاتف إن اخبره
لان صدق هاته الوسائل بان لكل عالم وسائل
ويلزم التكفير كل من أبى قبولها وعتبه قد وجبا[3]

لأنه صار من العادة أن تجتمع اللجنة الدينية أو القضائية من طرف مسؤول الدولة على شاشـــة التلفـــزة ليبلغوا للناس والإذاعة، والفاكس والهاتف خبر ثبوت الهلال لان صدقها قد بان وظهر؛ وعليه لو حكم الحـــاكم بثبوت الهلال بناء على أي طريق في مذهبه وجب الصوم على عموم المسلمين ولو خالف مذهب الـــبعض، لان حكم الحاكم يرفع الخلاف وهذا متفق عليه[4]، وهو أيضا ما أفتى به الشيخ "إبراهيم بيوض"، حيث أجاز العمـــل بخبر الهاتف في الصوم والإفطار حتى انهُ تعرض في فتواه هذه إلى معارضة من طرف العلماء الجامدون الذين أنكروا عليه جواز العمل بخبر الهاتف فسبوهُ وكفروهُ وتبرأو منهُ ومن الذين يعملون بخبر الهاتف في صومهم أو إفطارهم، حتى حدثت فتنة في ميزاب في أغلب الأعياد ورمضان بين المصلحين الذين يعملون بخبر الهاتف في صومهم

[1] – محمد باي بلعالم: زاد السالك شرح أسهل المسالك ، (ج1) ، المصدر السابق، ص ص (232 ، 234) .
[2] – محمد باي بلعالم: إقامة الحجة بالدليل شرح نظم ابن بادي لمختصر خليل، (ج2) ، المصدر السابق، ص103 .
[3] – محمد باي بلعالم: فتح الرحيم المالك في مذهب الإمام مالك ، (د،ط) ، مطابع عمار قرفي ، باتنة : د، ت ، ص45 .
[4] – محمد باي بلعالم: مرجع الفروع إلى التأصيل ، (ج2) ، المصدر السابق ، ص ص (324- 325) .

وإفطارهم، والمعارضين للإصلاح الذين لا يعملون بخبر الهاتف، إلا أنها اليوم زالت لعمل ميزاب والجزائر بالحساب الفلكي في صومه وإفطاره[1] .

ومن خلال وقوف العلامة "محمد باي" في صف العلماء الذين يجيزون العمل بخبر وسائل الإعلام الحديثة في ثبوت هلال رمضان، وفي الإفطار يتبين لنا بأنهُ لم يكن من العلماء الجامدين الذين لا يواكبون تطورات العصر ولا من الذين ينظرون إلى الإعلام، ووسائله نظرة مُغلقة ضيقة، وبالتالي لا يجوز تصديق خبره، بل كان عصري منفتح على كل ما استجد من وسائل وآلات – ولا أدل على ذلك من استعماله لها في مدرسته، ومكتبته الخاصة- ذلك لان ثبوت الأهلة في زمننا هذا أصبح مقتصرا على خبر هاته الوسائل، نظراً للتطور الحاصل في مجال الإعلام والاتصال على ما كان عليه سابقاً، وحتى وإن رؤى هلال رمضان من طرف عدلين ذكرين، فان خبره يذاع بأمر من السلطة بواسطة الإذاعة الحكومية، أو التلفزة أو البريد الخاص بالحكومة لما فيه من مشقة التنقل من اجل الإخبار، الناتجة عن بعد المسافات؛ لذا لا يمكن في أي حالة الاستغناء عن وسائل الإعلام الحديثة في إذاعة خبر ثبوت هلال رمضان أو غيره .

كما كان يسألهُ ويناقشهُ في مواضيع أخرى عديدة مثل حكم التأمين (عقود التأمين) الذي يعتبر من القضايا المعاصرة التي تحتاج إلى اجتهاد في التعامل المالي والاقتصادي، إلى جانب القروض البنكية وقروض تمويل المشاريع الإنتاجية وغيرها من المعاملات المالية المعقدة التي ظهرت في عصرنا الحالي، والتي ما من شك أن واضعوها أنظمة غير إسلامية لذا فقد تتفق مع مبادئ الشريعة الإسلامية وقد تختلف وهذا هو الغالب عليها[2]،خاصة وأن التبادل فيها يتم بين الأفراد من جهة، والشركات من جهة أخرى .

ولقد مثلت محاوراته ومناقشاته هذه للعلامة "محمد بن بادي الكنتي" المالي نموذجاً للتواصل الحضاري والثقافي بين إقليم توات وإقليم السودان الغربي، الذي لم ينقطع إلى يومنا هذا، على الرغم من محاولات الاستعمار الفرنسي الفاشلة التي كانت ترمي إلى قطع التواصل، وأواصر الأخوة بين الإقليمين .

وبالجملة فان محاورات العلامة "محمد باي بلعالم" لعلماء عصره – بمن فيهم الشيخ "ابن بادي" المالي – تعد محاولة منه لإيجاد حكم متفق عليه يتماشى مع ما جاء في القرءان والسنة وما اجمع عليه الصحابة وعلماء الأمة من جهة،كما أنها تدل من جهة أخرى على أن صاحبها قد مثل مرجعية للعديد من المشايخ لا من ولاية ادرار فحسب، بل من الوطن وخارجه .

[1] – محمد علي دبوز: أعلام الإصلاح في الجزائر ، (ج 4) ، (ط1) ، دار البعث ، قسنطينة : 1980 ، ص 90 .

[2]– مبروك المصري: تأملات في الاجتهاد والتقليد ، (د،ط) ، دار الغرب للنشر والتوزيع ، وهران : 2004 ، ص159 .

المبحث الثاني: نماذج لفتاوى العلامة محمد باي بلعالم.

كان العلامة "محمد باي" مفتي الديار الأولفية، إذ كانت تعرض عليه عدة فتاوى، وأسئلة من مختلف بلديات دائرة أولف، ومن باقي دوائر ولاية ادرار، ومن مختلف أنحاء الوطن، بل ومن الخارج أيضا كما أسلفنا ذكره وسنعرض في هذا المبحث نموذجاً لبعض فتاويه الطبية والمتعلقة بالأحوال الشخصية، وأخرى ذات طبيعة اقتصادية والتي وقف فيها وقفة الراسخين في العلم، خاصة في الأمور التي تتعارض مع ما جاء في الشريعة الإسلامية .

أولاً: نوازله الطبية.

من فتاويهِ الطبية: فتواه في حكم نقل الأعضاء، والدم من أشخاص أصحاء، أو موتى إلى أشخاص مرضى لإنقاذ حياتهم أثناء العمليات الجراحية، وهي نازلة مستجدة تبعاً لتطور علم الطب الحاصل في وقتنا هذا لذلك طرحت عليه تساؤلات من طرف المواطنين، نظراً لان البعض كان يرى في نقل الأعضاء أو الدم من شخص لآخر انه انتهاك حرمة آدمي لآخر، وقد أفتى الشيخ "محمد باي" بعدم جواز نقل الكلية من جسم محقق نفعها فيه إلى جسم آخر لا يتقبلها، في حين يرى جواز نقل هذه الأعضاء من موتى ضحايا المرور مثلاً على أساس أن الحي أفضل من الميت فيقول[1]:« والذي لاينبغي أن لا تنتهك حرمة ادمي لآخر، لأن وجود الكلية في الإنسان محقق نفعها، لأنها تقوم بوظيفة في مسالك البول، فهذا النفع محقق، وأما نقلها لشخص فإن نفعها محتمل، يمكن أن يقبلها الجسم ويمكن أن يلفظها، وعليه فلا يجوز نقلها من الجسم المحقق نفعها فيه إلى جسم آخر محتمل للقاعدة (اتفق أرباب الفنون أن المحقق لا يترك بالمظنون)، فينبغي أن تؤخذ هذه الكلية من شخص مات بسبب حادث أو غيره وتنقل بالسرعة إلى شخص آخر، لأن الحي أفضل من الميت وكما يجوز نقل الكلية كذلك يجوز نقل غيرها من الأعضاء كالقلب، والعين إذا تأكد الطبيب المسلم الثقة العدل موت المنقول عنه، لأن الحي أفضل من الميت...»

ويستند في فتواه هذه على مبدأ الضرورات تبح المحظورات حيث يقول: « وتوفير البصر أو الحياة لإنسان نعمة عظمى مطلوبة شرعاً وقد قال تعالى:﴿**فمن اضطر غير باغ ولا عاد فإن ربك غفور رحيم**﴾[2]بعد قوله تعالى: ﴿**حرمت عليكم الميتة**﴾[3]ويشترط في الاضطرار أن تكون الضرورة قائمة لا منتظرة في المستقبل، وان لا يكون هناك وسيلة أخرى من المباحات لدفع الخطر وان يتوفر عذر يبيح قتل الآدمي واكله، وأن يقتصر الحد الأدنى أو القدر اللازم لدفع الضرر لان إباحة الحرام ضرورة تقدر بقدرها » .

فمن خلال فتواه هذه يتضح لنا بأن العلامة "محمد باي" لم يكن يعارض نقل الكلية من إنسان إلى آخر هو بحاجة إليها وإنما أفتى بعدم جواز ذلك إذا تم نقلها من جسم محقق نفعها فيه إلى جسم آخر لا يتقبلها استناداً إلى قاعدة (أن المحقق لا يترك بالمظنون)، لأن الكلية لها دور ووظيفة في الجهاز البولي، وما يصدق على الكلية في حكمه يصدق على الأعضاء الأخرى كالقلب، والعين في حين يرى جواز نقل هذه الأعضاء من شخص حديث عهد بالوفاة إلى الشخص المريض بناء على ما جاء في القاعدة، ولقد أفتى في هذه المسألة عدة فقهاء معاصرون

---

[1]- محمد باي بلعالم : مرجع الفروع إلى التأصيل ، (ج3) ، المصدر السابق ، ص 270 .

[2]- سورة الأنعام : الآية 145 .

[3] -المائدة : الآية 03 سورة

مثل: الشيخ "محمد الشيباني بن أحمد الشنقيطي الموريتاني" الذي أفتى بجواز نقل كلية إنسان هو في غنى عنها إلى إنسان آخر تتوقف عليها حياته إذا كان نقلها لا يضرهُ حالاً ومألاً شرط أن يرجع الطبيب الماهر في ذلك[1]،كما أن الشيخ "محمد باي" لم ير بأساً من نقل الدم من شخص سليم، إلى شخص يُخاف هلاكه فهو جائز عنده لأنهُ مما جرب نجاعته في إسعاف المريض في عالم الطب، وهو ما أفتى به أيضا علماء الأمة أمثال: الشيخ "إبراهيم بيوض"[2] وكذا الشيخ "محمد متولي الشعراوي"[3]خاصة وأن المريض يكون أثناء العملية الجراحية في حالة حرجة لفقده كمية من الدم ويكون منهكاً تعباً، وبالتالي فهو يحتاج إلى كمية من الدم لنجدته وإغاثته .

ثانياً: المتعلقة بالأحوال الشخصية:

من فتاوى العلامة "محمد باي" في بعض النوازل القديمة المستجدة المتعلقة بالأحوال الشخصية فتوى (حول النكاح دون ولي) حيث طُرح عليه سؤال من طرف بعض المواطنين حول الولي في النكاح بالنسبة للمرأة هل هو شرط في صحة النكاح ؟ أم يجوز للمرأة الرشيدة العاقلة أن تتولى عقد النكاح بنفسها دون وليها ؟، وهذا نظرا لما ورد في قانون الأحوال الشخصية الجزائري الصادر في عام 2005م من السماح للمرأة الرشيدة العاقلة من تولية عقد نكاحها بنفسها فأجاب: بثبوت هذا الشرط لأن الولي يعتبر أحد أركان النكاح الأربعة والتي لا يصح النكاح إلا بها وهي: المهر(الصداق) – الولي– الصيغة– المحل (الزوجين)[4] وان زواج المرأة دون ولي أو إذنه هو نكاح باطل لنقصان ركن من الأركان وهو الولي لقوله صلى الله عليه وسلم (**لا نكاح إلا بولي**) أخرجه البخاري وحكمه أن يفرق بينهما[5].

ومما جاء في فتواه التي اشتملت على أربع صفحات قوله[6]:« الجواب: والله الموفق للصواب أن الولي على المرأة في النكاح شرط في صحته، دل على ذلك الكتاب والسنة وإجماع الكثير من السواد الأعظم من المسلمين على اختلاف المذاهب الإسلامية، وبهذا يكون النكاح الصحيح لا يتعرض لأي احتمال في صحته، وحتى أن الإمام أبا حنيفة الذي يقول بصحة عقد المرأة لنفسها لا يقول بفساده إذا تولاه الولي عليها، وعلى هذا فالنكاح الصحيح هو ما تولى فيه الرجل الذكر العقد على المرأة، لأن كافة المسلمين متفقون على صحته، وأما عقدها على نفسها فإنهُ خلاف لما جاء في الكتاب والسنة وإجماع الأمة ...» .

وهو ما أفتى به العلماء المعاصرون أمثال: الشيخ "إبراهيم بيوض"[7] الذي طُرح عليه سؤال عن حكم النكاح بدون ولي؟ فأجاب: «بأنه باطل ويفرق بينهما ويؤدبان مع الشهود والعاقد، ولا يتوارثان...»، والشيخ

---

[1]– محمد باي بلعالم: مرجع الفروع إلى التأصيل ، (ج3) ، المصدر السابق ، ص ص (267 – 268) .

[2]– فتاوى الإمام الشيخ إبراهيم بن عمر ، (ج2) ، تقد و تح : بكير محمد الشيخ بالحاج ، (د،ط)، د،ن : د، ت ، ص 653

[3]– المصدر السابق، ص ص(35 – 36) .

[4]– محمد باي بلعالم: مرجع الفروع إلى التأصيل ، (ج4) ، المصدر السابق ، ص 107

[5]– أبو بكر جابر الجزائري: منهاج المسلم ، (ط6) ، مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة : 2001 ، ص 563

[6]– محمد باي بلعالم: فتوى حول النكاح بدون و لي ما حكم هذا النكاح ، أولف في 26/ 10 /2004 ، خزانة الشيخ محمد باي بلعالم، ص 1 .

[7]– المصدر السابق، (ج2) ، ص ص (361 – 362) .

"عبد الرحمن بكلي" الذي أضاف بأنها إن تمردت، وزوجت نفسها أو أوكلت من يزوجها فانه لا يجوز لأنه يفتح باباً للفساد واسعاً[1] استناداً للحديث السابق الذكر.

وعليه بين الشيخ "محمد باي" في فتواه بأن الكتاب والسنة، وجميع كتب الفقه في المذاهب – غير الحنفية –كلهم على قول واحد، وكلهم متفقون على ما جاء في حديث (**لا نكاح إلا بولي وصداق**) أخرجه البخاري .

ثالثاً: ذات الطبيعة الاقتصادية .

من فتاوى الشيخ "محمد باي" ذات الطبيعة الاقتصادية فتواه "بجواز زكاة أوراق البنك" حيث يذكر بأنه وقع خلاف بين العلماء في زكاة العملات الورقية فمنهم من قال بوجوبها مثل: بعض علماء فاس كالشيخ "محمد الراضي" ومنهم من قال عكس ذلك، وفي سنة 1375هـ/1955م وقع صراع كبير بواسطة الجرائد في هذا الموضوع بين الفقيه "محمد الصالح القسنطيني" الذي كان يقول: (لازكاة في أوراق البنكنوت) وكان يستدل بوجوه من جهة، وبعض العلماء من مختلف أنحاء الوطن الذين يقولون بوجوبها من جهة أخرى؛ وقد شارك الشيخ "محمد باي" في هذا الصراع الفقهي آنذاك واقفاً إلى صف العلماء الذين يقولون بوجوب الزكاة في الأوراق المالية البنكية وكتب في ذلك جواباً رداً على ما أفتى به "محمد الصالح القسنطيني" اقر فيه بوجوب الزكاة في الأوراق البنكية مستشهداً بأقوال مجموعة من العلماء، وكان نص رده طويلاً مما جاء فيه: « ... أن أوراق البنكنوت التي لم يكن بها الاستعمال زمن استقرار الشريعة، وآل الحال إلى أن صار التعامل بها في الأثمان والقيم، فلا بد من إدخالها تحت ما يتناول شريعتنا لكل ما يحتاج إليه إلى انقراض الدنيا بإدخال ما ليس منطوقا به فيها تحت ما تتناوله من قواعد المنطوق، وعليه فما لا ينبغي الخلاف فيه وجوب الزكاة في أوراق البنكنوت،كما أفتى به علماء توات مثل العالمين الجليلين: الشيخ محمد بن عبد الحق قاضي توات سابقاً، والسيد عبد الكريم بن محمد التيماوي، والعلامة الشيخ محمد بن الكبير ولا ينبغي لأحد أن يفتي بسقوطها لما في ذلك من مخالفة الشريعة ...»[2]، وغيرهم من العلماء الذين أجمعوا على وجوبها، والذين ذكرهم في رده واستشهد بأقوالهم خاصة وان الرواج في وقتنا الحاضر أصبح منوطا بالتعامل بأوراق البنك .

فقد أفتى الفقيه "محمد بن أبي القاسم الغماري"[3] "بوجوب الزكاة في الأوراق البنكية بنصوص أهل المذاهب لكونها معدة للنماء وانه يدخلها الربا*"، عندما سئل عن الأوراق المالية هل يدخلها الربا في المعاملة ؟ وهل تجب فيها الزكاة أم لا ؟

---

[1]– محمد باي بلعالم: فتوى حول النكاح بدون ولي ، المصدر السابق ، ص 4

[2]– محمد باي بلعالم: إقامة الحجة بالدليل شرح على نظم ابن بادي لمختصر خليل ، (ج2) ، المصدر السابق ، ص ص(61 – 62 ، 64) .

[3]– (مذاكرة فقهية) ، مجلة الشهاب ، (مج2) ، (ع 55) ، دار الغرب الإسلامي، بيروت : 2001 ، ص ص (330 – 331) .

*– **الربا: لغة** :الزيادة و اصطلاحا: الزيادة التي يحصل عليها المقرض من المقترض في مقابل اجل القرض وينقسم الربا إلي نوعين : 1– الربا الجلي الواضح (ربا النسيئة) وهو الزيادة في مقابل الأجل على القرض أو بين نوعين مختلفين من المال كالذهب و الفضة مثلا وهذا النوع حرام باتفاق الفقهاء 2– الربا الخفي (الفضل) وهو الزيادة في القيمة في مقابل الأجل بين متماثلين كالذهب بالذهب و الفضة بالفضة و هو حرام بشبه اتفاق فقد أجازه البعض للضرورة كالإمام ابن القيم ، ينظر، احمد أبو المجد : الاجتهاد الديني المعاصر قضايا وآفاق ، (ط1) ، دار البعث، قسنطينة : 1985 ، ص 15.

ومن علماء توات الذين أفتوا بجواز الزكاة في الأوراق المالية الشيخ "محمد عبد الكريم" (ولد 1288هـ/1868م) إذ أفتى فيها نظماً فقال:

أقول في الكوارط الزكاة لأنها كـالعين جاريات[1]

ولقد أقر المجمع الفقهي الإسلامي حديثاً في زكاة الأوراق النقدية، لأنها تحل محل الذهب، والفضة وقال: انهُ تجب فيها الزكاة وتجري فيها الربا[2].

ومن خلال هذا الرد يتضح لنا بان الشيخ "محمد باي" لم يكن منعزلاً عما كان يجري داخل الجزائر، فقد سجل رده كغيره من علماء الوطن الذين ردوا على فتوى "محمد الصالح القسنطيني"، حيث أفتى بجواز الزكـاة في الأوراق المالية، لأنها حلت محل الذهب والفضة اللذان كانا يتم التعامل بهما سابقاً،كما انه في ردهِ هذا سجل لنا موقف مشايخ توات من هذه الفتوى أمثال: الشيخ "بن الكبير"، والشيخ "محمد بن عبد الحق" قاضي توات سابقاً والشيخ "عبد الكريم بن محمد التيماوي" الذين كانوا مؤيدين لغيرهم من العلماء الذين أفتوا بجـواز الزكـاة في الأوراق المالية البنكية .

ومن أجوبته أيضا في الجانب الاقتصادي **جوابه على من أفتى بجواز أخذ فوائد البنوك:** أي أخذ الزيـادة على الودائع أو القروض وهو ما أفتى به "مولاي الحاج" صاحب "مدرسة تسفاوت" بدائرة فنوغيل حيث أكد هذا الأخير في فتواه بأن الأئمة الأربعة أخرجوا الفلوس والأوراق البنكية من الربا، وقالوا: لا ربا فيها وانهُ لا أحد من أئمة المذاهب الأربعة قال بالمعاملة البنكية فكيف يصح أن نقول عنها ربا حتى شاع ذلـك في ولايـة ادرار وفي الجزائر[3] .

فلما بلغت فتوى صاحب المحاضرة للعلامة "محمد باي"، وبعد أن وردت عليه عدة أسئلة واستفسـارات من بعض المواطنين هاتفياً وشفهيا عن القضية انبرى للرد عليه فألف في ذلك كتاباً اسماه (السيف القاطع والـرد الرادع لمن أجاز في القروض المنافع) عالج فيه القضية بما رأى أن تعالج به، وفند ما ذهب إليه صاحب الفتوى، مبيناً بأن القروض البنكية مع اخذ فائدة لا يجوز وهو عين الربا واستدل على ذلك بآيات قرآنية، وأحاديـث نبويـة وأقوال لعلماء قدامى ومعاصرين من الذين أفتوا بربوية الفوائد التي يأخذها المودع، أو المقرض من البنك .

فمعلوم أن الربا هي كبيرة من الكبائر التي حرمها المولى عز وجل في كتابه فقال: ﴿**الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس**﴾[4]،كما أن المولى عز وجل زجر المـرابين، بـل وجعلـهم خارجين عليه محاربين له ولرسوله فقال: ﴿**يا أيها الذين ءامنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله وإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون**﴾[5] .

---

[1] - محمد عبد العزيز سيد عمر: المصدر السابق ، ص 34 .

[2] - محمد الدباغ: المقابلة السابقة .

[3] - عبد الله الطاهري: المرجع السابق ، ص ص (53 ، 56 ، 59).

[4] - سورة البقرة: الآية 275 .

[5] - سورة البقرة: الآيات 278- 279 .

فالمولى عز وجل حرّم الربا على المسلمين، وغيرهم من الأمم الأخرى لما فيه من إرهاق المضطرين، والقضاء على عوامل الرفق، والرحمة بالإنسان ونزع التعاون، والتناصر في هذه الحياة،كما أن الرسول صلى الله عليه وسلم نهى عن أكل الربا فعن انس قال: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر الربا وعظم شانه فقال: « **الدرهم الذي يصيبه الرجل من الربا أشد من ست وثلاثين زنية في الإسلام** »رواه احمد، ومن العلماء المعاصرين الذين أفتوا في هذا الموضوع الشيخ "يوسف القرضاوي" حيث يقول: « أن الفوائد التي يأخذها المودع في البنك هي ربا محرم... » والإمام "الشعراوي"[1] الذي سئل عن فوائد البنوك هل هي حرام ؟، أم حلال ؟ وهل يمكن الحج منها ؟ فأجاب السائل قائلاً: « أمّا ما تدخرهُ في البنوك بفوائد فمن الأفضل أن ينقل السائل مالهُ إلى بنك إسلامي ليخرج من حيرة الارتياب...وأما الحج من هذا المال فهو حرام، ولابد أن يكون مال الحج حلالاً خالصاً لا شبهة فيه أبداً....».

كما أفتى الشيخ "عبد العزيز بن عبد الله بن باز" بتحريم المعاملات الربوية بما فيها ربا القرض، لما دّل عليه الكتاب والسنة، وإجماع علماء الأمة وكذا الشيخ "سعيد رمضان البوطي"، والشيخ "إبراهيم بيوض" الذي سئل عن القسط الفائض الزائد على رأس المال المودع في مصرف مالي (بنك) بطريقة ما هل يجوز أخذه علماً بأن قدرهُ غالباً من أربعة إلى ثمانية في المائة ؟ فأجاب قائلاً[2]: « ...بأنه الربا الصريح الصارخ، وصاحبه مرتكب لكبيرة الربا المنصوص عليها بصراحة لا تقبل التأويل...»،كما أفتى الشيخ "أحمد حماني" بأن الفائدة على القرض ربا فمن أقرض غيره وقبض فائدة فهو آكل للربا، ومن اقترض من غيره ودفع له فائدة فهو موكل للربا، وكلاهما ملعون من الله ورسوله صلى الله عليه وسلم[3].

ومن علماء الوطن المعاصرين الذين أجمعوا على حرمة السلف الذي يجر منفعة، وأنه ربا والتعامل به يحارب الله. إلى جانب الشيخ "بيوض"والشيخ "احمد حماني": الشيخين "عبد الرحمن الجيلالي" و"عبد الرحمن شيبان" رحمهما الله والعلامة "الطاهر آيت علجت" والشيخ "الأخضر الدهمة المتليلي"، وكلهم أيدوا العلامة "محمد باي" في رده هذا، وغيرهم ممن كان لهم موقف صريح وصارم من الربا طبقا لما جاء في الكتاب والسنة .

كما أن المؤتمرات الفقهية والاقتصادية الإسلامية والمجامع الفقهية المنعقدة في سنوات 1965- 1976- 1983-1985- 1986م والتي حضرها علماء وخبراء في الاقتصاد، جميعها أقرت بأن الفوائد الربوية محرمة شرعاً وأكدت جميعها على حرمة فوائد البنوك، ذلك لأن البحوث الاقتصادية الحديثة أثبتت أن الربا خطر على اقتصاد العالم وسياسته وأخلاقياته وسلامته، وانه وراء الكثير من الأزمات التي يعانيها العالم، ولا نجاة من ذلك إلا باستئصال الربا من جسم العالم[4].

---

[1]- المصدر السابق، ص 395 .

[2]- المصدر السابق، (ج2) ، ص ص (465- 466) .

[3]- محمد باي بلعالم: السيف القاطع والرد الرادع ، المصدر السابق ، ص 123 .

[4]- المصدر نفسه، ص 154 .

ولقد أكد العلامة "محمد باي" في رده هذا أن علماء وفقهاء وأساتذة توات عن بكرة أبيهم يتبرؤون من تلك المقالة الشنيعة المنسوبة إليهم، ومن تلك الفتوى وأنهم كلهم مجمعون على تحريم ما حرمته الشريعة من المعاملات الربوية طبقاً للكتاب، والسنة كالشيخ "محمد بن الكبير" وتلميذه الشيخ الحاج "سالم بن إبراهيم" عضو المجلس الإسلامي الأعلى والشيخ "بكراوي عبد القادر" شيخ مدرسة نومناس سابقا، والشيخ "عبد الله الطاهري"* والشيخ "الحسن الانزجميري" والحاج "عبد الرحمن بكراوي" مدير الشؤون الدينية والأوقاف بولاية أدرار، والشيخ "محمد عابد" مفتي الإذاعة، والشيخ "عبد الرحمن حفصي"، والشيخ الأستاذ "عبد الكريم الدباغي" وكلهم أيدوه في تحريم الربا وبعثوا له بموافقة على جوابه[1].

وللإشارة فان العلامة "محمد باي" في رده على صاحب الفتوى كان يذكره بين الحين والآخر بالتوبة إلى الله والعدول عما ذهب إليه من جواز المعاملات مع البنوك الربوية، لأن التكلم في الحلال والحرام لا يجوز لأحد إلا أهل العلم العالمين بالكتاب والسنة،كما حذره من غلبة الهوى. فالإفتاء بغير شرع حرام مذكراً إياه بشروط الاجتهاد**،كما بيّن له بطلان القواعد التي بنى عليها فتواه في أبيات شعرية من أربعة وعشرين بيتاً ليظهر الحق للخاص، والعام جاء في مطلعها :

يا مفت القروض تب لله واحذر من الفتاوى والملاهي
تعامل البنك خطير إذا يحسبه الجاهل سهلاً جدا
وهي أنواع كثيرة العدد وليس تحصر بعد أو أمد
وليس للعادة حكم قد أتى يعارض القرآن قطعاً يا فتى[2]

ومن خلال هذا الرد يتضح لنا بان العلامة "محمد باي" قد تصدى لإحدى المحاولات التي كانت تسعى إلى هدم الإسلام من الداخل، مستعينة بذريعة فتح باب الاجتهاد على مصراعيه دون شروط وضوابط، فضرب بهذا مثلاً في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والجمع بين صفات التمكن في العلم والعمل به والدعوة إليه والصدع بالحق كما ثبت أمام آيات الله التي تحرم الربا ثبوت الجبال الراسية، وتفكير العقول السليمة الراسخة فلم يتحول و لم يتزحزح عن موقفه هذا قيد شبر، ولا أنملة كما قال عنه الشيخ "عبد الرحمن الجيلالي"[3]، خاصة وأن هذه المسألة قد تم الفصل فيها وفي حكم تحريمها كتاباً وسنةً وإجماعاً وقياساً فأزال بهذا الشبه التي اعتمدها أولئك

*- ألف **الشيخ عبد الله الطاهري** في هذه القضية كتاب رد فيه على صاحب فتوى إباحة اخذ الفوائد من القروض البنكية سماه (تفنيد المفتريات و الافك الواردة في محاضرة إزاحة الكذب و الشك عن جواز معاملة البنك) عالج فيه القضية من وجهة نظر شرعية أثراه بمجموعة من الأدلة الشرعية وأقوال الأئمة والعلماء.

[1]- عبد الرحمن حفصي: المقابلة السابقة.

- **الاجتهاد : لغة :مشتق من الجهد و هو المشقة و الطاقة ، اصطلاحا : عرفه الشيرازي بقوله : الاجتهاد في عرف الفقهاء استفراغ الوسع و بذل المجهود في طلب الحكم الشرعي ومن شروط المجتهد أن يكون عارفا بالكتاب و السنة لاستنباط الأحكام منهما ، ينظر ، مبروك المصري : تأملات في الاجتهاد والتقليد ، المرجع السابق ، ص ص (13 ، 15 ، 29) .

[2]- محمد باي بلعالم: السيف القاطع والرد الرادع ، المصدر السابق ، ص 183 .

[3]- المصدر نفسه ، ص 6ي.

الأغرار معتمداً على نصوص صريحة، ونقول سليمة وأدلة نقلية وعقلية على أن تلك المنافع عن القروض البنكية محرمة سالكاً في ذلك منحى اجتناب الإفراط والتفريط متخلقاً بخلق الاعتدال والوسطية كما قال عنه الشيخ "الطاهر آيت علجت"[1].

وللشيخ "محمد باي" إلى جانب هذه الفتاوى اجتهادات في مسائل الحج للتيسير على الحجاج – بحكم خبرته الطويلة ومداومته على زيارة البقاع المقدسة –كقضية الإحرام من جدة، وجواز التوكيل في الرمي للنساء مطلقاً من غير لزوم الهدي قياساً على العجزة حفظاً لأرواحهم وصوناً لكرامتهم حيث يقول في ذلك: « وينبغي للنساء مطلقا الاستنابة نظراً لما طرا من التغيرات عند الرمي لان الكثير يخرجون من محل الرمي مغمى عليهم من الازدحام وتقع الموت في تلك الزحمة وخصوصا عند جمرة العقبة ودين الله يسر »[2]، وغيرها من الفتاوى التي خلفها .

ومن خلال عرضنا لنماذج من فتاوى وأجوبة العلامة "محمد باي بلعالم" والتي جاءت مختلفة المواضيع، يتضح لنا بان العلامة "محمد باي" لم يكن منعزلاً عما كان يجري داخل مجتمعه، أو خارجه إذ اثبت وعبر من خلالها عن حضوره العلمي المميز ومواقفه الصارمة الصريحة ضد كل من يمس بثوابت الدين وأحكامه، وشرائعه يحركه في ذلك الشعور بالغيرة الدينية والانتماء لهذا الدين قبل كل شيء .

[1] – محمد باي بلعالم: السيف القاطع والرد الرادع ، المصدر السابق ، ص ص (و– ز) .

[2] – محمد باي بلعالم: زاد السالك شرح أسهل المسالك ، (ج1) ، المصدر السابق ، ص 287

المبحث الثالث: نشاط العلامة محمد باي بلعالم الإصلاحي:

تميزت الحياة الاجتماعية في العالم الإسلامي بصفة عامة، والجزائر بصفة خاصة خلال الفترة موضع الدراسة بانتشار الآفات الاجتماعية كالجمود الفكري، والتعصب، والجهل، والتناحر الديني والسياسي، يضاف إليه الاستعمار وما ساهم فيه من تخلف فكري وأخلاقي وديني مما أدى إلى ابتعاد المسلم عن أصول الشريعة الاسلامية حتى أصبحت القلوب، والأهواء حسب تعبير الأستاذ "بكير سعيد غوشت"[1]: "تتقبل وتحتضن كل ما هو بعيد عن عقيدة التوحيد كالخرافات الزائفة والبدع الضارة والاعتقاد بأهل القبور بأنهم ينفعون ويضرون وتمسك عامة المسلمين بالحديث الموضوع الكاذب القائل :(إذا أعيتكم الأمور فعليكم بأصحاب القبور) .

ولم يكن إقليم توات باعتباره جزءا لا يتجزأ من الوطن الجزائري بمنأى، ومعزل عن هذا الداء العضال الذي كاد أن ينخر في جسم الأمة الجزائرية لولا بروز الدعوة الإصلاحية التي تزعمها الإمام "عبد الحميد بن باديس" في ثلاثينيات القرن الماضي .

ولاشك أن هذه الوضعية الاجتماعية في الجزائر عامة، وفي توات خاصة قد أثرت بعمق على شخصية مترجمنا وعلى جهاده واجتهاده في القضايا الدينية والاجتماعية، ورؤيته الإصلاحية العامة في توات- التي لم تكن مخالفة في أسسها ومبادئها وأهدافها عن أسس ومبادئ وأهداف الحركة الباديسية – وان لم ينضم إلى "جمعية العلماء المسلمين الجزائريين" – لذا ركز في دعوته الإصلاحية على تصحيح العقيدة، ومحاربة الآفات الاجتماعية كالخمر والدخان والمخدرات، والعادات السيئة التي لا تمت للدين بصلة، وسنتطرق في هذا المبحث إلى نشاطه الإصلاحي الديني والاجتماعي الذي ترجمه في مواقفه الدعوية والاجتماعية التي كان لها تأثير كبير في نفوس أتباعه ومن أخذوا بها والتي كان يطمح من خلالها إلى إصلاح مجتمعه وجعله مجتمعاً إسلامياً قرآنياً راقياً تملؤه العقيدة الصحيحة .

أولاً : الإصلاح الديني عند العلامة محمد باي بلعالم:

أولى العلامة "محمد باي" عناية خاصة بالإصلاح الديني لكونه يعد الأساس الذي تنبني عليه صلة العبد بربه لذا عمل على إصلاح العقيدة وتنقيتها من مختلف الشوائب التي علقت بها في مجتمعه الادراري بمحاربة البدعة وإحياء السنة.

ا- إصلاح العقيدة والعبادات :

ركز العلامة "محمد باي" في دعوته الإصلاحية على إصلاح العقيدة أولاً، لأنهُ تبين له بعد عودته من المدرسة الطاهرية أن آفة المسلمين انذاك – وإلى يومنا هذا – تعود إلى فساد عقيدتهم التي لم تتحرر من بنن براثن الجاهلية القديمة والحديثة، كعادة تقديس القبور والتبرك بالأولياء والأصفياء*، وهو ما يتناقض مع عقيدة التوحيد

---

1 – بكير سعيد غوشت : المرجع السابق ، ص ص (26 – 27)

*– يعود تاريخ تقديس الأولياء في إفريقيا الشمالية إلى القرن 15م ثم بعد ذلك انتشرت انتشارا كبيرا كما تشهد بذلك الزيارات اليومية لقبور الصالحين و إقامة المواسم حيث يحتفل بذكرى وفاة الولي ، ينظر ، شارل أندري جوليان : تاريخ إفريقيا الشمالية، تعريب : محمد مزالي، البشير بن سلامة (ج2) (ط2) الدار التونسية للنشر، تونس : 1978م، (ج2) ، ص 390 .

الخالص، وهو نفسه ما دعا إليه علماء الإصلاح في الجزائر من أمثال: "ابن باديس" و"البشير الإبراهيمي" و"إبراهيم بيوض" ومن قبلهم الإمام "محمد بن يوسف اطفيش الميزابي" الذين تصدروا لتصحيح العقيدة الاسلامية ومحاربة الجهل والبدع والخرافات خلال الحقبة الاستعمارية، حيث وجد أن ظاهرة تقديس الأولياء قد انتشرت في المجتمع الادراري إلى حد أن بعض الجهال كانوا يعتقدون أن لهم تأثيراً في الكون وأنهم سبب النفع والضر للأحياء، بل ومنهم من يتوسل إليهم وبأعمالهم إلى المولى عز وجل ويجلبون أدلة تجيز ذلك كقولهم: (بأن كرامة الولي لا تنقطع بالموت، بل ربما زادت بعد موته، وأن التوسل بهم لقضاء الحاجة مجرب وصحيح) .

وهو أيضا ما لاحظه وعاينه والده "محمد عبد القادر"، وشيخه "مولاي أحمد الطاهري" من قبله في العديد من النواحي التواتية حيث يروي هذا الأخير عن أهل توات عندما حل بأرضها قائلا[1]: « ومن عادة أهل توات أنهم يُقيمون على أضرحة غالب الأولياء زيارات معلومة اليوم من كل سنة، بقصد إحياء ذكرياتهم ... يقصدها الزائرون من كل حدب وصوب، بقصد التبرك بذلك الولي كل حسب قصده ونيته...غير انهُ أحياناً يتبع ذلك بعض التصرفات، أو الأعمال الناشئة عن الجهل...»، بل وأنكرها حيث يذكر في كتابه (الدفاع وقطع النزاع): «أن المواسم التي تعمر عند أضرحة الصالحين بدعة، ولو كان الولي حياً لأنكر عليهم ذلك، مما اشتمل عليه الموسم من المحرمات التي لا يرضاها الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ولا الأولياء الصالحين من سفك دم، اختلاط، قبح الفعال، وسوء المقال...»[2]، وغيرها من أمور البدع التي تحدث خلال هذه المواسم، والتي أنكرها أيضا تلميذه الشيخ "محمد باي" أشد الإنكار حيث يقول في ذلك[3]: « محبة أهل الله عبادة، وزيارة أضرحتهم عبرة وإفادة، يستقطب منها التفكر والعظة في الآخرة،كما في حديث (**كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإنها تزهد في الدنيا وتذكر بالآخرة**) رواه ابن ماجه، إلا انهُ مع الأسف الشديد فان الكثير من العوام والبسطاء حولوا الهدف من زيارة الأولياء، والعلماء من التفكير في الآخرة وأعمالهم الصالحة إلى التقرب إليهم بما هو مخالف للكتاب، والسنة من الطبول والمزامير واجتماع النساء، والرجال يطئون على القبور حتى يقع الالتحام والزحام، والنساء معطرات مزينات ينظرن إلى الرجال وينظر الرجال لهن، والأولياء براء من هذه الفعالية التي لم يأمروا بها قطعاً ».

فمن خلال هذا يتبين لنا بان العلامة "محمد باي" لم يكن ينكر على زيارة القبور بعينها، لأنها مشروعة ووردت فيها عدة أحاديث منها قوله صلى الله عليه وسلم مروى عن أبي هريرة « **زوروا القبور فإنها تذكركم الآخرة** »[4] .

---

[1]- المصدر السابق ، ص 52 .

[2]- محمد باي بلعالم : الرحلة العلية ، (ج2) ، المصدر السابق ، ص 588.

[3]- المصدر نفسه ، ص ص (585 ، 587 – 588).

[4]- سنن ابن ماجه : تح و تع : محمد فؤاد عبد الباقي ، (د،ط) ، مطبعة دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة : د، ت ، ص 500.

كما أن العديد من فقهاء الأمة الاسلامية أفتوا بذلك فقد أورد الشيخ "محمد متولي الشعراوي"[1] في فتاويه عن زيارة القبور: «بان الدين الإسلامي أباح لنا زيارة القبور لقصد العظة والاعتبار... ففي الزيارة إحسان إلى نفس الزائر بتذكر الموت والآخرة وإحسان لأهل القبور بالسلام والدعاء لهم بالمغفرة والرحمة وسؤال العافية» .

وما يدل على عدم إنكاره لها، هو زيارته خلال رحلته إلى المغرب الأقصى في عام 1993م لعدة أضرحة مثل: ضريح "سيدي احمد بن موسى" بكرزاز، وضريح الوالي "محمد بن أبي زيان" وأولاده بالقنادسة ببشار، كما زار قبر شيخه "مولاي أحمد"، وضريح السيد "أحمد بن مبارك بن يحي الرسموكي" بمراكش، وضريح "الحسن الداخل" بالرصاني كما زار أضرحة الرجال السبعة*، وضريح الشيخ سيدي "أحمد التيجاني"، وضريح "إدريس الأصغر" بفاس، وضريح "أبي مدين" الغوث بتلمسان للترحم على أصحابها، ولتذكر الآخرة وذكر أعمالهم وعباداتهم وطاعتهم، لا الاعتقاد بنفعهم وضرهم كما يعتقد بعض البسطاء[2] .

وإنما ما كان ينكره الشيخ "محمد باي" في زيارة القبور والأضرحة هو ما استحدث عندها من بدع ومنكرات من اتخاذ القبور أعياداً وقد نهى الرسول صل الله عليه وسلم عن ذلك، حيث حذر أمته من أن يغلوا في شانه بعد وفاته فقال: « **لا تجعلوا قبري عيدا** » رواه أبو داوود[3] وورد في الموطأ عن مالك عن الزهري، عن "سعيد بن المسيب" عن "أبي هريرة" أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**قاتل الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجدا**»[4]، كما أنكر التبرك أو الطواف بها، والتمسح عليها والاعتقاد بنفع وضر صاحبها، والذبح لها وتجصيصها أو أخذ شيء من جيرها، لأنها أمور تدخل في حبال الشرك، فمن البدع تقديم العرائض والشكاوى للأولياء، والتوسل إليهم في قضاء الحاجات، والله يعلم أن من مات فهو في شغل شاغل بآخرته حيث قال تعالى: ﴿**إن تدعوهم لا يسمعوا دعائكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم**﴾[5] .

أما تجصيصها ورفعها أعلى من شبر، ووضع القباب عليها كل ذلك نهى عنه الرسول صلى الله عليه وسلم[6] فعن جابر قال: « **نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تجصيص القبور**»[7] .

أما الذبح للأولياء فهو عودة الوثنية في حُلة جديدة كما يرى، فقد أورد في ذلك نصاً مطولاً مقتبس من كتاب (الشموس الطوالع) للشيخ "محمد بن بادي الكنتي" أفتى فيه بان الذبح على قبور الأولياء تقرباً إليهم في

---

[1]- المصدر السابق ، 231.

*- **الرجال السبعة** هم: الشيخ أبو يعقوب بن يوسف بن علي الصنهاجي دفين الغار (ت 593ه)، أبو الفضل القاضي عياض (ت544هـ) ، القطب الشهير أبي العباس السبتي (ت 601هـ)، الشيخ محمد بن سليمان الجزولي صاحب دلائل الخيرات (ت870هـ) ، مولانا عبد العزيز التباع (ت914هـ) -تلميذه القطب مولانا عبد الله الغرواني ت935هـ-الإمام السهيلي ت533هـ، ينظر محمد باي بلعالم: الرحلة العلية، (ج2)، ص ص(257- 258).

[2]- محمد الحسان بلعالم : المقابلة السابقة.

[3]- محمد ناصر الدين الألباني : غاية المرام في تخرج أحاديث الحلال والحرام ، (د،ط) ، مكتبة النهضة الجزائرية ، الجزائر : د،ت ، ص98.

[4]- الموطأ ، المرجع السابق ، ص113.

[5]- سورة فاطر: الآية 14.

[6]- علي احمد عبد العال الطهطاوي: زيارة القبور والاستنجاد بالمقبور ، (ط1) ، دار الكتب العلمية ، بيروت : 2003 ، ص25.

[7]- سنن ابن ماجه : المرجع السابق ، ص498

قضاء الحوائج بمنـــزلة الذبح على الصنم تقرباً إليه، وعليه فلا فرق بين الاثنين عنده- ماداما متفقـــان علـــى أن الصنم، والولي واسطة بينه وبين الله تعالى، وما دام الاثنان لا ينفعان ولا يضران، ومادام الولي هو المقصود الأعظم في قضاء الحوائج لا المولى عز وجل[1].

والأدهى من ذلك عند الشيخ "محمد باي" ما يُسمع من أصوات الضجيج والأهازيج، وأنواع الطبول (من بارود وأنغام) مع اجتماع الرجال مع النساء، واصطياد أموال الناس بحجة كرامة الولي، وغيرها من المظاهر الـــتي تتعارض مع ما جاء به الشرع الحنيف والتي أنكرها أشد الإنكار، فقد أخبرنا زميله الشيخ "عبد الرحمن حفصي"[2] ومسانده في دعوته الإصلاحية: « بأنه كان ينكر زيارة الأضرحة للأسباب السابقة الذكر، وانه لم يكـــن يتـــردد عليها، وان ذهب إلى بعضها فلإلقاء الدرس فقط ثم يعود »؛ لأنهُ رأى بان ما يحدث عند تلك المواسم من طقوس وفعاليات، هي من براثين ومخلفات الجاهلية، عمل الاستعمار على تغذيتها من خلال بناء القباب الفارغة لنشـــر الجهل والضلال في أوساط الجزائريين، لذا اتخذ من هذه المواسم فرصة ثانية لوعظ العامة وإرشادها ودعوتها لإتباع ما جاء في القرآن والسنة وترك البدع، حيث دعا من خلال دروسه التي كان يلقيها فيها أو في المســـجد أو مـــن خلال تفسيره للقرءان الذي انشغل به، إلى إصلاح العقيدة وتطهير النفس من كل أنواع الشرك مؤكـــداً بـــان الأولياء لم يأمرونا بإقامة هذه الزيارات، ولا الاختلاط وأنهم لا ينفعون ولا يضرون، ولا يجـــب أن نأخـــذ مـــن قبورهم قطع جير ولا تراب تبركاً، وأن نزور قبورهم باحترام وآداب حسب ما نص عليـــه الشـــرع الحنيـــف[3] مستشهداً في ذلك كله بالأدلة القرآنية والأحاديث النبوية وأقوال الصحابة، بل وكان يرد بجرأة على من يقيمـــون الوعدات والزردات حول قباب الأولياء ويقيمون أمامهم فلكوريات بالطبل والرقص والبارود والمزامير والاختلاط التماساً للبركة لان هذا بعيداً عن آداب الزيارة الشرعية[4]، ومصادماً لقوله صلى الله عليه وسلم: «**كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإنها تذكركم بالآخرة** » رواه مسلم .

وإلى جانب اهتمامه بإصلاح العقيدة كان للعلامة "محمد باي" مواقف صارمة تجـــاه بعـــض المخالفـــات الشرعية المتعلقة بأمور العبادات كالتيمم* للصلاة، فقد رأى بأنهُ مما عمت به البلوى في البلاد الصـــحراوية فقـــد أصبح رخصة للقادر على استعمال الماء، وغير القادر إذ يذكر[5]: « بأن الأصحاء من عمال الفقاقير والفلاحـــين الذين يقضون نصف نهارهم في الماء صيفاً وشتاءاً وربيعاً يقتصرون على التيمم، بل ومنهم من لا يرفع الجنابة طوال حياته، وإن سألتهم عن سبب ذلك يقولون إنا وجدنا أشياخنا وآباءنا يتيممون فاقتدينا بهم »، وهو ما لاحظـــه

[1]- محمد باي بلعالم: مرجع الفروع إلى التأصيل ، (ج3) ، المصدر السابق ، ص ص (391- 392) .

[2]- المقابلة السابقة.

[3]- محمد الدباغ: المقابلة السابقة .

[4]- احمد بن مالك: المقابلة السابقة.

*- **التيمم**: لغة مطلق القصد وفي الشرع : قصد الصعيد الطاهر واستعماله بصفة مخصوصة لإزالة الحدث ، وعند المالكية : طهارة ترابية تشتمل على مسح الوجه والدين بنية ينظر: أحمد عزو عناية : الرخص الفقهية في ضوء الكتاب والسنة ، (ط1) ، دار الكتب العلمية ، بيروت : 2003 ، ص 94.

[5]- محمد باي بلعالم: المباحث الفكرية شرح على الأرجوزة البكرية ، (د،ط) ، مطابع عمار قرفي ، باتنة : د،ت ، ص 53.

أيضا شيخه "أحمد الطاهري" عندما حل بتوات في أربعينات القرن الماضي حيث يذكر عند وصفه لسكان توات في كتابه (نسيم النفحات) [1]: « بأنه يغلب عليهم التيمم للصلاة في بعض الجهات .....» .

فمعلوم شرعاً أن التيمم هو أحد الرخص الشرعية لعادم الماء، ودليل مشروعية من الكتاب قوله تعالى: ﴿**وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستهم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيداً طيبا فامسحوا بوجوهكم وأيديكم إن الله كان عفواً غفوراً**﴾[2]، ومن السنة أن أبا هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**الصعيد وضوء المسلم وإن لم يجد الماء عشر سنين فإذا وجد الماء فليتق الله وليمسه بشرته**»رواه البزار[3] ،كما أنه يُشرع على من وجد الماء، و لم يقدر استعماله لمرض أو كان يخشى باستعماله زيادة المرض أو تأخير البرء، أو كان لا يقدر على الحركة و لم يجد من يناوله إياه[4]، إلا أن ما كان ينكره العلامة "محمد باي" ولا يهادنه لمخالفته للصواب، بل وشدد عليه هو التيمم للصلاة بدون عذر خاصة بالنسبة لأولئك الذين يقضون جل نهارهم في الماء من عمال الفقاقير، وهو مخالف لما جاء به الشرع الحنيف وما أفتى به علماء الأمة فقد أفتى "الشيخ بيوض" ببطلان صلاة المتيمم للصلاة مع قدرته على استعمال الماء[5].

ولقد ظل العلامة "محمد باي" يحارب هذه البدع، والمخالفات الشرعية، ناقداً إياها في مدرسته وفي دروس وعظه وفي المساجد وفي خطبه، وأثناء تفسيره للقرآن وفي المحافل المختلفة إذ كان يغتنم المواسم الاسلامية كالعيدين، وشهر المولد النبوي الشريف، وليالي رمضان لإلقاء دروساً في الوعظ والإرشاد خاصة المتعلقة بالعقيدة (التوحيد)، والإيمان، لكونها يمتلئ فيها المسجد أكثر حيث يحضرها الناس ومن مختلف الفئات والأعمار، ولإن شعور السامعين فيها يكون أقوى، وهو ما كان يفعله دعاة الإصلاح في الجزائر، أمثال الإمام "إبراهيم بيوض" الذي كان يغتنم هذه المواسم لإلقاء دروس الوعظ والإرشاد أو معالجة مشكل من مشاكل المجتمع الميزابي[6] وهي أيضا عادة العلماء والدعاة من قبل فكان بهذا داعية تربية دينية وتعليم ديني .

وإذا كان علماء المنطقة التواتية من الذين سبقوه أو عاصروه،كانوا يكتفون بالنصح والإرشاد على مستوى المدارس والمساجد والمناسبات الاسلامية، فان مترجمنا لم يتوقف عند هذا الحدّ، بل كان يشد الرحال من أجل تعليم الناس أمور دينهم وتصحيح عقيدتهم، ولعل دروسه التي كان يلقيها في ورقلة، وتمنراست، ووهران، وغيرها من ولايات الوطن التي كان كثير التردد عليها، وفي البقاع المقدسة وكتاباته التي تتمحور في جلها حول الإصلاح الديني والأخلاقي والتربوي والاجتماعي لأكبر شاهد على ذلك إذ كانت ثورة على البدع والمفاسد والمخالفات الشرعية .

---

[1]- المصدر السابق، ص 60.

[2]- سورة النساء، الآية 43

[3]- أحمد بن حجر العسقلاني: بلوغ المرام من أدلة الأحكام ، تح وتع : رضوان محمد رضوان، (د،ط)، دار الكتاب العربي، بيروت : 1983 ص 29.

[4] - أبو بكر جابر الجزائري: المرجع السابق ، ص ص (280 – 281).

[5]- المصدر السابق، (ج2) ، ص 674.

[6]- محمد علي دبوز: أعلام الإصلاح في الجزائر ، (ج3) ، (ط1) ، دار البعث ، قسنطينة : 1978، ص120.

وبفضل توجيهاته وإرشاداته، ووقوف بعض المصلحين إلى جانبه أمثال: الشيخ "عبد الرحمن حفصي" قضي على الكثير من الأمور الفاسدة، والبدع التي كانت تحدث عند زيارة القبور (من رقص وبارود وتبرك) في العديد من قصور دائرة أولف، وبفضل جهوده أيضا لم يبق في المساجد من يتيمم إلا القليل من أهل العذر الشرعي بعد أن كان لا يتوضأ بها حتى عشر المصلين[1]، فكان لجهوده الإصلاحية فعلها وكان لها نتيجة في الواقع الملموس على حدّ تعبير الأستاذ "مبروك المصري"[2].

ب– إحياء السنة ومحاربة البدعة :

عرف المجتمع الادراري جملة من العوائد السلبية* سواء في الأعراس، أو في الولادة، أو العقيقة أو في الجنائز كما عرف جملة من الظواهر الاجتماعية السلبية مثل: الاختلاط والخرافات كالتطير، والتكهن، وغيرها من الظواهر والعوائد التي جلها له مساس بالعقيدة، والتي ما يزال بعضها باقياً إلى حدّ الآن .

ومن العوائد السلبية التي حاربها العلامة "محمد باي"بلسانه وقلمه ما يحدث في الأعراس من منكرات كاستعمال مكبرات الأصوات وتعالي زغاريد النساء والإسراف، والتبذير في الولائم الذي يؤدي إلى أزمات اقتصادية حيث يقول في هذا الشأن [3]: «...ومن المنكر الذي تجب إزالته ما يفعل في هذا الزمن في الأعراس من المفاسد مثل: النداء في البوق بمكبر الصوت بالفخر والرياء ينادي فلاناً دفع كذا، وتطلق زغاريد النساء، ويتحرك شعور الفسقة والأنذال والأرذال، والمتشبهون بالنساء هم الحاملون لراية ذلك المحفل الفظيع، الذي تكاد أن تنخر منه الجبال هدا، فيجتمع الكثير من الأموال المكتسبة من الحرام في الحرام؛ ومن المناكر أيضا ما يقع من التبذير في الوليمة ولو كان العريس فقيراً فإنه يتداين من أجلها، لأجل الرياء والفخر، وتبقى تلك الديون في ذمته سنين زيادة على غلاء المهور في هذا الزمن فقد بلغ السيل الزبى، وهذه الأمور تسبب في الأزمات الاقتصادية، وفي التبذير الذي نهي عنه الله وندد بالمبذرين فقال: ﴿**إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين**﴾[4]... ».

لذا رأى ضرورة محاربة هذه المنكرات التي توقع في الحرام وفي الأزمات الاقتصادية والمنافية لما جاء به ديننا الحنيف، فقد أفتى الشيخ "إبراهيم بيوض"[5] في المغالاة في المهور قائلا: « بأنها ليست من شأن المسلمين الصادقين الصالحين»؛ ومن العوائد السلبية التي تحدث في الأعراس وجهر بمحاربتها أيضا ما كان يحدث في عشية البناء حيث كان العريس لا يباح له الكلام في هذه العشية من العصر إلى بعد الغروب حتى يرى النجوم في السماء

---

[1]– محمد بن مالك: (كلمة تأبينية في فقيد الإسلام والمسلمين الشيخ محمد باي بلعالم) ، فعاليات الأمسية ، المرجع السابق ، ص .03

[2]– المقابلة السابقة .

*– هذه العوائد السلبية التي نتحدث عنها يعتقد محمد باي بأنها من وضع اليهود الذين كانوا في المنطقة ، أو من سكانها الأوائل لأن غالب أسماء العوائد السلبية غير عربية ، ينظر ، محمد باي بلعالم: الرحلة العلية ، (ج2) ، المصدر السابق، ص 285 ، إلا أننا لا نستبعد أيضا أن تكون هذه العوائد نتيجةً للتلاقح الاجتماعي الذي عرفه المجتمع التواتي عبر مراحله التاريخية التي شهد فيها هجرات بشرية متعددة من المشرق و المغرب ومن الشمال والجنوب وجلها كان ذا طابع ديني خرافي لذا كان من الصعب عليه محاربتها بسهولة .

[3]– محمد باي بلعالم: زاد السالك شرح أسهل المسالك ، (ج2) ، المصدر السابق ، ص 77

[4]– سورة الإسراء: الآية 27

[5]– المصدر السابق، (ج2) ، ص 342.

ويزعمون أن هذه الفعلة تصونه من المكاره، وكذا إقامة السهرات الفلكلورية المختلطة بالرجال والنساء ليلة البناء ويوم البناء ورمي الدراهم على الراقصين، وما يوضع للعريس في يديه من الحناء، وفي عينيه من الكحل وتلبيسه ثيابه وتشييعه إلى بيته في حفل صاخب يصحبه رقص، وغناء وبارود وقراءة أمداح نبوية، وغير ذلك مما تأباه النفوس المؤمنة المستقيمة، وتشمئز منه القلوب السليمة[1] على حدّ تعبيره .

وفي المقابل لم يكن العلامة "محمد باي" ينكر ما يحدث في الأعراس من عادات لا تتعارض مع ما جاء به الشرع الحنيف، مثل ضرب الدّف لإشهار النكاح، شرط عدم الاختلاط، وأيضا الغناء في الأعراس دون مكبر صوت ولا رفع الأصوات لما فيه من اذاية الغير، وألا يكون فحش يحرك شعور الفسقة والأنذال، وما يدل على جواز مثل هذا الغناء في مناسبات الزواج ما روي أن "عائشة أم المؤمنين" رضي الله عنها عندما زفت "الفارعة بنت أسعد" إحدى بنات الصحابة إلى بيت زوجها قال النبي صلى الله عليه وسلم :«**يا عائشة ما كان معكم من لهو ؟ فإن الأنصار يعجبهم اللهو**»[2] رواه البخاري .

ومن العوائد السلبية التي حاربها وخصص لها دروساً في المساجد والمنابر، وفي مدرسته – التي كانت بمثابة القلعة التي تحصن من خلالها أبناء دائرة أولف وغيرها من مناطق الوطن لما لها من دور تعليمي، وتربوي في نفس الوقت – وخصص لها أيضاً زوايا في محاضراته التي كان يلقيها عبر ربوع الولاية، وخارجها ما يحدث في الولادة والعقيقة من بدع هي من عادة أهل الجاهلية ففي الولادة مثلاً كانوا إذا ولد لهم مولود يطلقون طلقة بارود تفاؤلاً بأن يكون شجاعاً، باسلاً يقتحم الحروب ولا يهاب المدافع، ولا يُغسلونه إلا بعد مضي سنة، ويبقونه في البيت هو وأمه طيلة أربعين يوماً، ويمنعوه من رؤية الناس معتقدين في ذلك أنه إذا خرج من البيت قبل الأربعين يوماً، أو رآه غير أهله يصاب بنكبة؛ وأما شعره فلا يحلق إلا بعد تمام أربعين يوماً من ولادته مع أن السنة حكمت بحلقه يوم سابعه[3]، فعن سمرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:« **كل غلام رهين بعقيقته تذبح عنه يوم سابعه ويسمى فيه ويحلق رأسه**»رواه ابن ماجه[4]، وغيرها من البدع التي كانت تحدث في العقيقة كتعليق لحمها في النخل ودفن بعضه في التراب، وطهي ربع العقيقة المقدم كاملاً بدون فصل العظم عن اللّحم وتقديمه للأبوين، وتعليق العظام في سقف البيت أو في نخلة كما كان يفعل البعض، وإعطاء الرأس والجلد للقابلة أجرة لها، وتعليق جلد العقيقة على حائط الدار فلا ينتفع بها كما كان يفعل البعض الآخر، ومنهم من يترك بعض الشعر في رؤوس أولادهم من المقدم ومن وسط الرأس ومؤخرته – في شكل دوائر أو أشرطة من الشعر – وقد نهى الرسول الكريم عن هذه الفعلة لما فيها من التشبه باليهود[5].

---

[1] – محمد باي بلعالم: (التعريف ببعض الجوانب من منطقة توات الجزائرية وحضارتها) ، المهرجان الثقافي الأول، المصدر السابق، ص.21

[2] – عامر سعيد الزيباري: أجوبة لأسئلة النساء في المذهب المالكي ، (ط2) ، دار ابن حزم ، بيروت : 2003 ، ص 110.

[3] – محمد باي بلعالم:(التعريف ببعض الجوانب من منطقة توات الجزائرية وحضارتها)، المهرجان الثقافي الأول، المصدر السابق، ص 21 .

[4] – محمود محمد حمودة، محمد مطلق عساف: المرجع السابق، ص 191 .

[5] – محمد باي بلعالم: (التعريف ببعض الجوانب من منطقة توات الجزائرية) ، المهرجان الثقافي الأول، المصدر السابق ، ص 22 .

فكل هذه البدع والمنكرات كانت محل نقد وإنكار العلامة "محمد باي"، وغيره من العلماء المعاصرين له في الولاية كالشيخ "بن الكبير"، والشيخ "سيد أعمر المهداوي"، والشيخ "حفصي عبد الرحمن" والشيخ "عبد الله الطاهري"، لأنها أمور مخالفة للشرع، أو من عمل أهل الجاهلية، لذا حاربها في دروس وعظه وفي محاضراته، مبيناً ما يُستحب فعله في العقيقة حسب ما جاء به الشرع الحنيف، وهو ذبحها ضحوة وعدم مس الصبي بشيء من دمها ويؤكل من لحمها ويتصدق وتكسر عظامها[1].

بالإضافة إلى عوائد أخرى تحدث في الولادة بيّن الشيخ "محمد باي" بطلانها، وفسادها ونبه عليها مثل ما يحدث عند مرض الولد فإنه يباع للعبيد الموجودين في البلد، بعد أن يؤدوا رقصات ويطوفون حولهُ وهم يرقصون ثم يطلقون عليه اسم من أسماءهم ويعاهدون أبويه على أن يمنعوهُ من نوع من أنواع الأطعمة المباحة مثل: الكتف أو الكبد أو الرأس، وهي فعله شنيعة نكراء يزعمون أنها تزيد في الأعمار وتشفي من الأسقام[2] .

ومن البدع التي ظهرت في إقليم توات وحاربها أيضا وأعلن ضدها حرب شعواء، الطقوس التي كانت تقام أثناء دخول شهر صفر(البيض بالمحلية)،حيث كان العوام يأتون بجريدة يسمونها (المرمر) ملفوفة بخيوط تأتي بها امرأتين كبيرتين في السن، ثم يمررنها على الديار وخلال ذلك يعطيهم أهل الديار التمر والزرع، فيأخذن الجريدة إلى مكان بعيد ويدفِنها اعتقاداً منهم أنها تبعد البلاء والبأس[3]،كما أنهم كانوا يتشاءمون من هذا الشهر فإذا استهل لا يحلقون شعراً ولا يختنون ولداً ولا يعقدون نكاحاً حتى ينقضي، كما أنكر على البعض ما يعلقونه على جدران المنازل وواجهاتها من عظام حيوان أو فكه أو عجلة أو أباريق في البساتين والتي يعتقدون أنها تدفع أعين الحساد .

ومن الأمور التي أنكرها وعمل على محاربتها لمخالفتها لتعاليم الدين الإسلامي تفشي ظاهرة الشعوذة والكهانة أو ما يسمى بحل الكتاب للمريض، فقد اعتبرها عملاً شيطانياً يباركه إبليس وأعوانه، وأن الأموال التي يأخذها أولئك الكهنة من أكل أموال الناس بالباطل[4]، والمولى عز وجل يقول: ﴿**ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل**﴾[5]، بالإضافة إلى ما يحدث عند خسوف القمر، وكسوف الشمس من الرقص والغناء واللهو وطلب الإفراج عن القمرين في حين أن السنة بينت الواجب نحو هذا الحادث العظيم، فعن "عائشة أم المؤمنين" رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « **إن الشمس والقمر هما آيتان من آيات الله لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته فإذا رأيتموهما فافزعوا إلى الصلاة** »[6] ؛ أو كالتي التي تقع عند انتهاء عدة المعتدة من وفاة زوجها من اجتماع النساء لذلك في بيتها، ثم الخروج رفقتها في ضجيج إلى مكان مُعين خارج البلد، أين تُلقي ثياب العدة وترتدي ثياب جديدة ثم تعود للبلد، بل ويزعمون أن من يراها من الرجال أثناء عودتها فإنهُ سيموت[7] ، فكان

---

[1]- عبد الله بن أبي زيد القيرواني : المصدر السابق ، ص 84 .

[2]- محمد باي بلعالم: (التعريف ببعض الجوانب من منطقة توات الجزائرية وحضارتها) ، المهرجان الثقافي الأول ، المصدر السابق ، ص 22 .

[3]- عبد الرحمن حفصي: المقابلة السابقة .

[4]- محمد باي بلعالم: زاد السالك شرح أسهل المسالك ، (ج2) ، المصدر السابق ، ص 266

[5]- سورة البقرة: الآية 188 .

[6]- محمد ناصر الدين الألباني: مختصر صحيح الإمام البخاري ، (ج1) ، (ط5) ، المكتب الإسلامي ، بيروت : 1986 ، ص ص (252- 253)

[7]- محمد باي بلعالم: (التعريف ببعض الجوانب من منطقة توات الجزائرية وحضارتها)، المهرجان الثقافي الأول، المصدر السابق، ص ص(22- 23).

العلامة "محمد باي" ينكر على هذه الأمور ويرد على القائمين بها عن طريق الإقناع والإرشاد، مثبتاً بطلانها بالحجة والدليل من القرءان والسنة النبوية .

ومن الظواهر التي تفشت في المجتمع الادراري بصفة خاصة، والمجتمع الجزائري بصفة عامة وحذر منها العلامة "محمد باي" وانتقدها في دروسه، وحلقاته المسجدية، وفي محاضرته، مصافحة الرجال للنساء الأجنبيات في الأعياد وغير الأعياد حيث يقول في ذلك[1]: «....ومن البدع المحرمة التي تقع في الأعياد هي مصافحة الرجال للنساء الأجنبيات وأخطر من ذلك وأشنع، وأقطع ما يقع من المعانقة، والتقبيل فهذا منكر يجب تغيره والتنديد به »،كما نهى عن تشبه النساء بالرجال، أو العكس وردّ على الذين أجازوا للمرأة المسلمة أن تصل شعرها بشعر غيرها إظهاراً للزينة لأن هذه الأفعال منهي عنها على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم فعن "أبي هريرة" رضي الله عنه أن الرسول الله صلى الله عليه وسلم: (**لعن المرأة تتشبه بالرجال والرجل يتشبه بالنساء**)، و عن ابن عمر، عن النبي صلى الله عليه وسلم : (**أنه لعن الواصلة والمستوصلة والواشمة والمستوشمة**)[2] .

والى جانب هذا كانت له مواقف صارمة تجاه ما كان يحدث في الجنائز من بدع كترك البعض للمعول بعد حفر القبر إلى أن يوضع فيه الميت لئلا تسكنه الجن حسب زعمهم[3]، وما كان يحدث عند موت الميت من اجتماع الناس حوله لحضور غسله، وهو مجرد الثياب اعتقاداً منهم أنهم ينالون بذلك الأجر، فبّين أنه من البدع المحرمة، إذ لا يجوز حضور غسله سوى الغاسل والمعين له، بل ومنهم من يقوم برش الماء الفاضل من غسل الميت على قبره زعماً أنهم يسقون الموتى وبعد دفنه يتجمهر حوله الطّلبة (معلمو القرآن) ليقرؤوا حولهُ، وهي فعلة مكروهة عند العلماء لأنها ليست من عمل السلف الصالح[4].

ومن بدع الجنائز التي نهى عنها أيضا ما يسمى "بعشاء القبر"، حيث يقول في ذلك: « بأن أكثر الناس يوصي به وهو بدعه مكروهه لاجتماع الناس عليه كتفريق الخبز ونحوه أمام النعش»[5] .

لأن من المستحب شرعاً إرسال الطعام لأهل الميت لقوله صلى الله عليه وسلم: « **اصنعوا لآل جعفر طعاماً فإنه قد أتاهم أمر يشغلهم** » رواه الترميذي ، أما أن يصنع أهل الميت أنفسهم الطعام لغيرهم فهو مكروه، لا ينبغي لما فيه مضاعفة المصيبة عليهم[6]، بالإضافة إلى أمور أخرى تحدث في الجنائز عاينها في بعض النواحي ولا أصل لها من السنة، كإضافة النعل في الكفن فيرى بأنه من البدع المحدثة[7]؛ فقد روي عن علي رضي الله عنه قال سمعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: « **لا تغالوا في الكفن فإنه يسلب سريعاً** » رواه أبو داود .

---

[1]- زاد السالك شرح أسهل المسالك ، (ج1) ، المصدر السابق، ص 177 .

[2]- سنن ابن ماجة: المرجع السابق ، ص ص (614 ، 639).

[3]- محمد باي بلعالم: (التعريف ببعض الجوانب من منطقة توات الجزائرية وحضارتها) ، المهرجان الثقافي الأول ، المصدر السابق، ص 23.

[4]- أحمد بن مالك : المقابلة السابقة .

[5]- محمد باي بلعالم: زاد السالك شرح أسهل المسالك ، (ج1) ، المصدر السابق، ص .219

[6]- أبو بكر جابر الجزائري: المرجع السابق ، ص ص (362 – 363).

[7]- محمد باي بلعالم: انقشاع الغمامة والإلباس عن حكم العمامة واللباس من خلال سؤال سعيد هرماس، مخطوط، بخزانة الشيخ محمد باي بلعالم بحي الركينة، بلدية اولف، ص 89 .

فلقد عمل الشيخ "محمد باي" جاهداً على محاربة هذه البدع، واقتلاع مظاهر الفساد التي عمت في العديد من قصور ولاية ادرار فحاربها في دروس وعظه وفي محاضراته وفي المساجد والندوات وفي تنقلاته، لم يثنه عن ذلك مخالفة المخالفين ولا معارضة المعارضين، و لم يخف في الله لومة لائم، راجياً في ذلك كلهُ إخلاص العمل لله وحده ونصرة دينه وتنقيته من الشوائب التي علقت به خلال القرون الأخيرة، وإصلاح مجتمعه من ما أصابه من فساد العقائد والأخلاق الذي ينجم عنه اعتقاد في الباطل وشك في الحق وانحطاط في الأخلاق والسلوك معتمداً في ذلك على منهج يقوم على التواضع والرفق بالناس والتسامح معهم والتفاؤل لهم والاعتماد على الخالق إذ كان أكثر دعاؤه: (**اللهم صحح عقيدتنا، وارزقنا الأمن والإيمان، وارزقنا الإخلاص في العمل**)[1] فتجده يستعمل في نصحه ودعوته الحكمة والذكاء، فكان لما يهاجم المرض الاجتماعي لا يتعرض لأصحابه المتصفين به كي لا ينفرهم عنه،كما كان ينزل إلى العامة إلى مستواهم فيحدثهم بما يفهمونه حتى يستحكم قلوبهم وعقولهم ويتمكن من معالجتها، مما جعل لعلمه خطا إصلاحياً مميزاً في منطقة توات.

هذا و لم يكتف العلامة "محمد باي" على محاربة تلك البدع، والمظاهر الفاسدة التي انتشرت في مجتمعه بالكلمة فحسب بل راح يحاربها بالقلم أيضا، حيث ألف في العقائد والفقه وفي المعاملات والعبادات وغيرها من العلوم الشرعية بما هو كفيل بصدع المخرفين والمضللين والمتطفلين على الفتوى، دحض بها حججهم وأقبرها مصرحاً بأن عملية الكفاح متواصلة[2]، فكان بهذا جريء يصدع بالحق لما صمت العديد من العلماء، حتى انك تجده ربما يهادن أحياناً في بعض القضايا المخالفة للصواب في نظره مرحلياً، لكنه كان لا يداهن أبداً كما قال عنه الشيخ "عبد الكريم الدباغي"[3] هدفه في ذلك أن يكون مجتمعه ومجتمع أمته مجتمعاً إسلامياً راقياً تملؤه العقيدة الطاهرة الصحيحة.

وبفضل توجيهاته وإرشاداته ووعظه والتوعية في المدارس والمساجد وفي الخطب والمناسبات، يضاف إليها جهود العلماء الذين كانوا واقفين معه أمثال: الشيخ "عبد الرحمن حفصي"، والشيخ "بن الكبير"، والشيخ "سيد أعمر المهداوي" قضي على جل تلك العوائد التي لا تتماشى مع ما جاء في الدين، بل واقتلع بعضها من جذوره فلم يبق له أثر كما في العقيقة، حيث بيّن الاقتصار على السنة، وبعض عوائد الأعراس السلبية، وما كان يحدث في دخول شهر صفر، وفي الجنائز إلا في بعض القرى المتعصبة على عادة الآباء والأجداد[4]،حيث لا يزالون متمسكين بها علماً بأن جلها له مساس بالعقيدة.

ولعل ما ساعد العلامة محمد باي بلعالم في استمالة سواد العامة، والخاصة لدعوته وإرشاداته الأسباب التالية:

---

[1] – محمد الحسان بلعالم: المقابلة السابقة.

[2] – محمد باي بلعالم: الرحلة العلية ، (ج2) ، المصدر السابق ، ص 285.

[3] – مراسلة شخصية بتاريخ 2 جوان 2011م و كان الرد في 17 أوت من نفس العام، ينظر الملحق رقم : 07 .

[4] – محمد باي بلعالم: انقشاع الغمامة والإلباس ، المصدر السابق ، ص 86.

1- احتكاكه بالشرائح الاجتماعية المختلفة (العالم والأمي، الفلاح والعامل، الصبي والكبير، الشباب والشيوخ ...) .

2- فصاحته في العربية، والدارجة.

3- استشهاده بالأدلة القرآنية، والأحاديث النبوية وأقوال الشعراء والحكماء التي كان يكثر منها في مجالسه ودروسه

4- إدراكه الثاقب للمشاكل الاجتماعية، لذا عمل على علاجها وبالطرق المناسبة والملائمة لكل مشكل.

5- الدفاع المستميت عن الإسلام، يحركه في ذلك انبعاث شخصي، وتأثر بمقولة الشيخ "عبد الحميد بن باديس": «إنني سأقضي حياتي على الإسلام، والقرآن ولغة الإسلام والقرآن وهذا عهدي لكم وأطلب منكم شيئاً واحداً وهو أن تموتوا على الإسلام والقرآن ولغة الإسلام والقرآن »[1]، التي رددها الشيخ "إبراهيم بيوض" على مسامع الحاضرين في الحفل الذي أقامه سنة 1980م بمناسبة ختمه لتفسير القرآن الكريم، وهي نفسها العوامل التي ساعدت غيره من العلماء والمصلحين في إصلاح مجتمعاتهم من أمثال: الشيخ "محمد عبده"، والعلامة "ابن باديس" والشيخ "إبراهيم بيوض" وغيرهم .

وفي المقابل كان العلامة "محمد باي" لا ينكر ولا يعيب على مجتمعه العوائد الإيجابية التي من شأنها أن توطد العلاقات الاجتماعية وتزرع روح الأخوة، والمحبة بين أفراده مثل: العوائد التي تقام في شهر رمضان من إقبال الناس على المساجد للعبادة والاستماع لدروس الوعظ، واجتماع النساء في البيوت لتأدية صلاة التراويح خلف محرم وتبادل الزيارات والهدايا في العيدين، وفي عاشوراء وإخراج الصدقة في عاشوراء، وإحياء ليلة المولد النبوي الشريف بتلاوة الأمداح النبوية وإلقاء الدروس المحمدية في المساجد، والضيافة التي تقدمها زوايا المنطقة للضيوف والزائرين، وقيامها بالصلح بين المتنازعين[2]، وكذا التجمعات في الزيارات للصلاة جماعة، والدعاء والذكر وإلقاء الدروس والمحاضرات التي استحدثت في هذه المواسم في الوقت الحالي، والتي نتج عنها فوائد وتعارف وأعمال البر والصدقة بل زكاها وشجع منها لأن الذكر والدروس والتعارف ليس من السنة السيئة، وان النجاة في الابتعاد عن التخرف والتطرف والتشديد والغلو كما يقول[3].

وباعتباره إماماً ورجل دين اهتم العلامة "محمد باي" إلى جانب تصحيح العقيدة، ومحاربة البدع والعوائد السلبية بقضايا وطنه الجزائر وبقضايا أمته الاسلامية فقد كان له موقف معارض من أحداث العشرية الحمراء في الجزائر من القرن الماضي شأنه في ذلك شأن أي مسلم ينبذ العنف واستباحة الدماء بغير الحق، والى جانب اهتمامه بقضايا وطنه الجزائر اهتم أيضا بقضايا الأمتين العربية والإسلامية خاصة القضية الفلسطينية، حيث كان يدعو الله لأهلها بالنصر، ولغيرهم من المظلومين في مختلف بقاع العالم الإسلامي، وفي مختلف المحافل (في خطبه ومجالسه وحلقاته، وفي خلواته) شانه في ذلك شان العلماء والدعاة .

---

[1]- محمد الصالح الصديق: المرجع السابق، ص .65

[2]- محمد باي بلعالم: (التعريف ببعض الجوانب من منطقة توات الجزائرية وحضارتها) ، المهرجان الثقافي الأول، المصدر السابق، ص ص(23، 26).

[3]- محمد باي بلعالم: الرحلة العلية ، (ج2) ، ص ص (594 - 595).

كما كان شديد الغيرة على دينه "الإسلام" إذ سجل موقفه ورده على الملحد "سلمان رشدي" الكاتب البريطاني الذي الحد في آيات الله وكفر بها وقال أنها آيات شيطانية وطعن في شخص الرسول الكريم عليه صلوات الله، فقال فيه ما يجب أن يقوله كل مسلم فهجاه بقصيدتين يقول في الأولى التي جاءت بعنوان: (**السنان في نحر رشدي سلمان**) .

سلمان مع قرينه الشيطان أعدى عدو لذوي الإيمان
فهو أبو جهل في هذا الوقت عليه جلباب الخنا و المقت
وهو جهول كافر وفاسق و ظالم وملحد منافق[1]

إلى آخر القصيدة وهي من تسعة وأربعين بيتاً دعا في أخرها جميع المسلمين أن يهبوا للرد على ما ألفه سلمان رشدي في حق القرءان ونبي الإسلام صلى الله عليه وسلم، وجاء في الثانية التي سماها بـ: (**القنابل في جنان رشدي سلمان**) والمتكونة من ثمانية وسبعين بيتاً :

وبعد فدجال في ذا العصر قد أتى يبث سموما ضد خير البرية
له قلم كل له الزور مرتع ويرتاع في جور و كذب و غيبة
توخى من الأسماء اسما تصامت آذان الورى عنه فسيم بنكرة
فسلمان رشدي سل منه رشاده وحل محل الرشد بغض النبوة[2]

كما كان له موقفاً صارماً من الذين أساءوا لشخص الرسول صلى الله عليه وسلم بوضعهم لرسومات كاريكاتورية له إذ ردّ عليهم رداً شديداً صارماً، فدعا لهم بالويل والثبور قائلاً: « بأن البحر لا تغيره نقطة، وان الجبل لا تزعزعه نفثة »، بل ووصف عملهم هذا بالإرهاب الأشر إذ لا يوجد إرهاب أشر في نظره من الطعن في الدين، والقرآن وشخص الرسول صلى الله عليه وسلم .

لذا دعا المسلمين في مشارق الأرض، ومغاربها وشمالها وجنوبها أن يقفوا وقفة واحدة في وجه هذا الإرهاب وأن يهتموا به أكثر مما يهتمون بالإرهاب البشري، وان يحاربوه بما يملكون من قوة وإيمان وجهد لأنه يحارب العقيدة والدين والقرآن والرسول صلى الله عليه وسلم محذرهم من عواقب السكوت عنه مذكرهم بمكانة الرسول صلى الله عليه وسلم وعلو أخلاقه، وعظمة علمه، وبالقرآن وآياته التي عجز عن الإتيان بمثلها الجن والإنس، وان المولى عز وجل قد برأ الرسول صلى الله عليه وسلم مما نسبه إليه أعداؤه، ورد عليهم بنفسه في غير ما آية مثل: قوله تعالى: ﴿**ما أنت بنعمة ربك بمجنون**﴾[3] وقال: ﴿**ما ضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى**﴾[4] وقال أيضا : ﴿**وما علمناه الشعر وما ينبغي له**﴾[5]، مصرحاً بان صفاته صلى الله عليه

[1] – محمد باي بلعالم: السنان في نحر سلمان ، ديوان شعر ، غير مطبوع، خزانة الشيخ محمد باي بلعالم ، بلدية أولف.
[2] – محمد باي بلعالم: القنابل في جنان رشدي سلمان ، المصدر السابق.
[3] – سورة القلم: 2.
[4] – سورة النجم: الآيات 2- 3- 4 .
[5] – سورة يس: الآية 69 .

وسلم لن تنال منها أي أيد أو أي منهج، أو أي حضارة، ودعا في آخر رده حماة الإسلام ورعاته وسلطاته وقضاته أن يضربوا على أيد أولئك المجرمين وان يعلقوا كل صحيفة أساءت للإسلام وان يحاكموا كل من يطعن في المقدسات الاسلامية،كما يحاكمون كل من طعن في حاكم أو مسؤول، وان ينزلوا به اشد العقاب مذكرهم في ذلك كله بأنهم رعاة مسؤولون[1].

ثانياً : الإصلاح الاجتماعي عند العلامة محمد باي بلعالم :

إلى جانب الإصلاح الديني أولى العلامة "محمد باي بلعالم" اهتماماً بالغاً بإصلاح أحوال مجتمعه أخلاقياً وسلوكياً وتعليماً ويظهر هذا من خلال اهتمامه بكل الشرائح الاجتماعية على مختلف أعمارها ومستوياتها وفئاتها خاصة المرأة والشباب، كما تتضح الرؤية الإصلاحية عنده أيضا من خلال اهتمامه بإصلاح ذات البين لغرس الوئام والمحبة بين الناس .

1- اهتمامات العلامة محمد باي بالمرأة والشباب:

أولى العلامة "محمد باي" اهتماماً خاصا بالمرأة، وتعليمها حيث كان يدعو إلى تعليمها ويحث على ذلك خاصة علوم الدين[2]، ولا أدل على اهتمامه بتربية وتعليم المرأة من إنشائه لفرع لتعليم البنات هو مُلحق بالمدرسة الأم (مصعب بن عمير) يتعلم فيه البنات القرءان، وأمور دينهن من فقه العبادات، والمعاملات تحت إشراف الأستاذ "لعروسي عبد القادر"، بمساعدة معلمات بعد أن كن محرومات من الالتحاق بالمدارس الدينية خلال الفترة الاستعمارية وما سبقها، والنتيجة في هذا الفرع ايجابية،كما اخبرنا بذلك خليفته الشيخ "احمد بن مالك"[3] سواء في حياته أو بعد مماته، إذ تخرج من هذا الفرع العديد من البنات الحافظات للقرآن الكريم والمتون الفقهية من مختلف قصور بلدية أولف خاصة قصر الركينة، بما فيهن المعلمات اللاتي يشرفن على تعليم البنات فيه، وإلى جانب هذا الفرع الذي يضم أكثر من الثلاثمائة بنت، يوجد به قسم خاص بالنساء تقوم بتعليمهن المعلمة "عائشة يوسفي" [4].

ومن الواضح أن الشيخ "محمد باي" كان صاحب نظرة ثاقبة، وبعيدة لِما كان يرجوه من تعليم المرأة والبنات أمور دينهن.

ذلك لأن إصلاح المجتمع قائم في الأساس على حسن التربية الأسرية التي تعد المرأة واضعة حجرها الأساس، خاصة وأن الإسلام دعا إلى تعليم المرأة، بل وأباح لها أن تخرج للسؤال عن دينها والتفقه فيه فلم يمنع حياء "أم سليم" أن تسال عن أمور دينها، وشجعها على ذلك تأييد الرسول صلى الله عليه وسلم لها، وفي ذلك تقول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: **(نعم النساء نساء الأنصار، لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين)**[5].

---

[1]- محمد باي بلعالم: لا إرهاب اشر من هذا الإرهاب ، أولف ، 30 جانفي 2002 م، خزانة محمد باي بلعالم ، بلدية اولف .

[2]- سعيدة بلعالم: المقابلة السابقة .

[3]- المقابلة السابقة .

[4]- لمحات في التعريف بالمدرسة القرآنية الدينية التابعة لمسجد مصعب بن عمير ، المرجع السابق ، ص 15 .

[5]- منى علي السالوس: الحقوق التعليمية للمرأة في الإسلام من واقع القرآن والسنة ، (ط1) ، دار النشر للجامعات ، القاهرة : 2003 ، ص 82 .

ونظراً لمواكبته لتطورات العصر وانفتاحه العلمي الواسع – الغير الضيق كما يتصف بعض المشـــايخ – لم يعارض الشيخ "محمد باي" إدخال البنت إلى المدارس الحكومية، خاصة في أطوارها الأولى، فقد التحقت حفيداته بالمدارس الحكومية في حياته[1]، وإلى جانب هذا كان يستقبل مراسلات النساء اللواتي كن يسألنه عن أمور دينهن ومشاكلهن والتي كانت تصله عن طريق أزوجهن أوبقدومهن شخصياً بحضرة زوجه فكان لا يمنعهن الإجابة،كما لا يمنعهن السؤال، و لم يعارض خروج المرأة إلى العمل، ولكن في حدود ما اقره الشـــرع، والفقهـــاء أي العفـــة والكرامة[2].

ذلك لأن المجتمع في ظل رهانات الحاضر وتصورات المستقبل لا يمكنه أن يستغني عن خـــدمات المـــرأة خاصة في المجالات التي لا ينبغي للرجال العمل فيها كالمستشفيات النسائية، والولادة وكتعليم البنات، وكـــالمهن النسائية مثل: الخياطة، وغيرها من الأمور الخاصة بالنساء .

وما كان يعارضه الشيخ "محمد باي" ويحذر منه في دروسه التعليمية وحلقاته العلمية والمســـجدية هـــو الاختلاط، لذا عارض التحاق البنت بالمرحلة الجامعية إذ لم تأمن الاختلاط[3].

فنظرته هذه في تعليم المرأة هي لا تختلف عن نظرة إمام النهضة في الجزائر العلامة "عبد الحميد بن باديس" الذي كان هو الآخر حريصاً على تعليم المرأة، ودورها في المجتمع إلى جانب الرجل بإنشـــائه "لجمعيـــة التربيـــة والتعليم" سنة 1930م وفي هذا السياق يقول: "على المربين لأبنائنا وبناتنا أن يعلموهم ويعلمونهن هذه الحقـــائق الشرعية ليتزودوا بها بما يطبعونهم ويطبعونهن عليه من التربية الاسلامية العالية لميادين الحياة"[4].

كما أن الإمام"عبد الحميد بن باديس" صرح في غير ما مرة عن تصوره للمرأة الجزائرية التي يريدها المجتمع الجزائري فكان يريدها ليست بالطيارة، بل حرة تلد رجالاً يطيرون ويعملون على إحياء الأمة وتقدمها بين الأمم ولهذا كان يرد بقوة على دعاة التغريب من المسلمين أمثال: "الطاهر حداد التونسي" من خلال كتابه "امرأتنا بين الشريعة والقانون"[5]؛ فكذلك أراد منها العلامة "محمد باي" الذي دعا إلى تعليمها خاصة أمور دينها، والحفاظ على عفتها وحمايتها من الانحلال والتبرج، والاختلاط الذي يدعو إليه دعاة (الانحلال والموضة)، إذ كان يشدد علـــى اختلاط النساء بالرجال والعكس فتجده يحذر منه في خطبه ودروسه ومحاضراته ومؤلفاته خاصة ما يحدث عنـــد مواسم الزيارات، والأعياد والأعراس من مصافحة واختلاط فكان يرى أن هذا من البدع المحرمة، لـــذا شّـــهر بمحاربتها، كما انه أجاز التوكيل في الرمي في الحج بالنسبة للنساء صونا وحفظاً لكرامتهن .

[1]– احمد بن مالك: المقابلة السابقة .

[2]– محمد الحسان بلعالم: المقابلة السابقة.

[3]– سعيدة بلعالم: المقابلة السابقة .

[4]– عبد الكريم بوصفصاف: الفكر العربي الحديث والمعاصر ، المرجع السابق ، ص ص (422– 423) .

[5]– محمد الأمين بلغيت: المرجع السابق ، ص ص (145– 146).

وإلى جانب اهتمامه بالمرأة أولى اهتماماً بالغاً بفئة الشباب هذه الفئة التي قال فيها العلامة "ابن باديس"[1]: «الشباب نتيجة الماضي وزهرة الحاضر وآمال المستقبل وعدة الحياة »، فكان كثيرًا ما يقدم لهم دروساً في الوعظ والإرشاد والنصح والأخلاق سواء في مدرسته، أو في المسجد، أو في حله وترحاله – فعندما دشن مدرسته الدينية "مصعب بن عمير" في عام 1983م خطب في أهل أولف قائلاً[2]: « إن المدرسة مدرستكم وأن طلبتها أبناؤكم وهي بحاجة إلى نصائحكم في حاجة إلى دعواتكم لها بالنجاح، في حاجة إلى إثرائها بحضور أبنائكم للدراسة بها ...» .

وبالفعل كانت مدرسته بمثابة القلعة الحصينة التي تحصن من ورائها شبان دائرة أولف، وغيرهم من أبناء الوطن فقد تخرج منها جيل كبير كان له أثره البعيد في سلوك المجتمع التديكلتي، بل والتواتي والوطني بصفة عامة خاصة وأن مدرسته لا تركز على التعليم القرآني فقط، بل تركز أيضا على التربية الخلقية والدينية لتحصين الأجيال والشباب من الوقوع في المهالك والشبهات .

ولا شك أن اهتمامه وحرصه على معالجة الآفات الاجتماعية كالخمر* والدخان والمخدرات**، والزجر والنهي عنها لا يخرج من دائرة اهتمامه وحرصه على إصلاح الشباب وتحصينهم مما يعرض دينهم وأخلاقهم للخطر والفساد، ففي كلامه عن خطر المخدرات مثلاً في إحدى محاضراته قال[3]: «أن المخدر يقضي على الأمة في أعز ما تملك وهم عدتها، وبناة مجدها ورجال غدها من شبابها الذين هم قلبها النابض وعماد بنيانها...»، بل وكان دائما يركز على دور الأسرة في إصلاح المجتمع وتحصين الشباب والأبناء من المهالك وعلى دور الإمام والمعلم المربي أيضا الذي طالبه بان يواكب الواقع والمستجدات ليكون الطبيب المعالج لهذه الآفات[4] وغيرها من الآفات الاجتماعية التي تمس بأخلاقيات الشباب .

ولقد ظل العلامة "محمد باي" ناصحاً موجهاً للشباب، وفي كل المناسبات متصدياً لكل ما يفسد عليهم دينهم ودنياهم من آفات اجتماعية وطبائع سيئة، لأنهم كانوا يمثلون في نظره القلب النابض لهذه الأمة، وعدتها وبناة مجدها.

---

[1]– محمد الصالح الصديق: المرجع السابق ، ص 123.

[2]– عبد الله حامد لمين: المقابلة السابقة .

*– **الخمر**: سميت الخمر خمرا لأنها تخمر العقل وتستره أو لأنها تركت حتى تقادمت واختمرت ، أو لأنها تخامر العقل أي تخالطه ، ينظر ، محمد باي بلعالم: مرجع الفروع إلى التأصيل ، (ج 10) ، المصدر السابق ، ص107.

– **المخدرات لغة : تدل على السترة والفتور، **اصطلاحا** : هي كل مادة طبيعية أو مستحضرة في المعامل من شانها إن استخدمت في الأغراض الطبية أو الصناعية الموجهة أن تؤدي إلى فقدان كلي أو جزئي للادرك بصفة مؤقتة ، ينظر ، عبد القادر فوكراش : (الوقاية من المخدرات من منظور الفقه الإسلامي والدراسات التربوية)، مجلة رسالة المسجد، (ع 5) ، الجزائر : ماي 2008، ص ص (14- 15)

[3]– محمد باي بلعالم: الرحلة العلية ، (ج2) ، ص ص (279- 280)

[4]– إبراهيم بن ساسي: الشيخ محمد باي بلعالم احد أقطاب العلم في الجزائر في حوار مع البصائر، بتاريخ 03/14/ 1430هـ، البصائر ، (ع599) : 07- 13 ماي 2012، http://www1.albassair.org/modules

2- عناية العلامة محمد باي بإصلاح ذات البين :

كان الشيخ "محمد باي" مهتم كل الاهتمام بإصلاح مجتمعه الادراري، وصلاحه يريده مجتمعاً طاهراً يسوده الدين، وتربط بين أفراده الإخوة الاسلامية التي دعا إليها في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿**إنما المؤمنون أخوة فأصلحوا بين أخويكم**﴾[1]، وقال: ﴿**ولتكن منكم امة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون**﴾[2]، لذا تجده يسارع إلى حل المشاكل الفردية والجماعية، الخاصة والعامة إذا رفعت إليه، ويعطي المتنازعين من وقته كل ما يستلزمه مجلس حل المشكلة، سواء كان ذلك في بيته أو في مدرسته، أو في المكان الذي يحل فيه .

ولحبه للصلح كثيراً ما يتدخل في حل المشاكل بين المتنازعين من تلقاء نفسه[3]، بل كثيراً ما يتجه إلى الأماكن التي سمع بوجود منازعات ما بين سكانها فيقوم بالدعوة إلى إصلاح القلوب[4]،كيفما كان نوع تلك المنازعات (شخصية، أو متعلقة بالعقارات ...الخ)، أو التي كان يفد عليه أصحابها من مختلف الجهات من أولف، رقان، عين صالح، توات الوسطى، غرداية، ورقلة، بشار، إليزي، مغنية، الجلفة ... ، وغيرها من ولايات الوطن وكان في الغالب يوفق في حلها[5]وفق أحكام الشريعة الاسلامية فيبين للمتنازعين حكم الله فيما يتنازعان فيه .

فكان بهذا مفزع النّاس لحل مشاكلهم، ومرجعهم في حل خصوماتهم يوم يشتد الخطب، فتجده يشرق بالرأي كأنه فلق الصبح[6]؛ كما يبذل ما في وسعه من أجل لمّ الشمل، وفتح جو الحوار بين المتخاصمين، وغير المتخاصمين بدليل أن صيته كان ذائعاً في نواحي توات وغير توات، فتجده يتقدم في كل ما فيه مصلحة للعامة هدفه في ذلك لمّ الشمل وخلق جو الوئام بين الناس، وليس الجري وراء المال والجاه كما يفعل البعض؛ فصدق فيه ما قاله عنه الشيخ "عبد الرحمن شيبان" رحمه الله انه: « يُؤلف بين القلوب ويصالح بين الناس في مختلف المشكلات التي ما بين الأقارب والأباعد...»[7] .

و لم يقتصر العلامة "محمد باي" في إصلاح ذات البين، وفك الخصومات ما بين الناس على الجانب التطبيقي الواقعي في مجالسه مع العوام أو التعليمية أو في تنقلاته فحسب، بل كان يسعى إلى الإصلاح حتى على المستوى النظري أيضا في محاضراته وندواته وخطبه وبقلمه، فنال بهذا وسام استحقاق من طرف رئيس الجمهورية الحالي السيد "عبد العزيز بوتفليقة" اعترافاً وتقديراً للمجهودات التي بذلها في خدمة المجتمع المدني، كما نال شهادات عدة تقديراً لمجهوداته التي بذلها في الإصلاح الاجتماعي .

---

[1]- سورة الحجرات: الآية 10.

[2]- سورة آل عمران: الآية 104 .

[3]- محمد الحسان بلعالم: المقابلة السابقة .

[4]- احمد بن مالك: المقابلة السابقة .

[5]- عبد الرحمن حفصي: المقابلة السابقة .

[6]- إبراهيم ابلالي: (الرجال أعمال) ، فعاليات الأمسية ، المرجع السابق ، ص 7 .

[7]- محمد باي بلعالم: الرحلة العلية ، (ج1) ، المصدر السابق ، ص ي1 .

ولعل ما ساعد الشيخ "محمد باي" على حل تلك المشاكل التي كانت تعرض عليه، أو التي كان يتدخل فيها شخصياً هو جرأته في الصدع بكلمة الحق، وتواضعه اللذان شهد بهما كل من عرفه، وعدم تعصبه لا لقرابة ولا لأحد ولا لجهة معينة، مما جعل الناس يثقون به ثقة تامة لنزاهته، فلو كان متكبراً مستبداً برأيه لأطرحته الخاصة التي تتخاصم إليه وتتوسط له في حل مشاكلها، ولنفرت منه العامة التي تكره المتكبرين .

3- محاربة العلامة محمد باي للآفات الاجتماعية :

لا شك أن كل دعاة الإصلاح في جميع العصور الإسلامية كانوا يستوحون دعوتهم من مبادئ الإسلام الصحيحة فكانوا يبدأون بتطهير النفوس، والعقول من البدع والخرافات، وما يتصل بالأسس العقائدية ثم يتدرجون في سلم الحياة الاجتماعية، والسياسية وهذا الطريق هو الذي سار عليه علماء الجزائر في الربع الثاني من القرن العشرين[1] وهو نفسه الطريق الذي سار عليه مترجمنا أيضا، حيث عمل – إلى جانب إصلاح العقيدة ومحاربة الظواهر السلبية – على معالجة بعض الآفات الاجتماعية التي ظهرت، أو استفحلت في عصرنا هذا نتيجة الإهمال العائلي، أو لسوء التربية والتي أثبت الطب في القديم، والحديث ضررها وخطرها على صحة الإنسان، وعقله وأنها مهلكة لماله، وهو ما يتعارض مع ما أمرنا به المولى عز وجل من حفظ الضروريات الخمس (الدين والنفس والعقل والنسل والمال).

ومن الآفات الاجتماعية التي حاربها العلامة "محمد باي": **الخمر** التي يعدها العلماء أم الرذائل كلها نظراً لما يترتب عنها من فقدان الوعي، والاتزان العقلي بعد شربها ولأن مدمنها لا يتورع عن ارتكاب محرم أو إتيان إثم كالزنا[2]، لذا حرمها الشرع الحنيف فقد وردت عدة آيات وأحاديث تبين تحريمها فمن القرءان قوله تعالى: ﴿**يا أيها الذين ءامنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون**﴾[3] ومن السنة قوله صلى الله عليه وسلم: « **من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقعد على مائدة تدار عليها الخمر** » رواه احمد ، وما أجاب به الرجل الذي سأله عن الخمر فنهاه عنها فقال الرجل: إنما اصنعها للدواء قال النبي صلى الله عليه وسلم: « **انه ليس بدواء ولكنه داء** »رواه مسلم[4] .

إذاً فعلة تحريمها هي السِكر لذا حرمها الشرع الحنيف، بل وحرم جمهور الفقهاء على مختلف أنواعها وأصنافها سواء كانت من العنب أو الثمر أو العسل أو الحنطة أو الشعير ما دامت تخامر العقل ومسكرة، وان اختلفت أسماءها كالبيرة ويسكي، فودكا، وبرندي ...الخ .

لذا أفتى العلامة "محمد باي" بدوره بتحريمها كما نصت عليه الشريعة الاسلامية لوجود علة السِكر، ونظراً لما ينجم عنها من أضرار على صحة الإنسان فهي تؤثر على المراكز العصبية، وتخدرها وتعطل عملها ومن ثم تسبب في موت متعاطيها، أما أخلاقياً فمدمنها تنعدم فيه المروءة والحياء وتصدر منه حركات تجعل منه حيواناً

[1]- عبد الكريم بوصفصاف : جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في الحركة الوطنية، المرجع السابق ، ص 52

[2]- سعيد اللحام : الحلال والحرام في الإسلام، (ط2)، منشورات دار ومكتبة الهلال، بيروت : 1990 ، ص178.

[3]- سورة المائدة :الآية 90 .

[4]- محمد ناصر الدين الألباني : المرجع السابق ، ص 58 .

مهيناً مستهتراً بالكرامة والدين، وبالتالي تسلب منه صفة الإنسانية والعقل ،كما أنها قد تدعو شاربها إلى الانتحار أو القتل، أو ارتكاب الجرائم الجنائية كهتك العرض، وغيرها من الجنايات التي تشغل المحاكم دائما. لذا ركز في دروس وعظه على التنبيه بعظم خطورة الخمر، وجرم إدمانها، نظراً لما فشي في هذا الوقت من إقبال الشباب على شربها مؤكداً بان الإسلام حرمها لصيانة المجتمع والحفاظ على تماسكه .

كما شن " **حملة تشهير ضد التدخين:** هذه الآفة التي شغلت علماء الجزائر في القديم والحديث فألفوا وأفتوا فيها فمن الذين أفتوا فيها قديماً "أحمد المقري" صاحب كتاب (النفح الطيب) و"عبد الكريم الفكون" القسنطيني الذي ألف فيه كتاباً سماه (محدد السنان في نحور إخوان الدخان) هجم فيه على متناولي الدخان وحكم بتحريمه لأنه في نظره يحدث نشوة وطرباً كالحشيشة[1]، ومن المعاصرين الشيخ "إبراهيم بيوض" الذي أفتى أيضا بتحريمه قياسا على الخبائث[2]، نظرا لما ثبت من ضرره على صحة الإنسان من طرف الأطباء، والعلماء فهو يعد سم قاتل يفتك بصاحبه ببطء (الموت البطيء)،كما انه يسبب في سرطان الرئة، والتهاب الشعب، وانتفاخ الرئة وأمراض القلب وأمراض الأوعية الدموية .

حيث ترجع نسبة 80 % من الوفيات المتزايدة إلى هذه العلل، بالإضافة إلى سرطان الشفة، والفم والبلعوم والحنجرة والمريء والمثانة [3] إلى غير ذلك من الأضرار والأمراض التي تؤدي إلى هلاك متعاطيه وهو ما نهى عنه الإسلام حيث يقول المولى عز وجل في كتابه العزيز: ﴿**ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما**﴾[4] كما أن الدخان على مختلف أنواعه كالتبغ، والحشيشة والشيشة، وطابة ما يعرف بالمحلية (الشمة) تجعل من المدخن منبوذاً من طرف محيطه الاجتماعي بسبب ما تفرزه من الروائح الكريهة التي تعافها النفس البشرية، لذا أنكره العلامة "محمد باي" وشدد عليه وأفتى بحرمته أيضا، بل وعده من الموانع التي تمنع من حضور المسجد كذي البخر، والجرح المنتن والبرص المؤذي ريحه، ما لم يقلع عنه صاحبه حيث يقول في فتواه[5]:« ... وكذلك من فيه رائحة الدخان وطابة المعروفة بالشمة، إن لم ينظف فمه منها، وأما التدخين فان ريحه تتعلق بسائر البدن فينبغي على من يستعملوه بل يجب عليهم أن يغسلوا أجسامهم من رائحته المضرة بغيره، ولا يشك عاقل في حرمة استعماله في مجالس العلم والذكر وقرب المساجد، وفي سائر التجمعات لأنه مضر بمن يستعملونه، ومن يستنشقون ريحه، ولا يحل للمسلم أن يؤذي المسلمين » .

فعلة الاذاية التي تلحق المصلين وغيرهم من المدخن، يضاف إليها الأضرار التي تنجم عن تعاطي الدخان هي ما جعل العلامة "محمد باي" يفتي بتحريمه، ولا شك أن ريحه مؤذية حتى للملائكة الأبرار، فإذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم قد أباح لمن أكل ثوماً، أو بصلاً التخلف عن جماعة المسلمين، والصلاة في المساجد لما في ذلك من

---

[1]- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي ، (ج2) ، المرجع السابق ، ص 82 .

[2] - إبراهيم بيوض: المصدر السابق ، (ج2) ، ص 682 .

[3]- يحياوي بلقاسم:(التدخين ... عادة شنيعة) ، مجلة رسالة المسجد ، (ع2) ، المرجع السابق ، ص ص (90- 91).

[4]- سورة النساء الآية 29 .

[5]- محمد باي بلعالم: السبائك الابريزية شرح على الجواهر الكنزية ، المصدر السابق ، ص 103.

الإيذاء للمصلين والملائكة الأبرار بسبب روائحها الكريهة، فلا شك أن الحكم في التدخين أشد لما فيه من الرائحة المقززة للنفوس السليمة والطبائع العادية[1].

ومن الآفات الاجتماعية التي حاربها بقلمه ونصحه **المخدرات**: التي لا تقل خطراً عن الخمر بل قاسها الفقهاء على الخمر، وحرموها لعلة السكر الموجودة فيها، حيث يذكر الفقيه "سعيد اللحام"[2]: «بأن تحريم كل مسكر يشتمل على ما يذهب العقل، ويضيع توازن الإنسان إذا اخذ منه قليل أو كثير فيدخل في هذا تحريم المخدرات على أنواعها لأنها لا تذهب العقل فقط، بل تذهب الصحة والحياة فهي مُسكر وهي قتل للنفس التي حرم الله إلا بالحق»، وهو أيضا ما أفتى به العلامة "محمد باي"[3] حيث يقول: «أن النبات مباح جميع أنواعه، ما عدا ما يُسكر منه مثل الحشيشة والمخدرات التي تعرف في لغتنا بالكيف والأفيون، والدفلة والبتينة فهذه نباتات مخدرة وكل مخدر فهو حرام » .

ومعلوم أن (البتينة والكيف) هي من أشهر أنواع المخدرات رواجاً في المناطق التواتية، ولقد تكلم عنها في العديد من دروسه، ومحاضراته في المساجد والأندية، لأنها محرمة على مختلف أنواعها* حسب ما أفتى به فقهاء الأمة ما دامت متطابقة مع الخمر في علة السكر، ونظراً لما ينجم عنها من آثار سلبية لا على مدمنها ومتعاطيها فحسب بل على محيطه الاجتماعي أيضا، فقد أحصى بعض العلماء الآثار السلبية التي تنجم عنها على المستوى الشخصي والاجتماعي، كانهيار المجتمع نتيجة فقدان الأفراد المنتجين، وسلب القيمة الإنسانية للفرد، وتفشي الجريمة خاصة الجرائم الأخلاقية، وضياع العقول، وفقد المسلم صلته بربه، وضياع الشرف والعفة والأخلاق، يضاف إليه استنزاف المال والإصابة بالأمراض الخطيرة، والأوبئة كالايدز، والتفكك الأسري والتخلف الحضاري والعلمي للمجتمع، لذا حاربها العلامة "محمد باي" ودعا كل مسلم إلى اجتنابها، بل وشهر بمحاربتها حتى أن بعض الناس قال له: دع عنك الكلام عن المخدرات فرد عليه رداً علمياً قوياً[4].

ولعل من الأسباب التي جعلته يُشهر بمحاربتها إضافة إلى الآثار الناجمة عنها والتي ذكرناها، هو استفحال أمرها، وظهور فسادها في أوساط فئة الشباب، وكثرة المروجين والزارعين لها في الجزائر حيث تدل الإحصائيات بأن دول المغرب العربي (المغرب الأقصى- الجزائر- تونس – ليبيا- موريتانيا) تعد ضمن المنطقة الرابعة في العالم العربي جذبا للمخدرات أو المتأثرة بزراعة الحشيش[5]، وهذا ما أكده الأستاذ "عبد القادر فوكراش"[6] حيث يذكر:

---

[1]- يحياوي بلقاسم : (التدخين ..... عادة شنيعة) ، مجلة رسالة المسجد ، (ع2) ، المرجع السابق ص 92

[2]- سعيد اللحام : المرجع السابق ، ص 183.

3- ملتقى الأدلة الأصلية والفرعية الموضحة المسالك على فتح الرحيم المالك على مذهب الإمام مالك ، (ج2) ، المصدر السابق ، ص 618

*- من أنواع المخدرات الأفيون يستخرج من نبات الخشخاش - الكوكايين الذي يستخرج من شجرة الكوكا – القنب الذي يعرف بشمال إفريقيا بالكيف ومضاعفاته على صحة الإنسان خطيرة – القات، ينظر عبد العالي حمدي : (المخدرات وآثارها السلبية على جسم الإنسان) ، مجلة رسالة المسجد (ع5) ، المرجع السابق ، ص ص (28-29) .

[4]- محمد الدباغ : المقابلة السابقة.

[5]- عايد علي عبيد الحميدان الشمري: أهوال المخدرات في المجتمعات العربية ، (ط1)، منشاة المعارف، الإسكندرية : 2002 ، ص 289 .

[6]- (الوقاية من المخدرات من منظور الفقه الإسلامي والدراسات التربوية) ، مجلة رسالة المسجد ، (ع5) ، المرجع السابق ص14

«بأنه بعدما كانت الجزائر في الأعوام السالفة محطة عبور لهذه السموم – يقصد المخدرات – تشهد في الآونة الأخيرة زرع وإنتاج هذه السموم» .

ولقد دعا العلامة "محمد باي" الآباء والمعلمين إلى ضرورة التنويه بمخاطرها التي تعاظمت، كل في مكانه (البيت – المدرسة...)، وأن يتمسكوا بالدين للخلاص منها[1] . ذلك لأنه رأى بان معظم الأسباب التي تؤدي إليها هي ناجمة في الغالب عن ضعف التربية الأسرية التي تؤدي إلى الانحراف، والصحبة السيئة التي تؤدي إلى فساد الأخلاق وهنا يأتي دور الآباء والأساتذة في التربية والنصح والتوجيه؛ كما حارب هذه الآفة بقلمه مثلها مثل الدخان والخمر فمؤلفاته الفقهية كلها لا تكاد تخلو من الحديث عن هذه الآفات الثلاث خاصة الدخان، والخمر لانتشارهما بكثرة في أوساط فئة الشباب؛ وبفضل عمله المتواصل في محاربتها تقلص تعاطيها في دائرة أولف خاصة الدخان[2].

ثالثاً: رد الفعل على نشاط العلامة محمد باي الإصلاحي :

لقد تعرضت دعوة العلامة "محمد باي" الإصلاحية الرامية إلى تصحيح العقيدة الاسلامية بالرجوع إلى تعاليم الدين الحقة وقيمه السمحاء وإصلاح أحوال مجتمعه بمحاربة البدع والعوائد السلبية، والآفات الاجتماعية إلى انتقادات ومعارضة من أطراف عدة، وهذه سنة من سنن الحركات التي تهدف إلى تغيير الوضع المألوف فلا بد أن تجد في طريقها المعارضين، فقد تعرض العلامة "محمد باي" إلى المعارضة خاصة من بعض الطلبة (معلموا القران)[3] فكان منهم من يعارض طريقته أوعرضه في طرح المشاكل، وآخرون كانوا يعارضوا طريقته في معالجتها إلا انه لم يوجد من عارضه علناً[4]،كما انه تعرض للنقد والمقاطعة أحيانا أخرى، وليس هذا بالمستبعد فقد ذاق رجال الإصلاح من علماء الجمعية الأمرين في دعوتهم، معارضة المضلين الجاهلين، وتسلط المستعمر الغاشم ومحاولاته للقضاء على كل دعوة يدعون لها وتجميد كل نشاط يقومون به.

فهذا الأستاذ "علي دبوز" يحدثنا عن ما تعرض له الشيخ "بيوض" عندما شن حرباً ضد المعتقدات الفاسدة في واد ميزاب فيقول[5]: «بان معارضوه ردّوا عليه بشن حرباً عليه – بدل الأخذ بيده لمحو معالم الفساد – فقالوا عن الإصلاح انه الحاد وهدم للدين، وعن مدارسه القرآنية والعربية العصرية أنها بدعة تنشئ التلاميذ الفاسدين الذين يكونون هلاكاً للدين والأمة وسموا علومها الدينية العربية وغيرها (العلوم الخسرية) من الخسارة والضياع، ووصفوا الشيخ بيوض بأنه مبتدع، ورجل ضال يهدم الدين ويخالف سيرة السلف الصالحين ويريد أن يخرج ميزاب عن طريقتهم، فلعنوه في مجالسهم وصبوا عليه جام غضبهم في منابر وعظهم، وتبرؤا منه وأعلنوا مقاطعته ومقاطعة

[1] – محمد باي بلعالم: الرحلة العلية ، (ج2) ، المصدر السابق ، ص 280 .

[2] – محمد بن مالك: (كلمة تأبينية في فقيد الإسلام والمسلمين الشيخ محمد بلعالم) ، فعاليات الأمسية ، المرجع السابق ، ص 3 .

[3] – احمد بن مالك: المقابلة السابقة .

[4] – محمد الدباغ: المقابلة السابقة .

[5] – أعلام الإصلاح في الجزائر ، (ج4) ، المرجع السابق ، ص ص (29 – 30).

مدارس الإصلاح ومنشآته وثاروا على فتاويه الدينية، ووصفوها بمخالفة الدين والمروق عنه خاصة عندما أفتى بصحة العمل بخبر الهاتف في الصوم والإفطار في رمضان» .

لذا لسنا نغالي إن قلنا بأن العلامة "محمد باي" قد تعرض لربما لنفس الانتقادات، خاصة وانه كان يجهر بدعوته وبالصدع بالحق، كما أن مدرسته ضمت تلامذة من مناطق مختلفة من الوطن ومن خارج الوطن .

ويبدو أن مترجمنا كان على دراية بان هنالك منتقدين ومعارضين له ولدعوته، إذ يذكر في أحد كتبه عن أحد العلماء الذين ثار معارضوه ضده ما يلي: «وسنة الله في عباده أن كل عالم مهما بلغت درجته، يكون بين معتقد ومنتقد»[1] أي بين مصدق به مؤمن، ومعرض جاحد .

ولا شك أن هؤلاء المعارضين كانوا إما من المضلين المبدعين أو من الذين قرأوا القرءان بدون فهم، أو من الذين جرفهم تيار الحاقدين والأغنياء والحاسدين الذين ألفوا من العامة الدهماء التبجيل والاحترام والتقدير، إلا انه على الرغم من المعارضة التي كان يتلقاها واصل دعوته، وجاهد بقلمه وصبر على اذاية الجهلاء، واستخفاف المغرضين شأنه في ذلك شأن إمام الناصحين وصمد، وواصل نشاطه الإصلاحي رغم مرضه الذي أنهكه في آخر أيامه، وضُعف الشيخوخة الذي أصابه في السنوات الأخيرة من عمره، واستطاع بحكمته وأسلوبه الحكيم في النصح القائم على الإقناع بالدليل أن يردعهم ويرد بدعهم ويصلح ما أفسدوا ويبطل ما خرفوا، فلم يجدوا بداً من السكوت على المعارضة، ثم الانصياع لأقواله وتوجيهاته[2]، فما ضعف في ذلك كله وما استكان، و لم يخف في الله لومة لائم .

وبهذا استطاع أن يغير الكثير من أوضاع مجتمعه الادراري بما فيه التديكلتي، وحتى المجتمع الورقلي وجهوده كانت ناجحة، وكانت تكون أكثر نجاحاً لو تضافرت معها جهود كافة الأعيان على حدّ قول الأستاذ "محمد الدباغ"[3].

[1] – محمد باي بلعالم: الرحلة العلية ، (ج2) ، المصدر السابق ، ص 522 .

[2] – احمد بن مالك: المقابلة السابقة .

[3] – المقابلة السابقة.

خاتمة الفصل :

مما سبق عرضه وتحليله ومناقشته في هذا الفصل يمكن أن نستخلص النتائج الآتية :

أولاً– كان العلامة "محمد باي بلعالم" من أعلام المنطقة التواتية القليلون الذين ساهموا في محاربة الجهل، والأمية خلال الحقبة الاستعمارية إلى جانب شيخه "احمد الطاهري"، والشيخ "بن الكبير" من خلال إنشائه لمدرسة "مصعب بن عمير" لتعليم العلوم الدينية باولف، التي كانت بمثابة القلعة الحصينة التي تحصن من ورائها أبناء دائرة أولف والعديد من أبناء الوطن وخارجه .

ثانياً– أن مدرسة العلامة "محمد باي بلعالم" إلى جانب كونها زاوية علمية هي تفتح أبوابها للضيوف وطلاب العلم ومكتبتها للدارسين والباحثين وتعمل على توجيه الفرد نحو تزكية النفس وتطهيرها من براثن الشر والشرك .

ثالثاً– لم يتوقف نشاط العلامة "محمد باي بلعالم" العلمي على التعليم في زاويته الذي غير من منهجيته القديمة إلى المنهجية الحديثة لاعتماده أسلوب الحوار والنقاش مع طلبته واستعمال الوسائل الحديثة، وإنما تعداه إلى أنشطة أخرى خارج المدرسة كمشاركته في مختلف الملتقيات والندوات الوطنية والولائية الدينية منها والفكرية والتاريخية وحتى الثقافية وتصدره للفتوى وقيامه بالتأليف يضاف إليها رحلاته إلى المشرق والمغرب التي اقترنت في معظمها بالعلم والتي فتحت أمامه أفقاً علمياً واسعاً، واتصالاً اخوياً إسلامياً فأفاد واستفاد في نفس الوقت .

رابعاً– مثل العلامة "محمد باي بلعالم" مرجعية لشيوخ وعلماء ولاية ادرار في مختلف المسائل والقضايا التي طرحت في عصره كقضية الإحرام من جدة وقضية الرمي أيام التشريق من أمثال: الشيخ "محمد بن الكبير" والشيخ "سيد أعمر المهداوي" إذ كانوا يرجعون إليه في الفتوى وفي المشورة، ولا أدل على هذا من المحاورات والمناقشات التي دارت بينه وبينهم، كما كان بدوره يرجع لشيوخ آخرين بهدف توحيد الجهود الفقهية كالشيخ "ابن بادي الكنتي المالي" .

خامساً– كان العلامة "محمد باي بلعالم" مفتي الديار الاولفية إذ كانت تعرض عليه القضايا والمسائل من مختلف بلديات دائرة أولف بل ومن الوطن وخارجه فيجيب عليها حسب ما نص عليه الشرع الحنيف مع مراعاة أحوال وظروف الناس فسجل بهذا فتاوى عدة في قضايا معاصرة مختلفة كالطب والاقتصاد جاءت في معظمها موافقة لما أفتى به علماء الأمة المعاصرين له من أمثال: الشيخ "محمد متولي الشعراوي" والشيخ "إبراهيم بيوض" والشيخ "يوسف القرضاوي".

سادساً– أن الحالة الاجتماعية التي شهدتها منطقة توات من فساد الأخلاق، وتدهور الأوضاع الدينية والثقافية خلال الحقبة الاستعمارية وما تلاها هو ما جعل العلامة "محمد باي" يجهر بمحاربة البدع والعادات والتقاليد السلبية، حيث وقف وقفة صارمة وصلبة في وجه المخرفين والمضللين والمشعوذين والمتساهلين بأمور الدين فرد بدعهم ودحض حججهم الواهية بالحجة والدليل من نصوص الشرع الصريحة التي لا تحتاج إلى تأويل ضارباً في ذلك مثلاً للعالم العامل في نهاره وليله.

سابعاً– أن العلامة "محمد باي" كان شانه شان العلماء الناصحين المصلحين الذين يريدون العودة والبعث والحياة لتعاليم الدين الإسلامي الحقة، والرقي لمجتمعاتهم لذا أولى اهتماماً بالغاً بتعليم المرأة، وإصلاح الشباب الذي يمثل في

نظره القلب النابض للأمة، كما اهتم بالإصلاح الاجتماعي على المستويين النظري والتطبيقي بإصلاح ذات البين ومحاربة الآفات الاجتماعية التي ظهرت في مجتمعه كالخمر والمخدرات والتدخين يحركه في ذلك كله الشعور بالانتماء لهذا الدين أولاً وقبل كل شيء .

الفصل الرابع

الإسهامات العلمية للشيخ محمد باي بلعالم

مقدمة

المبحث الأول: الإنتاج الفكري للعلامة محمد باي في العلوم الشرعية

المبحث الثاني: الإنتاج الفكري للعلامة محمد باي في اللغة وآدابها

المبحث الثالث: الإنتاج التاريخي للعلامة محمد باي بلعالم

خاتمة

مقدمة الفصل :

يتناول هذا الفصل الآثار الثقافية للعلامة محمد باي بلعالم التي مثلت ثمرة تكوينه العلمي والشخصي في الحياة بالتركيز على الجانب العلمي منها، حيث سأتطرق في البداية إلى عرض إنتاجه الفكري في العلوم الشرعية (علوم القرءان، مصطلح الحديث، الفقه، أصول الفقه، الفرائض، السيرة ،...) التي كان متضلعاً فيها وحاز فيها السبق على أقرانه أيام الدراسة، مع ذكر مجمل الكتب التي ألفها في كل فن حسب تاريخ تأليفها ومناسبتها ثم تقييمها لاستخلاص منهجيته في الكتابة وأفكاره وآرائه التي حوتها تجاه قضايا معينة أو نازلة ما .

ثم سأقوم بتتبع إنتاجه الفكري في اللغة وآدابها بعرض أهم مؤلفاته في علم النحو مع تقييمها ثم عرض بعض انتاجاته الأدبية في الشعر والتعزية والتقاريظ والخطبة مع دراسة نموذج لكل منها لاستخلاص طبيعة أسلوبه وبلاغته والعبارات التي كان يستعملها ومدى قدرته على الإقناع والتأثير على السامعين أو القارئين .

وأخيراً سأتطرق إلى عرض مؤلفاته التاريخية التي تناول فيها جوانب مهمة من تاريخ المنطقة التواتية بصفة خاصة والوطن الجزائري بصفة عامة، مع وضع دراسة وتقديم لكتابي (الرحلة العلية إلى منطقة توات لذكر بعض الأعلام والآثار والمخطوطات والعادات وما يربط توات من الجهات، وقبيلة فلان في الماضي والحاضر وما لها من المعرفة والعلوم والمآثر) لاستخراج قيمتهما التاريخية والعلمية والوثائقية .

فما هو المنهج الذي اعتمده الشيخ محمد باي بلعالم في التأليف ؟ وما قيمة ما ألفه من كتب في مختلف الفنون الشرعية منها واللغوية والتاريخية ؟ .

المبحث الأول: الإنتاج الفكري للعلامة محمد باي في العلوم الشرعية:

اهتم العلامة "محمد باي" بالعلوم الشرعية بصفته شيخ زاوية، إذ ألف فيها ما يناهز (سبع وعشرين كتاباً) في مختلف فنونها منها ما هو ذا جزء واحد،ومنها ما يشتمل على عدة أجزاء، وسنورد في هذا المبحث أهم العلوم الشرعية التي ألف فيها مع إحصاء عدد كتب كل فن والتعريف بها، ثم وضع تقييم عام لها، مع استخراج مميزاتها وقيمتها العلمية .

أولاً – مؤلفاته في علوم القرآن وعلم مصطلح الحديث*:

1– علوم القرءان:

يعد هذا الفن من أهم العلوم التي اهتم بها أهل توات، حيث اهتموا بحفظ القرآن وتجويده ودراسته لاستخراج درره وغرره وأحكامه لكونه دستور هذه الأمة، لذا اهتم العلامة "محمد باي" بهذا العلم وألف فيه على غرار علماء توات السابقين أمثال:"عبد الرحمن بن عمر التنلاني**، و"ابن العالم الزجلاوي" ومن أهم مؤلفاته في هذا الفن :

1– **كتاب ضياء المعالم شرح على ألفية الغريب لابن العالم (جزءان)**: يحتوي الجزء الأول على مائتين واثنتي عشر صفحة أما الجزء الثاني فيتكون من مائة واثنتين وتسعين صفحة، والكتاب عبارة عن شرح لألفية الغريب من مفردات القرآن (ما كان غير ظاهر المعنى) للعلامة "محمد بن محمد بن العالم الزجلاوي" التي تشتمل على تسعمائة وأربعة وخمسين بيت، حيث ذكر فيها غريب مفردات القرآن التي وردت في كل سورة من سوره، وقد جاءت مرتبة على حسب ترتيب السور، أما المفردات فجاءت على حسب الحروف الهجائية التي تبدأ بالألف وتنتهي بالياء على طريق المغاربة وجاء في مطلع نظمه :

الحمد لله الذي قد شرفا مباحث التفسير فيما عرف

وجعل انتحاله في الأجر مثل الشهادة النفيس الذخر[1]

ويذكر الشيخ "محمد باي" بأن شرحه لهذه الألفية جاء مساهمة منه في إطار إحياء مجد اللغة العربية،ولتبيين وتوضيح كلماتها للطلبة الصغار، أما عن المنهجية التي استعملها في هذا الكتاب فهي كالتالي:

---

*– **مصطلح الحديث** واسم أصول الحديث وعلم الحديث كلها أسماء والمسمى واحد و هو مجموعة من القواعد و المسائل التي يعرف بها حال الراوي والمروى من حيث القبول والرد ، ينظر محمد باي بلعالم : كشف الدثار شرح على تحفة الآثار ، المصدر السابق ، ص19 .

– **عبد الرحمن بن عمر التنلاني: ولد سنة 1121ه / 1709م حفظ القران على شيخه أبي حفص عمر بن عبد القادر التنلاني و اخذ العلم عن عدة مشايخ منهم العلامة ابن أب المزمري ، الشيخ عمر الرقادي من مؤلفاته أرجوزة في الفلك ، أرجوزة شبكة القناص في نظم درة الغواص، السمين في إعراب الكتاب المكنون، رحلة حجازية ، توفي سنة 1189هـ ينظر، عبد الرحمن باعثمان : (الدور العلمي للزاوية التنلانية)، الملتقى الوطني الرابع: إسهامات علماء توات في الحركة الفكرية والثقافية إبان العصر الحديث (1500– 2000)، جامعة ادرار أيام 19– 20 افريل 2010، ص ص (6، 9) .

[1]– محمد باي بلعالم: ضياء المعالم شرح على ألفية الغريب لابن العالم ، (ج1) ، (د،ط) ، مطبعة عمار قرفي ، باتنة : د،ت ، ص ص (5– 6) .

كان يقوم بإحصاء الكلمات الواردة في النظم ثم ينسبها إلى السورة التي ذكرت فيها ورقمها مهما تعددت ثم يأتي بمعنى الكلمة المذكورة في النظم ويضيف لها بعض التأويلات التي لم يذكرها الناظم، وأنهى من شرح هذا النظم في جمادى الثانية من عام 1409هـ / 1988م .

2- المفتاح النوراني على المدخل الرباني في الغريب من القرآن: وهو ثاني كتاب ألفه في علوم القرآن وهو أيضا عبارة عن شرح على منظومة "الشيخ محمد الطاهر التليلي" السوفي الجزائري* ، المسماة (المدخل الرباني للمفرد الغريب في القرآن) التي تحتوي على أربعمائة وتسع وأربعين كلمة جاءت في أربعمائة وواحد وأربعين بيت عمل الشيخ باي على توضيح معانيها يحركه في ذلك الغيرة الدينية والأدبية، وجاء في مطلع هذا النظم:

الحمد لله العلي الواحد المفرد الحي العليم الشاهد

ثم الصلاة بعد و السلام على الذي ظلله الغمام[1]

إلى آخر الأبيات التي أورد فيها الغريب من المفردات المذكورة في القرآن سواء المفرد، أو المكرر على حسب حروف الهجاء، كما ذكر فيها الأعلام التي ذكرت مرة واحدة في القرآن .

ولقد بيّن الشيخ "محمد باي" في شرحه لهذا النظم معنى كل كلمة وإعرابها، بل وأضاف بعض الكلمات المفردة من الغريب التي لم يذكرها الناظم ككلمة (العرجون) في حرف "العين" من الآية (39) من سورة (يٰس) وكلمة (فومها) من الآية (61) من سورة "البقرة" في حرف "الفاء"، وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على مدى دقة وتحري الشارح وحفظه لكتاب الله، كما أنه صحح بعض الأخطاء التي وقع فيها الناظم مثل:كلمة (الطود) التي ذكر الناظم في بيته أنها ذكرت في سورة البقرة فقال:

الطود لفظ جاء في العوان و لم يرد في سائر القرآن

فصحح الشيخ "محمد باي" البيت الشعري ونبه القارئ للخطأ فقال[2]:

كالطود جاء ذكره في الشعراء و لم يجئ في غيرها بلا امتراء

لكون (الطود) ورد ذكره في (سورة الشعراء)، وليس في (سورة البقرة)، وغيرها من الكلمات التي لم يذكرها صاحب النظم وهي من المفرد واتى بها الشارح، ولقد أنهى الشيخ "محمد باي" شرح هذا النظم الذي بلغ عدد صفحاته مائة واثنان وثمانون صفحة في شعبان من عام 1409هـ/1988م وبهذا تكون المدة بين النظم والشرح سبع سنوات فقط .

---

*- **محمد الطاهر التليلي** نسبة إلى سيدي تليل الذي تنسب إليه زاوية تليل أنهى هذا النظم عام 1402 هـ ، ينظر محمد باي بلعالم : المفتاح النوراني على المدخل الرباني للمفرد الغريب في القران ، (د،ط) ، مطابع عمار قرفي ، باتنة : د ، ت ، ص 179 .

[1] - المصدر نفسه ، ص ص (5- 6) .

[2] - المصدر نفسه ، ص 102 .

ب- علم مصطلح الحديث:

اهتم الشيخ "محمد باي" بتدريس الحديث، بل وخصص له حلقات يومية في مدرسته، كما أنه اهتم بسرد كتب الصحاح مثل: صحيح البخاري الذي كان يختمه في كل سنة، وكذا الموطأ وصحيح مسلم، ومن أهم ما ألفه في علم الحديث :

1- كتاب كشف الدثار شرح على تحفة الآثار[*] : وهو عبارة عن شرح لنظم الشيخ "محمد الأمين القريشي"[**] في علم الحديث المسمى (تحفة الآثار) الذي يحتوي على ثلاثمائة بيت، ولقد جمعت هذه المنظومة من علم الحديث دُرره إذ تشتمل على المهم في الدراية، والرواية الموضوعان الرئيسيان في علم الحديث جاء في مطلعها :

الحمد لله العظيم الشأن الواحد المهيمن الديان

الخالق الخلق للعبادة الباعث الهداة للإفادة[1]

ولما كان علم الحديث من أعظم ما يتنافس فيه المتنافسون، وأفضل ما يتسابق إليه المتسابقون لكونه يعد المصدر الثاني بعد كتاب الله تعالى والمفسر له، قام الشيخ "محمد باي" بشرح هذه المنظومة بطلب من أحد الإخوان كما ذكر[2] ليقرب معانيها ويحل ألفاظها للقارئ والمتعلم.

أما عن منهجيته في هذا الشرح فلم يحددها بل كان يأتي بالنظم ثم يشرحه مباشرة، ولقد اعتمد في شرحه لهذا النظم على كتب الصحاح الستة، وعدة شروحات كفتح الباري للعسقلاني وقرة العيون لابن بادي، وأنهى هذا الشرح الذي جاء في مائة وتسع وعشرة (119) صفحة في جمادى الأولى من عام 1411هـ /1990م .

ثانياً – مؤلفاته في علم الفقه وعلم أصول الفقه:

ا- علم الفقه:

أولى العلامة "محمد باي" اهتماماً خاصاً به دراسة وتأليفاً لارتباطه المباشر بالدين، ولحاجة الناس إليه في المسائل اليومية كالعبادات والمعاملات والقضاء بين الناس، فألف في مذهب إمام دار الهجرة مؤلفات قيمة يسر بها الوصول إلى معرفة المذهب بأسلوب واضح وبسيط بلغ عددها (ستة عشر مؤلفاً) منها ما يشتمل على أجزاء ومنها ما يشتمل على جزأين، ومنها ما لا جزء له وهي كالتالي :

1- زاد السالك شرح أسهل المسالك: وهو أول ما ألفه في بداية مشواره التاليفي بعد كتاب (الدرة السنية) في علم الفرائض ويشتمل هذا الكتاب على جزأين يشتمل الجزء الأول على ثلاثمائة وعشرة (310) صفحة، أما الثاني

---

*- **تحفة الآثار:** يقصد بها طرفة الإسناد الحسن ذلك لأن التحفة يقصد بها الطرفة أو اللطف و الآثار الإسناد الحسن ، ينظر محمد باي بلعالم :كشف الدثار شرح على تحفة الآثار ، المصدر نفسه ، ص8 .

- **محمد الأمين القريشي: من قبيلة قريش العربية ، جمع بين شرفي العلم و النسب مع التواضع ،كان قاضيا و مدرسا ببلدة (أتبره)بالسودان الغربي ينظر : محمد باي بلعالم : ميسر الحصول على سفينة الوصول ، (د،ط) ، دار هومة، الجزائر : 2001، ص ص (4 ، 6) .

[1] – محمد باي بلعالم :كشف الدثار شرح على تحفة الآثار، المصدر السابق ، ص4 .

[2] – المصدر نفسه ، ص 3 .

فيشتمل على مائتين وخمس وثمانين (285) صفحة ألفه عام1406هـ/1985م وموضوعه: التوحيد، فقه العبادات والمعاملات، الفرائض والأخلاق.

والكتاب عبارة عن شرح لنظم (أسهل المسالك لنظم ترغيب المريد السالك على مذهب الإمام مالك) لصاحبه الشيخ "محمد البشار"، الذي يحتوي على ألف ومائة وخمسين (1150) بيت جاء في مطلعها :

الحمد لله الذي فرضا على الورى توحيده وحرضا
على امتثال أمره عباده وخص بالتوفيق من أراده
ثم الصلاة والسلام تترى على نبي جاءنا بالبشرى[1]

أما عن المنهجية التي اتبعها في هذا المؤلف فهي مشابهة لما سبقه من المؤلفات، إذ كان يأتي بالنظم ثم يقوم بشرحه معتمدا في ذلك على أمهات الفقه المالكي،كالرسالة "لابن أبي زيد القيراوني"، ومختصر "خليل بن إسحاق" وبعض التفاسير والصحاح وشروحات أخرى لعلماء من توات، ومن غير توات وأحيانا تجده يحيل القارئ، أو المتعلم إلى الرجوع لبعض تلك الكتب ليتوسع أكثر في المسألة، وكان كثيراً ما يستشهد بأبيات شعرية من وضعه مما يدل على براعته الشعرية بل وأحيانا أخرى تجده يستشهد بأدلة، وأمثلة من الواقع حتى يقرب المعنى للقارئ المثقف والأمي العامي .

ولا شك أن تجربته الأولى هذه في التأليف كانت ناجحة ومفيدة وهذا بشهادة الشيخ "مولاي عبد الله الطاهري" الذي قرظ له هذا الكتاب فقال فيه :

إن قيل من لأسهل المسالك فقل لمن سأل زاد السالك
فهو له جذيله المجرب وجذعه المحكك المرجب
وهو أبو زرع لأم زرع لا مثله كمثله في النفع
فأشدد وعض بالنواجذ عليه لأنه أنفع ما قد تقتنيه
فكم به من حكم وحكم ميسر مسهل للفهم[2]

2- الكوكب الزهري نظم مختصر الاخضري[*] : الكتاب عبارة عن نظم لنثر الشيخ "الاخضري"، وموضوعه الإيمان والصلاة، الطهارة، الآداب، والأخلاق، ويشتمل هذا النظم على ثلاثمائة وأربعة وثمانين بيت جاءت في إحدى وعشرين صفحة ونظرا لأن نظم الاخضري يحتوي على ما هو ضروري من فقه العبادات على كل مكلف قام الشيخ "محمد باي" بنظمه حتى يقرب المعنى للطلاب، لأن نظم العلم يُقرب للطلاب الفهم ويُسهل عليهم

[1] - محمد باي بلعالم : زاد السالك شرح أسهل المسالك ، (ج1) ، المصدر السابق ، ص 6 .

[2] - المصدر نفسه، (ج2) ، ص 281 .

*- هو **عبد الرحمن بن صغير الاخضري** (1514 – 1546م) كاتب و فيلسوف تعلم القران و الرياضيات على يد أبيه ثم ارتحل إلي تونس و اخذ عن مشايخها من اعتماله : الجوهر المكنون في ثلاثة فنون ، الدرة البيضاء و السلم المرونق في المنطق ومختصر في فقه العبادات على مذهب مالك ، ينظر عاشور شرفي : المرجع السابق ، ص 59 .

الحفظ فقد قيل: العلم فازت به الحفاظ[1]؛ كما أراد أيضا الشيخ "محمد باي" من خلال نظمه لنثر الأخضري أن يلحقه بما نظمه "الشيخ محمد بن أب المزمري" الذي نظم جزء من مختصر الأخضري وهو (باب السهو) فأراد أن يتم نظم بقية النثر حتى يلحقه بركب نظم "ابن أب" تجنبا للتكرار .

ولقد جاء في مطلع النظم ما يلي :

قال محمد بن عبد القادر القبلوي الساهلي القاصر
باي بها عرف وابن العالم لقبه في دفتر المحاكم
الحمد لله الذي قد وفقا من شاء من عباده إلى التقى
وفضل الفقه على العلوم فكان مثل البدر في النجوم[2]

ولقد أنهى الشيخ "محمد باي" نظمه هذا الذي استغرق فيه إحدى عشر يوماً فقط يوم 05 صفر من عام 1408هـ /1987م .

3- الجواهر الكنـــزية* لنظم ما جمع في العزية: وهذا الكتاب عبارة عن نظم لنثر (مقدمـــة العزيـــة للجماعـــة الأزهرية) لصاحبها "أبو الحسن علي المالكي الشاذلي"تتناول هذه المقدمة جملة من المسائل المختصرة في العبـــادات والمعاملات والأخلاق والتوحيد والفرائض وضعها صاحبها لينتفع بها الولدان، حيث لخصها من كتابه المســـمى (عمدة السالك على مذهب الإمام مالك)، وهي تشتمل على احد عشر باباً وسماها (بالمقدمة العزية) نســـبة إلى مسكنه"العزية" الذي ألفها فيه برأس سويقة العزي من القاهرة[3].

ولقد قام الشيخ "محمد باي" بنظمها نظراً لأهمية المسائل التي تحتويها، وحتى يُسهل الحفظ به للمبتدئين ويحصل الفهم للمهتدين فجاء نظمه من ألف وتسعة وأربعين بيت(1049) يشتمل على ثلاثة عشر باب جاءت في ستة وخمسين صفحة جاء في مطلعها :

قـــال محمـــد بباي عرفا الحمد لله العظيم وكفى
لسنا وان حمدنا رب نحصي ثناءنا على العظيم المحصي
صلى وسلم على خير الورى عليه نزل فلولا نفرا
والآل والصحب ومن قد تبعا ومن لعلم الفقه جد وسعى[4].

وفرغ من نظم هذه المقدمة يوم 24 من شهر ربيع الأول من عام 1408هـ/ 1987م .

---

[1] – محمد باي بلعالم : ميسر الحصول على سفينة الوصول ، المصدر السابق، ص5 .

[2] – محمد باي بلعالم : الإشراق البدري شرح الكوكب الزهري ، المصدر السابق ، ص ص (4 – 5).

*– **الجواهر الكنـــزية** جمع جوهرة و الكنـــزية من الكنز و هو المال المدفون ، ينظر ، محمد باي بلعالم : السبائك الابريزية شرح على الجواهر الكنـــزية، المصدر السابق ، ص6 .

[3] – أبي الحسن علي المالكي الشاذلي : المقدمة العزية للجماعة الأزهرية ، (ط1) ، المكتبة العصرية ، بيروت : 2000 ، ص ص (3 – 4).

[4] – محمد باي بلعالم : الجواهر الكنـــزية لنظم ما جمع في العزية ، (د، ط) ، دار هومة ، الجزائر : 2002 ، ص 3.

4 – فتح الجواد شرح على نظم العزية لابن باد: وصاحب النظم هو الشيخ "محمد بن باد الكنتي" ويشتمل نظمه هذا على نفس مواضيع مقدمة العزية (التوحيد، العبادات، المعاملات، الفرائض، والأخلاق...) جاءت في سبعمائة وستة وعشرين (726) بيت جاء في مطلعها :

الحمد لله رب العالمين إياه نعبد فقط و نستعين

ثم الصلاة على محمد هادي الأنام والآل والصحب الصلاة والسلام[1]

وضع عليها الشيخ "محمد باي" شرحا سماه (فتح الجواد) جاء في مائتين وثماني وثمانين (288) صفحة اشتملت على ستة وستين (66) ما بين باب وفصل، حاول من خلالها حل ألفاظ نظم العزية "لابن بادي الكنتي" على الرغم من أن النسخة التي اعتمدها – والتي كانت بحوزته – بها مواضع مبتورة كان يشير إليها خلال الشرح كما يشير إلى ما غاب عن الناظم ويستدركه ثم يأتي به من الأصل مثل: عدم تكلم الشيخ "ابن بادي" في نظمه عن (باب الحجب) في الميراث مع وجوده في الأصل – يعني في كتاب العزية– فجاء به الشيخ "محمد باي" من الأصل وشرحه لأنه باب مهم يمنع على من لا يعرفه الفتوى في الفرائض كما قد قيل[2] .

ولقد اعتمد مترجمنا الشيخ "محمد باي" في شرحه لهذا النظم على كتب السنة مثل: الموطأ، والصحاح (البخاري ومسلم) وعلى أمهات كتب الفقه المالكي مثل مختصر خليل، المدونة لسحنون، المرشد المعين، وعلى مجموعة من كتب علماء إقليم توات وكتبه مثل: زاد السالك على أسهل المسالك، كشف الجلباب على جوهرة الطلاب، فواكه الخريف، وشرح ابن العالم الزجلاوي على خليل، وقد فرغ من شرحه هذا يوم 11جمادى الأولى من عام 1408 هـ/1987م .

5 – السبائك الابريزية على الجواهر الكنزية: وهو شرح لنظمه المسمى (الجواهر الكنزية لنظم ما جمع في العزية) السابق الذكر، ويعالج هذا الكتاب نفس المواضيع التي احتواها النظم جاء في اثنين وثمانين (82) ما بين باب وفصل كما أنها نفسها المواضيع التي احتواها شرحه لنظم العزية "لابن باد" لذا اعتمد على كتابه السابق الذكر في شرح نظمه (الجواهر الكنزية) إلى جانب اعتماده على شروحات أخرى .

وللإشارة فإن المؤلف في هذا الكتاب حاول أن يبسط ويقرب المعنى أكثر للعامة حيث استخدم بعض الألفاظ العامية مثل: الكبل (الذرة)، تدلاغ (اللوبيا)، وفي قوله مثلا:« الصاع هو مقدار قصعة أولف لأن قصعة أولف فيها أربعة أمداد»[3]،بل وأضاف بعض المسائل التي لا توجد في الأصل، والتي أضافها أيضا في نظمه (الجواهر الكنزية) مثل: واجبات الدم التي لم يذكرها الشيخ "أبي الحسن علي المالكي الشاذلي" في مقدمة العزية فأتى بها الشيخ "محمد باي" لأنها تعد من المسائل التي ينبغي للحاج معرفتها[4]؛ وفرغ الشيخ "محمد باي" من تأليفه هذا الذي جاء في مائتين وثماني وثلاثين (238) صفحة يوم 08 ربيع الثاني من عام 1410 هـ/1989م .

---

[1] – محمد باي بلعالم : فتح الجواد شرح على نظم العزية لابن باد ، المصدر السابق ، ص ص (3 ، 6) .

[2] – المصدر نفسه ، ص 259 .

[3] – محمد باي بلعالم : السبائك الابريزية شرح على الجواهر الكنزية، المصدر السابق، ص ص (132 ، 167) .

[4] – المصدر نفسه ، ص 168 .

6 – الإشراق البدري شرح على الكوكب الزهري: وهو عبارة عن شرح لمنظومته المسماة (الكوكب الزهري على مختصر الأخضري) السابقة الذكر، ويتضمن الكتاب نفس مواضيع المنظومة (العبادات)، قام بشرح ألفاظها ومعانيها في عشرين ما بين باب وفصل، وفرغ من شرحه هذا الذي لم تتجاوز عدد صفحات كتابه المائة والاثنان والعشرون (122) صفحة يوم 13رجب من عام 1410هـ /1989م وبالتالي يكون ما بين النظم والشرح سنتين فقط .

7– المباحث الفكرية شرح على الأرجوزة البكرية*: هذا الكتاب عبارة عن شرح لمنظومة الشيخ "محمد البكري بن عبد الرحمن التنلاني" المسماة (بالأوليات) التي جمع فيها أوليات من فنون العلم التي ينبغي على المكلف معرفتها (كالتوحيد، الأخلاق، العبادات، والمعاملات ...) واشتملت منظومته هذه على سبعمائة وخمسة وثلاثين (735) بيت يقول في مطلعها :

يقول من باسم الإله يبتدئ وبالمحامد له في الأبد

محمد نجل عبيد الرحمان لقبه البكري مولى الأوزان[1]

واهتماماً منه لتصحيح العقيدة والعبادة، قام الشيخ "محمد باي" بشرح هده الأرجوزة ليوضحها ويبينها للقارئ والمتعلم خاصة وأنها قد احتوت على فوائد وفرائد عديدة، أضاف إليها مسائل أخرى أحيانا، كما أن هذا الشرح يأتي أيضاً مساهمة منه لإحياء ذكرى الشيخ "محمد البكري" الذي يعتبر من عظماء علماء تـوات الـدين خلفوا مآثر عديدة في فنون متنوعة تحتاج إلى التحقيق والإخراج بدراستها والتعليق عليها، واحتوى كتابه هـذا الذي اشتمل على مائتين وثلاث وتسعين (293) صفحة على مائة وثلاثة عشر(134) ما بين باب وفصل، وقـد أنهى من شرحه يوم 05 شوال من عام 1414هـ /1993م .

8 – أنوار الطريق لمن يريد حج البيت العتيق: موضوع هذا الكتاب مناسك الحج وأركانه وأحكامه، والعمـرة وحكمها وأركانها، حيث بين فيه العلامة "محمد باي" كل الأمور المتعلقة بالحج والعمرة، كما بين فيه للحاج ما يجوز فعله ومالا يجوز تبعاً للتطورات الحاصلة في البقاع المقدسة، وهذا بحكم تجربته الطويلة في الحج، كما عدد فيه بعض المواقع الأثرية في مكة المكرمة، والمدينة المنورة والتي يستحب للحاج والمعتمر زيارتها، وعرض فيه أيضا قضية جواز تأخير الإحرام إلى مدينة "جدة" بالنسبة لراكب الطائرة التي أفتى فقهاء العصر– بما فيهم هو نفسه – بجوازها نظرا لما في الإحرام من الطائرة من عسر، وهي من القضايا التي كانت له فيها محاورة مع الشيخ "محمد بن الكبير" كما أسلفنا ذكره، وقد فرغ من تأليف هذا الكتاب الذي يشتمل على مائة وخمس عشرة (115) صفحة يوم 10 شوال من عام 1415هـ/1994م .

---

*– **سميت بالأرجوزة** لأنها من البحر الرجز وزنه مستفعل ست مرات ، وصاحبها العلامة محمد البكري بن عبد الرحمن بن الطيب بن احمد التنلاني ولد بالزاوية البكرية سنة 1262ه وتوفي سنة 1339ه كان عالما جليلا عبقريا شاعرا مفلقا ترك ديوانا من الشعر جل أشعاره في مدح الرسول عليه السلام كما له مرثيات و نثريات ، ينظر محمد باي بلعالم : المباحث الفكرية شرح على الأرجوزة البكرية ، المصدر السابق ، ص ص (7 ، 9) .

[1] – المصدر نفسه ، ص6 .

9 – فتح الرحيم المالك في مذهب الإمام مالك: هو عبارة عن أرجوزة في المذهب المالكي من وضع العلامة "محمد باي"، وتحتوي أرجوزته هذه على (2509بيت) تناول فيها مواضيع من المذهب المالكي (كالتوحيد، فقه العبادات والمعاملات، الفرائض، والأخلاق) ويشتمل هذا الكتاب على مائة وتسع (109) ما بين بابٍ وفصلٍ أولها باب التوحيد، وآخرها باب الصفات التي ينبغي أن تكون في المؤمن، وجاء في مطلع نظمه هذا قوله :

الحمد لله الرحيم ذي العلا سبحانه جل وعز وعلا
صلى و سلم إلهنا على من نزلت عليه إقرأ ولا
و ءاله و صحبه الهدات وعلماء ديننا الثقات[1]

ولقد جاء هذا الكتاب مساهمة منه في خدمة المذهب المالكي إلى جانب كتبه السابقة الذكر واللاحقة حيث جمع أحكامه من كتب متفرقة من كتب الفقه المالكي،كما ضمنه أحياناً موقفه الشخصي من بعض القضايا المستجدة مثل: العمل بخبر الهاتف والتلفاز في صيام رمضان والإفطار الذي أفتى جل العلماء بجوازه، وفوق كل هذا فالكتاب يعبر عما جادت به قريحته الشعرية فقد جاء سهل الألفاظ قريب المعاني،كما أن القارئ له يمكنه أن يلمس فيه شخصية المؤلف؛ ولقد أنهى نظمه هذا الذي جاء في مائة وتسع وثلاثين صفحة يوم 06 رمضان من عام 1416هـ/1995م[2] .

10– ملتقى الأدلة الأصلية والفرعية الموضحة للسالك على فتح الرحيم المالك في مذهب الإمام مالك:

يحتوي هذا الكتاب على (أربعة أجزاء) يشتمل على مائة وتسع وثلاثين (139) مابين باب وفصل جاءت في ألف وأربعمائة واثنتين وثلاثين (1432) صفحة في مجموعه، وهو عبارة عن شرح لأرجوزته (فتح الرحيم المالك) السابقة الذكر جاء مدعماً بالأدلة الأصلية والفرعية لأن عمدة الدين وأصله كتاب الله وسنة رسوله، ويتناول هذا الكتاب نفس مواضيع الأرجوزة، أنهى الجزء الأول منه في رمضان من عام1417هـ/1996م، والثاني في ذي القعدة من نفس العام بولاية ورقلة، والثالث في صفر من عام 1418هـ/1997م، أما الرابع فقد فرغ منه في ربيع الأول من نفس العام.

ولقد اختار العلامة "محمد باي" لهذا الكتاب منهجية فريدة من نوعها حيث كان يبدأ في الشرح بالنص ثم يجلب الأدلة الأصلية للموضوع من الكتاب والسنة، ثم يشرح الأبيات بالأدلة الفرعية، وبلغ عدد الأدلة الأصلية والفرعية التي استشهد بها (4897) دليل منها (2683) دليل من القرآن والسنة[3]، كما انه قدم فيه إحصاء لعدد الأدلة التي جاء بها من كل كتاب، معتمداً في ذلك كله على تقسيم كتابه إلى أبواب وفصول، مما جعل الشيخ

[1] – محمد باي بلعالم : فتح الرحيم المالك في مذهب الإمام مالك ، المصدر السابق ، ص3 .

[2] – المصدر نفسه ، ص139 .

[3] – محمد باي بلعالم:ملتقى الأدلة الأصلية والفرعية الموضحة للسالك على فتح الرحيم المالك على مذهب الإمام مالك ، (ج1) ، المصدر السابق ، ص8

"عبد الرحمن الجيلالي" رحمه الله يصف عمله هذا: "بالصنع المحكم، البديع، وأنه جاء مرتب ترتيب عجيب، يعسر على بعض الغير جمعه"[1] .

ونظرا لأهمية هذا الكتاب الذي رد فيه الأحكام إلى الأصول بدل الاعتماد على الفروع لوحدها، والذي هدف من خلاله خدمة المذهب المالكي بالعودة إلى الأصول (الكتاب والسنة)كان محل تقدير وإعجاب العلماء الذين قرظوا له أمثال: الشيخ "محمد الطاهر آيت علجت" الذي قال فيه:« بأنه جاء إثراءً لمكتبة الفقه المالكي وسداً لفراغ فيه هائل واستجاب لرغبة المساكين من عزوف المتأخرين عن خدمة هذا الفقه بما يطابق العصر »[2] .

ذلك لأن معظم الناس في هذا العصر أصبحوا لا يؤمنون بالحكم ما لم يكن مشفعاً بدليل أصلي من الكتاب أو السنة، وقال فيه الشيخ "عبد الرحمن الجيلالي" رحمه الله: « بأنه جاء استدلالاً على مسائل الشرع المطلوبة كاملاً فيما يتطلب الفقه المالكي لنفسه وفي نفسه ولمن يرغب في ذلك من الفقهاء، أو المتعلمين، فهو موسوعة الفقه المالكي أصلاً وفرعاً ونظماً ونثراً أو هو جامع المدونات في الفقه المالكي على الإطلاق...»[3]، أما الشيخ "عبد الرحمن حفصي" فقال فيه: «... فمثل هذا الاجتهاد البارع، والبحث الرائع في عصرنا هذا يجب أن ينوه به لأنه يأنف به من سمع به فهو لم يغادر صغيرة ولا كبيرة مما يستحق أن يستدل به إلا جمعها سواء كان ذلك في الفروع والأصول،كتاباً وسنةً وإجماعاً إلى غير ذلك... فعلى المحتاج التمسك به لأنه يشتمل على ما يبهر العقول من المعقول، والمنقول مما يقرب الوصول إلى علم الأصول »[4] .

ومن أهم الكتب والمراجع التي اعتمدها الشيخ "محمد باي" في شرحه هذا إلى جانب القرآن الكريم وكتب الصحاح الستة، مختصر الشيخ خليل، أسهل المسالك "لمحمد البشار"، فتوحات الإله المالك لشيخه "مولاي أحمد الطاهري"، تحفة الأحكام لابن عاصم، وغيرها من المراجع .

ولقد ضمن الشيخ "محمد باي" كتابه هذا بعض آرائه العلمية مثل: إشارته في حديثه عن موانع الميراث (ابن الزنا الرقيق، القتل العمد، ولد اللعان، الشك في السابق في الموت) إذ يذكر في المانع الأخير:"بأنه إذ مات موروثان أحدهما في الجنوب والآخر في الشمال في الجزائر مثلاً في يوم واحد من الصيف عند طلوع الشمس، فإن الذي في الجنوب يرث الذي في الشمال وإن كان في الشتاء فالعكس، لأن طلوع الشمس في الصيف يسبق في الشمال، وفي الشتاء يسبق في الجنوب"[5]، ويشير بأنها غريبة لم يرى من تكلم عنها، وإن كان الكلام وقع في مثلها بالنسبة للشرق والغرب فإن التفصيل ما بين الشتاء، والصيف لا يكون في مثل المشرق، والمغرب لأن الأمر يختلف بين الصيف والشتاء، ويرى الأستاذ "محمد الدباغ"[6]:"بأن ما ذهب إليه الشيخ محمد باي بلعالم هو تحليل علمي

---

[1] – محمد باي بلعالم:ملتقى الأدلة الأصلية والفرعية الموضحة للسالك على فتح الرحيم المالك على مذهب الإمام مالك ، (ج1) ، المصدر السابق، ص ج .

[2] – المصدر نفسه، ص ص (ب – ت).

[3] – المصدر نفسه، ص ج.

[4] – المصدر نفسه، ص ص (خ – د).

[5] – المصدر نفسه، (ج4) ، ص 432 .

[6] – المقابلة السابقة.

دقيق لظاهرة طبيعية، لو لم يكن هناك شهادة طبية تحدد ساعة، أو وقت الوفاة"، إلا أن ما يؤخذ على المؤلف في هذا الشرح هو حذفه لبعض المواضيع من بعض الأبواب مثل: أحوال العبيد (العتق والتدبير وأحكام أم الولد) والجهاد أي جهاد الكفار لأجل الدخول في الإسلام بشروطه المعروفة، وغيرها من الأمور التي صار العمل بها معلقاً وجامداً أو انعدمت واختفت كما يقول[1]، إلا أنها مع تغير أحوال الزمان قد تظهر من جديد .

11- الاستدلال بالكتاب والسنة النبوية على نثر العزية ونظمها الجواهر الكنزية: يحتوي هذا الكتاب على (جزءان) يشتمل الأول على أربعة أبواب وأربعة وخمسين درس جاءت في مائتين وثلاث وخمسين(253) صفحة أما الثاني فيشتمل على تسعة أبواب واثنين وأربعين درساً، والكتاب عبارة عن استدلال لنثر العزية ولنظمها الذي وضعه المسمى (الجواهر الكنزية) وهو يعالج نفس مواضيعهما بالرجوع إلى الأدلة الأصلية والفرعية، إذ دلّل كل مسألة بأدلتها التي وردت فيها حتى بلغ عدد الأدلة التي اعتمدها (1872دليل) منها مائتان واثنتان وسبعون (272) آية قرآنية و(1546)حديث نبوي ومن أقوال مالك في الموطأ اثنان وأربعون (42) قولاً ومن المدونة اثنا عشر(12) قولاً .

أما بالنسبة للمنهجية التي اعتمدها في هذا الكتاب فهي تختلف اختلافاً طفيفاً عن المنهجية التي استعملها في كتابه السابق (ملتقى الأدلة) حيث كان يأتي بنص العزية نثراً ثم النظم ثانياً، ثم يقوم بشرح المفردات ثالثاً، ثم يشرح الأبيات بالأدلة الفرعية رابعاً، ثم يجلب الأدلة الأصلية من الكتاب والسنة أخيراً[2] .

نلاحظ أن ما أضافه في هذا الكتاب إلى جانب الأدلة الأصلية والفرعية هو شرحه للمفردات الغامضة لذا يمكننا أن نعتبره بمثابة تكملة لما ابتدأه من (نظم العزية) وشرحها (السبائك الابريزية) فهو جامع لهما لمن أراد الإطلاع على النثر والنظم والشرح .

وقد أنهى الشيخ "محمد باي" هذا الشرح الذي جاء في مائتين وسبع وأربعين (247) صفحة يوم 17 رجب 1418هـ/ 1997م .

12- انقشاع الغمامة والإلباس عن حكم العمامة واللباس من خلال سؤال سعيد هرماس: وهذا الكتاب عبارة عن رده على سؤال السيد "سعيد هرماس الجلفاوي" الذي استفتاه عن حكم العمامة، ولباسها فأجابه بجواز لباسها مستشهداً في ذلك بأدلة من القرآن والسنة والإجماع حيث رد فيه على الذين ادعوا أن لبسها من عمل الخوارج، كما ضمن الكتاب حكم ارتداء بعض الألبسة وأنواعها، وكذا النعل، وجعل كل ذلك في سبعة مباحث وذيله بمنظومة للشيخ "محمد بن باد" تسمى بـ (مريح البال من أحكام الانتعال) تشتمل على ستة وأربعين بيت قام بشرحها .

ولقد أنهى من تأليفه هذا الذي يشتمل على عشرين عنوان جاءت في مائة وتسع صفحات يوم02 جمادى الثانية 1419هـ/ 23سبتمبر 1998م .

---

[1] - محمد باي بلعالم : ملتقى الأدلة الأصلية والفرعية ، (ج1) ، المصدر السابق، ص ص (35 – 36) ,

[2] - محمد باي بلعالم: الاستدلال بالكتاب والسنة النبوية على نثر العزية ونظمها الجواهر الكنزية ، (ج1)، (د،ط) ،دار هومة ، الجزائر: 2002 ، ص4 .

13- إقامة الحجة بالدليل شرح على نظم ابن بادي على مهمات من مختصر خليل (أربعة أجـــزاء): الـــنظم للشيخ "محمد بن بادي الكنتي" وضعه لبعض المسائل المهمة من مختصر خليل بن إسحاق في المذهب المالكي .

هذا المختصر الذي استحوذ عناية القضاة والطلاب والدارسين والمدرسين في الزوايا خاصة في المغـــرب العربي سواء من حيث دارسته أو شرحه أو نظمه، ويبلغ عدد أبيات هذا النظم (2787) بيت يقول الشيخ "ابن بادي" في مطلعها :

الحمد لله الذي حث الورى كلا على الفقه بلولا نفرا
مصليا مسلما على الذي قال عماد ديننا الفقه الشذي[1]

ولما كان العلامة "محمد باي" محباً وشغوفاً بالعلم خاصة علم الفقه، ولكونه شيخ مدرسة مشهورة يؤمها التلاميذ من مختلف أرجاء الوطن للنهل من مختلف العلوم الشرعية، انكب على شرحه فحلل ألفاظه، واســـتخرج معانيه، ودلل كل ذلك بالأدلة الأصلية التي لم يكن يتعرض لها الكثير من المصنفين الذين كانوا يكتفـــون بـــذكر المشهور، وما روي من شيوخ المذهب المالكي دون التعرض للدليل من الكتاب والسنة وإجماع علماء الأمة لثقتهم بشيوخ المذهب المالكي الذين رووا عنهم ما كتبوه عن العلماء الأعلام، حتى بلغ عدد الأدلة التي استشـــهد بهـــا 3085 دليلا[2].

وقد اعتمد في شرحه هذا على عدد من أمهات كتب الفقه المالكي مثل: الصـــحاح وكتـــب التفاســـير مختصر خليل، وبعض الشروح مثل: مواهب الجليل على خليل للحطاب، التاج الإكليل لمختصر خليـــل، تبـــيين المسالك شرح تدريب المسالك، وغيرها .

أما بالنسبة للمنهجية التي اختارها لهذا الكتاب ففي الأجزاء الثلاثة الأولى منه كان يأتي بـــالنظم، ثم مـــا تضمنته الأبيات من المختصر، ثم يشرع في الشرح بالأدلة الفرعية، ثم بعد ذلك يستدل بالأدلة الأصلية من الكتاب والسنة وإجماع علماء الأمة، أما في الجزء الأخير (الرابع) فانه قد غير من منهجيته حيث كان يأتي بالنظم ثم الشرح مع الإتيان بعبارة الأصل ثم الأدلة من الكتاب، والسنة وإجماع علماء الأمة[3] .

وخلال شرحه لنظم "ابن بادي الكنتي"كان الشيخ "محمد باي" أحيانا يأتي بـــبعض الفـــروع الـــتي لم يذكرها صاحب النظم من نظم الشيخ "خليفة بن حسن السوفي"[*] لمختصر خليل لكون نظم الشيخ "خليفة" عـــام لجميع مختصر خليل بخلاف نظم "ابن بادي"،كما انه كثيراً ما كان يجلب نظم الشيخ "خليفة" نظـــراً لان بعـــض

[1] - محمد باي بلعالم : إقامة الحجة بالدليل شرح على نظم ابن بادي لمختصر خليل ، (ج1) ، المصدر السابق ، ص 33 .

[2] - المصدر نفسه ، ص 8

[3] - المصدر نفسه ، (ج4) ، ص 5

[*] - **خليفة بن حسن السوفي القماري** : هو من اشهر من نظم لخليل و اعتنى بالفقه عناية خاصة ولد بقمار من وادي سوف عاش حياته متنقلا لطلب العلم و فرغ من نظمه المسمى جواهر الإكليل في نظم مختصر الشيخ خليل عام 1192ه ، وله تأليف أخرى في الفقه ، ينظر ، أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي ، (ج2) ، المرجع السابق ، ص ص (77 - 78) .

الأبيات في نظم "ابن بادي" جاءت معقدة، في حين أن نظم الشيخ "خليفة" أوضح وموافق لعبارة الأصل على حد تعبيره[1] .

وتأتي محاولته هذه في شرح نظم "ابن بادي" لمختصر خليل من ضمن إسهاماته في إخراج أعمال الشيخ "محمد بن بادي الكنتي" كما أنها تعد أول شرح لهذا النظم حيث يذكر الشيخ "آيت علجت":« بأنه رأى بعضاً من الطلاب المجدين قد حفظوه نظما، فبقوا ينتظرون له شرحاً فجاء شرح الشيخ محمد باي له في وقت الحاجة»[2].

ولقد أشاد بمجهود العلامة "محمد باي" في إخراج هذا الكتاب كل من قرظ له حيث قال فيه الشيخ "ناصر بن عبد القادر بونيف" ما يلي: «والشيخ المؤلف اليوم حينما يشرح هذا الكتاب القيم بالأدلة، فانه يسدي على الكتاب المذكور وفقه المذهب على الخصوص، والفقه على العموم أيما خدمة »[3]؛ أما الشيخ "محمد الطاهر آيت علجت" فقال فيه منوها بجهد صاحبه: «... أنه جمع فيه أدلة الأحكام ما تفرق منها في مختلف الأسفار، وانه وفر فيه وقتاً ثميناً لقارئيه وأراح الدارسين، والمدرسين من عناء البحث والتنقيب عن أدلة الأحكام المتناثرة في شتى الكتب...»[4]، وقال فيه الشيخ "محمد الأخضر الدهمة": «... لاشك أن هذا الكتاب يعد لبنة لها قيمتها تضم إلى صرح الفقه الإسلامي على مذهب الإمام مالك رحمه الله الذي كان ينقصه تدعيم الأحكام الفقهية بادلتها الشرعية المجتباة من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية واجتهادات العلماء الأجلاء... ولقد ساهم كل من الناظم، والمؤلف في تذليل العقبات التي كانت تعترض طلاب العلم من حيث التعقيد الذي يتصف به مختصر خليل والذي لا يقدر على حله وتوضيحه إلا الجهابذة الأعلام...»[5] .

وللإشارة فإن العلامة "محمد باي" كان مدققاً في عرض الأدلة وعدها في مؤلفه هذا، ففي نهاية عرضه للأدلة في كل مسألة كان يذكر مجموعها كاملاً؛ ولقد أنهى شرحه هذا الذي يشتمل على مائة وأربعة وأربعين مابين باب وفصل جاءت في (1756) صفحة يوم 06 جمادى الثانية 1420هـ/1999م .

14- مرجع الفروع إلى الأصيل من الكتاب والسنة والإجماع الكفيل: يعد هذا الكتاب أضخم ما ألفه في علم الفقه بل وفي مؤلفاته كلها على مختلف أنواعها إذ يحتوي على (عشرة أجزاء)، وهو عبارة عن شرح لنظم الشيخ "خليفة بن حسن السوفي" على خليل المسمى"جواهر الإكليل" الذي يشتمل على(9853) بيت جاء في مطلعه :

أول ما أقول أني احمد ربي على أنعامه وأشهد
أن لا إله غيره يؤمل وأن أحمد نبي مرسل[6]

---

[1] - محمد باي بلعالم : إقامة الحجة بالدليل شرح على نظم ابن بادي لمختصر خليل ، (ج3) ، المصدر السابق ، ص132 .

[2] - محمد باي بلعالم : المصدر نفسه، (ج1) ، ص 10 .

[3] - المصدر نفسه، ص ص (5 – 6) .

[4] - المصدر نفسه، ص 10 .

[5] - المصدر نفسه ، ص ص (11- 12) .

[6] - محمد باي بلعالم : مرجع الفروع إلى التأصيل ، (ج1) ، المصدر السابق ، ص29 .

ولقد دعم الشيخ "محمد باي" شرحه هذا بالأدلة الأصلية من الكتاب والسنة، ومن الإجماع فكان عددها (3878) دليل .

ويذكر بأن الذي حمله على شرح هذا النظم هو حبه لعلم الفقه الذي يعد من أجل العلوم الشرعية قدراً ولأن مختصر خليل يعد أهم ما ألف في الفقه المالكي، وأن غالب الشروح التي وضعت له اقتصر الشراح فيها على الأدلة الفرعية دون ارتباط بالأدلة الأصلية، في الوقت الذي يُعير فيه البعض على المالكية عدم اعتنائهم بارتباط الفروع بالأصل، لذا رأى بأن يدخل إلى هذا المختصر من غير الباب المعهود عند شراحه المنثور، أو المدخل السهل كما سماه[1]، فوقع اختياره على نظم الشيخ "خليفة بن حسن السوفي"، لكونه يشتمل على جميع ما ورد في مختصر خليل .

وتعد محاولته هذه لشرح نظم الشيخ "خليفة بن الحسن السوفي" لخليل أول محاولة في الجزائر، إذ يذكر في مقدمة كتابه[2]: « بأنه على الرغم من أن هذا النظم هو من إنتاج ثقافتنا المحلية، إلا أنه لم يرى له شرحاً لا من العلماء الجزائريين ولا من غيرهم»، وقد سرد أسماء أكثر من أربعة وثلاثين عالم من علماء الجزائر المحققين الذين وضعوا حواشي أو نظم، أو قاموا بشرح مختصر خليل لكن لم يوجد بينهم من قام بشرح نظم الشيخ "خليفة السوفي"، على الرغم من انه نظم معروف لدى الغالبية، وبالتالي يكون العلامة "محمد باي أول" عالم في الجزائر قام بإخراج هذا النظم من طي النسيان بعد أن حققه وأعاد كتابته .

ولقد قسم العلامة "محمد باي" كتابه هذا إلى أبواب، وقدم إحصاءً لما اشتمل عليه كل جزء من أبواب وأبيات وأدلة أصلية وفرعية؛ أما بالنسبة للمنهجية التي اختارها في شرحه لهذا النظم فهي لا تختلف عن المنهجية التي اتبعها في كتابه "إقامة الحجة بالدليل" السابق الذكر، إلا أنه لم يكن يجلب النص الأصل، بل كان يأتي بالأصل نظما، ثم يقوم بشرحه بالأدلة الفرعية ثم يأتي بالأدلة الأصلية من الكتاب والسنة والإجماع، وغالب الأدلة التي كان يأتي بها هي نفسها الأدلة التي اعتمدها في كتابه (إقامة الحجة بالدليل) مع زيادة بعض الأدلة المتعلقة بالمسائل التي لم يتناولها "الشيخ ابن بادي" في نظمه بالرجوع إلى القرءان الكريم، وكتب الصحاح الستة وأمهات كتب الفقه المالكي كالموطأ والمدونة ومختصر الشيخ خليل وغيرها، وشروحات مختصر خليل كمواهب الجليل، التاج الإكليل جواهر الإكليل، الوجيز على خليل وغيرها من الشروحات .

ونظرا لضخامة هذا العمل الذي قام به من حل ألفاظ مختصر خليل وتبيان مسائله – مساهمة منه في خدمة المذهب المالكي– كان محل إعجاب وتنويه وتقدير من طرف العلماء الذين قرظوا له، كالسيد الشريف "ناصر بن عبد القادر بونيف" الذي وصفه بالعمل الجليل لان صاحبه قام بحل ألفاظ النظم وتبيين مسائله بياناً مشفعاً بالأدلة من الكتاب العزيز والسنة الغراء، وأنه كتاب يغبطه طالب العلم المبتدئ ولا يستغني عنه الفقيه المنتهي .

وقال فيه وفي صاحبه نظماً :

[1] – محمد باي بلعالم : مرجع الفروع إلى التأصيل ، (ج1) ، المصدر السابق ، ص12.

[2] – المصدر نفسه، ص13 .

كتابك مجد الفقيه وطالب بأنواره يهدي المقول ويرشد
صنعت صنيعا فيه غير مقلد يسلم له أملي وحرر يشهد
سلكت طريق العالمين موفقا وقولك بالنقل الصحيح مؤيد[1]

إلى آخر الأبيات وعددها تسعة أبيات .

ولقد استغرق العلامة "محمد باي" في شرحه لهذا النظم الذي اشتمل على مائة وثلاثة وثلاثين ما بين باب وفصل جمعها في(3333 صفحة) سنتين فقط حيث ابتدأ شرحه في ربيع الثاني عام 1420هـ/1999م وفرغ منه في 17ذي القعدة عام 1422هـ/31 جانفي 2002م.

15- السيف القاطع والرد الرادع لمن أجاز في القروض المنافع: موضوعه فوائد البنوك المحرمة، إذ ألفه قمعاً للمحرمات ولقطع الشبهات ورداً على من أفتى بجواز أخذ الفوائد من البنوك، ويتضمن كتابه هذا ثلاثة أبواب وثمانية وعشرين فصل جاءت في مائة وخمس وتسعين (195) صفحة تكلم فيه عن البنوك ووظائفها، والفتوى وشروطها والشروط التي يجب أن تتوفر في المفتي، كما ضمنه رأيه الخاص من المسالة المطروحة، إلى جانب عرض آراء فقهاء وعلماء المذهب المالكي .

فعالج بهذا المسالة بأسلوب علمي موضوعي، حيث عرض في ذلك فتاوى لعلماء من الولاية ومن الوطن ومن خارجه تُحرم القرض الذي يجر المنفعة، مُستدلاً في ذلك كله بأدلة أصلية من الكتاب والسنة وإجماع علماء الأمة كما بحث المسألة من كل جوانبها، وساق فتاوى العلماء قديماً وحديثاً بين من خلالها خطورة الربا، وتدعيماً لموقفه ألحق بالكتاب مجموعة من الملاحق لها صلة مباشرة بالموضوع .

ويعتبر كتابه هذا من بين مواقفه الصارمة التي سجلها ضد كل محاولة تسعى إلى هدم الإسلام من الداخل إذ ضمنه رأيه وموقفه الشخصي من المسألة، ورد على صاحب الفتوى رداً صارماً، فضرب بهذا مثلاً للعالم العامل من أهل السلف الذي يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر ويصدع بالحق كما قال عنه الباحث الدكتور "عبد القادر جعفر"، وأسكت من خلاله كل فتوى تبيح فوائد القروض وليس فوائد البنوك فحسب، كما قال عنه الأستاذ "لحسن بن محمد علجية"[2].

ولقد اعتمد الشيخ "محمد باي" في هذا الكتاب على ست وستين ما بين مصدر ومرجع لتبيين الحكم الشافي في هذه المسألة التي فصل فيها الكتاب والسنة منذ أربعة عشر قرن مضى، وفرغ من هذا المؤلف يوم 24رجب عام 1427هـ/19 أوت 2006م .

[1] - محمد باي بلعالم : مرجع الفروع إلى التأصيل ، (ج1) ، المصدر السابق ، ص ص (9 – 10).

[2] - محمد باي بلعالم : السيف القاطع والرد الرادع لمن أجاز في القروض المنافع، المصدر السابق، ص ص (33ي ، 42ي) .

16- تحفة الملتمس على الضوء المنير المقتبس في مذهب الإمام مالك بن أنس: وهذا الكتاب عبارة عن شرح لنظم الشيخ "محمد بن محمد الفطيسي الليبي"*، أهدي له هذا النظم من طرف شاب من ولاية "البويرة" حيث طلب منه أن يجعل عليه شرح، أو تعليق، فلبى له الطلب لكونه جاء جامعاً شاملاً لفقه الإمام مالك بن أنس[1] فسماه "بتحفة الملتمس على الضوء المنير المقتبس في مذهب الإمام مالك بن انس" وجاء كتابه هذا في ثلاثة أجزاء مخطوطة وكان آخر كتاب ألفه في الفقه المالكي، بل كان خاتمة أعماله التاليفية كلها، فرغ منه يوم 23 رمضان عام 1429هـ/ 2008م .

ب- علم أصول الفقه:

أولى الشيخ "محمد باي" اهتماماً بعلم الأصول، لكونه العلم الذي يُمكن للعالم أن يستنبط من خلاله الأحكام الشرعية (كالواجب، المكروه، المحرم، والمندوب) من أدلتها التفصيلية، لذا ألف في هذا العلم كتابين هما :

1- ميسر الحصول شرح على سفينة الأصول: وهو عبارة عن شرح لنظم الشيخ "محمد الأمين القريشي" المسمى (سفينة الوصول لطالبي علم الأصول) الذي وضعه لكتاب (الورقات) لأمام الحرمين "الجويني" التي تشتمل على فن أصول الفقه، ويتكون هذا النظم من مائتين وتسع وسبعين (279) بيت جاء في مطلعها :

قال الفقير العاجز الحقير من دأبه التفريط والتقصير
محمد الأمين ابن القرشي ابن البصير الهاشمي القرشي
ذو نسب مسلسل موصول إلى الحسين وإلى الرسول[2]

ويعالج هذا النظم جميع الأمور المتعلقة بأصول الفقه كالأحكام وأقسامها، والعلم والجهل، المجمل والمبني والنسخ وأفعال الرسول عليه الصلاة والسلام، لذا قام الشيخ "محمد باي" بشرحه يحركه في ذلك الشعور بالغيرة الدينية.

ويعد هذا الكتاب من أهم الشروحات التي وضعها في علم أصول الفقه لأنه يعد شرحاً لنظم الورقات لإمام الحرمين "الجويني" في هذا الفن؛ وقد اعتمد الشيخ "محمد باي" في شرحه هذا على مجموعة من المصادر والمراجع كالصحاح الستة، شرح الحطاب على الورقات، شرح العبادي، شرح "جلال الدين المحلى" على الورقات، فتح المتعالى للشيخ "ابن بادي الكنتي"، الموافقات للشاطبي، مختصر خليل والرسالة "لابن أبي زيد" وغيرها من الكتب، وأنهى من شرحه هذا الذي يشتمل على ثلاثة وأربعين ما بين باب وفصل جاءت في مائة وواحد صفحة يوم 07 شعبان من عام 1411هـ/ 1990م .

---

*- هو **محمد بن محمد الفطيسي** الفقيه العالم الجليل المؤلف ولد ببلدة زليتن في أوائل المائة الثالثة الهجرية بعد الألف ، نشاء في بيت علم وفضل اخذ العلم عن والده و أعمامه كان مشهورا بالجد في تحصيل العلم ، درس و ألف فيه ، من تأليفه : منظومته الفقهية "الضوء المنير المقتبس في مذهب الإمام مالك بن انس " ومنظومة أخرى في التوحيد و أخرى في النحو ، توفي سنة 1310 ه عن سن تناهز المائة ، ينظر : محمد باي بلعالم : تحفة الملتمس على الضوء المنير المقتبس في مذهب الإمام مالك بن انس ،(ج1) ، د، ن ، ص ص (3- 4).

[1]- المصدر نفسه ، ص ص (1 – 2) .

[2] - محمد باي بلعالم : ميسر الحصول على سفينة الوصول ، المصدر السابق ، ص3 .

2- ركائز الوصول على منظومة العمريطي في علم الأصول: وهو عبارة عن شرح وتعليق على منظومة "العمريطي" في علم أصول الفقه التي جمع فيها ما جاء في (ورقات) إمام الحرمين "الجويني"، والتي يعود تاريخها إلى القرن التاسع للهجرة/ الخامس عشر للميلاد، وتحتوي هذه المنظومة على مائتين وأربعة (204) أبيات جاء في مطلعها :

قال الفقيه الشرف العمريطي ذو العجز والتقصير والتفريط
الحمد لله الذي قد أظهرا علم الأصول للورى وأشهرا
على لسان الشافعي وهونا فهو الذي له ابتداء دونا[1]

ولقد اختار الشيخ "محمد باي" في شرحه لهذا النظم نفس المنهجية التي اعتمدها في كتابه السابق الذكر حيث كان يأتي بالنظم أولاً ثم الشرح ثانياً معتمداً في ذلك على جملة من المصادر والمراجع، ولقد أنهى من شرحه هذا الذي يشتمل على ثمانية عشر باب وخاتمة جاءت في ثمانية وستين صفحة في الفاتح من جمادى الثانية عام 1412هـ/1991م.

ثالثاً- مؤلفاته في علم الفرائض والسيرة النبوية :

ا- علم الفرائض:

كان الشيخ "محمد باي" مولعاً وشغوفاً بعلم الفرائض منذ صغره نظراً لاتصاله بعلم الفقه، ولأن الرسول عليه السلام قد حث على تعلمه لكونه أول علم يقبض كما ورد عنه عليه السلام، فألف فيه جملة من الكتب ما بين نظم ونثر وشرح كان أولها .

1-كتاب الدرة السنية في علم ما ترثه البرية[*] : وهو عبارة عن منظومة في علم الفرائض تحتوي على مائة وثمانية وثلاثين بيت جاءت في ثماني صفحات فقط جمع فيها مسائل مختلفة من الميراث، كان قد وضعها أيام دراسته في "المدرسة الطاهرية" حيث أنهى نظمها في شوال عام 1371هـ/1950م[2]، وهو ابن عشرين سنة، فكانت هذه المنظومة أول ما ألفه من كتبه كلها أثبت فيها براعته الشعرية وقدرته على النظم،كما أثبت من خلالها تفوقه على زملائه في الدراسة إذ يذكر[3]: «بأن والده وشيخه تقبلاها بسرور، وفرح ورضا بعدما عرضها عليهما»، ودعا له شيخه مولاي "احمد الطاهري" بعد أن عرضها عليه قائلاً:«أرجو من الله أن تنظم وتنظم »[4]، وجاء في مطلع منظومته هذه:

يقول باي نجل عبد القادر القبلوي حامد للغافر

---

[1] - محمد باي بلعالم : ركائز الوصول على منظومة العمريطي في علم الأصول ، المصدر السابق ، ص 6 .

[*] - **الدرة** : جمعها درر و هي اللؤلؤة النفيسة موضوعها في علم ما ترثه البرية و المراد به الخليقة والمقصود بهم هنا المسلمون، ينظر، محمد باي بلعالم : الأصداف اليمية شرح الدرة السنية ، المصدر السابق ، ص 2 .

[2] - المصدر نفسه ، ص 43 .

[3] - المصدر نفسه ، ص1 .

[4] - عبد الخالق عقيد : المقابلة السابقة .

صلى وسلم إلهنا على من قال في الحديث نحن لا ولا
وبعد إن العلم خير كل ما يلفى على الأرض جميعا فاعلما
ونصفه علم الفرائض المنير كما أتى عن كل عالم خبير
في قوله تعلموا الفرائضا و علموها الناس ذا قول اضا
فهاك فيه درة سنية في علم ما ترثه البرية
أخذتها من شيخنا الحبر الأديب مولاي أحمد بن إدريس النجيب[1]

2- كشف الجلباب شرح على جوهرة الطلاب في علمي الفروض والحساب: يشتمل هذا الكتاب على ثلاثة وعشرين باب وخاتمة جاءت في مائة وتسع عشرة (119) صفحة وهو عبارة عن شرح لأرجوزة "الشيخ عبد الرحمن السكوتي" في علم الفرائض المسماة (جوهرة الطلاب في علمي الفروض والحساب) التي تحتوي على زهاء مائة وثمانين بيت تناول فيها مسائل مختلفة متعلقة بالميراث (كأسبابه – موانعه – الوارثون من الرجال والنساء – الحجب – الولاء ...)، يقول الشيخ "السكوتي" في مطلع هذا النظم :

بسم الإله والصلاة والسلام على النبي والآل والصحب الكرام
وبعد حمد وارث الأرض ومن له البقاء وليس يفنيه زمن
فأجدر العلوم علم الإرث بالنظر الشديد أو بالبحث[2]

وللإشارة فإن منظومة الشيخ "السكوتي" هذه كانت من بين المخطوطات التي أخرجها الشيخ "محمد باي" من رفوف خزائن المخطوطات، عقب الحملة الواسعة خلال مهرجان تأبين الشيخ "محمد بن عبد الكريم المغيلي" عام 1985م بعد أن كانت في طي النسيان والإهمال، فأعاد جمعها وحققها ووضع عليها شرحاً استجابة لمن طلب منه ذلك كما ذكر[3] فجاء شرحه هذا مفيداً يقرب المعنى للطالب ويعين الباحث، وقد أنهى هذا الشرح يوم 13 جمادى الأولى من عام 1407هـ/1986م.

ولا شك أن المؤلف بعمله هذا قد نفض الغبار عن إحدى المخطوطات التي يزخر بها إقليم توات في هذا الموضوع (علم الميراث) والتي لحقها الإهمال وطال عليها الزمان – إذ يرجع تاريخ تأليفها إلى 1312هـ/1901م – و لم تجد من يخرجها إلى النور من جديد لولا عنايته واهتمامه بإخراجها .

3- فواكه الخريف شرح على بغية الشريف في علم الفرائض المنيف: ويأتي هذا الكتاب من جملة إسهاماته في إخراج أعمال الشيخ "ابن بادي الكنتي"، الذي خلف في علم الفرائض منظومة تشتمل على مائة بيت سماها (ببغية الشريف في علم الفرائض المنيف) جاء في مطلعها :

حامد ربه محمد بن باد قال مصليا على خير العباد

---

[1] – محمد باي بلعالم : الدرة السنية في علم ما ترثه البرية، مخطوط بخزانة الشيخ محمد باي بلعالم ، بلدية أولف، ص1 .

[2] – محمد باي بلعالم :كشف الجلباب شرح على جوهرة الطلاب في علمي الفروض والحساب ، (د،ط) ، مطبعة عمار قرفي ، باتنة : د ، ت ، ص ص (5 – 6).

[3] – المصدر نفسه ، ص ص(3- 4) .

و آله و صحبه و سلما هذه بالإرث جرعة تنفى الظما
جاءت من الأحكام والحساب في مائة بالعجب العجاب
سميتها ببغية الشريف مولاي أحمد الفتى الظريف[1]

ولقد اعتمد الشيخ "محمد باي" في شرحه هذا على نفس المنهجية التي اعتمدها في المؤلف السابق، حيث كان يأتي بالنظم أولاً ثم بعد ذلك الشرح متوقفاً عند كل كلمة لم تذكر، أو لم يشر إليها الناظم فيأتي بها حتى تكتمل الصورة ويتضح المعنى للقارئ والمدرس معا، معتمداً في ذلك على كتب لها صلة بالموضوع كالرحبية المختصر في علم الفروض للسكوتي، وغيرها من الكتب، بالإضافة إلى مؤلفاته، وقد أنهى شرح هذا النظم الذي جاء في تسعين صفحة تشتمل على سبعة عشر باب يوم16جمادى الثانية عام 1407هـ/1986م .

4- الأصداف اليمية شرح الدرة السنية: هذا الكتاب عبارة عن شرح لمنظومته (الدرة السنية) السابقة الذكر عالج فيه نفس مواضيع المنظومة من أسباب الميراث، موانعه، الورثة، الحجب ...الخ؛ واتبع في هذا الشرح نفس المنهجية التي اتبعها في المؤلَفين السابقين في هذا العلم، ولقد اعتمد في شرحها على جملة من المصادر، والمراجع التي لها صلة مباشرة بالموضوع كالقرآن الكريم، وكتب الصحاح، والرحبية، وجوهرة الطلاب للسكوتي والمختصر في علم الفروض للشيخ المغيلي، ومؤلفاته، وغيرها، فحل مُشكلها حتى أصبحت واضحة سهلة يستفيد منها طلاب العلم، وأنهى هذا الشرح الذي يشتمل على أربع وأربعين صفحة في جمادى الثانية من عام 1411هـ /1990م

5- مركب الخائض على النيل الفائض[*]: هو أيضا عبارة عن شرح لنظم العلامة الشيخ "بون أن ابن الشيخ الطالب أخيار الشنقيطي" المسمى (النيل الفائض) في علم الميراث الذي يحتوي على ثلاثمائة واحد عشر(311) بيتا افتتحها بقوله :

الحمد لله القدير الوارث من حيث لم يبق هنا من وارث
من لم يكل قسم الفرائض على سواه جل من نبي وعلا
ولا من الملائك المقربين ثم صلاته على النبي الأمين[2]

ويحتوي هذا النظم على مسائل متعلقة بالميراث، هي نفسها التي عالجها في كتبه السابقة الذكر عمل الشيخ "محمد باي" على فكها وتوضيحها معتمداً في ذلك على نفس المنهجية .

قد يبدو للبعض بأن شرح النظم هو من الأمور السهلة، لكنه في الحقيقة أمر صعب، إذ تفكيك النظم أصعب من نظمه، لذا فإن المؤلف قد قام بجهد يحسب له في هذا المجال، وأنهى الشيخ "محمد باي" من شرحه هذا الذي اشتمل على تسعة وثلاثين ما بين باب وفصل جاءت في خمس وتسعين صفحة يوم 07 رجب من عام 1413هـ/1992م.

---

[1] - محمد باي بلعالم : فواكه الخريف شرح على بغية الشريف في علم الفرائض المنيف، المرجع السابق، ص ص (4 – 5) .

[*]- سماه صاحبه **بالنيل الفائض** نسبة لنهر النيل بين مصر و السودان ، تفاءل به الناظم لينتفع بهذا النظم كما انتفع سكان مصر و غيرهم بالنيل المعروف فيما تيسر من علم الفرائض ، ينظر محمد باي بلعالم : مركب الخائض شرح على النيل الفائض ، (د،ط) ، مطابع عمار قرفي ، باتنة : د ، ت ، ص6 .

[2]- المصدر نفسه ، ص 4 .

ب- السيرة النبوية:

بصفته شيخ مدرسة لتعليم العلوم الدينية والقرآنية، والأخلاقية أولى الشيخ "محمد باي" عناية خاصة بها سواء تدريساً أو تأليفاً، فقد خلف عدة محاضرات تتناول جانب هام من حياة الرسول الكريم، منها ما هو مدون ومنها ما لم يدون بعد، نهيك عن الدروس التي كان يلقيها في السيرة النبوية أثناء تدريسه، وفي المساجد خاصة خلال شهر رمضان وشهر المولد النبوي الشريف، كما كان يختم صحيح البخاري من كل عام، ويختم صحيح مسلم والموطأ من كل سنتين كما أسلفنا ذكره، وأهم مؤلف تركه في هذا الموضوع هو كتاب:

1- فتح المجيب في سيرة النبي الحبيب صلى الله عليه وسلم: وهو كتاب ما يزال مخطوط لم يطبع بعد عالج فيه جوانب هامة من حياة الرسول صلى الله عليه وسلم، خاصة الأحداث التي صاحبت ولادته ونشأته، وبعثته وهجرته إلى المدينة المنورة، وآثارها وأحداث السنة الأولى للهجرة، وما بعدها من السنوات إلى وفاته عليه الصلاة والسلام مع تناول جانب من أخلاقه وصفاته صلى الله عليه وسلم، وقد فرغ من تأليفه هذا الذي يشتمل على ثمانين صفحة يوم 13 ربيع الثاني من عام 1413هـ/1992م .

- **تقييم عام لمؤلفات الشيخ محمد باي في العلوم الشرعية :**

من خلال عرضنا لأهم ما ألفه العلامة "محمد باي" في مختلف العلوم الشرعية سجلنا بعض المآخذ منها :

1- أن جل ما ألفه في العلوم الشرعية لا يعدو عن كونه نظماً أو شرحاً، وهي طريقة تقليدية قديمة جاءت خالية من شروط البحث المعاصرة فالشروح، والطرر يؤلفها عادة العالم الذي ينتصب للتدريس لاستكمال الاستيعاب والأداء أما المنظومات فتستعمل لتسهيل عملية الحفظ لأن المدرس يعتمد على الذاكرة لعدم توفر الكتابة وصعوبة القراءة في كثير من الأوقات[1]، لذا اشتهر الشيخ "محمد باي" كمدرس بوضع حواشي، وشروح على الكتب التي كان يدرسها لتلاميذه، أو قام بنظمها حتى يقرب لهم معانيها ويوضحها ويسهل عليهم حفظها.

2- أن معظم مؤلفاته الشرعية جاءت في "الفقه المالكي" حيث ألف فيه ستة عشر كتاباً؛ ولعل هذا يعود إلى شدة اعتنائه بالفقه، وتصحيح العقيدة، خاصة وأنه قد وجد السواد الأعظم من الناس – بعد عودته من "المدرسة الطاهرية" – لا يأخذ بقواعد ولا تعاليم الدين الإسلامي إما لسوء فهم أو لجهل منهم، ثم علم "الفرائض" الذي ألف فيه خمسة كتب لاتصاله بعلم الفقه، في حين نجد إسهاماته في العلوم الشرعية الأخرى لا تتجاوز الكتابين، أو الواحد كما في مصطلح الحديث والسيرة النبوية .

3- أن بعض مؤلفاته الشرعية جاءت استجابة لمن طلب منه ذلك، كما ذكر في مقدماتها مثل: زاد السالك المباحث الفكرية، الأصداف اليمية، كشف الجلباب، فواكه الخريف، كشف الدثار، تحفة الملتمس، و لم تكن لدوافع ذاتية .

4- خلو هذه المؤلفات من التراجم، والفهارس إذ استثنينا فهرس الموضوعات، كما أنه لم يفرد لها قائمة مصادر ومراجع خاصة بها، باستثناء الأخيرة منها كمرجع الفروع إلى التأصيل، السيف القاطع، أنوار الطريق .

[1] - محمد المختار ولد أباه : المرجع السابق ، ص 32 .

ورغم أن ما ألفه العلامة "محمد باي" في العلوم الشرعية لا يُعدو عن كونه شروح، أو حواشي، أو أنظام إلا أنها لم تكن من النوع الذي ينضاف إلى الشروح، والحواشي السابقة ليزيد من عددها، بل كانت شروحاً جديدة في معظمها أخرج من خلالها خبايا مؤلفات لم تكن معروفة، كادت أن تصبح في طي النسيان، كمؤلفات علماء المنطقة من أمثال: الشيخ "ابن أب المزمري"، والشيخ "محمد عبد الرحمن السكوتي" والشيخ "ابن العالم الزجلاوي" والشيخ "البكري" ومن خارج المنطقة كالشيخ "محمد ابن بادي الكنتي"، فأبرز من خلالها إسهاماتهم العلمية في العلوم الشرعية، وهو ما يسمح لنا باستخلاص فكرة عن المستوى المعرفي الذي كان سائداً في إقليم توات خلال القرون التي عاشوا فيها (من القرن الحادي عشر إلى القرن الرابع عشر للهجرة)،كما أمدنا من خلالها بصورة عن الحياة العقدية والفكرية التي كان عليها أهل توات خاصة، والجزائر بصفة عامة، فجاءت كلها مفيدة بشهادة مشايخ وعلماء وأساتذة وباحثين وطلاب علم .

فهذا الشيخ "عبد الرحمن حفصي" يقول عنها[1]: « أنها كلها درر، وألفاظها كلها غرر تقرب الأقصى من اقتناص الشوارد من أحكام الشرع الواردة، ليشرب من معانيها ونصائحها السديدة الصادر والوارد، والجاهل والظمآن المتباعد»، ويقول الأستاذ "محمد الدباغ" عنها وعن صاحبها[2]: « بأنها من الناحية العامة كلها مفيدة حيث ألف فيها أحياناً بمنهجية المتقدمين مثل الشروح، وأحيانا أخرى بمنهجية المتأخرين مثل كتابيه: السيف القاطع وأنوار الطريق كما حاول من خلالها عصرنة الخطاب والأمثلة، فمن المعروف أن كتب الفقه صعبة جداً في تناولها، لكنه استطاع أن يُقرب، ويُبسط مسائلها ويجعلها في متناول المثقف العامي». كما سهل من خلالها مهمة المدرسين والدارسين والقارئين والباحثين أيضا خاصة بالنسبة لشروحاته التي نفض من خلالها الغبار عن مخطوطات فقهية، وشرعية كادت أن تأتي عليها عادية الزمن في رفوف خزائن المخطوطات، مما جعل الأستاذ "أحمد جعفري" يجعله على رأس علماء وأرباب الزوايا وشيوخ المدارس التواتية عامة، وولاية أدرار خاصة، الذين كان لهم اهتماماً خاصاً بالمخطوطات، وعناية بإخراجها إلى جانب الشيخين "عبد العزيز سيد أعمر" رحمه الله و" التهامي غيتاوي"[3] .

وبهذا يكون العلامة "محمد باي" قد فتح مجالاً واسعاً ورحباً أمام الباحثين والدارسين لدراسة تلك المخطوطات والتعمق فيها أكثر بما يتماشى وخطوات البحث الأكاديمي المعاصر .

ومن جهتها ساهمت مؤلفاته هذه في خدمة المذهب المالكي – الذي مثل مرجعيته والإطار الذي لم يحد عنه طول حياته – وإثرائه بشهادة علماء الوطن المعاصرين له، وغيرهم فهذا صديقه وزميله الشيخ "عبد الرحمن حفصي" ينوه بدورها في خدمة المذهب فيقول[4]: « أنها زادت في خدمة المذهب المالكي من كل جوانبه (المعاملات، الميراث والعبادات ...) خاصة في منطقته تيديكلت التي كان سواد أهلها يعانون قلة فهم لقواعد

[1] – محمد باي بلعالم: ملتقى الأدلة الأصلية والفرعية ، (ج1) ، المصدر السابق ، ص د.

[2] – المقابلة السابقة .

[3] – احمد جعفري: محمد بن أب المزمري ، المرجع السابق ، ص ص (ب – ج).

[4] – المقابلة السابقة .

وتعاليم الدين كما أنها ساهمت في إحداث تغيير اجتماعي، وديني في هذه المنطقة عند بعض الذين أخذوا بها ويقول الشيخ "عبد القادر بن صالح الداوي الورقلي" عن صاحبها منوها بخدمته للفقه المالكي: « ... ومن العلماء الذين خدموا هذا العلم الشريف وفازوا بذلك القدر المنيف وتسنمو ذروة التحقيق والتأليف صاحب التآليف المفيدة والتعاليق الفريدة بقية السلف وقدوة الخلف سيدي الشيخ محمد باي بلعالم ...»[1]، وهذا الشيخ "البكاي بن عبد الله الكنتي المختاري المالي" يُشيد أيضا بما قدمه الشيخ "محمد باي" من خدمة جليلة للمذهب المالكي في رسالة بعث له بها مما جاء فيها: «...أما الشيخ باي بن الشيخ عبد القادر فالله هو المسؤول أن يكافئه عنا وعن سائر المسلمين عن آثاره الحميدة وتواليفه وخطبه ومواعظه وإرشاداته الكثيرة والمفيدة ... فهو على ذلك مواظب محافظ بأوجز تعبير مع حسن بيانه غير الطويل الممل، ولا القصير المخل، مقتصراً على المشهور مشيراً للراجح في الكثير، لم يمزق مذهب مالك بإدخال الاختيارات الشاذة وبدع المهالك فالله يجازيه بالخير وأضعاف أضعاف ذلك ..»[2] .

ومن الواضح أن جهود العلامة "محمد باي" هذه قد أسهمت كثيراً في خدمة المذهب المالكي في عصرنا الحالي، لما خلفه من مؤلفات شرعية ملأت مكتبات وخزائن الزوايا ودور الثقافة في ولاية ادرار، وفي الوطن، بل وحتى في خارج الوطن (في البقاع المقدسة والسودان الغربي والمغرب الأقصى وموريتانيا) وهو ما جعل الأستاذ "أحمد جعفري" يصنف جهوده هذه ضمن أبرز جهود، ونشاطات فقهاء توات في العصر الحديث خدمةً لمذهب مالك تدريساً وتأليفاً، إلى جانب جهود شيخه " أحمد الطاهري"، حيث يسرا بمؤلفاتهما للمذهب، ودعما لحضوره ونشره، بل وكان له الباع الطويل في ترسيخ، ونشر المذهب المالكي بالإقليم خلال هذا القرن (الحادي والعشرين للميلاد) من خلال مؤلفاته الغزيرة في هذا الباب[3].

ولعل ما جعل العلماء والأساتذة والدكاترة المعاصرين للعلامة "محمد باي" ينوهون بما قدمه من خدمة للمذهب المالكي من خلال مؤلفاته الغزيرة: هو استخدامه للأصول، واهتمامه بها لتأييد وإيضاح تشريع المذهب المالكي، وهي طريقة مخالفة لبعض علماء المذهب الذين يكتفون بالتقليد دون الرجوع إلى الأصول (القرآن والسنة) لذا رجع في مؤلفاته الأخيرة مثل: (الاستدلال بالكتاب والسنة، إقامة الحجة بالدليل، ملتقى الأدلة الأصلية والفرعية مرجع الفروع إلى التأصيل، والسيف القاطع) إلى الأدلة الأصلية والفرعية، لأنه رأى بأن ظروف العصر الحالية اقتضت ذلك، إذ أن الناس في الوقت الحالي لم تعد تقتنع بحكم إلا بذكر دليله، عكس ما كان عليه الأمر سابقاً من قبول الأحكام مجردة عن أدلتها لثقة الناس مما دونه العلماء لاستقامتهم وتجردهم من الأهواء، وشدة خشيتهم لله تعالى وبالتالي حتى يتبين الحق من الباطل .

---

[1] – محمد باي بلعالم: إقامة الحجة بالدليل ، (ج1) ، المصدر السابق ، ص7.

[2] – محمد باي بلعالم: الرحلة العلية ، (ج2) ، المصدر السابق ، ص ص (523 – 524).

[3] – احمد جعفري: (جهود فقهاء توات في خدمة المذهب المالكي) ، الملتقى الدولي الثالث عشر : المذهب المالكي تاريخ وآفاق ، المرجع السابق ص ص (468 ، 473).

ولقد كان لدوره الريادي البارز في خدمة المذهب المالكي بصفة خاصة، والدين الإسلامي بصفة عامة والدفاع عنه أمام كل المحاولات التي تسعى إلى هدمه ما جعل الشيخ "عبد الرحمن الجيلالي" رحمه الله يصفه: «بالفقيه الضليع ويلحقه بالرعيل الأول ممن صحبوا مالكاً في عصره، وشاركوا أتباعه وتلامذته الأفذاذ في تقليده والعمل على قواعده واجتهاداته المحكمة»[1]، وهو ما جعل أيضا الشيخ "الأخضر الدهمة المتليلي" يجعله "من الخلف العدول الذين الذين يبرئون الدين من تأويل الجاهلين وانتحال المبطلين، ويردون الاعتداء على شريعة رب العالمين"[2].

وبهذا يتضح لنا أن الشيخ "محمد باي" قد أسهم إلى جانب شيخه "أحمد الطاهري" وعلماء توات السابقين في الحفاظ على وحدة سكان توات من الانقسامات المذهبية، والطائفية التي طالت بعض الأقطار .

لذا فإن أعماله هذه هي جديرة بالدرس، والبحث لما تناوله فيها من مسائل فقهية، ولما ضمنه فيها من آرائه ومواقفه تجاه بعض القضايا المعاصرة، ولكونها جزء لا يتجزأ من التراث الثقافي الجزائري من جهة، ولكون صاحبها يعد من رواد الأمن الثقافي في ولاية أدرار خاصة، والجزائر عامة، بل ومن أبرز العلماء المعاصرين الذين ساهموا في خدمة المذهب المالكي من جهة أخرى .

[1] – محمد باي بلعالم : ملتقى الأدلة الأصلية والفرعية ، (ج1) ، المصدر السابق ، ص ج .

[2] – محمد باي بلعالم : السيف القاطع والرد الرادع ، المصدر السابق ، ص ص (21ي – 22ي) .

المبحث الثاني : الإنتاج الفكري للعلامة محمد باي في علم اللغة وآدابها :

خلف الشيخ "محمد باي" آثارا فكرية في العلوم اللغوية والأدبية منها ما هو منثور ومنها ما هو منظوم وسنعرض في هذا المبحث أهم انتاجاته اللغوية والأدبية التي خلفها مع تقييمها واستخلاص أسلوبه والمنهجية التي كان يتبعها في تأليفها.

أولاً : الإنتاج اللغوي للشيخ محمد باي بلعالم .

اهتم الشيخ "محمد باي" بالعلوم اللسانية* وبخاصة علم "النحو" الذي ألف فيه تآليف عدة، لان فهم القرآن والحديث متوقف على معرفة النحو حتى يَحفظ المعلم والمتعلم من الوقوع في الخطأ، ولأن القدماء رغبوا في تعليمه ومدحوه لكونه مفتاح لكل علم، إذ لا مدخل لعلم إلا من بابه، بل وعابوا جهله وأنكروه[1]، لأنه لا سبيل لفهم معاني القرآن والسنة إلا بعد معرفة النحو وما يتعلق به من بيان وبديع وإعراب وبلاغة وصرف، حتى قال عنه "ابن حمادوش الجزائري":«أنه من العلوم التي تفتح شهية التلاميذ لأنه من العلوم العقلية»[2]، ومن أهم مؤلفاته في هذا الموضوع نذكر:

1- الرحيق المختوم: شرح على نزهة الحلوم** :ويأتي كتابه هذا في إطار إحياء مآثر، ونفض الغبار عن مؤلفات عالم العروض في إقليم توات "الشيخ محمد ابن أب المزمري"، والكتاب عبارة عن شرح لإحدى منظومات "ابن أب" الثلاث*** على مقدمة "ابن أجروم"، وهي الثانية التي نظمها في عام 1144هـ/1723م .

وعلى الرغم من أنها كانت معروفة لدى علماء توات وأصحاب الخزائن، إلا أنه لم يوجد من وضع لها شرحاً من قبل لذا وضع لها الشيخ "محمد باي" شرحاً، يحركه في ذلك الغيرة الدينية وقد جاء في مطلع منظومة "ابن أب" هذه التي تشتمل على مائة وأربعين بيت :

نحمدك اللهم يا من أنعم وعلم الإنسان ما لم يعلما
وبك أسالك أن تصليا على نبي بالبهاء حُلياً

---

*- **العلوم اللسانية** : هي أصناف فمنها علم اللغة وعلم النحو ، وعلم البيان وعلم الآداب ينظر، عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة ، المرجع السابق ص 523.

[1] - محمد باي بلعالم : كفاية المنهوم شرح اللؤلؤ المنظوم ، (د،ط) ، مطبعة عمار قرفي ، باتنة ، (د ، ت) ، ص 7 .

[2]- أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي ، (ج2) ، المرجع السابق ، ص 158 .

- **نزهة الحلوم : النزهة ما يتنزه به والحلوم العقول ، ويقال له أحلام ، قال تعالى :﴿ أم تأمرهم أحلامهم بهذا ﴾ ويجمع أيضاً الحليم على حلماء يريد هذا الكتاب يتنزه فيه أصحاب الحلوم ، أي العقول فيستفيدون منه ، ينظر ، محمد باي بلعالم : الرحيق المختوم لنزهة الحلوم المصدر السابق ، ص ص (4- 5) .

***- يذكر محمد باي بأن الشيخ ابن أب قد خلف ثلاث منظومات على مقدمة ابن أجروم الأولى نظمها عام 1120هـ وقد وضع عليها الشيخ ابن بادي شرحاً سماه " مقدم العي المصروم على نظم أبن أبا لأجروم " عام 1345هـ ، وكذا شيخه مولاي أحمد الطاهري ، وسمى شرحه " السلك المنظوم أو التبر المنظوم على حل ألفاظ نظم أبن أجروم " ، أما الثانية فوضعها عام 1144هـ وسماها " نزهة الحلوم في نظم مقدمة ابن أجروم " أما الثالثة فكانت من البحر الطويل أيضاً أنشأها عام 1157 هـ وسماها " كشف الغموم في نظم مقدمة ابن أجروم "، و لم يشرحها أحد ينظر، محمد باي بلعالم : الرحيق المختوم لنزهة الحلوم ، المكان نفسه .

سيدنا محمد خير البشر وآله ما لاح فجر وأنتشر[1]

والكتاب يحتوي على جملة من المسائل القديمة في علم النحو واللغة مثل: الكلام وأجـــزاءه، الإعـــراب وعلاماته الأفعال مرفوعات الأسماء، المصدر، ظرف الزمان وظرف المكان، المبتدأ والخبر، العطف والتوكيد والبدل منصوبات الأسماء الحال والتمييز، والاستثناء والمنادى، المفعول به وله ومعه، مخفوضات الأسماء .... الخ فشرحها شرحاً ميسراً مبسطاً مدعماً بأبيات، وأشعار، وأمثلة عربية قديمة إلى غير ذلك، وهي في غاية الإفادة اســـتعملها حتى يقرب المعنى للقارئ والمتعلم على الحد السواء، مما يثبت تضلعه في علم اللغة والبيان .

فجاء شرحاً ليس بالطويل الممل، ولا بالقصير المخل، إذ بلغت عدد صفحات الكتاب مائة وستة عشـــر صفحة تشتمل على سبعة وعشرين باب، وللإشارة فان هذه المنظومة لم تكن خاصة بالنحو فحسب بل اشتملت على معظم العلوم الدينية والأدبية، وهذا ما لمسه الشارح في عدة أمثلة كقول "ابن أب" مثلاً في حديثه عن أفعال الأمر:

كضم وصل وأدع وأرض بالقضاء وأقرضي وأقرضوا وأقرضا[2]

فالمتأمل للبيت يجده قد اشتمل على معظم العبادات والمعاملات والاعتقادات، من صلاة ودعاء وإيمـــان بالقضاء والزكاة .

ولقد اعتمد الشيخ "محمد باي" في شرحه لهذا النظم على كتب لها صلة بعلم النحو مثل: الجوهرة النحوية على شرح الاجرومية،كتاب بلوغ الغاية على الوقاية للشيخ "ابن بادي الكنتي"، لامية "ابن أب" لنظم مقدمة "ابن أجروم" وألفية ابن مالك ... وغيرها من الكتب، وأنهـــى شـــرحه هـــذا يـــوم 08 ربيـــع الأول مـــن عـــام 1407هـــ/1986م وبهذا يكون مابين الشرح والنظم 263 سنة .

2- اللؤلؤ المنظوم نظم مقدمة أبن أجروم: وهذا الكتاب عبارة عن نظم من البحر الطويل من وضـــع الشـــيخ "محمد باي" لمقدمة "ابن أجروم" في علم النحو، ويشتمل هذا النظم على مائتين واثني بيت يقول في مطلعها :

الحمد لله الذي قد فتحا أبواب فيضه لمن له نحا

صلى وسلم على من خفضا بالجزم من عن ربه قد أعرضا[3]

ويحتوي هذا النظم على ثلاثة وعشرين باباً ومقدمة ومدخل، تناول فيها جملة من المسائل المتعلقة بعلـــم النحو مثل: الإعراب وعلاماته، الأفعال، مرفوعات الأسماء، الفاعل، نائب الفاعل، المبتدأ والخبر...)، وغيرها من المسائل التي احتوت عليها مقدمة ابن أجروم، والتي تناولها في كتابه السابق (الرحيق المختوم لنـــزهة الحلوم) وهي كلها مسائل هامة لتعلم الصرف والنحو والبلاغة، وقد أنهى من نظم هذه المقدمة عام 1407هـــ/ 1987م[4] .

[1] - محمد باي بلعالم : الرحيق المختوم لنـــزهة الحلوم، المصدر السابق، ص ص (8- 10) .

[2] - المصدر نفسه، ص ص (45 – 46) .

[3] - محمد باي بلعالم : كفاية المنهوم شرح اللؤلؤ المنظوم ، المصدر السابق ، ص ص (4 ، 6) .

[4] - المصدر نفسه ، ص 114 .

3- عون القيوم على كشف الغموم نظم على مقدمة ابن أجروم (مخطوط): وهو عبارة عن شرح للمنظومة الثالثة للشيخ "محمد ابن أب" لنثر مقدمة "ابن أجروم" في علم النحو المسماة (كشف الغموم في نظم مقدمة ابن أجروم) من البحر الطويل، والتي لم تكن معروفة من قبل على عكس سابقتها (نزهة الحلوم في نظم مقدمة ابن أجروم) إذ أسفر عنها البحث عن المخطوطات، ونظراً لأن الشيخ "محمد باي" لم يرى لها شرحاً ولا تقريراً[1] قام بشرحها ليلحقها بعمله السابق مع المنظومة الثانية، والأولى التي شرحها كل من شيخه "مولاي أحمد الطاهري" والشيخ "محمد بن بادي الكنتي"، جاء في مطلع منظومة (كشف الغموم) لابن أب:

لك الحمد يا الهي يا من تفضلا ومنّ علينا بالبيان وأجملا[2]

أما المسائل التي تناولتها المنظومة فهي نفسها المسائل التي تناولها الشيخ "ابن أب" في منظومته (نزهة الحلوم) لذا جاء شرحها مبسطاً ومختصراً أيضاً، إذ لم يتجاوز عدد صفحات الكتاب المائة وواحد صفحة بخط المؤلف، وفرغ الشيخ "محمد باي" من شرحها يوم 28جمادى الأولى من عام 1407هـ/1987م .

4-كفاية المنهوم شرح اللؤلؤ المنظوم: وهو عبارة عن شرح لنظمه السابق الذكر المسمى (باللؤلؤ المنظوم نظم نثر ابن أجروم) في علم النحو، يشتمل هذا الكتاب على خمس وعشرين باب، ومدخل ومقدمة تناول فيها المؤلف نفس مواضيع النظم، إلا أنها جاءت في طابع ميسر، ومشروح بأسلوب جزل، وسهل يقرب المعنى والمبنى للقارئ والمتعلم معاً، فجاء شرحاً مختصراً لا تتجاوز صفحات كتابه المائة وثماني عشرة صفحة .

ولقد ناقش الشيخ "محمد باي" في هذا الكتاب مسائل قديمة بين المدارس النحوية مثل: مسألة المصدر الفعل، المبتدأ والخبر وعلامات الإعراب، الفاعل، العطف والتوكيد والبدل، الحال، والمصدر، ...الخ معتمداً في ذلك على مجموعة من الكتب التي لها صلة بالموضوع مثل: نزهة الحلوم لابن أب، ألفية ابن مالك وبعض كتبه مثل: الرحيق المختوم على نزهة الحلوم وعون القيوم على كشف الغموم، وأنهى هذا الشرح يوم 25رجب من عام 1415هـ/1994م

5- التحفة الوسيمة شرح على الدرة اليتيمة*: والكتاب عبارة عن شرح لنظم (الدرة اليتيمة) الذي لم يعثر الشيخ "محمد باي" على اسم ناظمها، ولا شيء عن حياته، إذ أن الناظم لم يذكر اسمه في النظم على الرغم من أن نظمه معروفاً ومتداولاً عند طلبة العلم في المتون النحوية، وقد جاء في مطلع هذه "الدرة" التي تشتمل على مائة بيت :

حمداً لمن شرفنا بالمصطفى وباللسان العربي أسعفا
ثم على أفصح خلق الله وءاله أزكى صلاة الله[3]

---

[1] - محمد باي بلعالم : الرحيق المختوم لنزهة الحلوم ، المصدر السابق ، ص 4

[2] - المكان نفسه.

*- **الدرة اليتيمة** : الدرة اللؤلؤة والجمع دروارت ودرر ، و يتيمة أي عديمة النظير قال في مختار الصحاح : وكل شيء مفرد يعز نظيره فهو يتيم يقال درة يتيمة : ينظر ، محمد باي بلعالم : التحفة الوسيمة شرح على الدرة اليتيمة ، (د،ط) ، مطبعة عمار قرفي ، باتنة : د ، ت ، ص5 .

[3]- المصدر نفسه ، ص 3 .

أما بالنسبة للمسائل التي تناولها الناظم في هذه المنظومة فهي لا تختلف عن مسائل الكتب السابقة مثل: (الكلمة وأقسامها – أقسام الإعراب – مرفوعات الأسماء – المصدر – المنصوبات من الأسماء)، كما تطرق إلى (النواصب والجوازم من الحروف والأفعال الخمسة ....) .

وقد جاء هذا الشرح مبسطاً ومختصراً لا تتجاوز ورقاته الثلاثة والخمسون صفحة، وقد اعتمد في شرحه على كتبه السابقة الذكر بالإضافة إلى كتب أخرى كألفية "ابن مالك" ونظم "كشف الغموم لإبن أب وغيرها من المؤلفات النحوية .

وللإشارة فان العلامة "محمد باي" كان شديد التدقيق، والتحري في المسائل التي تكلم فيها الناظم، بل وكان يأتي بما غاب عنه مثل: ذكر الناظم لعلامات الفعل (المضارع والماضي والأمر) وعدم ذكره لبعض الإمارات التي يتمايز بها الفعل مثل: السين وسوف فجاء بها الشارح[1]، مشيراً إلى أنه قد ذكرها في كتابه اللؤلؤ المنظوم .

وقد فرغ من هذا الشرح الذي اشتمل على ثمانية عشر مابين باب وفصل يوم 13 جمادى الأولى عام 1413هـ/ 1992م .

6- منحة الأتراب على مُلحة الإعراب[*]: والكتاب عبارة عن شرح لمنظومة (ملحة الإعراب) لصاحبها "محمد القاسم بن علي بن محمد بن عثمان الحريري البصري" (446- 510هـ/1054-1221م) صاحب المقامات والتي تحتوي على ثلاثمائة وسبعة وتسعين بيت يقول "الحريري" في مطلعها :

أقول من بعد افتتاح القول بحمد ذي الطول شديد الحول
وبعده فأفضل السلام على النبي سيد الأنام
واله الأطهار خير آل فافهم كلامي وأستمع مقالي[2].

أما بالنسبة للمسائل التي كانت موضوع (المُلحة) فقد جمعت الملحة بين علم النحو والصرف والآداب والأخلاق (بدائع الإعراب) ومسائلهم مثل: أنواع الكلام، الاسم، الفعل، الحرف، الأفعال، الإعراب وعلاماته الأسماء الستة المعتلة حروف العلة، حروف الجر، المبتدأ والخبر، ظن وأخواتها، المصدر، الحال، الظرف والتعجب ...الخ وكلها مسائل قديمة بين المدارس النحوية سواء الحجازية أو الكوفية .

ولقد اعتمد الشيخ "محمد باي" في شرحه لهذه المنظومة على جملة من المراجع التي لها صلة بالموضوع كمؤلفاته مثل: اللؤلؤ المنظوم، عون القيوم على كشف الغموم، كفاية المنهوم على اللؤلؤ المنظوم، الرحيق المختوم على نزهة الحلوم، وبعض المراجع الأخرى مثل: المقدمة الاجرومية، الجوهرة النحوية على شرح الاجرومية، ألفية ابن مالك بلوغ الغاية على الوقاية للشيخ "ابن بادي"، وأنهى شرحه لهذه الملحة الذي جاء في مائة واثنتين وستين صفحة تشتمل على واحد وستين مابين باب وفصل يوم03 جمادى الثانية من عام 1414هـ/ 1993م.

---

[1] – محمد باي بلعالم : التحفة الوسيمة شرح على الدرة اليتيمة، المصدر السابق ، ص 9 .

[*] – **مُلحة الإعراب** : ملحة من الملح بضم الميم وهو ما يستملح من الكلام أي يثير الإعجاب ، الإعراب بكسر الهمزة المراد به علم النحو : ينظر محمد باي بلعالم ، منحة الأتراب على ملحة الإعراب ، المصدر السابق ، ص 156 .

[2] – المصدر نفسه ، ص 4 .

تقييم مؤلفات العلامة محمد باي بلعالم اللغوية :

من خلال عرضنا لما ألفه العلامة "محمد باي" في علم اللغة سجلنا بعض المآخذ التي لا بد من ذكرهـــا منها:

1- خلو مؤلفاته هذه من الفهارس إذ استثنينا فهرس الموضوعات، إذ هي خالية من فهارس الأمـــاكن والبلـــدان والآيات والأحاديث، كما لا توجد بها أية إحالة تدل على المصادر والمراجع التي اعتمدها .

2- غياب التهميش إذ كان يشير إلى أماكن الاقتباس في المتون دون تهميشه أو توثيقه .

3- عدم تفرقته بين الأبواب والفصول حيث نجده يدمجها مع بعضها في أغلب الأحيان، بالإضافة إلى عدم إفاضته في شرح الأبواب عدا بعضها .

4- إسهابه في ذكر الشواهد الشعرية، وعدم ذكر مواطن الشاهد وتخريجه ووجه الاستشهاد .

5- أن أسلوبه جاء تقريري خاص متميز، وكأن الذين يخاطبهم على دراية وعلم بما يقول، وهو بهذا عمد علـــى الطريقة التقليدية في التأليف، وهي طريقة يعتمدها عادة شيوخ الزوايا .

6- أن جميع مؤلفاته اللغوية جاءت شرح لأنظم على (المقدمة الاجرومية)، أو نظمها، إذ لم يتعداها إلى مؤلفات أدبية أخرى مثل (ألفية ابن مالك) أو غيرها .

وعلى الرغم من هذه المآخذ التي سجلناها على مؤلفاته اللغوية إلا أن مترجمنا قد بذل جهداً معتبراً يحسب له في هذا الفن، إذ قام بإخراج بعض المخطوطات وتحقيقها بعد أن كادت تأتي عليها عادية الزمن، خاصة فيمـــا يتعلق بإخراجه لأعمال عالم العروض في إقليم توات "الشيخ ابن أب المزمري"، الذي لم يدرك هذا الجيل عبقريته لو لم ينفض الغبار عن أعماله، مما جعل الأستاذ "احمد جعفري"[1] ينوه بمجهوداته في إخراج أعمال العلامة "ابـــن أب"، بل وقرن ذكر أعمال الشيخ "ابن أب" بالشيخ "محمد باي" الذي عمل على شرح وتبسيط بعضاً منها، كما أنه كان شديد التدقيق والتحري في شروحاته هذه فنجده يُوضح ويرُجح ويُؤصل، (أي يعيد الأمور إلى مصدرها والأقوال إلى أصحابها والقراءات إلى منتسبيها) على الرغم من عدم تهميشه لها، وكثيراً ما كان يعتمد في شروحه هذه على مجموعة من النسخ المشابهة للنظم الذي يقوم بشرحه، ليُرجح ويُقارن ويستخرج الفارق بينها وكل ذلك في أسلوب جزل سهل وبسيط، وواضح زوده بالمحسنات البديعية، كالجناس والسجع ليقرب المعنى للقارئ والمتعلم معاً بشكل مختصر، إذ لم يتجاوز عدد صفحات مؤلفاته اللغوية (الـــمائة والعشرون صفحة في المتوسط) كما انه كان كثير الاستشهاد (بالآيات والأحاديث والأشعار والأمثلة) من أجل إيصال الفكرة للقارئ والمتعلم، وان دل هذا على شيء، فإنما يدل على امتلاكه لناصية اللغة العربية، وملكة حفظ جيدة تدل على خلفية قويـــة ودرايـــة معرفية بالقدماء خاصة المتأصلين في النحو وأصحاب الاحتجاج، ويظهر ذلك من خلال استدلالاته وذكره لبعض الكتب النحوية كالألفية والاجرومية، وعلاوة على كل هذا فقد ساهمت مؤلفاته اللغوية هذه في خدمـــة اللغـــة العربية احياءاً واثراءاً .

[1] - احمد جعفري : محمد بن أب المزمري ، المرجع السابق ، ص هـــ .

ثانياً: الإنتاج الأدبي للعلامة محمد باي بلعالم.

خلف العلامة "محمد باي بلعالم" العديد من الأشعار والتقاريظ والرسائل والخطب والتعازي التي سجلها في مناسبات عدة وفي أزمنة مختلفة.

ا- الشعر:

كان الشيخ "محمد باي" شاعراً مُجيدا، إذ خلف ديوان شعر يشتمل على مختلف أغراض الشعر العربي من مدح ورثاء، وشعر ديني، وتقاريظ ....الخ - إلا أنه لم يطبع بعد- أبرز من خلاله كفاءته في هذا الفن فقد كانت له قوة في النظم ومن تواضعه قال في إحدى الملتقيات التي شارك فيها:« ما أتيت به ليس من بنات أفكاري، وإنما نقلته من الكتب »[1] .

ونظراً لبراعته في الشعر، وتبحره في علم العروض، ألف فيه عدة مؤلفات منها ما يتجاوز عدد أبياتها الألفين بيت مثل: الكوكب الزهري نظم مختصر الاخضري (ثلاثمائة وأربعة وثمانون) بيت - الجواهر الكنزية لنظم ما جمع في العزية (ألف وتسعة وأربعين) بيت - الدرة السنية في علم ما ترثه البرية (مائة وستة وثلاثين) بيت- اللؤلؤ المنظوم نظم مقدمة ابن أجروم (مائتان واثنان) بيت - فتح الرحيم المالك على مذهب الإمام مالك (ألفين وخمسمائة وتسعة) أبيات .

وهذا لما للنظم من أهمية في تقريب المعنى لطالب العلم، وتسهيل عملية حفظ العلوم، حيث يقول عنه العلامة "ابن خلدون"[2]: «اعلم أن فن الشعر من بين الكلام،كان شريفاً عند العرب ولذلك جعلوه ديوان علومهم وأخبارهم وشاهد صوابهم وخطئهم، وأصلاً يرجعون إليه في الكثير من علومهم وحكمهم »، لذا أراد الشيخ "محمد باي بلعالم" أن يُسهم بدوره كبقية علماء السلف في نظم العلم حتى يسهل لطلابه، ولباقي طلاب الزوايا حفظ المتون والمسائل في مختلف فنون العلوم الشرعية والأدبية، ومن القصائد التي سجلها في الرثاء نذكر :

1- رثاؤه لشيخه"**أحمد الطاهر الإدريسي**"بعد سماعه لنبأ وفاته عام 1979م حيث رثاه بقصيدتين جاء في مطلع الأولى :

حدث أليم جاء بالحسرات والدم منه دب في العبرات
في طيبة وردت لنا أنباؤه بجوار طه وصحبه الهدات
فالصبر عيل والأفاق تغيرت والصبح مثل الليل في الدهمات

وجاء في مطلع الثانية المشتملة على خمسين بيت :

دع الدمع يجر من جفوني بكثرة ففيه عزائي إن بليت بنكبة
"بحي" ذي القعدة "طمنس" وألف قد أجاب دعاء من دعاه لرحمة[3]

[1] - عبد الله حامد لمين : المقابلة السابقة .

[2] - المقدمة، المرجع السابق، ص 728 .

[3] - عبد المجيد قدي : صفحات مشرقة، المرجع السابق، ص ص (107- 108) .

2- رثاؤه للشيخ "**محمد بن الكبير**"عقب سماعه لنبأ وفاته عام 1421هـ/2001م جاء في مطلع المرثية التي كانت بعنوان (الشيخ محمد بن الكبير في ذمة الله) :

بكينا عليك يا شيخ الأنام وحق لك البكاء ألف عام
ملائكة الإله تقول بشرى لشيخ كان غوثا للأنام
لشيخ كرس الحياة دوماً لخدمة دين ربنا السلام[1]

وعدد أبياتها أربعة وعشرون بيتاً نوه فيها بفضائل الشيخ بن الكبير، وجهوده في خدمة العلم وإزاحة ظلمة الجهل خلال الحقبة الاستعمارية وما بعدها .

3- وله مرثية أخرى في فقد "**الشيخ عبد العزيز سيد أعمر**" شيخ زاوية مهدية بتيمي من ثلاثة وعشرين بيتاً يقول في مطلعها :

أيا شيخنا عبد العزيز فارقتنا وكنت لنا طوداً وحصناً محصناً
جرى دمعنا دماً لفقدك سايلاً وما ينفع البكا لفقد حبيبنا
نعزي تواتاً و الجزائر كلها في موتك عبد العزيز إمامنا[2].

4- وله قصيدة أخرى في رثاء زميله وصديقه "**الشيخ سيدي أحمد الرقاني**" المدعو (بالفقيه)* يقول في مطلعها :

مات الفقيه ومات الجود والكرم وسال من عيننا دمع وفاض دم
محمد و هو للرقاني قد نسبا وبالفقيه النبيه وصفه يعلم
شيخ عظيم له الأخلاق قد جمعت والخلق من فقده أصابها سقم[3]

إلى أخر الأبيات وعددها (ستة وخمسون) بيتاً عدد فيها مناقبه وأعماله، وخصاله سائلاً المولى عز وجل أن يتغمده بواسع رحمته وأن يسكنه فسيح جناته معزياً في ذلك أهله .

5- وله أخرى في رثاء "**الشيخ الحاج عبد القادر بكراوي**"شيخ مدرسة "نومناس" سابقاً يقول في مطلعها :

فارق الحياة صديقنا المكرم وغدا لدار الخلد فيها يكرم
بدر المعارف قد تغير لونه لموت هذا الشيخ فهو مظلم
وتزلزلت أطوادنا وبحارنا غادرت و غاب المعلم
وتشرفت به القبور و نورت وبدفنه تحيا القبور وتنعم
فعليك ياعبداً يضاف لقادر أسمى السلام بالثناء يدعم[4]

---

[1] - محمد باي بلعالم : الرحلة العلية ، (ج1) ، المصدر السابق ، ص 345 .

[2] - محمد باي بلعالم : ديوان شعر ، المصدر السابق .

* - **الشيخ محمد الرقاني** : من رقان هو احد أصدقائه و زملائه أيام الدراسة ،كان الخليفة الأول للشيخ مولاي أحمد الطاهري على مدرسته عندما غادرها خوفاً من التسلط الاستعماري في الخمسينيات من القرن الماضي .

[3] - محمد باي بلعالم : ديوان شعر ، المصدر السابق .

[4] - المصدر نفسه .

إلى آخر الأبيات وعددها (اثنان وثلاثون) بيتاً عدد فيها مناقبه ومحاسنه، سائلاً الله عز وجل أن يتغمـــده برحمـــته وأن يرزقه الجنة .

6- وله مرثية في فقد الشيخ السيد "**الحاج محمد الزاوي**"احد أصدقائه بأبيات من اثنين وعشرين بيتـــاً جـــاء في مطلعها:

مصيبة نزلت أنستنا ما سبقا والقلب من وقعها قد ذاب واحترقا
دهى الجنوب مصاب مظلم جلل كل المناطق بالأحزان قد طرقا
وقد دهى عين صالح قذى مؤلم كأنها بصر البلاد قد برقا[1]

الشيخ محمد الزاوي

وفي العتاب والنصح نجد له أبيات وجهها للفقيه "**محمد بن الحاج عابدين بن محمد البكاي**" الذي أنكـــر وصية "محمد البشير فرجاني"*، وأفتى بنكرانها فعاتبه بأبيات يقول في مطلعها :

يا حميد دع عنك الشرع جانباً وحقق و دقق في الأمور وجربا
ونهج الغراب دعه عنك فإنه يحوم على الأجياف للقوت طالبا
ومن كانت العميان يوماً تقوده يرى كل قول في الضلالة مذهبا
يولي لنهج الحق ظهراً ويبتغي لفتواه قولاً جائراً و مذبذبا
ليرضي شخصاً سائلاً متكبرا عنيداً وكان في القضايا مخببا
فيا نجل كنته يا محمد كن على طريق شيوخكم لتحظى وتجتبا
وجنب مشاكل الزمان وباعدن ذوي الشر والطغيان تبقى محببا[2]

[1] - محمد باي بلعالم : ديوان شعر ، المصدر السابق .

* - **محمد البشير فرجاني** : هو احد تجار مدينة أولف في الجزائر و في إفريقيا أوصى قبل وفاته بثلث ماله لخمسة مدارس في ولاية ادرار (مصعب بن عمير باولف ، الطاهرية بسالي، نوميناس بتمنطيط، تسفاوت بفنوغيل، ومدرسة الشيخ محمد بن الكبير) فكان أن طعن فيها الشيخ محمد بن الحاج عابدين الكنتي فرد عليه الشيخ محمد باي في مقالة مطولة احتوت على تسع صفحات اثبت فيها صحة وصية محمد البشير فرجاني، ينظر محمد باي بلعالم : الرمح المثير في نحر من أنكر وصية محمد البشير، مخطوط لدى السيد محمد باي بن مالك ببلدية اقبلي، ص ص (1- 2) .

[2] - المصدر نفسه ، ص 8 .

وعدد أبياتها واحد وثلاثون بيتاً نصحه فيها بالعدول عن فتواه، لأنها معارضة لما جاء في وصية "محمد البشير" الذي أوصى بثلث ماله على بعض المدارس القرآنية في ولاية أدرار .

2– وله أبيات في نفس العرض (النصح والعتاب) وجهها لشيخ مدرسة تسفاوت **"مولاي الحاج"** الذي أفتى بجواز منافع القروض البنكية جاء في مطلعها :

يا مفت في القروض تب إلى الله وأحذر من الفتاوي والملاهي
تعامل البنك خطيراً إدا يحسبه الجاهل سهلاً جداً
وهي أنواع كثيرة العدد وليس تحصر بعدّ أو أمد
وليس للعادة حكم قد أتى يعارض القرآن قطعاً يا فتى

إلى أن قال :

فأمعن النظر و أترك الحرام واستفت قلبك وحرر الكلام[1]

إلى أخر القصيدة وعدد أبياتها أربعة وعشرون بيتاً نصحه فيها بالعدول عن فتواه والتوبة إلى الله، لأنه مما أفتى به أهل السلف والخلف من علماء الأمة أن كل قرض جر منفعة فهو ربا عملاً بقوله صلى الله عليه وسلم .

3– وفي الهجاء نجد له قصيدتان يهجو فيهما الملحد **"سلمان رشدي"** الكاتب البريطاني صاحب الآيات الشيطانية جاء في الأولى التي تحمل عنوان (السنان في نحر سلمان) :

سلمان مع قرينة الشيطان أعدى عدو لذوي الإيمان
فهو أبو جهل في هذا الوقت عليه جلباب الخنا والمقت
وهو جهول كافر و فاسق وظالم و ملحد منافق
فما سمعنا في الزمان سرمدا أكفر منه في العصور أبدا[2]

وعدد أبياتها (تسعة وأربعون بيتاً) رماه فيها بما يجب أن يُرمى به كل ملحد كافر، وجاء في مطلع الثانية التي كانت بعنوان "القنابل في جنان رشدي سلمان":

لك الحمد يا من قد بعثت برحمة رسولاً جا بأفضل ملة

إلى أن قال:

وبعد فدجال في ذا العصر قد أتى يبث سموماً ضد خير البرية
له قلم كل له زور مرتع ويرتاع في جور وكذب وغيبة
توخى من الأسماء اسماً تصادمت ءاذان الورى عنه فسيم بنكرة
فسلمان رشدي سل منه رشاده وحل محل الرشد بغض النبوءة[3]

[1] – محمد باي بلعالم: السيف القاطع والرد الرادع ، المصدر السابق ، ص 183 .
[2] – محمد باي بلعالم: ديوان شعر، المصدر السابق .
[3] – المصدر نفسه .

إلى آخر القصيدة وعدد أبياتها (ثمانية وسبعون) بيتاً هجاه فيها، ووصفه بالأوصاف التي يستحقها كل من يستهين بالدين أو يمس بكرامة المسلمين، من الكفر والإلحاد والنفاق والجهل والفسق والدجالة ...الخ .

كما نجد له عدة تقاريظ منظومة وضعها لمن طلبوا منه ذلك، إذ كان لا يقرظ نثراً إلا في النـــادر ومـــن تقاريظه نذكر:

1– أبيات من البحر الطويل أنشأها تقريظاً لكتاب "الميزان في معرفة الناسخ والمنسوخ من القرآن" لصاحبه "**محمد يحي بن محمد حمود**" المعروف "بمحمد بن الكرار الشنقيطي المدني" بطلب منه جاء في مطلعها :

إذا شئت تدر ما الميزان تضمنا من الناسخ والمنسوخ في القول والمعنا

فشد الرحال للرباط تجد بها محمد يحي يعطيك الحل بينا[1]

وعدد أبياتها (تسعة وثلاثون) بيتاً مدح فيها مؤلف الكتاب، وأشاد بمجهوده في تخريج هذا المؤلف، كما عدد فيها المراجع التي اعتمدها في تأليفه .

2– وله تقريظ لألفية "**مبروك زيد الخير**"الاغواطي (شاعر الصحراء) في الفقه من خمسة وعشرين بيتاً يقـــول في مطلعها:

الحمد لله الذي قد ألهما أستاذنا المبروك نظماً قيماً

قد صاغه في قالب سديد و جاءنا بمنهج جديد

وفتح الباب على المصراع لطالب العلم بلا نزاع

يا زيد وفقت إلى الصواب والعلم والخير وللآداب

فقلت في مذهبنا ألفية مقاصد الفقه فيها محويه

تقرب الأقصى بلفظ رائق وتظهر الفهم بمعنى فائق[2]

3 – وأبيات أخرى تقريظاً لكتاب"الشيخ عبد الكريم المغيلي وآثاره الإصلاحية بإمارات وممالك أفريقيا الغربيـــة" للأستاذ "**مقدم مبروك**" يقول في مطلعها :

بشرى لمن كان للمغيلي متبعاً لما المقدم قد أتى وقد جمعا

بحث مفيد وشامل لسيرته كأنه البدر في الدياجي قد طلعا[3]

وهي من خمسة وعشرين بيتاً سجل فيها حياة المغيلي، وأشاد بدعوته الإصلاحية في الجنوب الجزائـــري (إقليم توات) وفي السودان الغربي،كما أشاد فيها بمجهودات المؤلف في إخراج هذا الكتاب.

4– وله أخرى في تقريظ كتاب "صفحات مشرقة من تاريخ مدينة أولف العريقة" لصاحبه الدكتور "**عبد المجيـــد قدي**" من ستة عشر بيتاً جاء في مطلعها :

[1] – محمد باي بلعالم : قبيلة فلان، المصدر السابق ، ص 268 .

[2] – المصدر نفسه، ص ص (290– 291) .

[3] – المصدر نفسه، ص ص (295– 296) .

ألا أيها الدكتور قدي سلامنا عليك ومعه ألف تحية
قرأت عناوين الكتاب بسرعة فحرك روعها جمود انطباعتي
فهنأت أولف بتاريخ نجلها وحرك ساكناً بأجمل تحفة[1]

5- وله تقريظ لمؤلف الأستاذ "**إبراهيم بن ساسي**" المسمى "التاريخ القرآني والعلمي في ورقلة تراجم وآثار" الذي جمع فيه أعلام ورقلة وقرءاها وأئمتها وقد قرظه له نثراً ونظماً، جاء في مطلع النظم الذي يحتوي على عشرة أبيات ما يلي:

بارك رب فيك يا ابن ساسي وقيت كل ضرر وباس
أزحت عن أعلامنا الستار وكنت كالغيث لهم مدراراً
أظهرت ما من علمهم قد اندثر فبان من تاريخهم ما قد غبر[2]

كما نجد للشيخ "محمد باي" أبيات أقرضها في مناسبات مختلفة نذكر منها :

1- أبيات ألقاها بمناسبة تخرج الدفعة السابعة من "المعهد الإسلامي لتكوين الإطارات الدينية" بعين صالح جاء في مطلعها :

أشدد رحالك للعلا يا صاح وأسلك طريق العلم والفلاح
فجنوبنا الشرقي عين صالح فازت بهذا المجد والصلاح
فازت بمعهد تبين نفعه لطالب التكوين والنجاح
طوبى لمن بنى و فكر موقعاً للعلم والتكوين كالمصباح
للزاوي فعل ليس يجحد فضله قد سن للتكوين خير نجاح[3]

إلى آخر الأبيات وعددها (ثلاثون بيتاً) نوه فيها بجهود القائمين على خدمة المعهد من إداريين ومدرسين مشجعاً إياهم ومحفزهم على مواصلة المسيرة، ناصحاً إياهم بترك التطرف، والتخرف والأخذ بما جاء في الكتاب والسنة والدفاع عن العقيدة والإسلام، داعياً لهم بالنجاح، والصلاح والفلاح، فهي بالجملة قد جمعت أغـــراض مختلفة من الشعر ما بين المدح، والنصح، والفخر، والدعاء .

2- وله أبيات في معنى الزوايا حسب اختلاف المناطق والزمان من أربعة عشر بيتاً جاء في مطلعها :

أما الزوايا فهي ركن يبنى كدير أو صومعة في المبنى
وفي شمال القارة السمراء ينمي لما خص بالأولياء
وقيل اسم لبناء قد جمع مدرسة و غرفاً لها تبع
فيجد فيها الطالب مثوى وهي للضيوف أيضا مأوى
فهي على الجملة دار الدين ومنـــزل للضيف دون مين

[1] – عبد المجيد قدى: صفحات مشرقة من مدينة أولف العريقة ، المرجع السابق ، ص 13 .
[2] – محمد باي بلعالم: الرحلة العلية ، (ج2) ، المصدر السابق ، ص 442 .
[3] – محمد باي بلعالم: قبيلة فلان ، المصدر السابق ، ص 288.

وهي في الشرق تسمى بالرباط وكل منشأ يعد للنشاط
وعرفت في صدر ثامن القرن بأنها المسجد والحرز المصون[1]

كما بين فيها دور الزوايا الذي ينبغي أن تقوم به من محاربة البدع، والخرافات وتصحيح العقيدة ونشر العلم طالما بنيت لهذا الغرض، وبالتالي فهي تحتاج إلى تحليل وتفكيك في مؤلف تاريخي، فقد جاءت في نظم جميل بين فيه معنى الزاوية عند المغاربة والمشارقة ودورها الثقافي والاجتماعي .

3- وله أبيات ترحيبية تشتمل على أربعة وعشرين بيتاً ألقاها بمناسبة زيارة الشيخ **"عبد المعطي بن عبد الله بن عبد المعطي السباعي"** لمدينة أولف عام 1410هـ/ 1989م جاء في مطلعها:

أيا استأذنا السباعي أهلاً بمقدمكم لأولف و سهلا
وألف ألف مرحب بوفد له انشرح الفؤاد فكان نزلا
فأولف شرفت بكم وغنت بلا بل أيكها طربا وزجلا
فمراكش وأولف تلاقا على عهد من الإله جلا[2]

وغيرها من الأشعار التي خلفها سواء ما يرجع منها إلى أيام دراسته وهي أشعار علمية، وقد سجلنا بعضاً منها في الفصل الثاني، أو التي خلفها في مؤلفاته العلمية المنظومة، والتي دلت على ضلوعه وتمكنه من علم العروض وإجادته في فني المنظوم والمنثور معاً، وهي إجادة لا تتفق إلا للأقل كما يقول العلامة "ابن خلدون"[3].

من خلال عرضنا لبعض النماذج من أشعار وقصائد العلامة "محمد باي" في بعض الأغراض الشعرية كالرثاء والنصح والهجاء، والوصف نجده يستعمل الأسلوب المشوق ذو العبارات الجزلة، والألفاظ الموحية المعبرة عن المعنى المفيد وذلك باستعماله البديع، والبيان الذي يضفي موسيقى عذبة تزيد النظم رونقة وجمال، وهو ما يُحدث وقعاً في نفوس المتلقين مما يدل على تمكنه من ناصية هذا الفن، فقد جاءت قصائده كلها مستقيمة، واضحة المعاني منسجمة مع الإيقاع العربي مبنىً ومعنىً، حتى أن قارئها يجد متعة في تتبعها لأنها تذكرنا بلغة الشعراء القدماء، إذ كان ينظم أشعاره على الطريقة الخليلية التقليدية باستعمال الشعر العمودي مُنظم في بحور شتى أغلبها البسيط، الرجز، الكامل الطويل ....الخ .

وعلى الرغم من طول باعه في هذا الفن، وتمكنه من ناصيته إلا انه كان دائماً يستصغر نفسه في معرفة الشعر ومقاييسه، حيث يقول[4] في نظمه "اللؤلؤ المنظوم لنثر ابن أجروم" بعد البسملة والحمدلة، والصلاة على الرسول الكريم وتبيين السبب الذي حمله على النظم :

وإنني معتذر من الخلل وكل ما من الخطأ في النظم حل
إذ ليست للمقاييس الشعرية متصفاً بصبغة مرضية

---

[1] - محمد باي بلعالم : قبيلة فلان ، المصدر السابق ، ص 290 .
[2] - محمد باي بلعالم : الرحلة العلية ، (ج2) ، المصدر السابق ، ص 252 .
[3] - المقدمة ، المرجع السابق ، ص 726 .
[4] - محمد باي بلعالم : كفاية المنهوم على شرح اللؤلؤ المنظوم ، المصدر السابق ، ص 6 .

ويقصد بالمقاييس الشعرية ما يلزم الشاعر أن يتصف به لتتحقق شاعريته، وهو التضلع في علم "العروض" حتى يكون النظم تاماً كاملاً لا خلل فيه ولا نقص ولا عيب لأن الكمال لله تبارك وتعالى .

فمن المعلوم أن الشعر من بين الكلام صعب المأخذ على من يريد اكتساب ملكته بالصناعة، لاستقلال كل بيت منه بأنه كلام تام في مقصوده ويصلح أن ينفرد دون ما سواه، وملكته لا تحصل إلا بحفظ الشعر على حدّ قول العلامة "ابن خلدون"[1]؛ لذا كان الشيخ "محمد باي" يستصغر من نفسه في مؤلفاته الشعرية، مشيراً إلى انه قصير الباع ذو بضاعة مزجاة في صناعة الشعر .

وما لاحظناه من خلال عرضنا لبعض أشعاره وقصائده أنها كلها جاءت بلغة فصيحة، لم يستعمل فيها الألفاظ العامية للتوضيح، وهذا ما لاحظناه أيضا في مؤلفاته المنظومة، على الرغم من أنه أشار في كتابه (الرحلة العلية) أثناء عرضه لطريقة التدريس في المدارس القرآنية بأن هناك بعض المدارس تستعمل الشعر الملحون في التعليم لتترسخ المعلومة في ذهن القارئ الأمي، إلا انه لم ينظم بالعامية، وهذا ما جعل المؤرخ والبحاثة والمناضل الأستاذ "سعيدان التومي"[2] يجعله من ضمن شعراء اللغة العربية الفصحى القليلون في منطقة تيديكلت عامة إلى جانب والده الشيخ "محمد عبد القادر بلعالم" والشيخ "حمزة بن مالك"، والشيخ "محمد عبد الرحمن السكوتي" .

ب- فنون النثر[*]:

خلف الشيخ "محمد باي" تقاريظ وتعازي، كما أجاز عدد كبير من تلامذته، وخلف العديد من الشروح الأدبية والخطب التي كان يلقيها في المساجد وغيرها، وسنتناول نماذج لتقاريظه وتعازيه وإجازاته لاستخراج طبيعة أسلوبه، وعباراته وألفاظه .

1- دراسة نموذج لتقاريظ العلامة محمد باي .

كان العلامة"محمد باي" يُقرظ لمعظم الذين طلبوا منه ذلك شعراً، ولا يقرظ نثراً إلا في الحالات النادرة ومن بين تفاريظه النثرية التقريظ الذي بعث به للأستاذ "بن ساسي إبراهيم الورجلاني" لمؤلفه (أعلام الواحات) الذي جمع فيه العلام مدينة ورقلة وقراءها وأئمتها، ونظراً لان نص التقريظ طويل اقتبسنا منه بعض الأسطر، يقول الشيخ "محمد باي" في هذا التقريظ :

«الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله واله وصحبه ومن والاه وبعد .

فإن العبد الضعيف محمد باي بن محمد عبد القادر قد استمع واطلع على بحوث ومجهودات الأستاذ الكريم السيد إبراهيم بن ساسي حول (أعلام الواحات) والشخصيات الدينية بواسطة البرنامج الذي ظل يذاع لمدة سنوات ليلة كل ثلاثاء بواسطة القناة الأولى من الإذاعة الوطنية،ويعاد كل أربعاء في إذاعة الواحات،كما اطلع على المحاولة القيمة التي يقوم بها ببحثه الدقيق حول التعليم القرآني في المدارس، وما ينبغي للمدارس القرآنية أن تقوم به من

[1] - المقدمة ، المرجع السابق، ص ص (728 ، 738) .

[2] - المصدر السابق ، ص 130 .

[*]- يقصد **بالنثر** هنا النثر الفني أو الأدبي ويشمل المقامات والرسائل الرسمية (الديوانية) والاخوانية والوصف والتقاريظ والتعازي ، وعقود الزواج والإجازات المنمقة والشروح الأدبية والقصص والخطب: ينظر : أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي ، (ج2) ، المرجع السابق ، ص 171 .

نشاط ونظام حتى يسهل على المعلمين تحفيظ كتاب الله وإعطاء التعليم القرآني منهجية تسهل طريقة التعليم لكل من المعلمين والمتعلمين ....

ومن خلال برنامج أعلام الواحات يطلع جيلنا الصاعد على تاريخ سلفه الصالح، وما كان يقوم به من علم وتعليم وتثقيف ديني وعناية روحية وعلى ما كانت تقوم به المؤسسات الدينية مثل المساجد والزوايا والمدارس القرآنية أثناء الاحتلال الغاشم وقبله وبعده،مما جعل هذا الشعب يعتز بدينه ولغته رغم كل المحاولات السلبية ولكن مع الأسف الشديد لقد ظل الكثير من العلماء الأعلام، وحفظة القرآن والمؤلفين والباحثين الذين كانوا يحملون مشعل النور ظلوا تحت وطأة التهميش والنيسان، وعدم العناية بدراسة حياتهم وتاريخهم الأمر الذي جعل الكثير من رجالنا وشبابنا لا يرتبطون بسلفهم، ولا يولون العناية لأمجادهم، وكأن القبور احتكرتهم وكانت نهاية لما يقومون به من علم وتعليم وإرشاد وتوجيه، ولكن بفضل جهود المخلصين بدأ بصيص النور يشع وبدأ الضباب ينقشع وها هو التاريخ يعيد نفسه فنرجو منهم ومن أمثالهم أن يكثفوا مجهوداتهم، وأن يعطوا لتراثنا ما يستحقه من البحث والتنقيب والجمع والعناية والرعاية حتى تجدد العلاقة بين السلف والخلف، وكذلك بالنسبة لتحفيظ القرآن حتى ترتفع الأصوات به في بيوت الله والمدارس القرآنية على غرار المنهجية السهلة،وأن أفضل ما يشمر له ويعتني به كتاب الله، والتفقه فيه وتعليمه وتحفيظه والعناية برجاله ورجال العلم،ودراسة آثارهم ومعالمهم ووصيتنا للقائمين بهذه الأعمال الوجيهة من باحثين ومؤرخين وجامعين لحياة الأعلام والأمجاد من الفقهاء، وأهل الدين ومعلمي القرآن أن يحققوا قبل أن ينطقوا،وأن يسألوا قبل أن يكتبوا، وأن يسالوا أهل مكة عن شعابها وأن يجتنبوا الإفراط والتفريط حتى لا يعطوا للحبة ما للقبة،وللقبة ما للحبة، ولا يستسمنوا ذا ورم ولا ينفخوا في غير ضرم وليس كل بيضاء شحمة، ولا كل سوداء فحمة، ولا حياة لأمة لا تعتني بأمجادها وأعلامها، وعلمائها إذ هم كواكبها وأقمارها ومعالمها، فقد شهد القرآن الكريم للعلماء برفع الدرجات[1]قال تعالى:﴿**يرفع الله الذين ءامنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات**﴾[2]، وفي الحديث (**العلماء ورثة الأنبياء**) رواه البخاري » .

فلقد نوه العلامة "محمد باي" في هذا التقريظ بجهود المؤلف "إبراهيم بن ساسي" في إبراز أعلام الواحات وقرائها واعتبر عمله هذا في غاية الأهمية، إذ هو يُطلع الجيل الصاعد على أعمال السلف الصالح وما كان يلعبه من دور في تثقيف وتوعية الشعب خلال الحقبة الاستعمارية،وذلك لمواصلة مسيرته، مشيراً إلى أن العديد من الأعلام لا زالوا مهمشين وتحت وطأة النسيان، إلا أنه بفضل ثلة من المخلصين أمثاله – يعني ابن ساسي – برزت أسماؤهم إلى النور، وفي أخر التقريظ – الذي كان بمثابة تقديم أو تعريف للكتاب- نصحه ونصح الباحثين الجزائريين بصفة عامة بالتحري والتدقيق فيما يذهبون إليه وأن يتجنبوا الإفراط والتفريط، وأن يتجنبوا سوء القول والكلمات البذيئة فهو بهذا يدعو إلى إصلاح ألسنة النقاد والباحثين. أما بالنسبة إلى أسلوبه فقد جاء سهلاً وواضحاً خالياً من العبارات الصعبة، مدعماً بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة، استعمل فيه ألفاظ

[1] – محمد باي بلعالم : الرحلة العلية ، (ج2) ، المصدر السابق ، ص ص (440- 441) .

[2] – سورة المجادلة : الآية11 .

موحية مؤدية للمعنى مثل: (التثقيف الديني، عناية روحية الاستعمار الغاشم، التهميش، بصيص النـــور، تراثنـــا، شعابها، يستسمنوا...) تدل على مدى تمكنه من علوم اللغة،كما أنها تعبر عن مدى اطلاعه الواسع على تـــاريخ أعلام الواحات وجهودهم في خدمة الدين، والعلم خاصة خلال الفترة الاستعمارية، وهذا بحكم تجربته الطويلـــة، لكونه مخضرم عايش الفترة الاستعمارية، وفترة الاستقلال.

2- دراسة نموذج لتعـــازي العلامة محمد باي:

تعتبر التعازي أحد أنواع فنون النثر الأدبي، الهدف منها هو التخفيف والترويح عن أهل الميت، وتعزيتهم في المصاب الجلل الذي ألم بهم، والدعاء لهم بالصبر والرضاء بقضاء الله، وللميت بالرحمة، ومن الرســـائل الـــتي سجلها الشيخ محمد باي في هذا الفن: رسالة تعزية بعث بها إلى أولاد السيد "محمد التهامي" أحد قـــراء مدينـــة (أوقروت) الذي توفى بتاريخ الأحد 09 جمادى الأولى من عام 1425هـــ/2004م ونصها:

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه . أولف يوم 10 جمادى الأولى 1425هـــ .

من كاتبه محمد باي بن محمد عبد القادر بلعالم، إلى سعادة أحبائنا الشرفاء المكرمين، وأصدقائنا المحترمين السيد مولاي أحمد وصنوه السيد مولاي عبد القادر والسيد مولاي الرقاني، والسيد مولاي حمو أولاد المرحـــوم السيد مولاي التهامي وإلى أعمامهم السيد مولاي عثمان، والسيد مولاي عبد الله، وجميع الشرفاء المنوطين بهـــم السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد :

فقد بلغنا بمزيد من الأسف والحزن نبأ وفاة صديقنا الحميم، وحبيبنا الكريم المرحوم مولاي حمو التـــهامي رحمه الله وأكرم مثواه وحشرنا وإياه في زمرة جده سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وعليه فإننا نعزيكم فيه تعزية شافية عظم الله لكم الأجر، وألهمكم الصبر كما نرفع تعازينا إلى جميع أحبابه ومعارفه، وهذه طريقنا كلنا إنـــا لله وإنا إليه راجعون ختم الله لنا ولكم بالخير آمين، وإننا ختمنا على روحه الطاهرة ختمة قرءان نور الله بهـــا قـــبره وبرد ضريحه وهنيئا له بما قدمه من الأعمال الصالحة، وخصوصاً حلقات القرآن التي كان يترأسها، وينشطها.

وختاما بلغوا تعازينا إلى كافة الأحباب، ونسال الله أن لا يريكم مكروها آمين.

محمد باي بلعالم أولف[1].

من خلال عرضنا لأحد رسائل تعازي العلامة "محمد باي" نلاحظ أن أسلوبها جاء سهل وواضح،كما أن الرسالة استوفت جميع شروطها من بسملة، والصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم، واسم المرسل والمرســـل إليه، وبما أنها في موضوع التعزية فقد ضمنها عبارات، وجمل تتناسب والمناسبة مثل: (الأسف، الحزن، التعزيـــة، الصبر، مكروه الأجر، المرحوم... الخ) ،كما نوه بالأعمال التي قدمها المرحوم "مولاي محمد التهامي" سائلاً المولى عز وجل أن يرزقه الجنة ولقد ابتدأها، وختمها بتقديم التعازي لأهله وذويه وأحبابه.

[1] - محمد باي بلعالم : الرحلة العلية ، (ج2) ، المصدر السابق ، ص ص (561- 562) .

3- دراسة نموذج لإجازات العلامة محمد باي بلعالم:

تخرج على يد الشيخ "محمد باي" الكثير من التلاميذ الذين أجازهم، بعد أن حازوا السبق في فنون العلم والمعرفة التي درسها لهم، وهم اليوم يواصلون مسيرته العلمية من بعده، ومن الأمثلة على إجازاته التي هي بحوزتنا إجازته لتلميذه الأستاذ "حامد لمين عبد الله" الذي أجازها إجازة عامة* نصها :

بسم الله الرحمان الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم تسليما

الحمد لله على مسلسل نعمائه، والشكر له على تفضيله،وامتنانه واشهد أن لا اله إلا الله تعظيماً لشانه وأصلي وأسلم على خيرته من خلقه سيدنا محمد وعلى اله وصحبه.

أما بعد: فقد طلب مني تلميذنا عبد الله بن عبد الرحمن حامد لمين أن أجيزه إجازة عامة بما صح لي وعني فلبيت متمثلاً قول من قال : وإذا أجزت مع القصور فإنني ارجوا التشبه بالذين أجازوا

وقول الآخر فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم إن التشبه بالكرام فلاح

وأجزته خصوصا بالصحيحين، والسنن الأربع، وموطأ الإمام مالك، ومسند الإمام احمد بن حنبل رحم الله الجميع وكذلك الفقه المالكي بسائر كتبه وأصول الفقه والتفسير والفرائض والنحو والصرف وسائر مؤلفاتي المطبوعة والمخطوطة، واني ولله الحمد قد حصلت لي الإجازة من علماء أجلاء منهم: الشيخ العلامة مولاي احمد الطاهر السباعي، والشيخ العلامة الحاج احمد بن محمد الحسن بن مالك، والشيخ العلامة علي البوديلمي والشيخ العلامة محمد بن علوي المكي(حفظه الله) .

واني أوصي المجاز بتقوى الله تعالى في السر والعلن، وأن لا ينساني ومشايخي في دعائه.

وصلى الله على سيدنا محمد بن عبد الله وعلى اله وصحبه ومن اتبع هداه . بقلم محمد باي بلعالم .

حرر يوم 25 جمادي الثانية 1420هـ/1999م

ومن الملاحظات التي سجلناها على هذه الإجازة :

1- أنها جاءت مختصرة بشكل شديد على عكس الإجازات التي يمنحها بعض المشايخ، والتي تتجاوز الصفحتين أحياناً، أو كراسة أحياناً أخرى .

2- أن أسانيده في الإجازة تبدأ بعلماء توات ثم علماء المغرب، وهو ما لاحظناه بشكل عام في تتبع مسار بعض الأسانيد التي أوردها علماء المنطقة .

3- أنه ابتدأ نص الإجازة على عادة المجيزين من شيوخ الزوايا، حيث استصغر من نفسه فأشار إلى قصور باعه في العلوم الشرعية، ثم بعد ذلك أجاز تلميذه إجازة عامة في كل ما درسه عليه في الحديث، والفقه، والأصول وغيرها من العلوم، وما ألفه من كتب مطبوعة، ومخطوطة ذاكراً بعض إجازاته التي حصل عليها من علماء أجلاء دون أن يجيزه فيها على عادة بعض المشايخ الذين يجيزون طلبتهم فيما أجيزوا فيه، إذ اكتفى بالإشارة إلى انه أجيز فيها

* - ينظر الملحق رقم : 14 .

فحسب وختمها على عادة المجيزين بدعوة المجاز إلى تقوى الله في السر والعلن، وان لا ينساه ومشايخه من صـــالح الدعاء، ثم أرفقها في الأخير بإمضائه مع الختم وتاريخ الإجازة.

المبحث الثالث: الإنتاج التاريخي للعلامة محمد باي بلعالم:

يرجع اهتمام العلامة "محمد باي" بالتنقيب والبحث عن تاريخ منطقة توات إلى المهرجان الولائي الـــذي أقيم إحياءً لذكرى الشيخ العلامة "محمد بن عبد الكريم المغيلي" عام 1985م إذ في هذا العام انطلقت حملة نفض الغبار عن ما تحويه خزائن إقليم توات من مخطوطات ومؤلفات.

ولما كان علم التاريخ علم يزيد الإنسان في الفضائل، ويبعد عنه القبائح، ومرتبة العلماء تزيد أو تـــنقص بقدر معرفتهم للتاريخ كما يقول الورتلاني[1]، أبى مترجمنا إلا أن يترك بصمته في هذا الفن، فألف فيه جملـــة مـــن الكتب منها ما هو مطبوع، ومنها ما هو مخطوط إسهاماً منه في خدمة تاريخ منطقته بصفة خاصة، وبلاده بصفة عامة، يضاف إليها المحاضرات التاريخية التي ألقاها في مناسبات مختلفة، والتي عّرف من خلالها بتاريخ إقليم تـــوات الثقافي والاجتماعي والاقتصادي، وحتى السياسي، فسار بهذا على سيرة علماء السلف من الأمة الذين ألفـــوا في فنون العلم المختلفة، و لم يقتصروا على ما اختصوا به من علم، مما جعل منه العالم الموسوعة، أو العالم المتفنن، حتى أن كتاباته وأقواله – خاصة التاريخية منها– أصبحت تمثل مرجعية ومصدراً يستشهد بها العديد مـــن المـــؤرخين والباحثين*، مما يدل على أن صاحبها كان رجل ثقة، يُرجع لأقواله وآرائه وأبحاثه وتآليفه في هذا الفن .

أولاً: مؤلفات العلامة محمد باي التاريخية :

خلف الشيخ "محمد باي" جملة من المؤلفات التاريخية هي :

1– قبيلة فلان في الماضي والحاضر ومالها من العلوم والمعرفة والمآثر: وهو كتاب أفرده للتعريف بقبيلـــة فـــلان وأصولها وعلمائها وآثارهم، وسيكون محل الدراسة في هذا المبحث، أنهى من كتابته في جمادى الأولى مـــن عـــام 1424هـــ/جويلية 2003م .

2 – الغصن الداني في ترجمة الشيخ عبد الرحمن بن عمر التنلاني: وهو من كتاباته التاريخية التي ترجم فيها لأحد أعلام إقليم توات، وهو الشيخ "عبد الرحمن بن عمر التنلاني" الذي عاش في القرن 12هـــ/18م حيث تطرق في الكتاب إلى كل الأمور المتعلقة بحياة هذه الشخصية، من التعريف به وبمسقط رأسه وحياتـــه الأســـرية وتعلمـــه ومشايخه وإجازاته وتلاميذه، ومحاوراته ومكاتباته مع العلماء المعاصرين له أمثال: شيخه "أبـــا زيـــد الجنتـــوري" والقاضي الشيخ "عبد الحق التمنطيطي"، وأهم مؤلفاته ومرثياته ورحلاته .

وعن السبب الذي جعلته يفرد ترجمة للشيخ "عبد الرحمن التنلاني" الذي عاش في الفترة التي عرف فيهـــا إقليم توات ازدهاراً ثقافياً (فترة القرنين الحادي عشر والثاني عشر للهجرة) هو رغبته في إظهار تاريخ أعلام الأمة

[1] – أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي ، (ج2) ، المرجع السابق ، ص 323 .

*– **ينظر مثلا** : كتابي توات والازواد لمحمد حوتية ، وإقليم توات بين القرنين 18 و 19 لفرج محمود فرج ، وفهرسة التنلاني لعبد الرحمن باعثمان والتاريخ الثقافي لإقليم توات للصديق الحاج احمد ، وكتابي ابن آب المزمري لجعفري احمد ، والعلاقات الثقافية بين توات والسودان الغربي لجعفري مبارك وغيرها من الكتب بالإضافة إلى المحاضرات التي ألقيت في مختلف الملتقيات والتي تؤطرها جامعة ادرار ، و خاصة منها المتعلقة بدراسة الإقليم من مختلف النواحي .

الجزائرية لأن جهلهم يعد جهلاً لتاريخها وتأخراً علماً، وفكراً، وثقافةً على حد قوله[1]،مما يدل على مدى إدراكه بالحس التاريخي، وتشبعه به .

وتظهر قيمة هذا الكتاب العلمية والتاريخية في اعتماد مؤلفه في جمع معلوماته على مصادر مخطوطة غير محققة مثل: رحلة السيد "عبد الرحمن بن إدريس" إلى الجزائر- رحلة الشيخ "عمر بن عبد القادر" العلمية – غنية المقتصد السائل فيما حل في توات من مسائل – رسالة الشيخ سيدي "أحمد بن عبد العزيز الهلالي" – الوجيز على خليل للشيخ "الزجلاوي" – ألفية الغريب للزجلاوي – الدرة الفاخرة في ذكر المشايخ التواتية – مختصر السمين في إعراب القرءان المسمى بالدر المصون في علم الكتاب المكنون- ومخطوط نقل الرواة عمن أبدع قصور توات للسيد "محمد بن عمار بن محمد بن أحمد الحبيب"، وغيرها من المخطوطات والرحلات، والإجازات والمحاورات المتعلقة بصاحب الترجمة، كما أن المؤلف وضع لرحلة الشيخ "عبد الرحمن بن عمر التنلاني" إلى الحجاز تحقيق .

مما يجعلنا نحكم عليه بأنه كان مواكباً لما تختص به الدراسات الأكاديمية حالياً، إذ كان له الاعتماد الكبير عليها في التعريف بالشخصية محل الدراسة، فعرف بمشايخه الذين أخذ عنهم سواء في بلاد التكرور، أو في فاس أو في توات،كما دعم مؤلفه هذا بمجموعة من الملاحق لها صلة بالموضوع،كالصفحة الأولى لفهرسة الشيخ "عبد الرحمن بن عمر التنلاني" التي تشتمل على مائة صفحة بالكتابة الرقيقة، والتي حوت أسماء مشايخه والفنون العلمية التي درسها عليهم، وتلقاها بالإجازة عنهم .

وقد أنهى الشيخ "محمد باي" هذه الترجمة التي جاءت في أربع وتسعين صفحة يوم24 رجب 1424هـ/2003م.

3- الرحلة العلية إلى منطقة توات لذكر بعض الأعلم والآثار والمخطوطات والعادات وما يربط توات من الجهات: وهو كتاب يشتمل على(جزءان) أرخ فيه لإقليم توات بمقاطعاته الثلاث (تيديكلت، توات الوسطى وقورارة) ويأتي هذا الكتاب اهتماماً منه بأدب الرحلة إذ جمع فيه الكثير من الأمور ذات الطابع العلمي والثقافي والاجتماعي وحتى الظواهر اللغوية واللسانية المرتبطة بالمنطقة وبالمناطق التي زارها داخل الوطن وخارجه، وسيكون أيضا محلاً للدراسة في هذا المبحث، فرغ من تأليفه في جمادى الثانية 1425هـ/ جويلية 2004م.

4- إرشاد الحائر لمعرفة فلان في الجزائر وغيرها من البلدان: وهو كتاب خصه بقبيلة فلان، وتوزعهم في الجزائر وعن أفخاذها والقبائل المنصهرة مع القبيلة، وأهم أعلامها كما ذكر فيه أهم الخزائن التي تمتلكها هذه القبيلة بالجزائر،كما أورد فيه جملة من العادات والتقاليد المعروفة في المنطقة التواتية، والمذهب المالكي والزوايا الدينية .

ويشتمل هذا الكتاب على جزأين من أربعمائة واثنتي وستين (462) صفحة (لم يطبع بعد)، ومن خلال إطلاعنا على الكتاب تبين لنا بأن المؤلف أورد فيه تقريباً نفس المواضيع التي تناولها في مؤلفه السابق (قبيلة فلان) إلا أنه فصل وركز فيه على التعريف بالفلان المتواجدون في الجزائر فقط لكونه جاء تلبية لاقتراح "الدكتور عمر فلاته" رئيس قسم التربية بالجامعة الإسلامية والمشرف على مكتبة أهل الحديث بالمدينة المنورة الذي قدم له

[1] – محمد باي بلعالم : الغصن الداني في ترجمة حياة الشيخ عبد الرحمن بن عمر التنلاني ، (د،ط) ، دار هومة ، الجزائر : 2004 ، ص1 .

لكتاب(قبيلة فلان في الماضي والحاضر) واقترح عليه خطة معينة للكتاب تبعاً للتأليف الأكاديمي فاستجاب لرغبته[1] بتأليف كتاب "إرشاد الحائر لمعرفة فلان في الجزائر".

أما بالنسبة للمنهجية التي اعتمدها في هذا الكتاب، فهو وإن اتبع الخطة التي قدمها له الدكتور "عمر فلاته" إلا أنه لم يلتزم الترتيب في الكتاب، إذ كان كلما تحصل على معلومة ألحقها بالكتاب غير مبال هل يحق لها أن تتقدم أو تتأخر وقد فرغ من مؤلفه هذا يوم 11شوال 1428هـ/ 23 أكتوبر 2007م.

5- مختصر إرشاد الحائر لمعرفة الفلانيين في الجزائر: ومباحثه أيضا لا تختلف عما جاء في كتاب (إرشاد الحائر) خاصة وأنه يعتبر مختصراً له، إذ يحتوي هذا الكتاب على اثنتي عشر مبحثٍ، تناول فيها التعريف بالجزائر وبالفلانين وأماكن تواجدهم بالجزائر (في أدرار وورقلة وتمنراست وغرداية)، والقبائل المنصهرة مع هذه القبيلة، وجملة من العادات والتقاليد والمدارس العلمية،كما ترجم فيه لبعض العلماء، والقضاة من الفلانين في الجزائر، وأعطى إحصاءً للمخطوطات المتواجدة بمكتباتهم .

بالإضافة إلى محاضراته التاريخية المطبوعة، والمخطوطة التي تناول فيها بعضاً من الجوانب الثقافية والاجتماعية لإقليم توات مثل:

1- محاضرة (التعريف ببعض الجوانب من منطقة توات وحضاراتها) وهي محاضرة ألقاها في عام 1985م في مهرجان إحياء ذكرى وفاة الشيخ المغيلي.

2 - (أهداف نشأة الزوايا وواقعها في منطقة توات) وهي محاضرة ألقاها في ملتقى الزوايا المنعقد بولاية تيزي وزو عام 2001م .

3- محاضرة حول (كيفية التعليم بتوات، وما يلحقه من العادات) شارك بها في أعمال ملتقى الفكر الإسلامي المنعقد بتمنراست عام 1979م .

4- محاضرة بعنوان (نبذة من علماء توات) ألقاها خلال اليوم الدراسي تحت عنوان (التكامل العلمي والتاريخي بين ولايتي تمنراست (دائرة اينغر) وولاية ادرار بتاريخ ماي 1999م)

وغيرها من المحاضرات التاريخية، وجلها مسجل في كتابه "الرحلة العلية إلى إقليم توات".

[1] - محمد باي بلعالم : إرشاد الحائر لمعرفة فلان في الجزائر و غيرها من البلدان ، (ج1) ، د، ن ، ص ص (1 – 2) .

صور التقطتها الباحثة لمؤلفات الشيخ محمد باي في مختلف الفنون (الشرعية، اللغوية، والتاريخية) .

ثانياً– دراسة وتقديم كتاب "قبيلة فلان في الماضي والحاضر"

مقدمة:

يعتبر الحديث عن تاريخ وأصل قبيلة فلان، وإنجازات شعب الفلان الدعاة خلال القرن الثامن عشر للميلاد وما قبله من أهم المواضيع التي أثارت اهتمام الباحثين والمؤرخين والدارسين، بل ومن أهم المواضيع التي أسالت حبر أقلامهم في الفترة الحديثة فلقد كان لحركة جهادهم في السودان الغربي بقيادة الشيخ "عثمان دان فوديو" الفلاني أثرها الواضح على ممالك الهوسا والبورنو والبمبارا، وغيرها من القبائل في شمال نيجيريا، والتي لازالت إلى يومنا هذا تدين لحركة الشيخ "عثمان دان فوديو" الإصلاحية التي استطاعت من خلالها الصمود في وجه التبشير المسيحي والاستعمار الأوروبي طيلة القرن التاسع عشر الميلادي وما تلاه، إذ كان لحركته الجهادية والدعوية ضد التقاليد الوثنية القديمة دوراً بارزاً في ترسيخ الإسلام في تلك الممالك ونشره بها حتى استطاع أن يؤسس اكبر إمبراطورية عرفها السودان الغربي خلال العصر الحديث، وهي (إمبراطورية الفلان) التي تربعت مساحتها على أراضي شاسعة تمتد من مرتفعات فوتاجالون على سواحل الأطلسي غرباً، إلى أعالي نهر النيجر وأجزاء من تشاد شرقاً وفي فترة لم تتجاوز نصف القرن تقريبا .

ونظرا لما عرف عن شعب الفلان من التنقل وممارسة الرعي – الذي هو أغلب نشاطهم فقد – استطاعت جماعات كبيرة منهم الهجرة من موطنهم الأصلي بفوتاجالون وفوتاتور في أعالي السنغال إلى مناطق أخرى من القارة الإفريقية، بل وإلى خارجها، تحت تأثير عوامل شخصية كالبحث عن حياة أفضل، أو سياسية كالهروب من الاضطهاد الناتج عن التناحر القبلي، أو الاستعمار، أو هروبا من مشاكل أخرى خاصة وأنه كان معروفا عن الفلان علاقتهم غير الطيبة مع جيرانهم من القبائل الإفريقية فهاجرت جماعات منهم إلى موريتانيا (بلاد شنقيط)

وأخرى إلى نيجيريا، وأخرى إلى تشاد ومالي وإلى صحراء الجزائر أين تواجدت فروع لهذه القبيلة بل وواصلت جماعات منهم رحلتها إلى دولة السودان، وإلى بلاد الحجاز شرقاً .

ولما كان كتاب "قبيلة فلان في الماضي والحاضر وما لها من العلوم والمعرفة والمآثر" أول ما ألف في هذا الموضوع بالجزائر[1]، حاول مؤلفه من خلاله جمع شتات هذه القبيلة المترامية الأطراف بين البلاد العربية وبلاد السودان الغربي خاصة وان العديدين يجهلون وجود فرع لها بالصحراء الجزائرية، بل وهناك من يستبعد ذلك بدون مستند واضح،كما أن المؤلف حاول من خلاله إبراز جهود علماء فلان في الصحراء الجزائرية في ربط الصلة بين الجزائر والسودان الغربي ونشر الإسلام به، إلى جانب مساهمتهم في نشر الوعي الديني والثقافي بإقليم توات – والذي لا يقل عن دور علماء توات – سواء في الماضي أو في الحاضر، ولما كانت جهود علماء هذه القبيلة جديرة بالدراسة والإشادة، والإخراج ارتأينا وضع دراسة لكتاب (قبيلة فلان في الماضي والحاضر وما لها من العلوم والمعرفة والمآثر) .

القسم الأول: الدراسة الشكلية :

– **صاحب الكتاب:** الشيخ "محمد باي بلعالم" إمام أستاذ ومدرس بمدرسة "مصعب بن عمير" الدينية بأولف ولاية أدرار.

– **التخصص:** العلوم الشرعية واللغوية والأدبية .

– **المولد والنشأة والتكوين العلمي:** ينظر المبحثين الثاني والثالث من الفصل الثاني من البحث .

وإلى جانب تخصصه في العلوم الشرعية وقيامه بمهمة التدريس بمدرسته الدينية القرآنية (مصعب بن عمير) كانت له اهتمامات أخرى منها :

1– الاهتمام بتدوين تاريخ منطقة توات بالبحث والتنقيب عن آثار علمائها خاصة المخطوطات، إذ قام بتحقيق العديد منها .

2– اهتمامات فكرية من خلال مشاركته في اغلب ملتقيات الفكر الإسلامي، والندوات والمحاضرات والملتقيات الوطنية، والولائية المتعلقة بالجانب الديني، والثقافي والاجتماعي، مما يدل على حضوره المتميز وفكره التجديدي .

3– اهتمامات اجتماعية من خلال سعيه لإصلاح مجتمعه دينياً وأخلاقياً وتعليمياً، ويظهر هذا من خلال أنشطته المتعددة التي كان يقوم بها من اجل زرع المحبة والوئام بين الناس ومن اجل تعليمهم أمور دينهم في ولايته ادرار وخارجها .

– **آثاره:** ينظر الفصل الرابع من البحث .

– **وفاته:** توفي الشيخ "محمد باي بلعالم" يوم الأحد 19 من شهر أفريل عام 2009م عن عمر يناهز تسعة وسبعين سنة .

[1] – محمد بن منوفي : مقابلة شخصية ، بالجامعة الإفريقية (العقيد احمد دراية) ، ادرار بتاريخ : الأربعاء 21 افريل 2010 .

– **أقوال العلماء فيه:** ينظر المبحثين الثاني والثالث من الفصل الثاني من البحث .

القسم الثاني للدراسة :

– **عنوان الكتاب الكامل** : "قبيلة فلان في الماضي والحاضر ومالها من العلوم والمعرفة والمآثر"، دون طبعة، دار هومة : الجزائر، 2004 م.

– **حجم الكتاب** : (544 صفحة) من الحجم الكبير .

– **طوله** : 23سم – عرضه:15.5سم (23 × 15.5) .

– **العمق** : 544 صفحة .

– **كيفية استخدام الهامش:** المؤلف لم يستعمل التهميش في الكتاب،كما انه لم يقسمه لا إلى أبواب، أو إلى فصول إذ جاء خالياً من منهجية معينة .

– **تقنيات الترقيم التبويب:** الترقيم كان بالصفحات وبالأرقام العربية، أما صفحات الشكر، والإهداء والتقاريظ فرقمت بالأحرف الهجائية من (أ) إلى (ق) .

أما فيما يتعلق **بالتبويب:** فالمؤلف لم يعتمد طريقة التبويب بل جاء مؤلفه خالياً من الفصول والأبواب .

– **البيبلوغرافيا** : المؤلف ذكر المراجع، والمصادر التي اعتمدها في البحث إلا انه لم يفرق بينها،كما انه لم يرتبها ترتيباً أبجدياً أو ألف بائياً وعددها ستة وعشرون (26) مابين مصدر ومرجع خصص لها الصفحات من الصفحة 496 إلى الصفحة 498 .

– **أنواع الملاحق** : لا توجد ملاحق مدعمة للبحث .

– **الفهارس** : الكتاب لا يحتوي على فهرسة لا للاماكن، ولا للأعلام، ولا للقبائل، والأشخاص، والبلدان، أما بالنسبة لفهرس الموضوعات فهو موجود لكن دون تبويب، ولا تفصيل حيث أورد ذكر كل عنصر على حدا حسب كل وقفة كان يقف عندها وخصص له الصفحات من الصفحة 499 إلى الصفحة 514 .

الدراسة الموضوعية للكتاب (تفصيل المكونات) :

الصفحة الأولى: بدون ترقيم جاء فيها إعادة كتابة العنوان، واسم المؤلف باللون الأسود وهي ذات شكل ابيض محاط بورود ذات لون ابيض واسود .

صفحة تقديم الكتاب: غير مرقمة أيضا ولقد ذكر المؤلف في تقديم كتابه السبب الذي حمله على هذا التأليف والمتمثل في : انتمائه لهذه القبيلة (قبيلة فلان)، التي تؤكد معظم الأقوال على نسبها العربي لذا رغب في التعريف بهذه القبيلة خاصة فرعها المتواجد بالصحراء الجزائرية بعد أن توفرت لديه كتابات عنها وبحوث لمشاركة أولئك المؤرخين في هذا الموضوع[1] .

شكر وتقديم:من الصفحة(أ) إلى الصفحة (ب) .

[1] – محمد باي بلعالم : قبيلة فلان ، المصدر السابق ، ص الافتتاح .

قدم المؤلف الشكر إلى كل الذين قدموا له المساعدة، والنصائح في انجاز هذا البحث وخص بالذكر الأستاذ الدكتور "محمد بن عمر فلاته"، والدكتور "عمر حسن"، والدكتور "أبي خالد آدم"، والأستاذ "محمد علي الأمين الشنقيطي" والدكتور "عبد الباري الأنصاري بن الشيخ حماد"، وصنوه "عبد الأول" سائلاً المولى عز وجل أن يجازيهم بخير.

تقديم للكتاب: بقلم الدكتور "محمد بن عمر محمد فلاته" رئيس قسم التربية بالجامعة الإسلامية ، والمشرف على مكتبة أهل الحديث بالمدينة المنورة / من الصفحة (د) إلى الصفحة (ط) .

وفيه عرف بالفلانيين المتواجدين بالمملكة العربية السعودية وانتمائهم الذي يرجع إلى بلدان غرب إفريقيا ونسبهم الذي يرجعه إلى "عقبة بن نافع الفهري"،كما نوه في التقديم بأهمية كتاب "قبيلة فلان" الذي عرف فيه مؤلفه الشيخ "محمد باي" بفرع القبيلة الموجود في الجزائر، مشيراً إلى أنها معلومة كانت مجهولة بالنسبة له وللعديد من الفلانيين أمثاله، ومن هنا جاء مؤلف "قبيلة فلان" حتى يصل ما انقطع من الرحم بين أفراد القبيلة حتى يتم التعارف وتتوثق الصلة .

صفحات التقاريظ:من الصفحة (ي) إلى الصفحة (ق) وعددها احد عشرة صفحة.

قرظ لهذا الكتاب مجموعة من الشخصيات الدينية من أمثال: الشيخ "محمد الطاهر آيت علجت"- الشيخ "عبد الله الطاهري"- السيد "بكراوي الحاج عبد الرحمن" مدير الشؤون الدينية والأوقاف لولاية ادرار، وبعض الأساتذة من أمثال: الدكتور "محمد الدباغ" والدكتور "يوسف بلمهدي".

المقدمة من الصفحة(1) إلى الصفحة (3) .

تكلم المؤلف فيها عن أهمية علم الأنساب وكيف أن العرب في الجاهلية كانوا يتنافسون فيه، ولما جاء الإسلام اقرهم عليه فصار مرغباً فيه كتاباً وسنة وإجماعاً، لذا ألف فيه المؤرخون عبر التاريخ العربي والإسلامي تآليف عديدة مبيناً بان الغاية من ذلك الحفاظ على النسب، لما له من مزايا فقد حث عليه الرسول صلى الله عليه وسلم فقال:«تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم »رواه الترميذي لان تعلمه صلة للرحم التي حذر الله من قطعها واستشهد بذلك على جملة من الأحاديث النبوية، وما روي عن الصحابة رضوان الله عليهم .

الفصول :

عالج الكتاب جملة من المواضيع المتعلقة بالقبيلة الفلانية جاءت غير مرتبة نظرا لان صاحبه اعتمد طريقة الكشكول في تأليفه وتتمثل في :

1- أصل قبيلة فلان :

في هذا العنصر حاول المؤلف أن يجد أصلاً لقبيلة فلان التي اختلف المؤرخون والدارسون والباحثون في أصلها هل هو عربي أم بربري أم حامي ويذهب مترجمنا الشيخ "محمد باي" تارة مع القول الذي يقول بان أصلهم يعود إلى الصحابي "أبي بكر الصديق" حيث يذكر[1]:«بأنه عثر في ورقات كانت بحوزة الشيخ "بكراوي الحاج عبد

[1] - محمد باي بلعالم ، الرحلة العلية ، (ج 2) ، المصدر السابق ، ص 472 .

القادر" تتحدث عن بلدة تمنطيط ذكر فيها أن أولاد أبي بكر الصديق قد وجههم الخليفة "عمر بن الخطاب" في خلافته إلى إفريقيا ومنهم تنسلت فلان»، ومرة مع القول الذي يرجع أصلهم إلى "اليمن" حيث يذكر في مكان آخر:«بأنه سمع عن خاله السيد الحاج "احمد بن محمد الحسان"، ومن شيخه "محمد عبد الكريم المغيلي بن المنوفي" ومن السيد مولاي "عبد الرحمن الهيباوي" مراراً وتكراراً بان فلان والأنصار من عرق واحد وأن أصلهم من اليمن»[1].

أما بالنسبة لانتسابهم للفاتح العربي "عقبة بن نافع" فنجده يجلب في ذلك جملة من الأدلة، وأقوال لبعض علماء الفلاني من أمثال: الشيخ "عثمان دان فودي" وأخوه "عبد الله"، وابنه "محمد بلو"، و"محمد سمبو الكلوي"، وغيرهم من علماء الفلاني دون أن يرجح رأي على آخر .

2- موطن قبيلة فلان وانتشارها :

حاول المؤلف في هذا العنصر أن يجد إثبات تاريخي لوصول جماعات من قبيلة فلان إلى الجزائر إذ يذكر بان الموطن الأصلي للفلان هو مرتفعات فوتا جالون وفوتا تورو بعد نزوحهم من بلاد شنقيط، ونظراً لتنقلهم الدائم المرتبط بممارسة حرفة الرعي استوطنوا عدة دول من إفريقيا الغربية مثل: السنغال، مالي، النيجر نيجيريا، بل وواصلت جماعات منهم مسيرتها نحو الشرق إلى السودان والبقاع المقدسة (مكة والمدينة المنورة) هروبا من بطش الاستعمار[2]،في حين وصلت جماعات منهم إلى صحراء الجزائر مثل: فخذي أولاد بن مالك وأولاد بلعالم اللذان انصهرا في عدة قبائل تواتية أو نازحة لإقليم توات،ككنته والزوى والأنصار والسوفيين وعزي[3]، وغيرهم من القبائل المتواجدة في المنطقة .

3- ترجمة بعض أعلام القبيلة الفلانية الجزائريون :

حاول المؤلف في هذا العنصر أن يبرز آثار وأعمال الفلانيين العلمية والفكرية، وان يربط الفرع الفلاني المتواجد بصحراء الجزائر مع أصلهم المتواجد بإفريقيا الغربية أو المتواجد بالمملكة العربية السعودية بوضع ترجمة لجملة من أعلام قبيلة فلان الجزائريين من "أولاد بن مالك" و"أولاد بلعالم" من أمثال: العلامة الشيخ "حمزة بن الحاج احمد الفلاني" (1259هـ – 1335هـ)، والعلامة الشيخ "محمد الحسان بن محمد بن الحاج احمد بن محمد بن مالك الفلاني" (1283هـ – 1352هـ)، والشيخ "محمد بن الحاج احمد الفلاني" (ت1294هـ) والد السيد محمد الحسن وهو من أعلام هذه القبيلة الذين كانوا يرابطون بالسودان (تمبكتو) للتعليم[4]، والشيخ "عبد الرحمن السكوتي" (1285هـ–1333هـ)، والحاج "محمد عبد القادر بلعالم" والد الشيخ "محمد باي"(1298هـ – 1372هـ/1952م) الذي قضى حياته في التنقل ما بين قصور توات وتيدكلت وورقلة معلماً وناصحاً وموجهاً، ومنهم الشيخ "احمد بن محمد ابن محمد بن مالك الفلاني" (محمد العم) (1307هـ –

[1] – محمد باي بلعالم ، قبيلة فلان ، المصدر السابق ، ص 12 .

[2] – المصدر نفسه، ص هـ .

[3] – المصدر نفسه ، ص 15 .

[4] – المصدر نفسه، ص 41 .

1374هـ) الذي انتقل إلى الهقار أين تصدر للتعليم والإفتاء باللغتين العربية والتارقية[1]، و"محمد عمار بابا" الحافظ (ت1364هـ)، وغيرهم من الأعلام أمثال: الشيخ الطالب "محمد بن عبد الرحمن بن المكي"، والطالب "محمد بن احمد بن المختار بلعالم" الذي كان إماماً ومعلماً للقرآن بقرية تيمادنين من قرى رقان، وآخرون من علمائها ممن انتقلوا إلى ورقلة أو إلى الهقار للتدريس والإمامة في المساجد .

كما تعرض لذكر آثارهم التي خلفوها في المنطقة، فإلى جانب قيامهم بمهمة التعليم والإمامة والإفتاء تركوا آثاراً اقتصادية تتمثل في الفقاقير مثل: فقارة فلان، فقارة أترام، وفقارة ابنكور التي تستعمل في ري البساتين كما خلفوا تراثاً علمياً يتمثل في الخزانة العلمية الموجودة حالياً بقرية ساهل من بلدية اقبلي، التي تحتوي على كم هائل من المخطوطات التي خلفوها في مختلف الفنون والعلوم إذ يوجد بها ما يقارب الثلاثمائة مخطوط[2]منها ما هو بخط الجد الأعلى لفرع بن مالك "محمد بن مالك"، ومنها ما هو بخط الجد الأعلى للفرع الثاني أولاد بلعالم "محمد بن محمد العالم"، وبعضها بخط الشيخ "حمزة القبلوي بن الحاج احمد" الفقيه العالم، مشيراً إلى أن الكثير من هذه المخطوطات قد ضاع بفعل الظروف المناخية والطبيعية أو نتيجة الإهمال، كما افرد ترجمة لحياته تناول فيها الجانب العلمي منها فتكلم عن شيوخه وإجازاته وطلبته ومؤلفاته .

4- ترجمة بعض أعلام القبيلة الفلانية غير الجزائريون :

من أعلام القبيلة الفلانية الذين ترجم لهم المؤلف في هذا العنصر الشيخ "عثمان دان فودي"(ت1817م) صاحب الحركة والدعوة الإصلاحية في غرب إفريقيا خلال القرن التاسع عشر الميلادي، وأخوه "عبد الله" وابنه "محمد بلو"(ت1833م) اللذان كانا سنداً له في حركته الإصلاحية، كما ترجم للشيخ "ألفا هاشم الفوتي"الذي هاجر إلى الحجاز عام 1326هـ بعدما غزا الفرنسيون بلاده، وفي الحرم المكي تصدر للفتوى وتولى التدريس به بعد أن تضلع في مختلف العلوم الشرعية والأدبية، وقد تخرج على يديه عدد كبير من الطلاب أصبح بعضهم علماء مشهورين[3]، ومنهم الشيخ "صالح بن محمد بن نوح الفلاني" السوداني الذي كان مفسراً وعالماً ومؤلفاً[4] والشيخ "عمر بن محمد فلاته" (1345هـ – 1419هـ) الذي تقلد عدة وظائف أكاديمية إدارية كان آخرها الأمانة العامة للجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة، إلى جانب قيامه بالدعوة والإرشاد في الكثير من البلدان العربية[5] والدكتور "عمر بن حسن فلاته" ولد (1364هـ/ 1945م) احد المدرسين بالمسجد الحرام سابقا وبالمسجد النبوي حالياً[6] .

[1] – محمد باي بلعالم ، قبيلة فلان ، المصدر السابق ، ص 53 .
[2] – المصدر نفسه ، ص 339 .
[3] – المصدر نفسه ، ص 71 .
[4] – المصدر نفسه، ص 63 .
[5] – المصدر نفسه ، ص ص (74 – 75)
[6] – المصدر نفسه ، ص 88 .

كما سرد أسماء بعض الأعلام من هذه القبيلة الذين قاموا بمهمة التدريس في المسجد النبوي الشريف لإبراز دورهم في الحركة العلمية خارج مواطنهم من أمثال: "محمد قوي الفلاني" و"سعيد بن صديق الفلاني" "عمر الفاروق الفلاتي" .

5- أسباب حركة جهاد الفلاني :

استعرض المؤلف في هذا العنصر أسباب جهاد الفلاني في بلاد الهوسا الذي يعود إلى عوامل دينية وأخرى اجتماعية، فبعد انتقال عائلة الشيخ "عثمان بن فودي" من فوتاتور الواقعة على نهر السنغال إلى بلاد الهوسا (في شمال نيجيريا) رأى الشيخ "عثمان" بعدما شب في مجتمعه الجديد استفحال مظاهر الشرك والتفكك الأخلاقي حيث اختلطت فيه العقيدة الإسلامية بالوثنية، بل وكان هناك من لا يزال متمسكا بديانته القديمة من عبادة التماثيل أو الدمى المنحوتة من الحجر، أو الخشب، أو المشكلة من الطين فلا نكاد نجد قبيلة من القبائل إلا ولديها الاعتقاد في خالق أعظم فلدى"البمبارا" مثلاً يسمى الإله الأعظم عندهم (فارو Faro) فهو الذي يُنزل الغيث ويهب الحصاد وهو حافظ الأرواح ومصرف أمور الكون[1] حسب اعتقادهم ومنهم من كان يُقدم قرابين إلى هذه الآلهة والأرواح في المناسبات المختلفة[2]، بل ومنهم من كان يخالط الوثنيين دون تحرج منهم، ويقلدونهم في سلوكهم حتى دخل الغرب الإفريقي عصر انحطاط خلال القرنيين السابع عشر والثامن عشر الميلاديين .

6- عثمان دان فودي وجهاده :

تطرق المؤلف في هذا العنصر إلى حركة جهاد الشيخ "عثمان ابن فودي" – الذي خصص له صفحات هائلة من الكتاب– والتي كانت كنتيجة للأوضاع الدينية والاجتماعية المتدهورة التي عرفتها إمارات الهوسا بصفة خاصة وغرب إفريقيا بصفة عامة خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلاديين، مما أدى إلى ظهور حركة إحياء قام بها علماء غيورون في جهات عديدة من غرب إفريقيا، وذلك بقصد إقامة دول في مناطقهم حسب المفهوم الإسلامي في الحكم والإصلاح كان أبرزها حركة جهاد الشيخ "عثمان دان فودي" في بلاد الهوسا .

فقد هال الشيخ "عثمان" حال المسلمين في هذه البلاد فعزم على محاربة تلك البدع، وتعريف هؤلاء القوم بتعاليم الإسلام الصحيحة فبدأ دعوته بالنصح والإرشاد ودعوة الناس إلى تصحيح عقيدتهم الإسلامية ونبذ البدع والخرافات وإتباع الكتاب والسنة، فقام في سبيل ذلك بعدة جولات في بلاد الهوسا لإقناع الناس بدعوته الإصلاحية الجديدة واتخذ أعواناً له من تلامذته ليساعدوه في دعوته منهم أخوه "عبد الله" وابنه "محمد بلو"، حيث زار إقليم (زمغارا) (شمال نيجيريا الحالية) أين بقى خمس سنوات[3] يدعو الناس إلى الإسلام فالتف حوله عدد من الإتباع المخلصين سمو (بالجماعة) الذين عملوا على نسخ كتبه ونشرها بين الناس في أرجاء

[1] – محمود سلام زياتي : الإسلام والتقاليد القبلية في افريقية ، (د،ط) ، دار النهضة العربية ، بيروت : 1969، ص ص (193، 195) .

[2] – المرجع نفسه ، ص197 .

[3] – محمد باي بلعالم : قبيلة فلان ، المصدر السابق ، ص138 .

السودان الغربي والأوسط[1] حيث ألف عدة كتب لإحياء السنة، والقضاء على البدع والخرافات وهو ما أدى إلى سخط أمراء ممالك الهوسا ضده خاصة سلاطين إمارة (جوبير) الذين كفروا بتخليهم عن بعض مبادئ الإسلام منهم "نافاتا" الذي حارب دعوة الشيخ "عثمان" إذ أعلن هذا "نافاتا": أن امتياز الدعوة يقتصر على الشيخ نفسه دون جماعته وان تُوقف عملية إدخال الوثنيين في الإسلام،كما منع الرجال من لبس العمامة والنساء من الحجاب ليوقف تيار انتشار الإسلام[2]،وواصل ابنه "يونغا" الذي خلفه من بعده عام 1802م سياسة والده "نافاتا" حيث عمل على اضطهاد المسلمين، ومصادرة أموالهم وهتك أعراضهم وحرماتهم، وقتل عدداً من العلماء والفقهاء والقراء وأمر جنوده بحرق المصاحف القرآنية والكتب والألواح[3] مما آثار سخط المسلمين .

لذا قرر الشيخ "عثمان" إعلان الجهاد في سبيل الله فدخل في حروب مع "يونغا" فأحرز عليه عدة انتصارات تمكن من خلالها من الاستيلاء على عاصمة إمارة (جوبير) وقتل سلطانها عام 1808م، واخضع أقاليم زمغارا، وكتسينا، كانوا، وبوش، وكاتاجدم[4]، وغيرها من الأقاليم إلى إمبراطوريته التي كانت عاصمتها مدينة (سوكوتو) وقسمها إلى قسمين شرقي عين عليه ابنه "محمد بلو"، وغربي عين عليه أخوه "عبد الله" في حين تفرغ هو للزعامة الروحية إلى أن توفى سنة 1817م .

7- نتائج حركة جهاد عثمان دان فودي:

استعرض المؤلف في هذا العنصر أهم نتائج حركة جهاد الشيخ "عثمان دان فوديو" الإصلاحية في إمارات الهوسا خلال القرن التاسع عشر الميلادي التي كانت من اكبر حركات الجهاد التي عرفها غرب إفريقيا خلال هذا القرن لما ترتب عنها من نتائج أهمها :

1- عودة مجد الإسلام بنشر مبادئ الدين الصحيحة، والقضاء على الوثنية والتخلص من العادات السيئة في أوساط الهوسا .

2- فتح بلاد الهوسا كلها بإمارتها المختلفة، وخلع سلاطينها وأمرائها القدماء وتعويضهم بحكام وولاة مسلمين[5].

3- إصلاح أحوال المجتمع الهوساوي إذ أعاد الشيخ "عثمان" المسلمين في غرب إفريقيا بصفة عامة، ونيجيريا بصفة خاصة إلى المنهج الإسلامي متخذاً الطريقة القادرية وسيلة له،كما استطاع أن يجعل من نيجيريا اكبر دولة إسلامية في تلك الناحية، بل واستطاع أن يؤسس رفقة أتباعه إمبراطورية إسلامية استمرت لأكثر من مائة سنة (1804- 1906م) استطاعت أن تقف في وجه التبشير المسيحي والاستعمار طيلة القرن العشرين الميلادي .

---

[1] – يحي بوعزيز : تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية ، المرجع السابق ، ص144 .

[2] – محمد بأي بلعالم : قبيلة فلان ، المصدر السابق ، ص139 .

[3] – يحي بوعزيز : تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية ، المرجع السابق ، ص ص (144- 145) .

[4] – أحمد إبراهيم دياب : المرجع السابق ، ص 208 .

[5] – يحي بوعزيز : تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية ، المرجع السابق ، ص ص (150- 151) .

فكانت حركته أشبه بثورة اجتماعية، وتغير اجتماعي وثورة في الإدارة والقضاء والقانون إذ لا تـــزال تقاليدها ومنجزاتها قوة روحية في نيجيريا الشمالية إلى يومنا هذا، فكانت بحق مثلاً قوياً للحركات الإصلاحية التي قامت في العالم العربي عامة، وفي غرب إفريقيا بصفة خاصة للعمل على إعادة مجد الإسلام، ونشر مبـــادئ الدين الصحيح وتطبيق أحكام الشريعة.

القسم الثالث : الفائدة.

من خلال دراسة وتقديم كتاب "قبيلة فلان في الماضي والحاضر ومالها من العلوم والمعرفـــة والمـــآثر" سجلنا بعض المآخذ منها :

1- عدم اعتماد المؤلف لمنهجية معينة في تأليفه هذا حيث جاء الكتاب على شكل كشكول خالياً تمامـــاً مـــن التبويب،كما لا يحتوي على مداخل ولا فهارس، وأحداثه لم ترد متسلسلة إذ لم يراع فيها لا الإطار الزمـــاني ولا المكاني وإنما سجلها حسب ما توفر له من مادة فتجده مثلاً: يتحدث عن حركة جهاد الشيخ "عثمان دان فوديو" ثم يقطع كلامه عنه ليسرد تعريفاً لأحد أعلام القبيلة الفلانية، ثم يعود بعد ذلك للحديث عن حركـــة "عثمان دان فوديو" .

2- المؤلف نجده في الكثير من الأحداث والوقائع ناقلاً* دون نقد أو ترجيح لرواية على أخرى، ودون توثيقها في الهامش، فعلى الرغم من اعتماده على ست وعشرين ما بين مصدر ومرجع ومقالات ومحاضرات، لم يكـــن يحلل ولا ينقد ولا يرجح، بل تجده أحياناً يعيد نفس الفكرة، وان تكررت مرات عدة مذهبه في ذلك: أمانـــة النقل لا النقد ولا الطعن كما يقول[1] .

وهذا ما يجعلنا نحكم على طريقته في كتابة التاريخ بأنها تقليدية جاءت على نهج الكتاب القدماء الذين كانوا لا يركزون عما سيقولون، ولا يضبطون خطة لما سيؤلفون، وهذا ما يجعل منه هاوياً للتاريخ أكثر مـــن متخصص فيه .

3- الكتاب لا يخلو من التكرار الذي جاء في غير ما مكان، وكانت حجة المؤلف في ذلك ما قالـــه الإمـــام البخاري "أن المكرر أحلى"[2].

4- ومن المأخذ التي سجلناها أيضاً أن المؤلف افرد العنوان لقبيلة فلان، في حين أن القارئ للكتاب يجد عناصر أخرى لا علاقة لها بالقبيلة، وبالتالي بموضوع الكتاب كحديثه عن جملة من علماء توات أمثال: الشيخ "المغيلي" والشيخ "ابن أب المزمري" اللذان افرد لهما وقفات في الكتاب، وغيرهم من علماء المنطقة .

5- عدم مراعاة المؤلف للترتيب سواء في سرد الأحداث (الوقائع)، أو الأفكار فأفكار الكتاب جاءت متنـــاثرة يصعب على دارسه جمعها،كما أن الأحداث وردت هي الأخرى متفرقة، وإلى جانب هذا توجد هناك أحداث

---

* ينظر مثلا : ص90 إذ اقتبس من كتاب "الخرطوم والشعب الدعاة "لعبد الله عبد الماجد إبراهيم عدة مقالات ومن صفحات عديدة، والصفحة 135 إذ اقتبس من كتاب لمحات من التاريخ الإفريقي الحديث لأحمد إبراهيم دياب عدة صفحات ..الخ .

[1] – محمد باي بلعالم : قبيلة فلان ، المصدر السابق ، ص485 .

[2] – المصدر نفسه ، ص343 .

خصص لها صفحات هائلة من الكتاب، بل وكان يتوقف عندها بين الحين والآخر مثل (حركة الشيخ عثمان دان فوديو) التي أخذت حصة الأسد من صفحات الكتاب، بل وأسهب المؤلف وأطنب في الحديث عنها وعن صاحبها* .

وعلى الرغم من هذه المآخذ التي سجلناها، إلا أنها لا تنقص من قيمة الكتاب فالمؤلف في مؤلفه هذا لم ينطلق من فراغ، بل اعتمد على مجموعة من المراجع، والمصادر لعلماء وباحثين منحدرين من قبيلة فلان مثل:كتاب"تعريف العشائر والخلان" للشيخ "ألفا هاشم"- "صبح الأعشى"- "إيقاظ همم أولى الأبصار للاقتداء بسيد المهاجرين والأنصار" للشيخ "صالح بن محمد بن نوح"- "إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور" للإمام "محمد بلو بن عثمان"- "كنز الأولاد والذراري في تاريخ الأجداد والديار"للشيخ "محمد ثنب"- "فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور" للبرتلي، وغيرها من المصادر بالإضافة إلى جملة من المخطوطات والنوازل كنوازل الشيخ "الطالب المختار السباعي الشنقيطي" وغيرها من الكتب، وهي كلها مصادر لها اتصال مباشر بموضوع الكتاب كما أنه لم يكن ناقلاً في كل الحالات إذ يمكننا أن نلمس شخصيته أحياناً في عبارات قلت أو قلنا...الخ .

وتظهر القيمة التاريخية لكتاب "قبيلة فلان في الماضي والحاضر" في انه يعتبر أول مُؤلَف بالجزائر يجمع شتات هذه القبيلة المتفرقة بين البلاد العربية ودول غرب ووسط إفريقيا، حيث ابرز وعرف فيه مؤلفهِ بعلماء القبيلة الصحراويين، وآثارهم وأعمالهم التي كانت مجهولة لدى الكثيرين سواء داخل الجزائر أو خارجها، فنفض الغبار عن إنتاجهم الفكري، والعلمي، والاجتماعي، وحتى الاقتصادي فأعطى بهذا معلومات هامة للراغب في التعرف على الفلان بالجزائر،كما أن هذا المؤلف أعطانا فكرة وصورة واضحة عن التركيبة الجغرافية والاجتماعية للمجتمع الجزائري الذي يعتبر مجتمعا خليطاً من الأجناس، والأعراق أشبه ما يكون بفسيفساء انصهرت هذه الأجناس فيما بينها عبر مراحل تاريخية مختلفة، زادها الإسلام وحدة والتحاماً بغض النظر عن أصولها ومواطنها وفروعها .

وتظهر القيمة العلمية لهذا الكتاب فيما جمعهُ فيه مؤلفه من معارف تاريخية، وفقهية وتراثية تتعلق بهذه القبيلة، وأخرى بالمنطقة التواتية، خاصة المنثور والمنظوم منها، مما يفتح مجالاً رحباً للمؤرخين والباحثين في التراث على حدّ تعبير الأستاذ "محمد الدباغ"[1].

وبالجملة فان هذا الكتاب قد كشف خبايا فرع قبيلة فلان المتواجد بالصحراء الجزائرية الذي يجهله البعض بل والأغلب سواء في الجزائر أو خارجها، حاول مؤلفه من خلاله أن يصل ما تفرق من شتات القبيلة عملاً بقوله تعالى:﴿**واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام**﴾[2]وعملاً بقوله صلى الله عليه وسلم: (**تعلموا من**

*- ينظر مثلا ، ص58الى64 ومن77الى94الى130ومن ص137الى146ومن 156الى 165 ومن 175الى 215 و ص225 وص373 وص388 ومن ص479 إلى 484.

[1] - محمد باي بلعالم : قبيلة فلان ، المصدر السابق ، ص ل .

[2] - سورة النساء : الآية 1

أنسابكم ما تصلون به أرحامكم) رواه الترميـــذي، لذا فهو عمل يثري المكتبة الإسلامية، والعلمية على الحد السواء بما يزخر به من كنوز ثقافية، ومعرفية تتعلق بتاريخ هذه القبيلة.

ثالثاً– دراسة وتقديم كتاب "الرحلة العلية إلى منطقة توات" :

مقدمة:

يحتل إقليم توات (قورارة، توات الوسطى، تيديكلت) موقعاً استراتيجياً ممتازاً، مكنه من الاتصال بمختلف مناطق العالم الخارجية الشمالية منها والجنوبية، والشرقية والغربية لوقوعه في قلب الصحراء الجزائرية، وهـــذا مـــا جعله محل اهتمام المؤرخين والرحالة والبحاثة الذين سجلوا ملاحظاتهم عنه خلال تواجدهم، أو نزولهم به– سواء المحليين (من أهل الإقليم) أو حتى المغاربة أو الأجانب – أفادت الباحثين والدارسين كما شجعت، وزادت مـــن أطماع المحتلين والغزاة له من المغاربة أو الفرنسيين .

ولما كان كتاب: "الرحلة العلية إلى منطقة توات الذكر بعض الأعلام والآثار والمخطوطات والعادات وما يربط توات من الجهات" من جملة ما أُلف عن تاريخ إقليم توات يُضاف إلى ما سبقه من كتابات عـــن الإقلـــيم وتاريخه ودوره الثقافي حاول فيه مؤلفه أن يجمع ما تفرق في كتابات شتى عنه، وما تفرق من علمائه بعد أن كان الذين سبقوه من علماء الإقليم يقتصرون الكلام عن منطقة معينة من مناطقه الثلاثـــة دون التطـــرق إلى المنـــاطق الأخرى من الإقليم، ومحاولته هذه تعد الأولى من نوعها – حسبما اطلعنا عليه من جملة مخطوطات وكتب لمشايخ المنطقة– لذا ارتأينا وضع دراسة لهذا الكتاب .

القسم الأول من الدراسة:

– **صاحب الكتاب:** الشيخ "محمد باي بلعالم" .

– **عنوان الكتاب الكامل:** "الرحلة العلية إلى منطقة توات لذكر بعض الأعلام والآثار والمخطوطات والعـــادات وما يربط توات من الجهات" جزءان ، د،ط ، دار هومة ، الجزائر : 2005م.

– **حجم الكتاب:** الكتاب من الحجم الكبير حيث يحتوي الجزء الأول على أربعمائة وثمـــانون (480) صـــفحة والثاني على ستمائة وستة وخمسين(656) صفحة.

– **طوله** : 24سم – عرضه : 16سم (24 × 16) .

– **كيفية استخدام الهامش:** لم يستعمل المؤلف التهميش في الكتاب .

– **تقنيات الترقيم والتبويب:** الترقيم كان بالصفحات، وبالأرقام العربية، أما صفحات الشكر والإهداء والمقدمة والافتتاحية فرقمت بالأحرف الهجائية من(أ) إلى(ط)، ورقمت صفحات التقاريظ بالحرف (ي) يضاف له الرقم .

أما فيما يتعلق بالتبويب فالمؤلف لم يعتمد طريقة التبويب، حيث لم يجعل لكتابه أبواب ولا فصول وهو ما أشار إليه في افتتاحية الكتاب قائلا[1]: « إنني غير ملتزم بالترتيب، ولا بالتقديم والتأخير بل كلما تحصلت علـــى

[1] – محمد باي بلعالم : الرحلة العلية ، (ج1) ، ص ص (ج – د) .

معلوم ألحقته غير مبالٍ بأنه يحق له أن يتقدم، أو يتأخر، ومنهجيتي فيه منهجية الكشكول وعدم التقييد بالأبواب والفصول...»، لذا جاء الكتاب عبارة عن عناوين متفرقة ومختلفة غير مرتبة، مما يصعب على دارسه جمعها .

– **البيبلوغرافيا**: أورد المؤلف ذكر المراجع والمصادر والمخطوطات التي اعتمدها في البحث، إلا انه لم يُفرق بينها كما لم يرتبها ترتيبا أبجدياً وعددها مائة وست وثلاثون ما بين مصدر ومرجع خصص لها الصفحات من الصفحة (621) إلى الصفحة (632) من الجزء الثاني للكتاب .

– **أنواع الملاحق**: استعمل المؤلف ملاحق لتدعيم بحثه، وهي عبارة عن بعض الخرائط التي جاءت في المتن، وصور لبعض مخطوطات علماء توات مثل: الشيخ "ابن أب المزمري" في آخر الكتاب من الجزء الثاني، لكن دون توثيق ولا حتى إشارة إلى صاحب المخطوط .

– **الفهارس**: الكتاب خالي من فهارس الأماكن، والأعلام، والقبائل، والبلدان باستثناء فهرس الموضوعات الذي جاء على شكل عناوين متفرقة، وقد خصص له الصفحات من423 إلى 440 من الجزء الأول ومن 633 إلى 655 من الجزء الثاني .

الدراسة الموضوعية للكتاب (تفصيل المكونات):

– **الافتتاحية**: الصفحات:(ج– د– د– ه– و– ز– ح– ط) .

عرف فيها الشيخ "محمد باي" بمؤلفهِ، والطريقة أو المنهجية التي اختارها له، ذاكراً بأنه يقدمه لكل قارئ وباحث ومؤرخ ومنقب عن تاريخ منطقة توات بمقاطعاتها الثلاث (قورارة، توات الوسطى، تيديكلت)كما عرف به نظماً من ثمانية وسبعين بيت.

– **صفحات التقاريظ** : من الصفحة(ي) إلى الصفحة (ي29) وعددها ثلاثون صفحة .

قرظ لهذا الكتاب مجموعة من الشخصيات الدينية العاملة في السلك الديني من أمثال : الشيخ "عبد الرحمن شيبان" رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين سابقاً – الشيخ "عبد الرحمن حفصي"– الشيخ "أبو عبد السلام جعفر اولفقي" مستشار وزير الشؤون الدينية والأوقاف– الشيخ "الأخضر الدهمة المتليلي"– الشيخ "الطاهر ايت علجت"– الشيخ "عبد الكريم الدباغي"– الشيخ "مولاي عبد الله الطاهري" وبعض الأساتذة العاملين في الجامعة من أمثال : الدكتور "محمد الدباغ"– الدكتور "محمد حوتية"– والدكتور "المصري المبروك".

– **المقدمة**: من الصفحة(3)إلى الصفحة(4) .

بين فيها المؤلف السبب الذي حمله على تأليف هذه الرحلة، والمتمثل في تجربته الطويلة في المنطقة التواتية التي عاش فيها صبياً وشاباً وكهلاً وشيخاً، تعليماً وتعلماً وتدريساً، حيث جال في مناطقها الثلاث، وزار الكثير من المزارات والزوايا والآثار، واطلع على العديد من المخطوطات والمؤلفات والإجازات والأشعار، والعادات الاجتماعية والدينية والصناعات وبعض الأنساب وبعض المدافن والمعارك، والوفيات والأعلام والثروات الاقتصادية، لذا أراد أن يجمع كل هذا في مؤلف تاريخي لتطلع عليه الأجيال الصاعدة لمعرفة تاريخ أسلافهم

خاصة وان المنطقة قد أنجبت ولا زالت فطاحل الفقهاء والمحدثين وفحول الشعراء المجيدين، والعلماء العاملين معترفاً بان ما جمعه كان قليل من كثير ونقطة من بحر وغيض من فيض.

– الفصول:

عالج الكتاب جملة من المواضيع المتعلقة بالمنطقة التواتية من القدم إلى عصرنا الحاضر جاءت على شكل عناوين غير مرتبة –كما ذكرنا – ارتأينا تصنيفها كالتالي:

1– الموقع الجغرافي لإقليم توات وخصائصه الطبيعية:

أكد المؤلف في هذا العنصر بأن إقليم توات ارض جزائرية، وأنه جزء لا يتجزأ من الجزائر محدداً موقعه الذي يمتد من قورارة (تيميمون) شمالاً إلى تيديكلت (فقارة الزوى) جنوباً[1]،كما عرض الآراء المختلفة لسبب تسميته (بتوات) وقد أوردناها في الفصل الأول لكن دون أن يرجح رأي على آخر، أما عن خصائصه الطبيعية فقد أشار إلى أن الإقليم شهد تغيرات وتحولات الأزمنة الجيولوجية الأربعة، مما أعطى لوسطه الفيزيائي مميزات معينة وتضاريس متنوعة ذات مميزات صحراوية كالعرق والحمادات المتحجرة والجبال البسيطة الارتفاع في كرزاز[2].

2– الحياة السياسية في إقليم توات:

في هذا العنصر تتبع أوضاع إقليم توات السياسية قبل الاحتلال الفرنسي لها، إذ يذكر بأنها بقيت ردحاً من الزمن بعد احتلال الجزائر تحت حكم شيوخ القبائل، وقضاة الجماعة إلى أن استولى عليها الاستعمار في مطلع القرن العشرين الميلادي[3]. ونظراً لموقعها الجغرافي الممتاز كانت محل أطماع الدويلات المغربية من قبل، حيث شن حكام المغرب الأقصى ضدها عدة حملات استهدفت إخضاع الإقليم كحملة "المنصور الذهبي" على الإقليم في عام 991هـ/1583م[4]، إلا أن الإقليم ظل مستقلاً عن سلطان المغرب واستدل على ذلك بما ذكره الأستاذ "فرج محمود فرج" في أطروحته عن الإقليم بان مشايخ الإقليم ظلوا متمتعين بكامل الحرية في تسيير أمورهم الداخلية والخارجية دون تدخل خارجي .

وخلص المؤلف بان توات منطقة جزائرية بحكم موقعها وتقرير مصيرها، وسياستها وهي لا تتجزأ من شعبها الجزائر فقد شاركته وشاركها في السراء والضراء والكفاح والثورة ما لم يترك مجالاً للشك في جزائريتها شانها شان الجنوب الكبير مثل البيض والنعامة وبشار وغرداية و ورقلة وتمراست وتندوف[5]؛ كما تناول اهتمامات فرنسا بالإقليم والتي ترجع إلى القرن التاسع عشر الميلادي من خلال إرسال البعثات الاستكشافية التي انتهت باحتلال مدينة "عين صالح" عام 1900م،كما تحدث عن أهم المعارك التي وقعت في الإقليم والتي عبر سكانه من

[1] – محمد باي بلعالم : الرحلة العلية ، (ج1) ، المصدر السابق، ص9 .

[2] – المصدر نفسه، ص ص (27– 28) .

[3] – المصدر نفسه، ص 64 .

[4] – المصدر نفسه، (ج2) ، ص ص (48– 49) .

[5] – المصدر نفسه، ص ص (214– 215) .

خلالها عن رفضهم للمحتل كمعركة الفقيقيرة في 28 ديسمبر 1899م ومعركة الدغامشة في 5جانفي 1900م مشيراً بان سكان الإقليم شاركوا الشعب الجزائري في الكفاح، والثورة شأنهم في ذلك شان ولايات الجنوب الكبير مثل البيض والنعامة وبشار وورقلة وتمنراست وتندوف[1] .

كما أشار إلى ما قامت به فرنسا من تحويل المنطقة إلى حقل للتجارب النووية حيث ألقت بمنطقة "رقان" أربعة قنابل أطلقت عليها أسماء مختلفة (اليربوع الأزرق، الأحمر، الأبيض، الأخضر) كانت محل استنكار العديد من الدول الإفريقية كغانا وتشاد والعربية، والحكومة الجزائرية المؤقتة لما خلفته من آثار سلبية على المنطقة وسكانها[2] .

3- الأوضاع الاقتصادية في إقليم توات :

تحدث المؤلف في هذا العنصر عن موارد المياه في الإقليم والمتمثلة أساساً في الفقارة مبيناً طريقة توزيع المياه بعد خروجه على سطح الأرض، والذي يتم بشكل دقيق، وباستعمال أدوات دقيقة وفق قانون خاص بهذا النظام يشرف عليه شخص يسمى الكيال .

أما عن أهم المنتجات الزراعية في المنطقة فتتمثل أساساً في النخيل التي تعطي إلى جانب التمور مواد صناعية أساسية كالخشب والليف، والجريد، والجذع،..الخ، وجميعها كانت تستعمل في بناء المنازل قديما، بل وحتى في الوقت الحالي؛ بالإضافة بعض المحاصيل المعاشية كالقمح[3]، مستعرضاً في ذلك كله أهم الأزمات الاقتصادية التي شهدها الإقليم والتي كان لها تأثير كبير على الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية على الحد السواء كالأمطار الغزيرة والأمراض الخطيرة كالجذري؛ أما عن الصناعة فقد تطرق إلى ذكر أهم المنتجات الصناعية في الإقليم والمعادن المتواجدة به ودوره التجاري في العصر الحديث وقد أتينا على ذكر ذلك في الفصل الأول من البحث .

4- الحياة الاجتماعية في إقليم توات :

عالج المؤلف في هذا العنصر التركيبة الاجتماعية للإقليم بذكر أهم القبائل التي تشكله والتي وفدت عليه في فترات متفاوتة كانت أولها كانت قبيلة أولاد عبد الجليل التي قدمت عليه عام 501هـ، وآخرها قبيلة اعريب التي قدمت في عام1076هـ، أما عن تاريخ تعميره فيرجعه إلى ما قبل الإسلام حيث يقول في ذلك[4]:"أن تاريخ عمارة توات يرجع إلى ما قبل الإسلام أين كانت تسمى بالصحراء القبلية – بكاف معقودة- ثم كثرت عمارتها بعد جفاف نهر جير في غضون القرن الرابع للهجرة"، ثم تكلم عن انساب بعض العائلات التواتية كالتنلانية، التي يرجع نسبها إلى جدهم الشيخ "احمد بن يوسف" من ذرية "عثمان بن عفان" (الأمويون)[5]والعائلة البكرية التي تنسب إلى

[1] – محمد باي بلعالم : الرحلة العلية ، (ج2) ، المصدر السابق ، ص ص (214- 215) .
[2] – المصدر نفسه، ص ص (294- 295) .
[3] – محمد باي بلعالم : الرحلة العلية ، (ج1) ، المصدر السابق ، ص ص (8 ، 76) .
[4] – المصدر نفسه، ص 9 .
[5] – المصدر نفسه، ص ص (34 ، 43) .

"أبي بكر الصديق"، وقد سرد في ذلك عدة روايات، وشرفاء سالي "أولاد علي الشريف بن محمد السجلماسي"،كما تعرض لذكر انساب قبائل أخرى مثل: الزوى والبكريين وشيوخ زاوية اقبلي ونسب شيخه م "احمد الطاهري"، ونسب سيدي "عيسي القرافي الحفصي" الجد الأعلى لأولاد حفصي والفلانيين والأنصار، مبيناً بان النسب الشريف لابد لثبوته شاهدين عدلين وخطوطهما ويشهدان بالنسب إلى القعود[1].

كما تعرض المؤلف إلى ذكر عادات المجتمع التواتي السلبية محدداً موقفه منها – وقد أتينا على ذكرها في المبحث الثالث من الفصل الثالث من الموضوع محل الدراسة – ثم تكلم عن العوائد الخيرية (الايجابية) التي تميز بها المجتمع التواتي فمدحها وشجع على الإكثار منها لأنها تعمل على ربط أواصر الإخوة وزرع المحبة بين سكان المجتمع التواتي[2] كعوائد رمضان والعيدين وما تقوم به الزوايا من وظائف اجتماعية ودينية في نفس الوقت وإحياء مواسم الزيارات بإلقاء المحاضرات وعقد الندوات في النكاح بعد أن كان الاحتفال بها يقتصر على قراءة الفاتحة وبعض الرقصات[3] فيما مضى .

5– الحياة الثقافية في إقليم توات :

تعرض المؤلف في هذا العنصر إلى ذكر أهم المراكز العلمية المتواجدة في إقليم توات والتي تتمثل أساساً في:

ا– الكتاتيب: تعد المدرسة الابتدائية في التعليم الديني، وتعليم الأطفال لذا أوصى الشيخ "محمد باي" شيوخ الزوايا بالاعتناء بالمدارس القرآنية والمحافظة عليها لان طلبتها هم رجال الغد ودعاة المستقبل[4] .

ب– المساجد: تعتبر مركز ثقافي أول في المنطقة فهي مكان للعبادة والتعلم في نفس الوقت لما تلعبه من دور في التعليم، وترسيخ الإسلام ومنح التربية الخلقية والإسلامية خاصة للشباب والكهول، لذا أوصى الشيخ "محمد باي" المسؤولين عليها أن يهتموا بتربية الأبناء فيها تربية دينية تحميهم من الانحرافات، والمزالق خاصة وان حياة الشباب محفوفة بالمصاعب تحت تأثير المراهقة وأطوار البلوغ[5] .

فهو يرى بان تحصين الشباب يبدأ من المدارس القرآنية والمساجد لذا نصح المربين فيها والقائمين عليها الإخلاص لله في السر والعلن، وضرورة التحري بالعودة إلى النص واجتناب التعصب سواء لمذهب أو لشخص أو لطائفة، والتجرد من التبعية والأهواء لضمان تأدية وظيفتها كما ينبغي[6] .

ج– الزوايا: التي يرى بان نشأتها في الإقليم مرتبط بنشأة المنطقة التواتية فتوات هي الزاوية والزاوية هي توات في نظره ويجلب في ذلك أدلة منها: أن اسم الزاوية قد أطلق على كثير من قرى البلديات كزاوية اقبلي، زاوية حينون، زاوية الرقاني، زاوية كنتة[7]، .....الخ.

---

[1] – محمد باي بلعالم : الرحلة العلية ، (ج2) ، المصدر السابق ، ص 551 .

[2] – المصدر نفسه، ص ص (288- 289) .

[3] – المصدر نفسه، ص ص (291- 292) .

[4] – المصدر نفسه، (ج1) ، ص ص (263 – 264 – 265) .

[5] – المصدر نفسه، ص 308 .

[6] – المصدر نفسه، ص 311 .

[7] – المصدر نفسه، ص ص (319 – 321) .

أما عن أنواعها في المنطقة فصنفها إلى ثلاثة أنواع: العلمية والاجتماعية والصوفية، مبيناً وظائفها الثقافية والاجتماعية والاقتصادية كالتعليم وإيواء الفقراء والمساكين، والضيوف والطلبة، والإصلاح بين المتنازعين وتحفيظ القرءان وتعليم العلوم الشرعية، حيث عملت الزوايا على محاربة الاستعمار الفرنسي وقامت بمكافحة الأمية والبدع وحفر الآبار، وتفجير الفقاقير، ووضع خزائن للمخطوطات، وتأليف الكتب ...الخ ، كما وضع إحصاء لزوايا الوطن من شماله إلى جنوبه.

ثم أعطى نظرته للزوايا التي يريد لها البعث من جديد، والحياة الروحية وهي الزوايا التي تستمد الإشعاع والنور من الدين الإسلامي الصحيح، من الكتاب والسنة لتكون منتدى للمؤمنين وحلبات للموحدين ومهوى أفئدة المتقين مؤكداً على ضرورة حماية الزوايا من كل ما يقوض أركانها كالتدخل في السياسية والانتماء إلى أحزابها لان مفاهيم الدين هي أساس الأمن والاستقرار والسعادة[1] كما يقول .

6- ترجمة بعض أعلام المنطقة القدماء:

ترجم المؤلف في هذا العنصر لجملة من علماء إقليم توات القدماء – على الرغم من انه لم يعثر على حياة وتاريخ العديد منهم - كعلماء العائلة التنلانية أمثال : الشيخ "احمد بن يوسف" الجد الأعلى للتنلانيين وأخوه السيد "معروف بن يوسف التنلاني"، و"عمر بن عبد القادر بن احمد بن يوسف (المدعو عمر الأكبر) (1098–1152هـ) الذي تولى التدريس في مدينة فاس بالمغرب الأقصى، و"أبو الأنوار بن عبد الكريم بن احمد بن يوسف التنلاني" (1077– 1168هـ)، و"عمر بن عبد الرحمن بن عبد القادر بن احمد بن يوسف" (1152–1221هـ) المعروف (بعمر الأصغر)، والسيد "عبد القادر بن عمر بن عبد الرحمن" (ت 1265هـ) مؤلف الدرة الفاخرة، و"عبد الرحمن بن عمر" (ت 1189هـ) الذي ترجم لحياته في كتابه "الغصن الداني" وغيرهم من آل تنيلان ومنهم أيضا "عبد العزيز البلبالي" صاحب نوازل غنية الشورى (1190–1261هـ) و"محمد البكري بن عبد الكريم الامريني" (1042 – 1133هـ) الذي اخذ العلم عن شيوخ عدة منهم الشيخ "سعيد قدورة بن إبراهيم الجزائري" وحصل على إجازة شيخ الديار المصرية الإمام "الخرشي" وتولى خطة القضاء على توات على عهد السلطان "مولاي إسماعيل العلوي" الذي قلده قضاء كافة الصحراء[2].

كما تعرض لذكر جملة من العلماء الذين وفدوا إلى توات ودرسُوا بها أمثال: الشيخ "يحي بن ايدير" شيخ الإمام "المغيلي" و"العصنوني"، والشيخ "المغيلي"، ومنهم الشيخ "محمد بن مولاي عبد الله الشريف الوزاني" الذي قدم من سجلماسة إلى إقليم توات عام 1110هـ/ 1690م .

ومن شيوخ الإقليم الذين ترجم لهم "محمد بن أب المزمري" صاحب الجولان، وعالم العروض في توات والشيخ "أبو بكر بن المحجوب التمنطيطي" الذي خلف فتاوى وقصائد مختلفة، والسيد "عبد الحق بن عبد الكريم البكري" احد قضاة الجماعة في توات (ت 1210هـ)، والشيخ "محمد بن المبروك البداوي" الذي خلف العديد

[1] – محمد باي بلعالم : الرحلة العلية ، (ج1)، المصدر السابق، ص ص (333 ، 335) .

[2] – المصدر نفسه ، ص ص (59 – 60) .

من الأشعار والقصائد في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم[1]، والشيخ "محمد بن محمد العالم الزجلاوي" صاحب (نوازل ابن العالم) الذي لا يستغني عنه عالم ولا قاضي لا سيما فيما يخص مميزات وعوائد منطقة توات، ومنهم أيضا الشيخ "أبا زيد عبد الرحمن بن إبراهيم بن عبد الرحمن الجنتوري"[2]وغيرهم .

فقد عمل هؤلاء العلماء على ربط المنطقة بمقاطعاتها الثلاث، وبين العالم العربي والإسلامي من أمثال: الشيخ "عمر بن عبد القادر التنلاني" و"أبو الأنوار التنلاني" وحفيده "مولاي هيبة" و"عبد الرحمن بن عمر التنلاني" و"عبد الرحمن بن إدريس التنلاني"، والشيخ "المغيلي"، والشيخ "محمد بن إسماعيل القراري" الذي زار اسطنبول وليبيا والعديد من الدول[3]،و"ابن أب المزمري"، و"أبي نعامة الكنتي" و"الجنتوري"، كما كانت بينهم محاورات كمحاورة "المغيلي" للعصنوني في قضية هدم كنائس اليهود في توات، ومحاورة علماء زاجلو و"ابن أب المزمري" في قضاء دين الميت مما صلح عليه من دية العمد وهل تدخل فيه الوصية*، وغيرها من المحاورات التي تسجل لنا الحضور العلمي لعلماء المنطقة ورسوخهم في العلم، كما تعطينا فكرة عن أهم المشاكل، والنزاعات والقضايا المطروحة خلال تلك العصور التي عاشوا فيها،كما سرد أسماء مائة وواحد وعشرون عالماً من علماء توات عاشوا ما بين القرنين السادس والرابع عشر الهجري لم يعثر لهم على ترجمة لحياتهم**، وأسماء أكثر من خمسة وسبعين عالماً من علماء توات عاشوا في عصور مختلفة نقلاً من كتاب "الدرة الفاخرة في ذكر المشايخ التواتية" للشيخ "عبد القادر بن عمر بن عبد الرحمن التنلاني"، وأسماء أكثر من ثمانية عشر قاضي من قضاة توات الذين تولوا القضاء على عهد التواجد السعدي بالمنطقة إلى غاية الاستقلال نقلاً من كتاب "درة الأقلام" للشيخ "محمد بن عبد الكريم البكراوي" وأسماء أكثر من سبعة وثلاثين عالماً من مخطوط "جوهرة المعاني فيما ثبت لدي من علماء ألاف الثاني" للشيخ محمد بن عبد الكريم البكراوي أيضا .

7- ترجمة بعض أعلام المنطقة المحدثين والمعاصرين:

في هذا العنصر ترجم المؤلف لبعض أعلام المنطقة المحدثين أمثال: السيد "عبد الله بن احمد الحبيب البلبالي" (1250– 1329هـ) الذي كان مفتياً وقاضياً ومدرساً في نفس الوقت، والشيخ "محمد بن عبد الكريم بن محمد البلبالي" (ولد 1288هـ)، والسيد "البكري بن عبد الرحمن التنلاني" (1262- 1339هـ) الذي كان عالماً وشاعراً متضلعاً في الفقه واللغة والنحو وعلم العروض والفرائض، خلف أشعاراً عدة في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم من بحور شتى ورسائل عديدة، ومن روائعه ما رد به على الشيخ "محمد محمود الشنقيطي" التي سماها "اختبار كل عارف من الباء المعارف"[4]، ومن مؤلفاته أيضا أرجوزته في التوحيد والفقه، والأخلاق المسماة

---

[1] – محمد باي بلعالم: الرحلة العلية ، (ج1)، المصدر السابق، ص122 .

[2] – المصدر نفسه، ص ص (128 ، 132 ، 161) .

[3] – المصدر نفسه، (ج2) ، ص ص (565 ، 567) .

*– للاطلاع على هذه المحاورات ينظر، محمد باي بلعالم : المصدر نفسه، (ج1)، ص 82 .

**– للاطلاع على أسماءهم ينظر ، محمد باي بلعالم ، المصدر نفسه، ص 254

[4] – المصدر نفسه ، ص ص (162 ، 164) .

(الأوليات) التي وضع لها الشيخ "محمد باي" شرحاً، وبما انه كان معاصراً للاحتلال الفرنسي عبر عن رفضه لهذا الاحتلال بقصيدة هجا فيها فرنسا جاء في مطلعها :

رب إن فرنسا الكفر جاروا في توات وجازفوا بالفساد

ختلو قتلوا وصالو و قالوا و اضلو و خاطروا بعناد

خوفوا امة توحد ربا واحدا أحدا بلا أضداد[1]

ومنهم الشيخ "حمزة بن مالك الفلاني" (1259 – 1335هـ) الذي تصدر للقضاء والتدريس بتديكلت والشيخ "محمد عبد الرحمن السكوتي" (1285 – 1333هـ) الذي خلف وراءه تراثاً زاخراً من الأشعار والفتاوى والشيخ "محمد الحسن بن محمد بن الحاج احمد الفلاني بن مالك" (1283 – 1352هـ) الذي كان معروفا بالجولان ما بين ليبيا ومالي حيث كانت له علاقة بعلماء الازواد، وكذا الحاج "محمد عبد القادر بلعالم" (1298 – 1372هـ) صاحب الدعوة الإصلاحية في تيديكلت، وورقلة، ومنهم أيضا الشيخ "مولاي احمد البريشي" الذي كان واسطة بين علماء توات والازواد، وغيرهم من المشايخ الذين تكلم عنهم .

أما بالنسبة للمعاصرين فقد ترجم لأبرزهم فقط وهما: شيخه "مولاي احمد الطاهري" (1325– 1390هـ/ 1979م) الذي ساهم إلى جانب الشيخ "محمد بن الكبير" في محاربة الأمية، والجهل في إقليم توات خلال الحقبة الاستعمارية حيث تمكن من فتح مدرسة له بقرية سالي من رقان لتعليم العلوم الدينية للنشء بعد قدومه من المغرب الأقصى عام 1944م تخرج منها جم غفير من الطلبة، ولازالت مدرسته تواصل مهمتها إلى اليوم، كما افرد وقفة للشيخ "محمد بن الكبير" الذي لعب هو الآخر دور كبير في كسر الجمود الفكري في المجتمع التواتي خلال الحقبة الاستعمارية من خلال إنشائه لمدرسته الأم بمدينة ادرار التي تفرعت عنها إحدى وعشرون مدرسة،كما تحدث عن علاقته بهما، وقد تطرقنا إليها في الفصل الثاني من البحث .

وقد افرد المؤلف ترجمة لحياته خصص لها صفحات عديدة من كتابه حيث تكلم عن دراسته، وبراعته في الشعر أيام الدراسة وإجازاته ومؤلفاته وعلاقته بشيخه "مولاي احمد الطاهري"، وبشيوخ عصره، ذاكراً أهم العلماء والدكاترة والأساتذة والعاملين في السلك الديني، وزملائه في الدراسة وغيرهم ممن التقى بهم وتعرف عليهم سواء داخل الوطن، أو خارجه خاصة في الحجاز والمغرب الأقصى والذين بلغ عددهم أكثر من(مائتين وستة شخصية)،كما عرف بمدرسته الدينية "مصعب بن عمير" ونظامها وقانونها، والمشرفين على تسييرها والتدريس بها وبعض أسماء طلبته الذين تخرجوا منها وكل هذا اشرنا إليه بالدراسة والتحليل في الفصلين الثاني والثالث من البحث .

القسم الثالث : تقييم الكتاب .

من خلال دراسة وتقديم كتاب:"الرحلة العلية إلى منطقة توات لذكر بعض الأعلام والآثار والمخطوطات والعادات وما يربط توات من الجهات" سجلنا بعض المآخذ منها:

[1] – محمد باي بلعالم: الرحلة العلية،(ج1)، المصدر السابق، ص 173 .

1- عدم التزام المؤلف بمنهجية معينة حيث جاء الكتاب على شكل كشكول، خالياً تماماً من التبويب، كما انه لا يحتوي على فهارس وهذا نتيجة لتكوين الشيخ "محمد باي" التقليدي .

2- كما نجد المؤلف في الكثير من الأحداث والوقائع ناقلاً* دون أن يرجح رواية على أخرى أو يقارن، بل وتجده أحياناً يعيد نفس الفكرة وان تكررت مرات، حجته في ذلك أنها طبيعة التاريخ وان الكثير من القصص تعدد ذكرها في القرآن، وكذلك الحديث وما من قصة تكررت في القرءان، أو في الحديث إلا وتُجدد معها فائدة جديدة وكل معيد مفيد[1] على حد قوله .

3- عدم مراعاة المؤلف للترتيب سواء فيما يتعلق بالأحداث (الوقائع)، أو الأفكار فأفكار الكتاب جاءت متناثرة يصعب على دارسه جمعها – وهو ما سجلناه أيضا على كتابه السابق "قبيلة فلان" – كما أن أحداثه وردت متفرقة لم يراع في تسجيلها لا الإطار المكاني، ولا الزماني إذ كان يسجلها حسب ما توفر له من مادة، وهو ما أشار إليه في افتتاحية ومقدمة الكتاب، إذ لم يلتزم الترتيب فيها فتجده مثلاً يتكلم عن علم من أعلام إقليم توات ثم يقطع كلامه عنه ليتحدث عن المقاومة الشعبية به وهكذا، بل وهناك بعض العناوين كان يتوقف عندها بين الحين والآخر وأطنب الحديث عنها في الجزأين كحديثه عن نفسه وعن بعض العلماء أمثال: "ابن أب"، و"البكري بن عبد الرحمن التنلاني" والشيخ "حمزة القبلوي" .

4- ومن المآخذ التي سجلناها أيضا أن المؤلف افرد العنوان لمنطقة توات في حين أن القارئ للكتاب يجد أن صاحبه ادمج فيه عناوين أخرى لا صلة لها بالموضوع كحديثه عن زوايا الوطن مثلاً في الجزء الثاني، وغزو "احمد المنصور الذهبي" لتمبكتو، ونكبة الشيخ احمد بابا التمبكتي في نفس الجزء، وسرده لمحاضرة كان قد ألقاها عن الرسول صلى الله عليه وسلم ومنهجه في التربية والتعليم في الجزء الأول .

إلا انه على الرغم من هذه المآخذ التي سجلناها والتي تؤخذ على مؤلف الكتاب، إلا أن المؤلف في تأليفه هذا لم ينطلق من فراغ، بل اعتمد على جملة من المصادر والمراجع والمخطوطات لعلماء وباحثين من المنطقة وغير المنطقة بلغ عدها أكثر من مائة وستة وثلاثين كالقرآن الكريم، وكتب الصحاح الستة، وكفاية المحتاج لأحمد بابا التمبكتي ونسيم النفحات لشيخه "احمد الطاهري"، و"القول البسيط في أخبار تمنطيط" لابن بابا حيدة، ورحلة الشيخ "عمر بن إدريس" إلى الجزائر، ومؤلفات "محمد بن أب المزمري"، ومؤلفات العلامة "ابن خلدون"(المقدمة وديوان المبتدأ)، ورحلة "ابن بطوطة"، ورحلة "العياشي"، ومؤلفات الشيخ "ابن بادي الكنتي"، وجملة من مؤلفاته ومحاضراته، بالإضافة إلى المجلات والجرائد كالبصائر، والشروق وغيرها من المؤلفات التي لها اتصال مباشر بموضوع

*- ينظر مثلا ص 26 من الجزء الأول فقد نقل صفحات من كتاب (التوسع الفرنسي في الجنوب الجزائري) للأستاذ احمد العماري دون أن يهمش لها وفي ص 179 من الجزء الثاني قام بنقل عدة صفحات من مخطوط (الدرة الفاخرة) وكذا من مخطوط (جوهرة المعاني) لمحمد البكراوي نقل عنه ما يقارب 40 صفحة انظر ص 193 من الجزء الثاني ، وكذا مخطوط (درة الأقلام) نقل عنه عدة صفحات ينظر ص 210 من الجزء الثاني ، ونقله لمحاضرة السيد عبد الله الرقاني عن المقاومة الشعبية في المنطقة ص 300 من الجزء الثاني ومحاضرة أخرى للأستاذ عبد المجيد قدي استعرض فيها تاريخ منطقة أولف ص 337 الجزء الثاني من الكتاب ، ونقله لصفحات من كتاب فرج محمود فرج ينظر ص 78 من الجزء الثاني و لمحاضرة ألقاها الأستاذ عمر بن شروف المالي عن توات ص 44 من الجزء الثاني .

[1] – محمد باي بلعالم : الرحلة العلية ، (ج2) ، المصدر السابق ، ص 299 .

الكتاب، وهذا ما يعطينا فكرة عن مدى اطلاعه الواسع على تلك المخطوطات التاريخية خاصة التواتية منها وإدراكه العميق لمختلف الوقائع والأحداث التي سبقته، أو التي عاصرها، وكل هذا يزيد ما كتبه أهمية ومصداقية في التاريخ والأنساب فضلاً عن حسه التاريخي الذي اكتسبه من خلال تعامله مع واقعه الاجتماعي، وتجربته العميقة، وممارساته الطويلة،كما أن المؤلف لم يكن ناقلاً في كل الحالات إذ يمكننا أن نلمس شخصيته في عبارات قلت أو قلنا ... خاصة فيما يتعلق بإخراج انتاجات علماء المنطقة، كما كان يُحيل القارئ أحياناً إلى الرجوع إلى بعض المراجع أو المصادر التي اخذ منها المعلومة ليتوسع أكثر.

وتظهر الأهمية التاريخية للكتاب في انه كان جامعاً شاملاً لتاريخ الإقليم بمقاطعاته الثلاث (قورارة – تيديكلت – توات الوسطى) وفي مختلف النواحي، حيث أعطانا فكرة واضحة عن جغرافية توات، وسكانها وعاداتهم وتقاليدهم والحياة السياسية والاقتصادية والمراكز الثقافية بها وعلمائها، بل وعن أماكن أخرى خارج الإقليم من الوطن، مما جعله محل تقدير من طرف الذين قرظوا له أو قرءوه، حيث يقول عنه الشيخ "عبد الرحمن شيبان" رحمه الله: « أنه مؤلف شامل وجامع لثقافات دينية، وشخصيات عالمية وعلمية وهو مفيد لكل الشرائح الغابرة والصاعدة وهو يعطي صورة شاملة لمنطقة توات بمقاطعاتها الثلاث وغيرها من مناطق الوطن »[1]، وقال فيه الشيخ "عبد الرحمن حفصي": « أنه أخرج مجوهرات الفوائد التي كانت مدفونة خافية فأبرزها للعيان، ونفض صاحبه من خلاله الغبار عن حياة علماء أجلاء عاملين بارعين في مختلف المعارف، فهو سجل حافل مليء بخير كثير وعلم نافع غزير، ما ينطبق عليه المثل القائل:كل الصيد في جوف الفري »[2]، وقال عنه الشيخ "عبد الكريم الدباغي": « بأنه موسوعة قيمة، جمع بين الأدب والاجتماع، والعلم فهو يعكس مضامين وأفكار لمجتمع متنوع وعريق »[3] .

وتتجلى القيمة التاريخية لكتاب "الرحلة العلية" في أنه يعتبر مصدراً هاماً لا يُستغنى عنه في كتابة تاريخ إقليم توات في جميع نواحيه (الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والدينية) لما تضمنه من أحداث ووقائع وعوائد وثقافات وصناعات متنوعة، خاصة بالمنطقة، لاسيما في الفترة التي عايشها صاحبه، لذا فهو يُعد وثيقة تاريخية لكل باحث ودارس لتاريخ المنطقة سواء في القديم أو الحديث أو في الحاضر، إذ جمع فيه صاحبه مناطق توات الثلاث وعلماؤها ومخطوطاتهم وآثارهم، فقد جمع فيه أكثر من مائة عالم من علمائها، فعمله هذا يضاف إلى عمل من سبقوه من مؤرخي المنطقة من أمثال: صاحب درة الأقلام، وصاحب القول البسيط "ابن بابا حيدة" وغيرهم فهو يُعرف بالمنطقة تاريخياً وثقافياً واجتماعياً، بل هو الجامع لتاريخها كما يُعتبر حوصلة من تاريخ مؤلفه التي قضاها في التربية والتعليم .

[1] – محمد باي بلعالم : الرحلة العلية ، (ج1) ، المصدر السابق ، ص ص (ي – ي1) .

[2] – المصدر نفسه، ص ص (ي3 – ي9 – ي10) .

[3] – المصدر نفسه، ص ي19 .

أما أهميته التاريخية، والوثائقية فتتجلى فيما اشتمل عليه من المراسلات والإجازات والقصائد، وتتجلى قيمته العلمية فيما اشتمل عليه من مراكز ثقافية ومناهج تدريس العلوم الشرعية، وكذا تراجم شخصيات علمية وعرض بعض النماذج من المسائل الفقهية .

وبالجملة فإن هذا الكتاب قد جمع ما تفرق في إقليم توات بعد أن كان أهل كل منطقة من مناطقها الثلاثة يدونون تاريخهم وتاريخ أعلامهم على حدى، فهو يُعد الجامع لتاريخ الإقليم بمفهومه الواسع (قورارة توات الوسطى وتيديكلت)، إذ نفض الغبار عن أعلامه وآثارهم كما رسم لنا تجربة حياة طويلة لصاحبه قضاها خلال تنقلاته بين مناطق الإقليم الثلاثة، وغيرها من الأماكن داخل الوطن، وخارجه مما يجعل منه مصدراً من المصادر التي لا يمكن الاستغناء عنها في تدوين تاريخ المنطقة المحلي، وحتى الوطني، فقد جاء ليملئ فراغاً ثقافياً تعتبر منطقة توات بأمس الحاجة إليه كما قال عنه الأستاذ "محمد حوتية"[1]، كما انه يُعتبر منطلقاً لمؤلفات أخرى في مختلف العلوم والفنون التي تضمنها، وهذا ما جعل صاحبه يصفه بالملحوظة ويصرح في افتتاحيته بأنه موجه لمساعدة القارئ والباحث والمؤرخ والمنقب عن تاريخ منطقة توات بمقاطعاتها الثلاث[2].

[1] – محمد باي بلعالم : الرحلة العلية ، (ج1) ، المصدر السابق ، ص ي14 .

[2] – المصدر نفسه ، ص ج .

خاتمة الفصل :

بعد دراسة وعرض الإنتاج الفكري للعلامة "محمد باي بلعالم" في مختلف العلوم الشرعية واللغوية والأدبية والتاريخية خلصنا إلى مجموعة من النتائج أهمها :

أولاً– أن جل ما ألفه العلامة "محمد باي" في العلوم الشرعية لا يعدو عن كونه أنظم أو شروح على طريقة المتقدمين وضعها لتسهيل الحفظ والفهم لطلابه والقارئين والقائمين بمهمة التعليم الديني نظراً لكونه شيخ زاوية، إلا انه أسهم من خلالها في خدمة المذهب المالكي وتدعيم قواعده في ولاية أدرار، خاصة وانه قد دعمها بالأدلة الأصلية وضمنها آرائه الخاصة من بعض القضايا كقضية الإحرام من جدة والتوكيل للنساء في الرمي، وبالتالي أثرى بها مكتبة الفقه المالكي في الوطن تعليماً وتدريساً .

ثانياً– أن العلامة "محمد باي" قد أسهم كغيره من علماء المنطقة والوطن في خدمة اللغة العربية لكونها لغة القرآن فألف في النحو مؤلفات قيمة هي جديرة بالدراسة والبحث من قبل المختصين في علم اللغة وآدابها، خاصة وان بعضها جاء شرحاً لأعمال علماء أعلام من إقليم توات تنم عن عبقريتهم العلمية أمثال: الشيخ "ابن أب المزمري" والشيخ "البكري التنلاني"، والشيخ "حمزة القبلوي"، كما خلف إلى جانب هذا كماً هائلاً من الأشعار والخطب الدينية والتقاريظ، التي اثبت من خلالها تضلعه في علوم اللغة المختلفة من نحو وبلاغة وعروض خاصة هذا الأخير الذي حذق فيه واشتهر به .

ثالثاً– أن مؤلفات العلامة "محمد باي بلعالم" الشرعية منها والأدبية تميزت بالأسلوب البسيط التقريري السهل الخالي من العبارات الصعبة، إذ جاءت على طريقة المتقدمين منهجيةً وأسلوباً إذا استثنينا الأخيرة منها "كأنوار الطريق لمن يريد حج البيت العتيق" و"السيف القاطع والرد الرادع" وهذا كنتيجة لتكوينه التقليدي .

رابعاً– كان للعلامة "محمد باي" إلى جانب الإسهامات الشرعية واللغوية إسهاماً آخراً في علم التاريخ حيث سجل حضوره في هذا العلم بما خلفه من مؤلفات، وكتابات ومحاضرات تاريخية تناول فيها جوانباً هامة من تاريخ إقليم توات (الدينية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية) وغيرها من المناطق المجاورة له، نافضاً بهذا الغبار عن العديد من المخطوطات التي تحويها الخزائن العلمية في الولاية مبرزاً بذلك تراث وانتاجات علمائها الأعلام الذين كادوا أن يصبحوا في طي النسيان، كما ضمنها جوانب هامة من حياته من خلال تجربته الشخصية، وأخرى عن قبيلته الفلانية وأعلامها، مسهلاً بعمله هذا خدمة الدارسين لتاريخ المنطقة والمنقبين عنه .

خامساً– على الرغم من المآخذ التي سجلناها على مؤلفي "قبيلة فلان في الماضي والحاضر"، و"الرحلة العلية إلى منطقة توات" من خلال دراستهما وتقديمهما إلا أن هذا لا ينقص من قيمتهما العلمية والتاريخية إذ يعتبران موسوعتين قيمتين خلفهما مترجمنا في علم التاريخ والأنساب بشهادة علماء ومشايخ وأساتذة ممن قرظوا لهما من أمثال: الشيخ "عبد الرحمن شيبان" والشيخ "عبد الرحمن حفصي" والشيخ "عبد الكريم الدباغي" والأساتذة "يوسف بلمهدي" "محمد الدباغ" و"محمد حوتية" وغيرهم .

خاتمة البحث

خاتمة البحث:

مما سبق عرضه ومناقشته عبر مختلف فصول هذا البحث من عرض لإسهامات العلامة "محمد باي بلعالم" الاجتماعية والثقافية بإقليم توات (ولاية أدرار حاليا) من ثلاثينيات القرن العشرين إلى بداية القرن الحادي والعشرين يمكن استخلاص النتائج الآتية :

أولاً– أن الموقع الجغرافي الاستراتيجي لإقليم توات (ولاية أدرار حالياً) الذي يتوسط الصحراء الكبرى، وطرق القوافل التجارية القديمة المارة من الشمال إلى الجنوب والعكس كان سبباً في استقطابه لمختلف الهجرات السكانية، كما كان سبباً في تهافت الأطماع الاستعمارية عليه من المغاربة والفرنسيين الذين تمكنوا من احتلاله مع مطلع القرن العشرين الميلادي ساعدهم في ذلك غياب سلطة القرار به.

ثانياً– أدى الاحتلال الفرنسي للجزائر إلى تدهور الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بها نتيجة السياسات القمعية المنتهجة من طرف الاستعمار، وبعد الاستقلال شهدت الجزائر انتعاشا اقتصادياً وازدهاراً ثقافياً وتحسناً معيشياً ملحوظا وهو ما انعكس إيجاباً على الوضع العام لولاية أدرار.

ثالثاً– أن أصل "الفلان" الذي ينتمي إليه مترجمنا الشيخ "محمد باي بلعالم" مختلف فيه بين الكثيرين ممن أرخ لهم غير انه يُرجح أن الجد الأعلى لهم هو عربي أو بربري ثم بعد ذلك اختلطوا بزنوج غرب إفريقيا، وأدى اختلاطهم هذا إلى انتشارهم في أماكن ودول عديدة من القارة السمراء حتى وصلت جماعات منهم إلى الصحراء الجزائرية أين شكلوا فرعين رئيسيين بها هما (أولاد بن مالك، وأولاد بلعالم)، وقد ظهر في كليهما علماء أسهموا في الحركة الفكرية والثقافية في الإقليم التواتي إلى جانب علمائه سواء في الفترة الاستعمارية، أو ما قبلها أو ما تلاها، من أمثال: الشيخ "حمزة القبلوي" والشيخ "محمد عبد الرحمن السكوتي" والشيخ "محمد عبد القادر بلعالم" .

رابعاً– ولد مترجمنا الشيخ "محمد باي بلعالم" في ظل ظروف ميزها توتر شديد في العلاقات الدولية إذ كانت دول العالم في هذه الفترة على أهبة واستعداد لخوض حرب كونية ثانية بدأت شاراتها تظهر من نهاية الحرب الكونية الأولى عام 1919م ، وفي العالم العربي المحتل- الذي لم يكن أحسن حال من دول أوروبا المنهزمة في الحرب الكونية الأولى - بدأت تنشط فيه الحركات التحررية والإصلاحية على حد سواء، والتي وصلت تأثيراتها إلى الجزائر بفضل جملة من العوامل منها عودة المثقفين الجزائريين من الخارج، وتأثرهم بحركات الإصلاح في العالم العربي مما كان له دور كبير في كسر الجمود الفكري والتخلف السياسي بين الأوساط الجزائرية الواقعة تحت القبضة الاستعمارية .

خامساً– نشا مترجمنا الشيخ "محمد باي بلعالم" القبلوي وترعرع في بيت جاه وحسب وصلاح وعلم ومعرفة فقد كان والده "محمد عبد القادر" من أشهر فقهاء قرية ساهل من بلدية اقبلي حاليا اهتم بتربيته وتعليمه منذ الصغر وكان شغفه بالعلم سبباً في إرسال والده له إلى المدرسة الطاهرية بسالي أين احتك بشيخها "أحمد الطاهري السباعي" ولازمه مدة سبع سنوات تشبع خلالها بمختلف الفنون الشرعية، والأدبية واللغوية مما ساهم في تكوين شخصيته وصقل موهبته .

سادساً – لقد كان للبيئة الصحراوية التي عاش فيها مترجمنا والتربية الدينية التي تلقاها على يد والده ومشايخه كبير تأثير على أخلاقه وصفاته، فقد كان يتخلق بخلق القرءان ويسير على هدي السلف الصالح ممن صحبوا محمداً صلى الله عليه وسلم في أخلاقهم وسمتهم ولا أدل على ذلك من ثناء الخاصة والعامة عليه سواء في حياته أو بعد مماته .

سابعاً– أن العلامة "محمد باي بلعالم" لم يكن من العلماء المنعزلين المنغلقين الجامدين، وإنما كان من العلماء البارزين العاملين المجددين الذين يحبون الحوار وإبداء الرأي فقد كانت له مشاركة في القضايا والمسائل التي طرحت في زمانه كتعاطي التبغ والمخدرات والربا ...

ثامناً– كان للعلامة "محمد باي بلعالم" ثقل علمي في البلاد التواتية وخارجها، ويظهر هذا من خلال إشادة العلماء والمشايخ والدكاترة والأساتذة به، إذ هو يعد من بين أشهر أقطاب الفقه المالكي في إقليم توات كرس حياته للعلم والتعليم وخاض من أجل ذلك رحلات علمية طويلة وشاقة سواء أكانت داخل الوطن أو خارجه، إلى المشرق والمغرب نهل خلالها من معين مشايخ أعلام أجازوه فيما صح عنهم من منقول ومعقول كالشيخ "علي البوديلمي التلمساني" والشيخ "عبد الرحمن الجيلالي" والشيخ "محمد علوي المالكي المكي"، واتصل من خلالها بجملة من العلماء والأساتذة والدكاترة والطلبة خاصة في البقاع المقدسة .

تاسعاً– أقام العلامة "محمد باي بلعالم" بعد رحلته العلمية التي عاد منها عالماً في الشريعة الإسلامية مدرسة لتعليم العلوم الدينية اسماها بمدرسة "مصعب بن عمير" تعد اليوم من أبرز المدارس الدينية المواكبة لتطورات العصر في ولاية أدرار نظراً لما أدخلته من وسائل وتقنيات، ومناهج جديدة في التعليم الديني هي مواكبة لروح العصر مما سهل تأدية مهامها التعليمية والتربوية والإصلاحية بما فيه خدمة للعباد والبلاد، وعلى الرغم من وفاة شيخها إلا أن هذا لم يُضعف من دورها إذ لا زالت تواصل مهمتها التعليمية وعلى نفس النهج الذي كان يسير عليه شيخها "محمد باي".

عاشراً– بالإضافة إلى التدريس في زاويته كانت للعلامة "محمد باي بلعالم" أعمال وأنشطة علمية أخرى سواء أكانت داخل الوطن أو خارجه كالتأليف، وإمارة الناس في الحج، والمشاركة في مختلف المحاضرات والندوات والملتقيات الدولية والوطنية والمحلية، والتصدر للفتوى إذ كان مفزعاً ومرجعاً للديار الاولفية والتواتية في حل المشكلات، كما كانت له أسفار ورحلات عديدة خاصة في فترة الاستقلال التي مكنته من الاتصال بعلماء أعلام ومشايخ مشاهير ودكاترة وأساتذة من داخل الوطن وخارجه، ومن مختلف المذاهب تبادل معهم الآراء والمؤلفات فاستطاع بهذا أن يحفر مكانته بينهم وأن يترك بصمته داخل الجزائر وخارجها.

الحادي عشر– أن الحضور العلمي للعلامة "محمد باي" بإقليم توات، والتميز الذي عرف به جعل منه مرجعية لشيوخ وعلماء ولاية أدرار المعاصرين له في مختلف المسائل، ولعل محاورته ومناقشاته لأبرزهم كالشيخين: "محمد بن الكبير" و"سيد أعمر المهداوي" رحمهما الله خير شاهد على ذلك .

الثاني عشر– أن ما انتشر في المجتمع التواتي من عوائد سلبية وأمور البدع والضلالات المضللة كظاهرة تقديس الأضرحة والتكهن والتطير والتبذير في الأعراس والاختلاط بين الرجال والنساء ...الخ جعل من العلامة "محمد باي" يجهر بمحاربتها فقد كانت له مواقف حازمة وصارمة تجاه الأمور المخالفة للشرع، ومن الآفات الاجتماعية وفي

مقدمتها الخمر والدخان والمخدرات التي حاربها مقتدياً بأسلافه من العلماء الذين جمعوا بين الصفات التالية: التمكن في العلم والعمل به والدعوة إليه والصدع بالحق فاستطاع بهذا أن يغير الكثير من أوضاع مجتمعه الادراري الدينية والسلوكية والأخلاقية منها وحتى العلمية على الرغم من معارضة المعارضين واستنكار المنكرين، هدفه في ذلك أن يكون مجتمعه ومجتمع أمته مجتمعاً راقياً تملؤه العقيدة الإسلامية الصحيحة، فحمل بهذا عبء إيقاظ امة وإصلاح مجتمع طيلة سبع وخمسين سنة .

الثالث عشر– كان الشيخ "محمد باي" من الأعلام الدعاة غير المتعصبين في هذا العصر حيث دعا إلى إصلاح مجتمعه بتعليم المرأة خاصة الضروري من علوم الدين، ودعا إلى إصلاح الشباب من جميع النواحي بما يكفل حفظهم من المفاسد والمهالك، كما كانت له دعوة إلى إصلاح المجتمع من خلال جهوده في إصلاح ذات البين وحل النزعات لزرع بذرة الوئام والتسامح الديني الذي دعا إليه القرءان بين أفراده .

الرابع عشر– أن العلامة "محمد باي بلعالم" كان مدرسة متميزة علمياً وثقافياً واجتماعياً له منهجه المتفرد وله أسلوبه المتميز في التعليم والإصلاح إذ كان مؤثراً في المجتمع يأخذ بمنهج الإصلاح المتدرج بدءا بتطهير العقيدة إلى محاربة مختلف الظواهر السلبية في المجتمع كالتدخين والخمر والمخدرات .

الخامس عشر– كان العلامة "محمد باي بلعالم" عالماً متفنناً أو يمكن وصفه بالعالم المتفنن في كل العلوم فقد تميز بغزارة الإنتاج وكثرة المؤلفات التي بلغت (الأربعين كتاباً) كلها تدل على موسوعيته وغزارة علمه، مما أدى إلى تنوع موضوعاتها من فقه، حديث، نحو، تفسير، تاريخ، سير ... وتنوع أشكالها نظماً ونثراً، استقلالاً وشرحاً وتقريراً وهي تتميز بغناها واختلاف مجالاتها وتعدد حقولها المعرفية .

السادس عشر– ساهم العلامة "محمد باي" من خلال مؤلفاته الشرعية في إثراء مكتبة الفقه المالكي بشهادة الكثيرين من مشايخ وأساتذة وباحثين من الوطن وخارجه فقد كانت مقوماً من مقومات الإقليم التواتي بل والوطن الفكرية إذ مثلت المرجعية العلمية لتلامذته واعيان الزوايا والمحاضرين بها.

السابع عشر– أن مترجماً أسهم كغيره من علماء اللغة العربية القدماء في إقليم توات من أمثال: الشيخ "ابن أب" والشيخ "ابن العالم الزجلاوي" والشيخ "الجنتوري" في إغناء الحركة اللغوية والأدبية بما خلفه من مؤلفات قيمة في هذا المجال مثل: منحة الإعراب، الرحيق المختوم، التحفة الوسيمة... ، وبما خلفه من أشعار تنم عن عبقريته وتضلعه في هذا الفن .

الثامن عشر– يُمثل العلامة "محمد باي بلعالم" مرجعية تاريخية وعلمية في دراسة المنطقة التواتية من خلال ما تركه من مؤلفات في علم التاريخ الذي أبى إلا أن يشارك أمثاله من العلماء السابقين في التأليف فيه، حيث يعتبر كتابي (الرحلة العلية إلى منطقة توات، وقبيلة فلان في الماضي والحاضر) سفرين ضخمين تركهما في هذا المجال، بل وموسوعتين قيمتين لما ضمنه فيهما من معلومات تاريخية وجغرافية واقتصادية وثقافية واجتماعية هامة عن المنطقة سواء في القديم أو في الحديث والمعاصر.

وفي آخر هذا البحث الذي اعتبره مدخلاً إلى دراسة أعمال العلامة "محمد باي بلعالم" الاجتماعية والثقافية التي كان لها تأثير كبير في إقليم توات، والذي لم يسبق التطرق إليه في إي دراسة من قبل، وأقول بعد ذلك كله أن الموضوع يحتاج إلى تقنيات ومجهودات علمية أخرى يمكنها أن تتناول جوانب أخرى كثيرة من حياة مترجمنا التي لم تتم معالجتها في هذه الدراسة.

وبما أن الشخص لا يُكرم إلا لأمرين إما لأعماله التي قدمها لأمته وبلاده سواء أكانت أعمالاً ثقافية أو نضالية وأما لمواقفه التي برهن فيها على شجاعته واستقامة اتجاهه ونضج تفكيره وإخلاصه في مبادئه على حد قول أحدهم، فإن مترجمنا يستحق التكريم للأمرين، لأنه حاز الأمرين معاً الأعمال الجليلة التي أسهم بها في خدمة دينه ومجتمعه وبلاده، والمواقف الثابتة التي ظلت عنواناً بارزاً على سلوكه واتجاهاته في جميع النشاط الذي مارسه سواء داخل الوطن أو خارجه.

ملاحق البحث

المراسلات والإجازات والتقاريظ

القوانين والجداول

الملحق رقم : (01) .

نص الرسالة التي بعث لنا بها الدكتور ادم محمد علي العروسي (أبو خالد) الموظف في مكتبة المســـجد النبوي الشريف مؤرخة في ديسمبر 2010م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين الصلاة والسلام على خير خلقه أجمعين ومن اقتدى أثره واستن بسنته إلى يوم الدين ..... أما بعد فإن الله عز وجل أنزل كتابه على نبيه وخليله وصفيه محمد صلى الله عليه وسلم ليبين للناس ما تضمنه كتاب الله تعالى من الأحكام والقضايا الشرعية كما قال تعالى في محكم تنزيله (الر كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم ...) وقوله عز وجل: (وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون) فبلغ صلى الله عليه وسلم أمته خير تبليغ وأحسن بيان ومن بعده عليه الصلاة والسلام تحمل أعباء الدعوة إلى الله أصحابه رضي الله عنهم ثم التابعون والعلماء المصلحون جيلا بعد جيل إلى عصرنا هذا حيث أدركنا خيرة من العلماء الجهابذة ذوي العقيدة السلفية والطريقة المرضية من الذين سلكوا طريقة علماء السلف عقيدة وعملا وسلوكا ومن هؤلاء العلماء فضيلة الشيخ الوالد الجهبذ محمد باي بلعالم الجزائري فلم تر عيني مثله علما وفضلا وتواضعا رحمه الله تعالى وكان له رحمه الله تأثير عظيم على كل من رآه وقابله وتتلمذ عليه واستفاد من علمه الغزير وخلقه الكريم وكان له رحمه الله رحلتان إلى الحرمين رحلة في شهر شعبان لأداء العمرة ورحلة في شهر ذي الحجة لأداء فريضة الحج وكان يرافقه رحمه الله مجموعة من طلابه ومحبيه ونحن بدورنا كنا في انتظار هاتين الرحلتين على أحر من جمر للقاء هذا الشيخ المفضال للاستفادة من علمه وتوجيهاته القيمة وإرشاداته السديدة وقد استفدنا من فضيلته في مجالات مختلفة رحمه الله وقد منحني فضيلته إجازة علمية تتضمن رواية كتبه ومؤلفاته في جميع الفنون العربية ولفضيلته رحمه الله تعالى مصنفات عديدة في التفسير والعقيدة وعلوم اللغة مؤلفا وشارحا ومعلقا ويصعب على المرء إحاطة ما للشيخ من مكانة علمية وصفات حميدة وخلق كريم وقبيل انتقاله رحمه الله إلى جوار ربه كان على اتصال بإخوانه هنا في المدينة النبوية مرحبا ومرشدا رحمه الله تعالى رحمة واسعا وأسكنه فسيح جناته مع النبيين والصديقين والشهداء وحسن أولئك رفيقا وصلى الله وسلم على سيدنا ونبينا محمد وآله وصحبه.

سطره تلميذه/ د/ آدم محمد علي العروسي(أبوخالد)
المدينة المنورة/مكتبة المسجد النبوي/ قسم المخطوطات
تاريخ ١٤٣١هـ

ملحوظة : سطرت هذه الكلمات الموجزة التي لا تفي بما يستحق هذا الشيخ الجليل بناء على طلب وصلني من الطالبة الجزائرية - بواسطة صهره وتلميذه عبد الله حامد لمين الذي كان يرافقه في رحلاته إلى هذه البلاد المقدسة - التي تنوي تحضير رسالة الماجستير عن هذا العلم الفريد وبيان مكانته العلمية، وقد وفقت الطالبة أسماء أبلالي في اختيار هذا الموضوع المهم وأسأل الله تعالى لها التوفيق والسداد في مسيرتها العلمية وإبراز مكانة الشيخ لكي تكون هذه الرسالة بداية خير تليها رسائل متعددة عن الشيخ الكريم وحول سيرته العطرة في سبيل الدعوة إلى الله عز وجل وإفادة طلاب العلم في شتى المجالات العلمية وأسأل الله تعالى أن يغفر لفضيلته ولموتى المسلمين وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

الملحق رقم : (02) .

نص الرسالة التي بعث لنا بها الأستاذ مصطفى بن محمد بن محمد برناوي (أبو أسامة) و التي سطر لنا فيها علاقته و رأيه الشخصي في العلامة محمد باي بلعالم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين الصلاة والسلام على أكرم الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحابته أجمعين ..... أما بعد

فلقد حصل لي الشرف العظيم بالتعرف على شيخي الجليل العلامة الإمام الزاهد المتواضع الرباني سيدي (محمد باي بن محمد عبد القادر بلعالم) رحمة الله علينا وعليه، فقد تعرفت على فضيلته حج عام ١٤٢٥هـ بالمسجد النبوي الشريف بالتحديد بمكتبة المسجد النبوي بباب عثمان بن عفان رضي الله عنه لدى الدكتور آدم محمد علي العروسي (أبو خالد) وقد سعدت بلقائه يرحمه الله تعالى، فهو مثال في التواضع مثال في شخصية العالم الذي يهب جل وقته في طلب العلم وتعليمه وتبليغه للناس ابتغاء وجه الله تعالى، هذا العالم الجليل فريد عصره ووحيد دهره نادرة من النوادر بقية السلف الصالح رضوان الله عليهم أجمعين ، فقد ضرب بسهمه في شتى مجالات العلم والمعرفة ،أنعم به وأكرم علم من الأعلام فهو عالم بكتاب الله حفظا واتقانا وتعليما وتفسيرا وتدريسا إماما في العلم إماما في الفتوى والإقراء عالما بالناسخ والمنسوخ فقيها مالكيا غير متعصب للمذهب بعيد النظر يحث على الوسطية قولا وعملا ينصح طلابه بذلك رحمه الله رحمة واسعة، وفي مجال الأدب والنحو والصرف تجده أديبا أريبا شاعرا وناظما وخطيبا وفارسا من فرسان البلاغة والبيان على ضعف جسمه ورقة عوده لكنه صاحب قلب كبير قوي بالله تعالى مفعم بالإيمان ، له مؤلفات عديدة نافعة منها ما هو من تأليفه ابتداء ومنها ما هو ردود ومنها ما هو شرح لمنظوم أو تفسير لمبهم أو تعليق وبيان ملك ناصية البيان فأذعن له القلم وانقادت له المعاني انقياد الطاعة والاستسلام، فسطر يراعه المبارك ما شاء الله له أن يسطر مما ينفع الله به الأنام من توضيح للسنة النبوية المباركة أو حل مشكلات الفقه العويصة التي تحتاج إلى شرح وبيان إلى غير ذلك مما هو مبثوث في كتبه ورسائله الكثيرة الضاربة في كل باب من أبواب العلم وفي كل فن من فنون الأدب شعرا ونثرا أو نظما ونقدا ففي جميع هذه الأبواب تكلم فيها جميعا كلام المتخصص الذي تقول عنه انه لا يحسن غير هذا الفن أو لا يعرف غير هذا العلم من العلوم والمعارف الكثيرة الجديرة بالاهتمام .

وبالجملة فالشيخ المفضال له جهود كبيرة تذكر وتشكر ، فهو صاحب مدرسة تمتاز بالوسطية والاعتدال وله كذلك تلاميذ كثر في بلده الجزائر الشقيقة وفي بلاد الحرمين الشريفين مكة المكرمة والمدينة المنورة حيث كان يتردد على هذين البلدين المقدسين مرتين في السنة في شعبان للعمرة والزيارة وفي الحج لأدار فريضة الحج مع كوكبة من طلابه ومحبيه ضمن حملته المباركة لحج بيت الله الحرام فكان يلتقي بطلبة العلم الذين يلتفون ويقتبسون من علمه وهديه وسمته وخلقه الكريم فكان لا يبخل على احد بالنصيحة أو التوجيه والإرشاد مع الابتسامة والدعابة الهادئة التي لا تفارقه على كل الأحوال فقد أجاز الكثير من الطلاب الذين يستحقون الإجازة كتابة أو شفاهة أو هما معا لاتصال سنده العالي إلى مشيخات أهل العلم والفضل من العلماء الأثبات الذين أخذوا العلم بالسند الصحيح المرفوع إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقد

نلت شرف الإجازة منه رحمه الله تعالى سنة ١٤٢٥ هـ وجددت هذه الإجازة سنة ١٤٢٧هـ قرأت عليه رحمه الله الأربعين النووية بمكتبة المسجد النبوي الشريف باب عثمان بن عفان رضي الله عنه كما أجاز غير وهم كثر منهم على سبيل المثال الدكتور آدم محمد علي العروسي (أبو خالد) وابني الشيخ حماد بن محمد الأنصاري : عبد الأول ، والدكتور عبد الباري بن حماد الأنصاري وغيرهم من طلبة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ومن طلبة المسجد النبوي .

رحم الله شيخنا الشيخ محمد باي بن محمد عبد القادر بلعالم أبو أحمد رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته وجمعنا به في مستقر رضوانه .

وصلى الله وسلم على سيدنا ونبينا محمد سيد الأولين والآخرين والحمد لله رب العالمين .

كتب : أبو أسامة/ مصطفى بن محمد بن محمد إبراهيم برناوي

المدينة المنورة في : ١٤٣١/١٢/١٩هـ

الملحق رقم : (03) .

نص الرسالتين التي بعث بها الشيخ احمد الطاهري لتلميذه محمد باي من مدرسته بسالي الأولى :

الحمد لله وحده و الصلاة على سيدنا محمد واله و صحبه وسلم تسليما

مقام الابن الصالح والتلميذ الصادق الناصح اعني بذلك السيد محمد باي بن السيد الفقيه سيدي الحاج محمد عبد القادر السلام التام والرحمة والبركة على الدوام

وبعد فان سالت عنا فلا باس والحمد لله وعساكم كذلك واعلم أن الجواب والهدية وصلتنا فالله يفتح عليك ويلهمك رشدك وأوصيك بالتقوى والعمل بالسنة وإتباعها وإياك أن تطمح عينك إلى متاع الدنيا الفانية واعمل فيها عمل الراحل القاطع للطريق واصبر في ذلك المحل وعليك بالنصح للمسلمين وتعليمهم والجاهدة في الطاعة في كل وقت و اشعر نفسك بأنك لازلت في كفالة أشياخك كما انا نحن كذلك فان عملت بما أوصيتك به فانك لا تزداد إلا انتظاما في سلكهم وعزا ورفعة وفتحا و إن يسر الله تعالى في القدوم نحوكم فإنني عازم عليه في الربيع ولا تبرح حتى نأتي إن شاء الله وسلم منا على المحب السيد الحاج عمار بن الطالب سالم وعلى أبنائه وإخوانه وعلى الطالب المنوفي وعلى السيد إبراهيم بن سيدي عيسى وعلى جميع الأحباب والأهل ودمتم بخير وعافية والسلام احمد بن إدريس لطف الله به آمين في 22ربيع الثاني سنة 1373هـ

نص الرسالة الثانية :

الحمد لله وحده و صلى على سيدنا محمد و اله و صحبه و سلم تسليما

من العبد المسكين و الفقير المهين احمد بن إدريس الراجي مولاه إتباع سنة سيد المرسلين سيدنا محمد خاتم النبيين والدوام عليها إلى يوم الدين

إلي ابن قلبه و خالص وده محمد – فتحا- باي بن السيد الحاج محمد عبد القادر السلام عليكم و رحمة الله تعالى ومثل ذلك على الإخوان والأخوال وأبناء العم وأهل البلد بالتمام

وبعد فالذي أعظك به وأوصيك عليه ما أوصى الله به:قال سبحانه :﴿ ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب ومن قبلكم وإياكم أن اتقوا الله ﴾ وقال :﴿ شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا ...إلى قوله...كبر على المشركين﴾ وقال : ﴿ ومن يتق الله يجعل له مخرجا و يرزقه من حيث لا يحتسب ... إلى قدرا ﴾ وقال : ﴿ ومن يتق الله يجعله من أمره يسرا ...إلى قوله ...ويعظم له أجرا ﴾

و اعلم أن التقوى قد صعب مرامها وتنادت بعدم عن أن تمد بيد احد خطامها واحتكامها وكلت الهمم دونها فلا يصل بيد احد أساسها واحتكامها إلا الفرد الشاذ النادر لما صعبت عليه النفوس والقلوب من الإدبار عن الله وعن

أمره بكل وجه واعتبار وجلها في رتع الأحوال البشرية وجلاء الأطماع لها في الانفكاك عنها وهذا حال أهل العصر في كل بلد من كل ما على وجه الأرض إلا الشاذ النادر الذي عصمه الله تعالى وبسبب ما ذكرنا ماج بحر الأهوال و الفتن وطما بحر المصائب والمحن وغرق الناس فيه كل الغرق وصار العبد كلما سال النجاة من مصيبة وعصم منها اكتنفته مصائب ولا ينفع في ذلك إلا الدعاء والتوبة من المعاصي والاستغفار والإدمان على قراءة القران والتدريس للعلم الشريف والنهج للطلبة وخفض الجناح لهم ولسائر المسلمين ومراعات حقوق الأشياخ والاداب معهم أحياء و أمواتا ويشعر الإنسان انه تحت نظرهم وهذا دأبي من يوم توليت التدريس لا ادرس إلا وكأني تحت نظر الشيخ ولو كنت بعيدا عنه فان وقفت مع هذه الوصية فتحت لك الأبواب إن شاء الله تعالى وعليك بإتباع السنة المحمدية و الوقوف معها ودمت بخير وعافية والسلام واعلم أني كنت عازما على القدوم إليكم لأجل ما قلناه ولكنه تعطل علي كتابكم الذي لم يأتيني إلا في اليوم السابع عشر من رمضان أتى به محمد الأمين بن المغيلي في 22رمضان 1372هـ [1]

[1] – محمد باي بلعالم ، الرحلة العلية ، (ج1) ، ص ص (366 – 367 – 368)

الملحق رقم : (04) .

نص الرسائل التي بعث بها الشيخ أحمد الطاهري من المغرب الأقصى لتلميذه محمد باي :

الرسالة الأولى مؤرخة في 7 جوان 1962 ونصها :

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم تسليما الابن القلبي والحبيب اللبيب الودي التقي ا لنزيه والحاذق النبيه السيد محمد باي بلعالم بن الفقيه السيد الحاج محمد عبد القادر السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته وبعد : فاعلم أن رسالتك الغراء قد وصلتنا ولا تسال عما غمرنا من الفرح والسرور يوم وصولها وإننا على خير والحمد لله والطلبة موجودون ولكن لا صبر لنا على تلك البلاد وعن الأولاد وسلم منا على السيد الحاج عمار وعلى جميع أهل أولف واقبلي وترى داخل هذا الغلاف رسائل إلى قواد تلك الناحية فأرسلها لهم جميعا و الرسالة التي لأولف اقرأها أنت عليهم لأربابها في الحين ودمتم في حفظ الله وأمانه والسلام مولاي احمد الطاهر الإدريسي الحسني لطف الله به آمين

الرسالة الثانية :

الحمد وحده وصلى على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم تسليما

الابن الابر والتقي النقي الحاذق الأغر السيد الحاج محمد باي بن الفقيه السيد الحاج محمد عبد القادر والمحب الأجل و الكريم الأمثل معدن الجود والافتخار اعني بذلك السيد الحاج عمار والسلام التام والرحمة والبركة على الدوام وبعد فإننا نهنئكما ورفقتكما بالحج المبارك الميمون جعله الله حجا مبرورا وسعيا مشكورا وتجارة لن تبور فهنيئا به وأنالكما به الثواب الجزيل وتقبله بالقبول الجميل قال عليه الصلاة والسلام : (الحج لا ثواب له إلا الجنة) فيالها من بشارة ونوبا عنا بتبليغ السلام والتهاني للحجاج الذين حجوا معكم والأهل وأسرة كل حاج ولجميع التلاميذ والأحباب وإننا ندعو الله تبارك وتعالى أن يتدارك هذه الأمة باللطف ويهديها إلى أقوم طريق ويجمع كلمتها ويوفق رؤساءها للعمل بالكتاب والسنة المحمدية وإننا ندعو لكم بالفتح والقبول ويختم علينا وعليكم بالحسنى انه سميع مجيب وفي الحين الذي يصل كتابك هذا عجل علينا بالجواب والسلام مولاي احمد الطاهر الإدريسي الحسني درب الدقاق رقم 83

الرسالة الثالثة : مؤرخة في 5 /10/ 1967و نصها

ابننا الابر و الحاذق الأغر السيد الحاج محمد باي بن الفقيه أمنه ورعاه العلي القادر في هذه الدار ويوم تبلى السرائر بجاه النبي واله وأصحابه ذوي المآثر والمفاخر والسلام التام والرحمة والبركة على الدوام وبعد فان ما أرسلت إلينا على يد السيد رابح عبد الله بن المبارك وعلى يد السيد محمد البركة بن محمد حبليدي قد وصل

أوصل الله إليك كل خير حسيا ومعنويا ظاهرا وباطنا وجعلك مفتاحا لكل خير ومغلاقا لكل شر وحفظك بما حفظ به الذكر الحكيم و فتح عليك وعلى يديك ونصرك على الأعداء وأنار بك تلك البلاد وان همة الأشياخ معك ودعاؤنا دائما معك و نرجو من الله أن يحقق لك الرجاء انه قريب مجيب بجاه النبي الحبيب وسلم منا على الأهل والطلبة والأحباب ودمتم بخير وعافية والسلام مولاي احمد الطاهر الإدريسي الحسني

نص الرسالة الرابعة : مؤرخة في 13 جانفي 1969

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد و اله و صحبه و سلم تسليما

في : 13/ 01 / 1969

ابننا الابر والحاذق الأغر السيد الحاج محمد باي بن الفقيه السيد الحاج محمد عبد القادر أصلحك الله و هداك ووفقك ورعاك والسلام التام الشامل العام ورحمة الله وبركاته على الدوام .

وبعد فان رسالتك العزيزة علينا وصلتنا أوصل الله إليك كل خير ووقاك كل ضير و أن الأمانة التي بعثت بها إلى مولاي محمد بن السيد محمد بنيامي قد وصلت وفي هذه اللحظة الفراغ من كتابة هذه الرسالة أكاتبه واخبره بوصول الأمانة وكن علي يقين بأننا ندعو لك الله تعالى في أوقات الإجابة جازمين بالقبول بجاه سيدنا محمد الرسول وبنته البتول و أن يعينك ويحفظك من كل شيطان مارد وإنسان حاسد ويفتح عليك وعلى يديك انه سميع مجيب وسلم منا على الحاج عبد الرحمن بن السيد إبراهيم وعلى أبناء سيد المغيلي والإخوان والأحباب و دمتم في حفظ الله وأمانه ولا تقطع عنا الجواب والسلام مولاي احمد الطاهر الإدريسي الحسني[1]

[1] – محمد باي بلعالم ، الرحلة العلية ،(ج1) ، المصدر السابق ،ص ص (369 – 370 – 371)

الملحق رقم : (05) .

نص الرسالة التي بعث بها الشيخ محمد بن الكبير إلى الشيخ محمد باي بلعالم

الحمد لله وحده صلى الله على سيدنا محمد و اله

دامت بالله عافية الفقيه الآجل العلامة المبجل صديقنا الأود ثابت المحبة والعهد اعني بذلك الشيخ باي بن الشيخ السيد الحاج عبد القادر سددك الله وأيدك بروح من لدنه السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وسلام على من ينتمي إليكم بوجه ما خصوصا الأخوة الكرام أما بعد: فالإعلام إليكم أن جملتنا بخير وعلى خير، وعسى انتم كذلك وإني كنت أرسلت إليكم قبل مع الحاج محمد بن إبراهيم الكتب التي تركها محمد الطارقي الطاوي، وانه أمرنا أن نبعثها إليك لتبعثها إلى تلميذ والدك الطالب التهامي لأنه هو الذي يعلم مكانه الذي هو كامن فيه، وهذا ما وجب إعلامكم به ونسال الله أن ينفعكم وينفع بكم ويبلغنا وإياكم المرام ويسلم عليكم تلاميذنا جميعا وخصوصا محمد الإمام الشنقيطي ودمتم في امن وعز واحترام والسلام أولا و آخرا من أخيكم في الله محمد بن محمد عبد الله وفقه الله آمين[1]

[1] – محمد باي بلعالم : الرحلة العلية ، (ج1) ، المصدر السابق ، ص 344

الملحق رقم : (06) .

نص الرسالة التي بعث بها الشيخ محمد باي بلعالم إلى الفقيه الطالب محمد التهامي حينوني وفيها ما يدل علـــى طلب أعيان مدينة عين صالح قدوم الشيخ محمد باي عليهم لتفقيههم في أمور الدين [1].

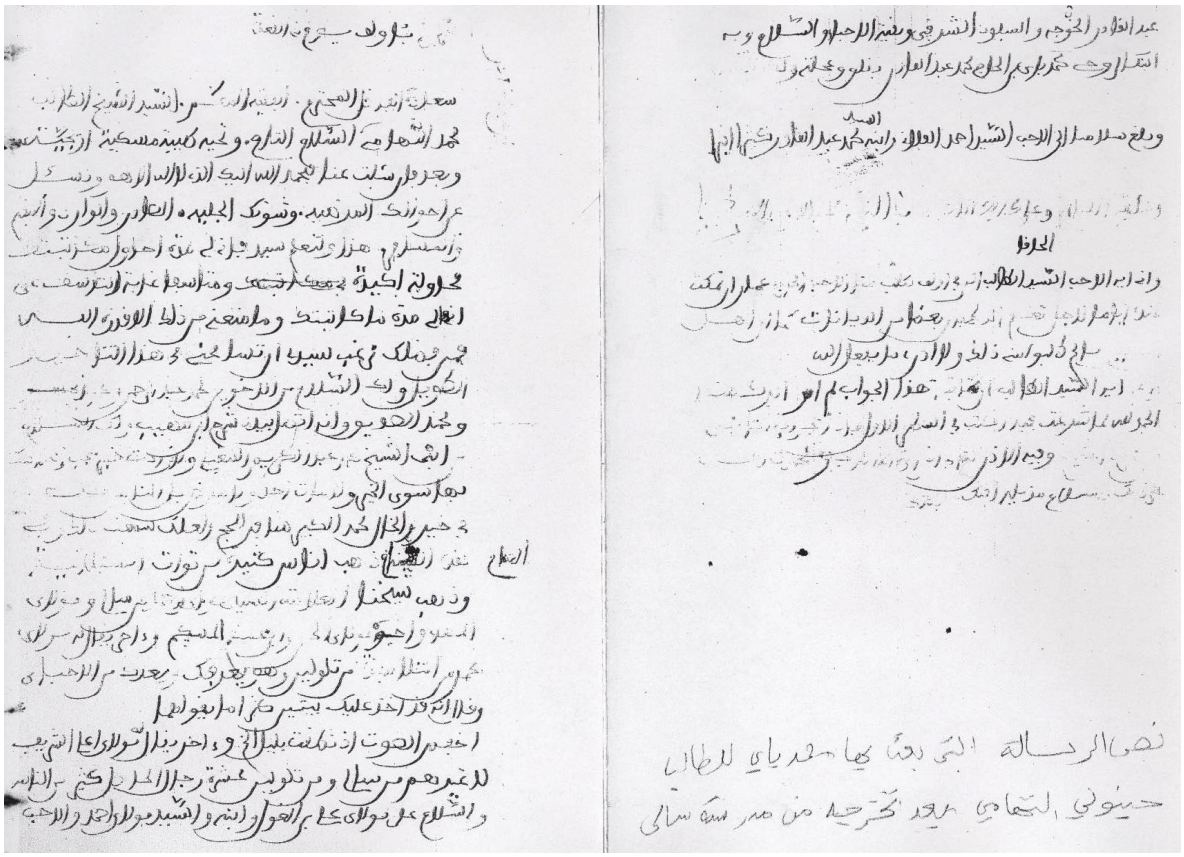

[1] – خزانة الشيخ محمد التهامي حينوني بحي اركشاش (بلدية اقبلي).

الملحق رقم : (07) .

نص الرسالة التي بعث لنا بها الشيخ عبد الكريم الدباغي شيخ مدرسة رقان بتاريخ أوت 2011م

سئل النبي صلى الله عليه وسلم أي جلسائنا خير؟.

قال : [من ذكركم الله رؤيته وزاد في علمكم منطقه ورغبكم في الآخرة عمله] {أبو يعلى بإسناد حسن}.

من خلال معايشتي عن قرب من العلامة النحرير المرحوم ***الشيخ محمد باي*** تتراءى معالم هذا الحديث في شخصه واضحة بينة ، إذ كان له علم غزير يتدفق من شفتيه ، تحركه طاقة إيمانية من داخل قلبه ، ويظلله إنسياب سلوكي يزيل حواجز الحياء والتحفظ لتستفيد منه كلما لقيته .

- بالإضافة إلى المواقف الصارمة التي كان يقفها الشيخ تجاه كل ما يعتقد أنها مخالفات شرعية تعاملية أو عقائدية مما جعل لعلمه خطا إصلاحيا متميزا في منطقة توات . ربما يهادن أحيانا بعض القضايا المخالفة للصواب في نظره مرحليا ولكنه لا يداهن أبدا ، وكل الذين عايشوه في المراحل الأولى لدعوته وتعليمه يعقلون مواقفه من مخالفات شرعية عديدة ، كالترخص بالتيمم للقادر على الوضوء وكإختلاط الرجال والنساء في مواسم الأعياد والزيارات وكمبالغات العوام في الموقف من الأضرحة والقباب ، وكذلك مواقفه في بعض المخالفات الشرعية في المجال السياسي كموقفه من قضية العراق والكويت والتدخل الأجنبي في منطقة المشرق الإسلامي في العملية الشهيرة في أواخر القرن العشرين.

وبالجملة فإن العلامة ***محمد باي من العلماء الجهابذة*** الذين كانت لهم بصمات ومعالم واضحة في الدعوة والإصلاح رحمة الله عليه .

الملحق رقم : (08) .

نص إجازة الشيخ احمد الطاهري الإدريسي لتلميذه محمد باي بلعالم .

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم تسليما : الحمد لله الذي اطلع في السماء الوجود شمسا بازغة فكانت لظلم الجهل ناسخة دامغة ، وللهداية إلى طريق الحق حجة بالغة ومحجة من سلكها لا تزل قدمه ولا تكون زائغة ،بوجود من أفاض علينا برسالته نعما سابغة وملا بالعرفان قلوبا كانت منـــها فارغـــة صلى الله عليه وسلم وعلى اله الذين سبقونا بالإيمان سبقا ، فباعوا أنفسهم في نصرة دينه وتمهيد طرقه وتمكينـــه فأولئك هم الفائزون حقا ، المميزون بحسن ذكر يبقى ، واجر يتزايد في صحف الأعمال ويرقى ، ورضي الله عن أئمة الهدى و مصابيح الاهتداء الذين جروا على أثارهم خلقا ، وفرعوا الفروع علـــى أصـــولهم جمعـــا وفرقـــا واستخرجوا أحكام الحوادث ، وقاسوا على قديم الحكم الحادث ، فتعددت الأصول ، وكثرت النقول ، وتزايدت المسائل ، وتسامت الدلائل ، نصا وقياسا وإجماعا وخبرا قاطعا نزاعا ، فالمتمسك بهديهم ممسك بالعروة الـــوثقى والسالك في طريقهم لا يضل ولا يشقى ، والمعرض عنهم في الدرك الأسفل يلقى

وبعد :فان تلميذنا محمد باي بن الفقيه الحاج محمد عبد القادر الفلاني أصلحه الله لازمني في القراءة مدة وقرا من الفنون عدة ، واخذ عني جلة كتب من شروح ومتون وسألني أن أجيزه فأقول : قد أجزته بكل ما تجوز لي به الرواية و ما تلقيته عن أشياخي ضاعف الله أجورهم رواية ودراية وبما لي من شرح وتقرير وتعليم وتحريـــر سائلا من الله أن يوفقني وإياه وأن يختم لي وله بصالح الأعمال وبلوغ الآمال بمنه وكرمه آمين وأوصيه ونفســـي بتقوى الله ومراعاة حقوق الأشياخ والسلام وكتبه العبد الفقير الذليل الكسير الطاهر احمد بن إدريس لطف الله به آمين في 14 شعبان سنة 1373هـــ/1952م[1]

[1] – محمد باي بلعالم ، الرحلة العلية ، (ج1) ، المصدر السابق ، ص ص (365 – 366)

الملحق رقم (09) .

نص إجازة الحاج احمد بن محمد الحسن بن محمد بن الحاج احمد بن محمد بن مالك الفلاني للشيخ محمد بـــاي بلعالم .

بسم الله الرحمن الرحيم و صلى الله على سيدنا محمد و اله وصحبه وسلم : الإعلام لمن اتصل بيده هذا المرام ومن سيقف عليه من كافة الأنام :انه طلب مني الإجازة السيد بلعالم الحاج محمد باي بن السيد الحاج محمد عبد القادر بن محمد المختار بن العالم قصدا منه أنني أهل لذلك و لم نجد بدا فلبيت دعوته فأقول وبه استعين قد أجزته في جميع العلوم مما يصح لي وعني وما تلقيته من أشياخي اخص الوالد محمد الحسن عن أشياخه من طرق منها عن العلـــم السيد محمد فتحا بن احمد الحبيب البلبالي التماوي عن أشياخه ومن عمه السيد حمزة عن أخيه الجد محمد بن الحاج احمد عن شيخه السيد محمد البير السوقي ومن طريق سيدي عبد الكريم بن محمد التقي التنلالي ومن إجازة للوالد من السيد المختار بن وديعة الله عن السيد احمد البكاي الكنتي وإجازة لي من السيد محمد عبد القادر عن السيد الحاج محمد عبد الرحمن السكوتي عن خالهما السيد حمزة وبواسطة ابن الشيخ الشرنوبي وبهذا قد أجزته إجـــازة مطلقة في جميع العلوم الشرعية الاسلامية كالتوحيد والتفسير والحديث والفقه واللغة و النحو و غيرهم وكل ما ذكر في العلوم المسلسلة إلى المؤلفين والشروط المطلوبة في تلك الإجازات عن جميع الشيوخ وعليـــه بتقـــوى الله والبحث والفحص و التأني وله الإذن في إعطائها من يستحقها بشرط ما اشترطوه أولئك و أن يدعو لي ولجميـــع المشائخ عند ختم كل كتاب أو متن ونسال الله أن ينفعنا وإياه وجميع المسلمين ببركتهم بحرمة سيدنا محمد والـــه وأصحابه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين و به فقير مولاه ابن مالك احمد بن محمد الحسن القـــبلاوي الساهلي رزقهم الله رضاه آمين [1]

[1] – محمد باي بلعالم ، قبيلة فلان ، المصدر السابق ، ص 259

الملحق رقم : (10) .

نصّ إجازة الشيخ علي البوديلمي التلمساني للشيخ محمد باي بلعالم .

ونصّها طويل مما جاء فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي أهدى العلم للناس بالتلقي والسماع من أفواه الرجال والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد عين الرحمة وسر الله المنفرد المحيط أهل الفضل في جميع الأجيال أما بعد فهذا موجز لطيف في ذكر أسانيد عن العلماء المحققين جعلته تذكرة لنفسي ولمن هم في الله إخوتي من المسلمين وسميته صلة الموصل بحديث الرسول صلى الله عليه وسلم وعلى اله وأصحابه أجمعين ورجائي في الله أن يقبله وينفعني به والمسلمين آمين

يقول الشيخ البوديلمي : نص الإجازة لي من العلامة الكبير وزير المعارف بالمغرب السيد محمد الحجوي المشهور بخط يده رحمه الله : يقول بعد الطليعة : أما بعد فيقول راجي عفو مولاه الكريم ، الواثق بصراط السنة المستقيم الناشر لها في وسط صيرته البدع بهيم ، محمد بن الحسن العربي بن محمد بن أبي يعزي بن عبد السلام بن الحسن بن الثعالبي الجعفري نجارا الفاسي مولدا القروي معهدا الرباطي استقرارا إن أخي في الله ومحبي من اجله الفقيه المدرس النفاع أبا الحسن سيدي علي المسيلي البوديلمي إمام جامع الرايا بتلمسان عمره الله بدوام ذكره وألهمني وإياه القيام بشكره الذي قدم علي من الرباط في خامس جمادى الأولى عام 1362 أحسن الظن بي أحسن الله عقباه وابلغه من كل خير متمناه فطلب مني أن أجيزه وإني لمحتاج أن أجاز وملتجئي لمن يبلغ في ذلك المجاز غير انه لما كان من أهل العلم الأبرار المستوجبين للإسعاف والإبرار والمستحقين للإجلال والإكبار إذ هو من الذين تضع لهم الملائكة أجنحتها رضى بما يصنعون اقدارا لمكانة عليها يغتبطون وجب على تلبيته حيث قصد الوصلة بالسلف حفظا للنسب الروحي وخصني بالتكريم ولا يأبى الكرامة إلا لئيم – إلى أن قال- : إني أتشرف بان أجيبك فأجيزك بجميع ما لي من مقروء ومسموع محفوظ ومروي عن أشياخي الثقات العظام أئمة العلم والتقوى وسراج الظلام وكل ما فيه إجازة خاصة أو عامة وما هو لي من مؤلفات تنيف الآن على التسعين أكثرها تام مبيض وبعضها نحو خمسة عشر قد طبع وانتشر قد أجزتك في ذلك كله الذي منه فهرست : [العروة الوثقى في مشيخة أهل العلم والتقى]

ومختصرها هذه إجازة عامة مطلقة تامة بشرطها المعروف وهو كما قال ابن لب التصحيح والضبط ولاشك انه ويعني بالضمير من طلب الإجازة وأجيز مما يتضمنه الشرط وذلك مع الأمانة والقيام بواجب حفظ وديعة الله في علوم الديانة ومزيد الثبت قبل التحدث وأن يقول فيما لا يدري لا ادري إذ ليس العالم من يتكلم في

كل فن ويجيب عن كل سؤال ويدخل في كل جدال بل العالم من لا يتكلم إلا فيما يتحقق ويعلم ثم إذا تكلم أفاد وكفى وقام مقام المصطفى وذب عن كل سنته وشفى وحز المفصل وكشف المعضل وكان يعلم أن السكوت إنصاف العلماء وأرباعهم خير من الكلام و أن إحجامهم خير الإقدام إذ بذلك يقل الخلاف وتظهر فائدة الإنصاف وفي مثلهم قيل لو كان الكلام من فضة لكان السكوت من ذهب وقيل لا خير في الحياة إلا لناطق عارف وصموت واع ...

كما لي ما تقدم من الإذن في الصحاح الست عمن سلف ذكرهم (منهم عبد الرحمن الدكالي الحافظ وزير العدل في المغرب و المحدث الكبير الشهير سيدي جعفر الكتاني) ، وكما لي ما تقدم من الإذن في الصحاح الست عمن سلف ذكرهم كذلك لي اتصال بأسانيد الحديث النبوي عن شيوخ آخرين مبرزين في العلم والرواية والدراية فمنهم المحدث الأكبر الشيخ عبد الحي الكتاني أخذت عنه في داره بفاس سنده في الشفاء رواية ودراية وذلك في زيارته الأولى عام 1937 ثم في الزيارة الثانية أخذت عنه معلومات أخر في غير ما قد ذكر مما يتعلق ببعض فنون للحديث وأجازني فيها عام 1944 ومنهم في وقت الطلب بالزيتونة في تونس المحدث الاشهر الحافظ سيدي أبو شعيب الدكالي في رحلة قام بها للمشرق وزار الزيتونة و قرأ بمعهدها : إنما الأعمال بالنيات... وأجاز في البخاري جميع الحاضرين و كنت منهم و منهم الشيخ مولاي عبد الرحمن بن زيدان نقيب الأشراف أخذت عنه حديث الأولية المذكور في مكناس بمنزله عام 1361 وأجازني في ذلك ومنهم الشيخ محمد بن الموقت المراكشي أخذت عنه بسكناه في مراكش البعض من علم الحديث وأجازني ومنهم قاضي سوس الشيخ الهاشمي الفلالي كنت اغتنمت زيارته للقطر الجزائري فقرات عليه البعض من كتاب الموطأ لإمامنا مالك رضي الله عنه وأجازني فيه ومنهم في وقت مزاولتي لدروس القواعد على الشيخ عبد الحميد بن باديس قرأت عليه الموطأ أيضا بقسنطينة دراية و رواية من أوله إلى ما جاء في ذكر الله وكانت دراستي على الأستاذ المذكور نحو ست سنوات وقد أجازني في ذلك رحمه الله ومنهم الشيخ صالح بن الفضيل قرأت عليه دروسا نافعة جليلة في الزاوية العلوية في تلمسان وقت زيارته للقطر الجزائري وأجازني في جميع أسانيده عام 1952 و زرته بالحرم النبوي بمنزله عام 1955 ومنهم العلامة الأشهر الشيخ سيدي حسن العلوي المالكي المدرس بالحرم المكي و قد كنت التقيت به بمنزله بمكة عام 1955 و التمست سنده في الحديث فأجابني بان المغاربة هم يجيزون المشارقة في الحديث ورغب فيما عندي فقرات عليه سندي للحديث المسلسل بالأولية ورغبت أنا منه أيضا أن يجيزني في أسانيده المباركة فأجازني في جميع مروياته ومنهم المدرس الجليل أستاذي في المنقول والمعقول بجامع الزيتونة سيدي الحاج علي بن الخوجة وقد طلبت منه عند نهايتي من مزاولة الدروس بالمعهد المذكور فأجازني بخط يده في جميع أسانيده .

وختاما فبلسان التضرع والابتهال أسال الله الكريم أن يمن بالنعيم في عليين مع النبيين والمرسلين على جميع العلماء العاملين المخلصين الذين تفانوا في خدمة العلم وحفظوا الأمانة الملقاة على عاتقهم فبقيت ناصعة بعيدة عن وساوس الموسوسين وابلغوها للثقات الجادين الغير المتساهلين فكانت صلة الارتباط بهم متينة متيقنا ما توصل لـــه تيقنا كالشمس لا يحجب نورها سحاب ولا يطرق ساحتها ارتياب فجزى الله عن المسلمين رجال الأسانيد جزاء هو عينه رضوان الله وهو نفسه شفاعة مولانا رسول الله لكل من آمن به وأحبه واتبعه صلى الله عليه وعلى الـــه وأصحابه وسلم تسليما والحمد لله رب العالمين

تم تبييضها يوم الجمعة صباحا بـــ 23 المحرم سنة 1385

هذا وممن يريد الانتظام في سلك هاته العصابة الموفقة ويروم اللحوق بالسلف الماضين بما تلقاه وتحققـــه حضرة الفاضل الأجل : الشيخ محمد باي المدرس بمسجد أولف دائرة أولف ادرار حفظه الله ورعاه وبلغه من الخير مناه .

فقد طلب مني الإجازة ولما رايته فيه من الأهلية والصلاحية أجزته بجميع ما في هذا الثبت صلة الموصـــول بحديث الرسول من أسانيدي و مروياتي عن أساتذتي وسادتي المذكورين في السلسلة بالشروط المقررة عند رجال هذا الفن من الأئمة – رضي الله عنهم أجمعين – أقول هذا وأنا علي بن محمد بن عبد الله البـــوديلمي بالـــديار التلمسانية الجزائرية كان الله له في كل مهمة آمين[1] .

[1] – محمد باي بلعالم ، قبيلة فلان ، المصدر السابق ص ص (261 ، 265)

الملحق رقم : (11)

نصّ الإجازة العلمية العامة : في أسانيد الشيخ محمد بن علوي المالكي الحسني خادم العلم الشـــريف بالبلـــد الحرام التي منحها للشيخ محمد باي بن محمد عبد القادر بلعالم الفلاني

الحمد لله الذي رفع لمن وقف ببابه قدرا ، وأعلى لمن انتسب لعزيز جنانه ذكرا ، والصلاة والسلام على ســيدنا محمد الذي جرى الماء النمير من أصبعيه وبنانه ، وتفجرت ينابيع الحكمة من قلبه ولسانه ، وعلى الـــه الأطهـــار وصحابته الأخيار ما تعاقب الليل والنهار .

أما بعد : فان الأخ محمد باي بن محمد عبد القادر بلعالم قد أحسن ظنه بي فطلبني أن أجيـــزه في جميـــع مروياتي عن مشايخي فأقول : إنني قد أجزت الأخ المذكور في كل ما تجوز لي روايته من معقول ومنقول وفروع وأصول كما أجازني بذلك أشياخي الفحول اخص بالفضل منهم والدي وسندي ومربي روحي وجسدي السيد علوي بن عباس المالكي الحسني المتوفى سنة 1391هـــ والشيخ يحي بن الشيخ أمان المتوفى سنة 1387هـــ والشيخ محمد العربي التباني المتوفى سنة1390هـــ والشيخ حسن بن سعيد يماني المتوفى سنة 1391هـــ والشـــيخ محمـــد الحافظ التيجاني المصري شيخ الحديث بمصر المتوفى سنة 1398هـــ والشيخ حسن بن محمد المشاط المتوفى ســـنة 1399هـــ والشيخ محمد نور سيف بن هلال المكي المتوفى سنة 1403هـــ ...

وأحيل المجاز على ثبتي الذي ضمنته الأسانيد الستة وهو "الطالع السعيد"وغيرة مـــن مؤلفـــاتي الخاصـــة بالأسانيد و المسلسلات مثل :"إتحاف ذوي الهمم العلية برفع أسانيد والدي السنية"و "العقود اللؤلؤية في الاسانيد العلوية" و أسانيد شيخنا حسن يماني وفهرس الشيوخ والمجموعة الكاملة للإجازات .

واني أوصي المجاز ونفسي بتقوى الله عز وجل التي هي ملاك الأمر كله في السر والعلن فيما ظهر وما بطن ورفع الهمة عن سفاسف الأمور والتطلع لمعاليها و أن يخشى الله تعالى ولا يعجب بنفسه كما اني اوصيه و اوصي نفسي بالقيام بالدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة و أن يحبب عباد الله إلى الله ويرغبهم فيما عند الله ويحثهم علـــى التخلق بأخلاق رسول الله ويحذرهم من التشبيه بالكفرة أعداء الله زيا وأخلاقا إذ راش الأمر وأساسه المتابعة لهدي رسول الله .

صلى الله علية وسلم والفوز والفلاح في اقتناء آثاره وأقواله وأفعاله .

نسال الله أن يرزقنا كمال متابعته صلى الله عليه وسلم و أن يحشرنا ووالدينا و مشائخنا وأحبابنا وكل من له تعلق بنا في زمرته وتحت لوائه صلى الله عليه وسلم .

واني أوصي المجاز أن لا ينسني من دعواته في خلواته وجلواته خصوصا في أوقات السحر أمدنا الله وإياه بمدده الاسنى و ختم لنا وله بالحسنى في جوار المصطفى صلى الله عليه وسلم وعلى اله وأصحابه وأزواجه و ذرياته والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين .

السيد محمد بن السيد علوي ابن السيد عباس المالكي المكي الحسني خادم العلم الشريف بالبلد الحرام[1]

[1] – محمد باي بلعالم ، قبيلة فلان ، المصدر السابق ، ص ص (266– 267) .

الملحق رقم : (12) :

نصّ إجازة الشيخ أبو بكر زهير الشاويش للشيخ محمد باي بلعالم .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي شرح صدور أهل الإسلام للسنة المطهرة فانقدت لإتباعها وجابت المهامه ، والقفـــار في الرحلة لسماعها إذ لا قوام للإسلام إلا باستعمالها والقامة أحكامها ولا ثبات للإيمان إلا بانتحالهـــا ، والتحلـــي بفضائلها وله الحمد حيث أمات نفوس أهل الضلال المتلبسين بالبدعة ، بعد أن تمادت في نزاعهـــا واســـتطالت بطغيانها في ابتداعها واشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله أزاح حنادس ظلمات الجهل المدلهمة فإذا همت أفـــواه أهل الباطل بإطفاء نوره أبى الله إلا أن يتمه وصلى الله على محمد صلاة ، وسلاما يعطيه فيه أمنيته ، ويرفع بها في الآخرة درجته ، وينيلنا بها في مقعد صدق شفاعته وعلى إخوانه المرسلين والنبيئين وجميع الـــه المهتـــدين وكـــل أصحابه الراضين المرضيين وتابعيهم بإحسان أجمعين الذين حافظوا على عقيدة التوحيد من أي تحريف أو تعطيـــل وعلى سنة وأحاديث خير المرسلين مبراة من كل موضوع ودخيل

أما بعد : فان الاشتغال بالعلوم الشرعية المتلقاة عن خير البرية أولى ما صرفت إليه فواضـــل الأوقـــات وبذلت في سبيله نفائس الأموال والمقتنيات ولا يرتاب عاقل على أن مدارها على كتاب الله المقتفى، وسنة نبيـــه المصطفى صلى الله عليه وسلم ، و إنني لم آل جهدا – مذ حباني الله تعالى – بالعناية بكتابه الكريم وخدمة نبيـــه العظيم صلى الله عليه في تعريف صحيحه من معلوله ، ومنقطعه من موصوله و لم الو عناني عن الجري في ميـــدان نقلته وفرسان حليته والبحث عن أحواله والسعي الحثيث في تحقيقه ونشره وتسهيله وتحصيل صوله المعتمدة الموثقة وتقديم كل ما أمكنني من وسائل إيصاله إلى أهله محققا ، ومفهرسا لان ذلك هو المرقاة إلى معرفة ضـــعيفه مـــن صحيحه ، وتبيين راجحه من مرجوحه على أوسع نطاق عرفه المتتبع ولكل مقام مقال ولكل مجال رجال حفظنا الله من إدبار الأحوال وضياع الآمال

ولما كان من دواعي النقل في الأخبار والمرويات العناية البالغة بطلب الإسناد سواء عن طريق القـــراءة أو السماع أو المناولة أو الإجازة إلى آخر أنواع التحمل المعروفات وكنت ممن شرفهم الله- جل وعـــلا- بالصـــلة والاتصال بعدد من أفاضل أهل العلم والجهاد والدعوة والإرشاد وتفضل علي أكثرهم بإجازات علمية بعضـــها مشافهة معتادة وبعضها مدارسة متقنة وبعضهم جعلها مكاتبة خطية ، ولما رأيت طائفة من إخواني طلبـــة العلـــم النابهين والعلماء الأفاضل الناهضين مشغوفين بتحصيل تلك السماعات وتطلب هاتيك الإجازات ومـــا ماثلـــها وشابهها من الاثبات والمدونات و نحن في عصر ضعفت فيه الهمم وتوانت العزمات وانقطعت الرحلة في طلـــب

الحديث وغيره وازدادت المعوقات وكان عدد غير قليل من أولئك الدعاة الأفاضل والطلاب الأماثل قد استجازني بناء على حسن ظنهم بي – شكر الله تعالى مسعاهم وأحسن مثوبتهم ومثواهم – فاعتذرت أولا متعللا بأنني لست أهلا لذلك ، وثانيا بحال ما وصلت إليه الإجازات عن بعضهم فيما هناك ، وثالثا بأنني لم أتطلب الإجازات عن كثير من العلماء الذين ادركتهم وعاصرتهم و كان بيني وبينهم صداقة وصلات وكثيرا ما وقعت لي الإجازة من أمثالهم مشمولة بمن حضر من الراغبين الطالبين ...إلى غير ما هناك من التعليلات ومع ذلك كله لم يتحولوا عن مطلوبهم ، و لم ينفكوا عن مرغوبهم ملمعين إلي بقول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم "بلغوا عني و لو آية " و الح احدهم بقوله صلى الله عليه و سلم "أعمار أمتي بين الستين و السبعين" فتحققت حينئذ قول الحافظ السلفي – رحمه الله تعالى : (والإجازة ضرورية لأنه قد يموت الرواة ويفقد الحفاظ الدعاة فيحتاج إلى إبقاء الإسناد ولا طريق إلا بالإجازة ، فالإجازة فيها نفع عظيم ورفد جسيم إذ المقصود أحكام السنن المروية في الأحكام الشرعية وليس كل طالب يقدر على رحلة وسفر فالكتاب حينئذ أرفق وفي حقه أوفق) ا.هـ .

وأدركت انه ليس من المروءة والأدب رد مثل هذا المرغوب بالطلب مع إنني اقر بعجزي ، وتقصيري فقلت وعلى الله تعالى وحده الاعتماد :

أجزت أخي في الله ومحبي : الشيخ الكبير محمد الكبير الباي بلعالم حفظه الله تعالى ، بجميع ما يصح لي وعني روايته من مقروء ومسموع وأصول وفروع مما أجازني به مشايخي الجنة الفضلاء – رحمهم الله تعالى أجمعين – وما لي من مؤلفات وتحقيقات ومقابلات ومقالات وتعليقات ، واذكر في هذه العجالة شيوخي من لذكره نوع خصوصية راجيا من الله تعالى العون على التوسع في تراجمهم والتنويه بفضل البقية منهم ، وقد زاد عددهم المائة في مختلف أنواع الرواية والمذكورون هم :

العلامة الجليل المجاهد الشيخ صلاح الدين بن رضا الزعيم (الدمشقي ثم البيروتي) – السيد الحبيب حسين احمد المدني (مرجع أسانيد أهل الهند) – العلامة المؤرخ الشيخ محمد بن يحي المعلمي العتمي (اليمني ثم المكي) – العلامة المؤرخ الشيخ محمد راغب الطباخ (الحلبي) – العالم الداعية الشيخ محمد بن محمود الحامد (الحموي) – العلامة السياسي الشيخ محمد العرفي (الفراتي) – العلامة الشيخ محمد بن عبد لبعزيز المانع (القصيمي ثم القطري)– العلامة الرحالة الدكتور تقي الدين الهلالي (المغربي) – العلامة المجاهد الشيخ محمد البشير الإبراهيمي (الجزائري)– المحدث المحقق الشيخ حبيب الرحمن الاعظمي (الهندي) – العالم المربي الشيخ إبراهيم الراوي – شيخ الرفاعية – (العراقي) – العالم الشاعر الشيخ محمد سالم البيجاني (العدناني) – العالم الشيخ سيف بن محمد بن مدفع (الشارقي) – العالم الجليل الشيخ عبد الله القلقيلي (مفتي فلسطين والأردن)– المفتي الحنبلي الشيخ محمد جميل الشطي (الدمشقي) –

شيخ أحناف الشام الشيخ عبد الوهاب الحافظ – دبس وزيت – (الدمشقي) – العلامة الشيخ محمد بن عبد الله آل عبد القادر (الاحسائي)– العلامة المقري المحدث الشيخ احمد محمد شاكر (المصري) – العالم المربي الشيخ نافع الشامي (الادلبي) .

أقول : أجزت الأخ بالشرط المعتبر عند علماء الأثر ، وهو التحري فيما يقوله وفيما يفتي والتثبت فيما يرويه وأن يقول فيما لا يدري : لا ادري ، ولا حاجة بي إلى الإطالة بأنه وفقه الله تعالى استسمن ذا ورم ونفخ في غير ضرم ولكن أن لم يصبها وابل فطل ومكره أخاك لا بطل .

هـــذا : وأوصي المجاز أن يبذل مجهوده في تتبع آثار علم رسول الله وسنته وطلبها من مظانها وحملها عن أهلها و التفقه بها والنظر في أحكامها والعمل بمقتضاها والبحث عن معانيها ، والتأدب بآدابها والتحلي بأوصافها ويصدف عما يقل ، وتبعد فائدته من طلب الشواذ والمنكرات وتتبع الأباطيل والموضوعات ويتميز بما يقتضيه حاله ويعود عليه زينه وجماله من أدب الخلق وبشاشة الوجه وكرم اليد وسماحة التعامل، والتنزه عن سفاسف هذه الدار وبذل الجاه في حوائج الخلق ومنه بذل العلم لأهله وتسهيل أدائه ونقله مع المستطاع من الأمر بالمعروف والنـــهي عن المنكر والتزام الدعاء بالأوراد المأثورة وفي الدعوة والعمل بالصحيح من الآثار والصلاة والسلام علـــى الـــنبي المختار و أن لا ينساني و من سبقنا من أهل العلم والدعوة والجهاد في سبيل الله من صالح دعواته في فضيل أوقاته وصلى الله تعالى وسلم على سيدنا محمد خير من قد أدب وعلم وعلى اله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين حازمية : بيروت وذلك في جده بناءً على تزكية أخي العلامة المجاهد الشيخ محفوظ نحناح .

وكتبه أبو بكر محمد زهير بن مصطفى الشاويش الهاشمي – الدمشقي الميداني – البيروتي ثم الحازمي غفر الله له[1]

[1] – محمد باي بلعالم : الرحلة العلية ، (ج2)، ص ص (491 ، 496)

الملحق رقم : (13) .

نص إجازة الشيخ مالك بن العربي بن احمد الشريف السنوسي للشيخ محمد باي بلعالم .

الحمد لله و الصلاة و السلام على سيدنا رسول الله و على اله و صحبه ومن ولاه أما بعد :

فاني أجيز العلامة الفقيه سيدي محمد باي بن محمد عبد القادر بلعالم وزوجته ، وأولاده إجازة عامة لما صح ويصح لي روايته وعني درايته عن شيوخي الكرام والذين منهم :

1- والدي السيد أبو مالك العربي بن احمد الشريف بن محمد الشريف بن محمد بن علي بن السنوسي بن العربي بن محمد بن عبد القادر بن احمد بن محمد بن يوسف بن عبد الله بن حطاب بن علي بن يحي بن راشد بن احمد بن منداس بن عبد القوي بن عبد الرحمن بن يوسف بن زيان بن زين العابدين بن يوسف بن الحسن بن إدريس بن عبد الله بن احمد بن محمد بن عبد الله بن حمزة بن سعيد بن يعقوب بن داود بن حمزة بن علي بن عمران بن إدريس بن إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب الحسني (ت 1382هـ) فقد قرأت عليه ختمة كاملة براوية ورش عن نافع وسمعت عليه صحيح البخاري وموطأ يحي الليثي عن مالك وأخذت عنه مسلسل الأسودين و أجاز لي : ومنهم عمي السيد إبراهيم بن احمد الشريف (ت1390هـ) سمعت عليه الصحيح وأجاز لي - ومنهم عمي السيد محي الدين بن احمد الشريف (ت1404هـ) دفين المعلاة سمعت عليه الصحيح والموطأ وأخذت عنه مسلسل الأسودين وأجاز لي - ومنهم عمي السيد عبد الله بن احمد الشريف (ت1411هـ) سمعت عليه الصحيح وأجاز لي - ومنهم عمي السيد الزبير بن احمد الشريف (ت1406هـ) سمعت عليه الصحيح وأجاز لي - و منهم السيد احمد (المعروف بابن إدريس) بن السيد محمد عابد (ت1410هـ) سمعت عليه الصحيح والمسلسلات العشر لابن السنوسي وأجاز لي - ومنهم الشيخ أبو القاسم بن محمد بن احمد التواتي (ت1400هـ) سمعت عليه نصف المجلد الأول من فتح الباري وأجاز لي - ومنهم الشيخ عبد الملك السيد بن عبد القادر بن علي الدرناوي الطرابلسي (1417/2/9هـ)دفين المعلاة أخذت عنه مسلسل الأسودين و مناولة السبحة وأجاز لي - ومنهم الملك السيد إدريس بن محمد المهدي بن محمد بن علي بن السنوسي (ت1403هـ)دفين البقيع أجاز لي غير مرة وهو زوج عمتي .

فهؤلاء عشرة من أعيان من أخذت عنهم من أهل بلدنا رحمهم الله تعالى ورضي الله عنهم وجزاهم عنا خير الجزاء و كلهم يروون عن جدي السيد احمد الشريف رضي الله عنه وقد روى شيوخنا السيد احمد بن محمد عابد والملك إدريس والسيد حميدة الريفي عاليا عن جد الأخير السيد احمد الريفي وهو عن السيد محمد بن علي بن السنوسي رضي الله عنه

وأوصي نفسي والمجاز بتقوى الله عز وجل في السر والعلن و مراقبته في ما ظهر و في ما بطن والتمسك بالسنة في سائر الأمور والاقتداء بالسلف الصالحين والأئمة المهتدين جمعنا الله تعالى وإياهم في زمرة المصطفى صلى الله عليه وسلم وتحت لوائه وجعلنا معه في الفردوس الأعلى ومتعنا بالنظر إلى وجهه الكريم آمين وصلى الله على سيدنا محمد و على اله وصحبه وسلم[1] .

[1] – محمد باي بلعالم : إرشاد الحائر ، (ج1)،، ص ص (164- 165- 166) .

الملحق رقم : (14) .

نص إجازة الشيخ محمد باي بلعالم لتلميذه حامد لمين عبد الله .

بسم الله الرحمن الرحيم
وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

إجازة عامة

الحمد لله على مسلسل نعمائه، والشكر له على تفضله وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله تعظيما لشأنه، وأصلي وأسلم على خيرته من خلقه، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه.

أما بعد: فقد طلب مني "حمدنا عبد الله بن عبد الرحمن حامد الأمين" أن أجيزه إجازة عامة بما صح لي وعني فلبيت ملتمسه قول من قال:

وإذا أجزت مع القصور فإنني أرجو التشبه بالذين أجازوا

وقول الآخر:

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم إن التشبه بالكرام فلاح

وأجزته خصوصا بالصحيحين، والسنن الأربع، وموطأ الإمام مالك، ومسند الإمام أحمد بن حنبل رحم الله الجميع وكذلك الفقه المالكي بسائر كتبه وأصول الفقه والتفسير والفرائض والنحو والصرف وسائر مؤلفاتي المطبوعة والمخطوطة".

وإني ولله الحمد قد حصلت لي الإجازة من علماء أجلاء منهم:
الشيخ العلامة مولانا أحمد الطاهر السباعي، والشيخ العلامة الحاج أحمد بن محمد الحسن من محمد بن الحاج أحمد بن محمد مالك، والشيخ العلامة علي البوديالي، والشيخ العلامة محمد بن علوي المالكي المكي حفظه الله.

وإني أوصي المجاز بتقوى الله تعالى في السر والعلن وأن لا ينساني ومشائخي في دعائه.

وصلى الله على سيدنا محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه.

بقلم: محمد باي بلعالم

حرر في 25 جمادى الثانية 1434

2012 أبريل 21

الملحق رقم : (15) .

قصيدة للشيخ الولي بن دوينة بن سعيد الحسني كتقريظ لمؤلفات العلامة الشيخ محمد باي بلعالم .

مؤلفات شيخنا الجليـــــل محمد بلعالم الأصـــــــــيل
القبلاوي الساهلي التواتـــي يعرف باســـم باي في الأبيـــات
جليلة عظيمة في النـــفـــع في كل فن من فنون الشـــــرع
وذاك في التوحيد و الفقه وفي علوم تزكية روح المقتفـــــــي
فالشرح للغريب في القرءان ألفية الزجـــلاوي بالبيـــــان
والمدخل النوراني مع فتح الرحيم في مذهب الإمام مالك العظيم
وملتقى الأدلة الأصليـــة أسفاره أربعة جليـــــــــة
إقامة الحجة بالـــدليـــــل شرح المهمات لدى خليـــــل
فيه أدلة الأصول و الفروع ونظمه لنجل بادي في الشروع
وفيه أربعـــة من الأسفار مخطوطـــة بقلم يا قـــــــاري
و مرجع الفـــروع للتأصيل في عشرة الأجـــزاء بالتفصيل
شرح لنظم عـــالم جليل علامـــة في قطرنا أصـــــيل
خليفة بن حسن السوفي نظم أبي المودة المعـــــــروف
أبي الضياء سيدي خـــليل العالم العلامة الجليـــــــــل
و شرحه لأسهل المسالك وهو كتاب عمـــدة السالـــك
كذا الجواهر مع السبايك كذا المبـــاحث تلي لذلـــــك
وجاء جزاءان في الاستدلال بالذكر و السنة في المثـــــال
شرح لما جمـــع في العزية وذاك بالأدلة الأصليـــــــة
فتح الجواد الفقه فيه بادي وأصله نظمه لنـــجل بـــادي
أما الركايز ففـــي الأصول ومثله ميسر الحصـــــــــول
وستة في النحو أيضا قد أتت فاللؤلؤ المنظـــوم أولاً ثبـــت
وشـــرحه كفايـــة المنهوم وشرحه لنزهة الحلـــــــــوم
وهو المسمى بالرحيق فاعلم ومنـــحة الأتراب و النظم افهم
لنثر مـــا ألفه الاجرومـــي نظمه ابن أبا في المفهـــــــوم
وتحفة للدورة اليتيمـــــــة قد شرحت ألفاظها الكريمـــة
فواكه الخريف في الفرايض ومثله الشـــرح للنيل الفايـــض

وحليت جوهرة الطلاب بشرحها المعروف بالجلبـــاب
والشرح للدرة في الأصداف فهو على الفرضي غير خـــافٍ
وانقشع الجهل عن اللبـــاس بما كتبناه إلى هرمـــــــــاس
وغيرها من كتب علمـــية عظيمة جليلة مرضـــــــية
قد رزقت قبولاً عند الناس من علما و طلاب أكيـــــاس
سالت الله ربنا العظيمـــــا يجازي عنا شيخنا الكريمـــــا
ويرزق النفع بهذه الكتـــب لعـــالم معلم و طـــــالب
ولترزق المؤلف القبـــــولا وحقـــق الآمال و المامـــــولا
لي و له بجاه خير النـــــاس محمد و صحبه الأكـــــــياس
وجازه بالخير عنـــا يا كريم لأنك الرحمان أنت والرحـــيم
واختم له رب بحسن الخاتمة كذا لكل مسلم ومســـلمـــة
ءامين ءامين استجب دعانا الاهنـــا فحققن رجانـــــــا[1]

[1] – محمد باي بلعالم : زاد السالك شرح أسهل المسالك ، (ج2) ، المصدر السابق ، ص ص (278- 279- 280)

الملحق رقم : (16) .

القانون الداخلي للمدرسة القرآنية الدينية التابعة لمسجد مصعب بن عمير الركينة – أولف – ادرار .

المادة الأولى :يخضع تمدرس الطلاب إلى قواعد تنظيمية تضبطها برامج وتعليمات يلتزم بها الأطراف المعنيون .

المادة الثانية : يلزم الطلاب بالحضور بصفة منتظمة في سائر نشاطات الدروس التي تؤدى بالمدرسة والمواظبة عليها و بأداء الصلوات الخمس جماعة بالمسجد وحضور الحزب بعد صلاة المغرب والصبح بالمدرسة .

المادة الرابعة :يطلب من الطلاب احترام مواعيد الدوام والالتزام بها ولا يسمح لهم في حالة التأخر بالدخول إلا بالترخيص ولا تتحمل مسؤولية الطلاب الذين يبقون خارج المدرسة بعد انغلاق بوابها في أوقات الدراسة حيث لا يسمح لأي طالب بالخروج إلى خارج المدرسة من يوم السبت غالى يوم الأربعاء ولا يسمح بالخروج إلا يوم الخميس .

المادة الخامسة : يترتب على التاخرات والغيابات غير المبررة ثلاث مرات في الشهر إنذار مكتوب تحفظ نسخة منه بالملف وبعد ارسال استفسارات ثلاث يتم الفصل النهائي مهما كان السبب .

المادة السادسة : تعرض الغيابات المتكررة غير المبررة الطالب المخالف إلى عقوبات قد تؤدي للفصل النهائي طبقا للإجراءات التأديبية الجاري بها العمل .

المادة السابعة : يطلب من الطلاب في إطار التنظيم وضبط العلاقة داخل المدرسة بين أعضائها ومحيطها وتوفير ظروف العمل الملائمة الامتثال لقواعد النظام والانضباط المعمول بها ووجوب احترام جميع مسيري شؤون المدرسة و الالتزام بخطى وسلوك شيخ المدرسة ومربيها للقول :(إذا كنت في قوم اسلك مسالكهم وإلا فارحل عنهم) .

المادة الثامنة : يعتني الطلاب بهندامهم جسما ولباسا ويحرضون على الظهور في هيئة تتماشى مع الآداب العامة ويمنعون من أي لباس لا يليق بطالب العلم .

المادة التاسعة : ينبغي للطلاب أن يتحلوا بالسلوك الحسن مع جميع المعلمين و أن يتعاملوا فيما بينهم بالمودة والاحترام وروح التعاون و أن يتجنبوا كل أنواع الإساءة و الاهانة المعنوية والمادية و كل السلوكات المخلة بالأخلاق كالكلام الفاحش...الخ .

المادة العاشرة : أن يحترم الطلاب قواعد حفظ الصحة والنظافة ويمتنعوا عن تعاطي التبغ وتناول المواد التي قد تضر بصحتهم وتسيء إلى سمعة المدرسة وجمالها .

المادة الحادية عشر : أن يمتثل الطلاب لقواعد الوقاية والأمن و يمتنعوا عن ارتداء ألبسة وأشياء قد تعرضهم وزملائهم إلى الحوادث والخطر .

المادة الثانية عشر : أن يلتزم الطلاب بالنظام والهدوء في حركاتهم وتتخذ المدرسة التدابير الضـــرورية لتـــاطيرهم ومراقبتهم .

المادة الثالثة عشر: يجب على الطلاب حيازة الأدوات واللوازم الضرورية ، يمكنهم استعارة الكتب مـــن مكتبـــة المدرسة وفق الشروط الموضوعة لذالك ولا يجوز لأي طالب إحضار كتب تتعارض مع التوجيه الفكري للمدرسة

المادة الرابعة عشر : يؤدي كل سلوك يعرقل النشاط الدراسي أو يخل بقواعد النظام والانضباط الداخلي للمدرسة إلى عقوبات وتقديم المخالف إلى مجلس التأديب .

المادة الخامسة عشر : أن يهتم الطلاب بمدرستهم والمحافظة عليها ويتوجب عليهم العناية بها ويشاركون في تجميلها وصيانتها .

المادة السادسة عشر : يلزم الطلاب المعنيون باحترام الضوابط والترتيبات المتعلقة بالنظام الداخلي من ذلك تنظيم مهاجع الطلبة واختيار مسؤول لكل مهجع وتنظيفها وعدم استعمالها في الطهي والطبخ .

المادة السابعة عشر : يتعرض الطلاب في حالة الغياب غير المبرر عن المرقد والمطعم أو قاعة المذاكرة والإخـــلال بقواعد الحياة الجماعية إلى عقوبات يمكن أن تؤدي إلى حرمانهم من النظام المستفاد منه بعد مثولهم أمـــام مجلـــس التأديب .

المادة الثامنة عشر : التقيد في أداء الأنشطة التعليمية بالبرامج والمواقيت المحددة .

المادة التاسعة عشر : يخضع تمدرس الطلاب ونشاطاتهم إلى تقييم .

المادة العشرون : تقييم العملي الدراسي بالطرق الكتابية والشفوية طبق الكيفيات و الإجراءات المعمول بها .

المادة الواحدة والعشرون : يستفيد الطلبة الأوائل في نتائج الامتحانات والحفظة القرءان بجوائز تشجيعية وتحفيزية.

المادة الثانية و العشرون : تمنح للطلبة بطاقة مدرسية لإثبات الهوية وتحفظ بطاقاتهم الشخصية بالإدارة و لا ترد لهم إلا عند المغادرة للعطلة أو النهائية .

المادة الثالثة والعشرون : يستفيد الطلاب من عطلة صيفية سنوية 90 يوما[1] .

[1] – محمد باي بلعالم : الرحلة العلية ، (ج2) ، المصدر السابق ، ص ص (360 ، 363)

الملحق رقم : (17) .

أسماء الزوايا العلمية الدينية ذات النظام الداخلي بولاية ادرار حسب إحصاء مديرية الشؤون الدينية والأوقاف لولاية ادرار[1]

اسم الزاوية	اسم مؤسسها
زاوية الشيخ الحاج محمد بلكبير	الحاج عبد الله بلكبير ادرار
زاوية الشيخ الحاج الحسن	الشيخ الحاج حسان انزجمير
زاوية جامع الجيلاني	الشيخ بن إبراهيم الحاج سالم ادرار
زاوية مولاي التهامي اوقديم	الحاج التهامي غيتاوي ادرار
زاوية بني مهلال	الشيخ محمد بكاري تيميمون
زاوية الدباغي (علي بن أبي طالب)	الشيخ الحاج عبد الكريم الدباغي رقان
زاوية تسفاوت	الشيخ بالحبيب الحبيب فنوغيل
زاوية مصعب بن عمير	الشيخ محمد باي بلعالم أولف
زاوية نومناس	الشيخ الحاج عبد القادر بكراوي تمنطيط
زاوية زاجلو	الشيخ محمد الحاج محمد العالمي زاوية كنتة
زاوية سيدي احمد ديدي	الشيخ الحاج احمد بكراوي تمنطيط
زاوية سيدي بوغرارة	الشيخ الحاج احمد خليلي تيميمون
زاوية لغمارة	الشيخ الحاج عبد الكبير بلكبير بودة
الزاوية الطاهرية	الشيخ عبد الله الطاهري سالي
زاوية تنقلين	الشيخ اوكادو الصالح اوقروت
الزاوية الكنتية	الشيخ محمد الكنتاوي زاوية كنته
زاوية بوقندي	الشيخ محمد بوقندي تسابيت
زاوية باحو	الشيخ لحبيب عبد الكريم سالي
زاوية الحاج محمد الدباغي	الشيخ الحاج محمد الدباغي تنركوك
زاوية مهدية	الشيخ الحاج عبد العزيز سيد أعمر تيمي
مدرسة عثمان بن عفان	حلوات سلامي عبد القادر برج باجي مختار
مدرسة ادغا	حماوي عبد القادر ادرار

[1] – محمد باي بلعالم : الرحلة العلية ، (ج2) ، المصدر السابق ، ص ص (216- 217) .

الملحق رقم : (18) .

الجدول الأسبوعي للدراسة بمدرسة مصعب بن عمير [1]

المستوى الأول :

السبت	الأحد	الاثنين	الثلاثاء	الأربعاء	المواد	توقيتها
قرآن	قرآن	قرآن	قرآن	قرآن	قرآن	4 ســـا
قرآن	فقه	السيرة النبوية	فقه	عقائد التوحيد	كتابة	2 ســـاو20 د
كتابة	كتابة	كتابة	كتابة	الإملاء	فقه	30 د
					عقائد	30 د
حديث	حساب				سيرة	20 د
					حديث	20 د
أخلاق					أخلاق	40 د
					حساب	40 د

المستوى الثاني :

السبت	الأحد	الاثنين	الثلاثاء	الأربعاء	المواد	توقيتها
	قرآن	قرآن	قرآن	قرآن	قرآن	3 ســـا و30 د
الحضارة	حديث	قواعد	فقه	السيرة النبوية	فقه	1ســـا
	عقائد	حساب	أخلاق	الإملاء	حضارة عربية إسلامية	2 ســـا
العربية					حديث	30 د
الإسلامية					سيرة	30 د
	فقه	استظهار	مبادئ	قراءة	عقائد توحيد	30 د
					قواعد نحو	1 ســـا
		حفظ	في فن	جماعية	الإملاء	
					أخلاق	30 د
		السور	التجويد	مراجعة	حساب	30 د

المستوى الثالث :

السبت	الأحد	الاثنين	الثلاثاء	الأربعاء	المواد	توقيتها
	قرآن	قرآن	قرآن	قرآن	قرآن	4 ســـا و30 د
الحضارة	حديث	قواعد	فقه	السيرة النبوية	فقه	1ســـا
	عقائد	حساب	أخلاق	الإملاء	حضارة عربية إسلامية	2 ســـا و30 د
العربية						
		استظهار	مبادئ	قراءة	سيرة	30 د
الاسلامية	فقه				عقائد توحيد	30 د
		حفظ	في فن	جماعية	قواعد نحو	1ســـا
					الإملاء	
		السور	التجويد	مراجعة	أخلاق	30 د

[1] – عبد الله حامد لمين : المقابلة السابقة .

ببيلوغرافية البحث

قائمة المصادر والمراجع:

– القرءان الكريم.

أولاً– قائمة المصادر

I. المخطوطات

1– بلعالم (محمد باي): الأصداف اليمية شرح الدرة السنية، مخطوط بخزانة الشيخ محمد باي بلعالم، بلدية أولف .

2– بلعالم (محمد باي): انقشاع الغمامة والإلباس عن حكم العمامة واللباس من خلال سؤال سعيد هرماس مخطوط، بخزانة الشيخ محمد باي بلعالم، بلدية أولف .

3– بلعالم (محمد باي): الدرة السنية في علم ما ترثه البرية، مخطوط، بخزانة الشيخ محمد باي بلعالم، بلدية اولف .

4– بلعالم (محمد باي): محاضرة تتناول التعريف ببعض الجوانب من منطقة توات الجزائرية وحضارتها، المهرجان الثقافي الأول: الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي، زاوية الشيخ أدرار: أيام 3– 4 ماي 1985م.

5– التمنطيطي (محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق): درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام، خزانة الشيخ سيدي عبد الله البلبالي (كوسام)، أدرار .

6– التنلاني (عبد الرحمن بن إدريس): رحلة الشيخ عبد الرحمن بن إدريس التنلاني إلى الجزائر (شعبان1231هـ) خزانة كوسام، أدرار .

7– الجعفري (محمد بن عمر): نقل الرواة عمن أبدع قصور توات، خزانة بن حسان تنيلان، (أدرار).

II. المراسلات الشخصية:

1– برناوي (أبو أسامة مصطفى بن محمد إبراهيم): مراسلة شخصية بتاريخ 01/ 11/ 2010م وكان الرد في شهر ديسمبر من نفس السنة.

2– الدباغي (عبد الكريم): مراسلة شخصية بتاريخ 02/ 06/ 2011م وكان الرد في 17/ 08/ 2011م.

3– العروسي (أبو خالد ادم محمد علي): مراسلة شخصية بتاريخ 01/ 11/ 2010م وكان الرد في شهر ديسمبر من نفس السنة.

III. المقابلات الشخصية:

1– ابلالي (إبراهيم): مقابلة شخصية، بمنزله بحي ساهل من بلدية اقبلي (دائرة أولف) بتاريخ: يوم الجمعة 26 أوت 2011 م .

2– بلعالم (أم كلثوم) ابنة الشيخ محمد باي، مقابلة شخصية، بمنزل الشيخ محمد باي بلعالم بحي الركينة (بلدية أولف) بتاريخ: يوم الخميس 05 افريل 2012 م .

3– بلعالم (سعيدة) حفيدة الشيخ محمد باي : مقابلة شخصية، بمنزل الشيخ محمد باي بلعالم بحي الركينة (بلدية أولف)، بتاريخ: الثلاثاء 29 مارس 2011 م .

4- بلعالم (محمد الحسان): مقابلة شخصية، بمنزله بحي ساهل من بلدية اقبلي (دائرة أولف)، بتاريخ: السبت 29 جانفي 2011م.

5- بلعالم (محمد عبد الرحمن): مقابلة شخصية، بمنزله بحي ساهل من بلدية اقبلي (دائرة أولف)، بتاريخ: السبت 29 جانفي 2011م.

6- بن مالك (احمد): مقابلة شخصية، بخزانة الشيخ محمد باي بلعالم بحي الركينة (بلدية أولف)، بتاريخ: الأحد 03 افريل 2011م.

7- بن منوفي (محمد): مقابلة شخصية، بالجامعة الإفريقية (العقيد احمد دراية) ولاية أدرار، بتاريخ: الأربعاء 21 افريل 2010 م.

8- بوسعيد (احمد بن المختار): مقابلة شخصية، بمنزله بقصر مولاي عبد الواحد (بلدية سالي)، بتاريخ: السبت 26 نوفمبر 2011 م .

9- حامد لمين (عبد الله): مقابلة شخصية، بخزانة الشيخ محمد باي بلعالم بحي الركينة (بلدية أولف)، بتاريخ: الأربعاء 30 مارس 2011م.

10- حفصي (عبد الرحمن): مقابلة شخصية، بمنزلة بحي عمنات (بلدية أولف) بتاريخ: الخميس 27 جانفي 2011م.

11- حمادي (حاجي): مقابلة شخصية، بمنزله حي عمنات بلدية اولف: بتاريخ الاثنين 30 ماي 2011م.

12- حوتية (محمد): مقابلة شخصية، بالجامعة الإفريقية (العقيد احمد دراية) ولاية أدرار بتاريخ: الاثنين 23 ماي 2011 م.

13- الدباغ (محمد): مقابلة شخصية، بالجامعة الإفريقية (العقيد احمد دراية) ولاية أدرار بتاريخ: الاثنين 13 جوان 2011.

14- عقيد (عبد الخالق): مقابلة شخصية، بزاوية الشيخ احمد الطاهري، العلوشية (بلدية سالي)، بتاريخ: السبت 26 نوفمبر 2011م.

15- المصري (مبروك): مقابلة شخصية، بالجامعة الإفريقية (العقيد احمد دراية) ولاية أدرار، بتاريخ: الأحد 30 أكتوبر 2011م.

16- معمري (فاطمة) زوجة الشيخ محمد باي : مقابلة شخصية، بمنزل الشيخ محمد باي بلعالم بحي الركينة (بلدية أولف)، بتاريخ: الثلاثاء 29 مارس 2011م.

IV. مصادر مطبوعة

1- بكري (عبد الحميد): النبذة في تاريخ توات وأعلامها، (د،ط)، مطبعة الطباعة العصرية، الجزائر :2010م .

2- بلعالم (محمد باي): إرشاد الحائر لمعرفة فلان في الجزائر وغيرها من البلدان، (ج1)،د،ن.

3- بلعالم (محمد باي):إقامة الحجة بالدليل شرح على نظم ابن بادي لمختصر خليل، (ج1 ،ج2، ج3، ج4) (ط1)، دار ابن حزم، بيروت: 2007 م .

4- بلعالم (محمد باي): الاستدلال بالكتاب والسنة النبوية على نثر العزية ونظمها الجواهر الكترية، (ج1) (د،ط)، دار هومة، الجزائر: 2002 م .

5- بلعالم (محمد باي): الإشراق البدري شرح على الكوكب الزهري، (ط1)، مطابع عمار قرفي، باتنة: د،ت.

6- بلعالم (محمد باي):أنوار الطريق لمن يريد حج البيت العتيق، (د،ط)، دار هومة، الجزائر: 2009 م .

7- بلعالم (محمد باي): تحفة الملتمس على الضوء المنير المقتبس في مذهب الإمام مالك بن انس، (ج1)، د، ن.

8- بلعالم (محمد باي): التحفة الوسيمة شرح على الدرة اليتيمة، (د،ط)، مطبعة عمار قرفي، باتنة: د،ت.

9- بلعالم (محمد باي) : الجواهر الكترية لنظم ما جمع في العزية، (د، ط)، دار هومة، الجزائر : 2002م.

10- بلعالم (محمد باي): ديوان شعر، غير مطبوع.

11- بلعالم (محمد باي): الرحلة العلية إلى منطقة توات لذكر بعض الأعلام والآثار والمخطوطات والعادات وما يربط توات من الجهات، (ج1 وج2)، (د،ط)، دار هومة، الجزائر: 2005م.

12- بلعالم (محمد باي): الرحيق المختوم لنزهة الحلوم، (د،ط)، مطبعة عمار قرفي، باتنة: د،ت .

13- بلعالم (محمد باي): ركائز الوصول على منظومة العمريطي في علم الأصول، (د،ط)، مطبعة عمار قرفي باتنة: د، ت.

14- بلعالم (محمد باي): الرمح المثير في نحر من أنكر وصية محمد البشير، د، ن.

15- بلعالم (محمد باي): زاد السالك شرح أسهل المسالك ،(ج 1و ج2)، (د،ط)، دار هومة، الجزائر: 2002

16- بلعالم (محمد باي): السبائك الابريزية شرح على الجواهر الكنزية، (د،ط)، مطبعة عمار قرفي، باتنة: 1993م.

17- بلعالم (محمد باي): السيف القاطع والرد الرادع لمن أجاز في القروض المنافع، (د،ط)، دار هومة، الجزائر: 2007م.

18- بلعالم (محمد باي): ضياء المعالم شرح على ألفية الغريب لابن العالم، (ج1)، (د،ط)، مطابع عمار قرفي ،باتنة، د،ت.

19- بلعالم (محمد باي): الغصن الداني في ترجمة حياة الشيخ عبد الرحمن بن عمر التنلاني، (د،ط)، دار هومة الجزائر: 2004م.

20- بلعالم (محمد باي): فتح الجواد شرح على نظم العزية لابن باد، (د،ط)، مطابع عمار قرفي، باتنة: د، ت.

21- بلعالم (محمد باي): فتح الرحيم المالك في مذهب الإمام مالك، (د،ط)، مطابع عمار قرفي، باتنة: د،ت.

22- بلعالم (محمد باي): فواكه الخريف شرح على بغية الشريف في علم الفرائض المنيف، (د،ط)، مطابع عمار قرفي، باتنة: د،ت .

23- بلعالم (محمد باي): فتوى حول النكاح بدون ولي ما حكم هذا النكاح، أولف في 2004/10/26م.

24- بلعالم (محمد باي): قبيلة فلان في الماضي والحاضر ومالها من العلوم والمعرفة والمآثر، (د،ط)، دار هومة الجزائر: 2004م.

25- بلعالم (محمد باي): كفاية المنهوم شرح اللؤلؤ المنظوم، (د،ط)، مطبعة عمار قرفي، باتنة: د،ت .

26- بلعالم (محمد باي): كشف الجلباب شرح على جوهرة الطلاب في علمي الفروض والحساب، (د،ط) مطبعة عمار قرفي، باتنة: د،ت .

27- بلعالم (محمد باي):كشف الدثار شرح على تحفة الآثار، (د،ط)، مطبعة عمار قرفي، باتنة: د،ت .

28- بلعالم (محمد باي): لا إرهاب اشر من هذا الإرهاب، أولف 30 جانفي 2002م ، خزانة محمد باي بلعالم.

29- بلعالم (محمد باي): المباحث الفكرية شرح على الأرجوزة البكرية، (د،ط)، مطابع عمار قرفي، باتنة: د،ت.

30- بلعالم (محمد باي): مرجع الفروع إلى التأصيل من الكتاب والسنة والإجماع الكفيل شرح على نظم خليفة بن حسن السوفي المسمى جواهر الإكليل، (ج1، ج2، ج3 ،ج4 ،ج10) ،(ط1) دار الوعي، الجزائر: 2009 م.

31- بلعالم (محمد باي): مركب الخائض شرح على النيل الفائض، (د،ط)، مطابع عمار قرفي، باتنة: د، ت.

32- بلعالم (محمد باي): المفتاح النوراني على المدخل الرباني للمفرد الغريب في القران، (د،ط)، مطابع عمار قرفي باتنة: د،ت .

33- بلعالم (محمد باي): ملتقى الأدلة الأصلية والفرعية الموضحة للسالك على فتح الرحيم المالك في مذهب الإمام مالك، (ج1،ج2 ،ج4)، (د،ط)، دار هومة، الجزائر: 2008م.

34- بلعالم (محمد باي): منحة الأتراب شرح على ملحة الإعراب، (د،ط)، دار هومة، الجزائر: 2001م.

35- بلعالم (محمد باي): ميسر الحصول على سفينة الوصول، (د،ط)، دار هومة، الجزائر: 2001م.

36- بيوض (إبراهيم بن عمر): فتاوى الإمام الشيخ إبراهيم بن عمر، تقديم وتحقيق: بكير محمد الشيخ بالحاج (ج2)، (د،ط)، د،ن، د،ت .

37- التومي (سعيدان): سكان تدكلت القدماء والاتكال على النفس، (ط1)، دار هومة، الجزائر:2005م.

38-سيد عمر المهداوي (عبد العزيز): قطف الزهرات من أخبار علماء توات، (ط2)، دار هومة، الجزائر: 2002م.

39- الشعراوي (محمد متولي): الفتاوى، إعداد وتعليق وتقديم: السيد الجميلي، (د،ط)، المكتبة العصرية، بيروت: 2000 م .

40- الطاهري (احمد): نسيم النفحات من أخبار توات ومن بها من الصالحين والعلماء الثقات، تحقيق وتعليق: عبد الله الطاهري، (د،ط)، د،ن، د،م،ن: 2010م.

41- المالكي الشاذلي (أبي الحسن علي): المقدمة العزية للجماعة الأزهرية، (ط1)، المكتبة العصرية، بيروت: 2000.

42- هزيمة بيجار في ارض الأحرار، تر: احمد عبد العزيز، (د،ط)، مؤسسة الشروق للنشر والأعلام، د،ن د،ت.

ثانياً- قائمة المراجع

I. مراجع باللغة العربية :

1- إبراهيم دياب (احمد): لمحات من التاريخ الإفريقي الحديث والمعاصر، (ط1)، دار المريخ، الرياض: 1981م.

2- اكتشف أدرار : مديرية السياحة والصناعة التقليدية بولاية ادرار، د، ن .

3- الألباني (محمد ناصر الدين): مختصر صحيح الإمام البخاري، (ج1)، (ط5)، المكتب الإسلامي، بيروت: 1986م.

4- الألباني (محمد ناصر الدين): غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام، (د،ط)، مكتبة النهضة الجزائرية الجزائر، د،ت .

5- الأنصاري الطرابلسي (احمد بك): المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب ،(ج1)، (د،ط)، منشورات مكتبة الفرجاني، طرابلس: د،ت .

6- ابن بابا حيدة (محمد الطيب بن الحاج عبد الرحيم): القول البسيط في أخبار تمنطيط، تحقيق: فرج محمود فرج (د،ط)، معهد العلوم الاجتماعية، الجزائر: 1977م.

7- ابن بطوطة (محمد بن عبد الله): رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار تقديم: محمد السويدي، (ج1)، (د،ط)، موفم للنشر، الجزائر: 2007 م .

8- ابن حمادوش الجزائري (عبد الرزاق): رحلة ابن حمادوش الجزائري المسماة لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال، تقديم وتحقيق: أبو القاسم سعد الله، (د،ط)، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر: 2007م .

9- ابن خلدون (عبد الرحمن): ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر مراجعة: سهيل زكار، (ج6)، (د،ط)، دار الفكر، بيروت: 2000م.

10- ابن خلدون (عبد الرحمن): المقدمة، تحقيق وتعليق: محمد صديق المنشاوي، (د،ط)، دار الكتاب، دار الفضيلة، القاهرة: 2005م.

11- ابن عبد الحكم :فتوح مصر والمغرب، تحقيق وتقديم: علي محمد عمر (د،ط)، دار المناهل للطباعة، د،م،ن: 1995م.

12- أبو زكرياء (يحي): الحركة الاسلامية المسلحة في الجزائر(1978- 1993)، (ط1) ، مؤسسة العارف للمطبوعات، بيروت : 1993م.

13- أبو المجد (احمد): الاجتهاد الديني المعاصر قضايا وآفاق، (ط1)، دار البعث، قسنطينة: 1985م.

14- برايما باري (عثمان) : جذور الحضارة الاسلامية في الغرب الإفريقي، (ط1)، دار الأمين للطباعة، القاهرة : 2000م.

15- بلغيث (محمد الأمين): تاريخ الجزائر المعاصر دراسات ووثائق ،(ط3)، دار مدني للطباعة والنشر والتوزيع الجزائر: 2009.

16- بن يوسف (سليمان داود): حلقات من تاريخ المغرب الإسلامي، (د،ط)، مطبعة أبو داود، الحراش: 1983م.

17- بوشارب (عبد السلام) : الهقار أمجاد وانجاد، (د،ط) ، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، رويبة: 1995م .

18- بوصفصاف (عبد الكريم): جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في الحركة الوطنية (1931- 1945) (ط2)، عالم المعرفة، الجزائر: 2009م.

19- بوصفصاف(عبد الكريم) : الفكر العربي الحديث والمعاصر محمد عبدو وعبد الحميد بن باديس نموذجا، دار الهدى، عين مليلة :2005م.

20- بوعزيز (يحي): أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، (ج1)، (ط1)، دار الغرب الإسلامي، بيروت: 1995م.

21- بوعزيز (يحي): ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، (ج1)، (ط2)، المتحف الوطني للمجاهد 1996.

22- بوعزيز (يحي): تاريخ إفريقيا الغربية الاسلامية من مطلع القرن السادس عشر إلى مطلع القرن العشرين (د،ط) دار هومة، الجزائر: 2001م.

23- تواتي وآخرون (دحمان): الثورة الجزائرية في أقاليم توات (1956- 1962)، (د،ط)، منشورات مولاي سليمان بن علي لحماية مآثر الثورة التحريرية، د،ت.

24- الجزائري (أبو بكر جابر): منهاج المسلم، (ط6)، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة: 2001م.

25- جعفري (احمد): محمد بن أبا المزمري حياته وآثاره، (ط1)، دار الكتاب العربي، الجزائر: 2004م.

26- جعفري (مبارك): العلاقات الثقافية بين توات والسودان الغربي خلال القرن 12هـ، (ط1)، دار السبيل للنشر والتوزيع، الجزائر: 2009.

27- الجيلالي (عبد الرحمن): تاريخ الجزائر العام، (ج1)، (د،ط)، دار الأمة، الجزائر: 2009م.

28- حسن أبو الهيجا (فؤاد): طرق تدريس الدراسات القرآنية الاسلامية، (ط2)، دار المناهج للنشر والتوزيع عمان: 2002م.

29- حلاق (حسان): تاريخ الشعوب الاسلامية الحديث والمعاصر، (ط1)، دار النهضة العربية، بيروت: 2000.

30- خليفي (عبد القادر): محطات من تاريخ الجزائر المجاهدة (1830- 1962)، (د،ط)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر: 2010م.

31- الدالي (الهادي المبروك): التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا فيما وراء الصحراء ، (ط 1)، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة: 1999م .

32- دبوز (محمد علي): أعلام الإصلاح في الجزائر، (ج3)، (ط1)، دار البعث، قسنطينة: 1978م.

33- دبوز (محمد علي): أعلام الإصلاح في الجزائر، (ج4)، (ط1)، دار البعث، قسنطينة: 1980م.

34- درواز (الهادي): الولاية السادسة التاريخية تنظيم ووقائع (1954- 1962)، (د،ط)، دار هومة الجزائر: 2009م.

35- دليل ثقافي: أدرار جوهرة الجنوب، المركز الوطني للمخطوط، دار الثقافة: د،ط ، د،ت .

36- الزيباري (عامر سعيد) :أجوبة لأسئلة النساء في المذهب المالكي، (ط2)، دار ابن حزم، بيروت: 2003م.

37- السجل الذهبي لشهداء المقاومة الشعبية والثورة التحريرية الكبرى لولاية أدرار ، (د،ط)، جمعية سيدي سليمان بن علي لحماية مآثر الثورة التحريرية، أدرار : د،ت.

38- سعد الله (أبو القاسم): أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، (ج2)، (د،ط)، دار البصائر ،الجزائر: 2007م.

39- سعد الله (أبو القاسم): الحركة الوطنية الجزائرية (1930- 1945)، (ج3)، (ط4)، دار الغرب الإسلامي بيروت: 1992م.

40- سعد الله (أبو القاسم): تاريخ الجزائر الثقافي، (ج2)، (ط1)، دار الغرب الإسلامي، بيروت: 1998م.

41- السعدي (عبد الرحمن): تاريخ السودان، (د،ط)، مطبعة بردين، باريس: 1981م.

42- سعيد غوشت (بكير): الإمام إبراهيم بيوض وجهاده الإسلامي في الجزائر، (د،ط)، المطبعة العربية غرداية: 1987م.

43- سعيدوني (ناصر الدين) : دارسات وشهادات مهداة إلى الأستاذ أبو القاسم سعد الله ، (ط1)، دار الغرب الإسلامي، بيروت : 2000م.

44- سلام زياتي (محمود): الإسلام والتقاليد القبلية في إفريقيا، (د،ط)، دار النهضة العربية، بيروت: 1969م.

45- سنن ابن ماجه: تح وتع: محمد فؤاد عبد الباقي، (د،ط)، مطبعة دار إحياء الكتب العربية، القاهرة: د،ت.

46- السيد (محمود): تاريخ دولتي المرابطين والموحدين، (د،ط)، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية: 1999م .

47- الشقراني الراشدي (احمد بن عبد الرحمن): القول الأوسط في أخبار بعض من حل بالمغرب الأوسط، تح وتقد: ناصر الدين سعيدوني، (ط1)، دار الغرب الإسلامي، بيروت: 1991م.

48- الشكري (احمد): الإسلام والمجتمع السوداني إمبراطورية مالي (1230- 1430م) ،(ط1)، المجمع الثقافي أبوظبي: 1999م .

49- الصديق (محمد الصالح): الإمام الشيخ عبد الحميد بن باديس من آرائه ومواقفه، (ط1)، دار البعث قسنطينة: 1983م.

50- الطاهري (عبد الله): تفنيد المفتريات والافك الواردة في محاضرة إزاحة الكذب والشك عن جواز معاملة البنك (د،ط)، د،ن، سالي: 2009 م.

51- الطرطوشي (أبو بكر): كتاب الحوادث والبدع، تحقيق: عبد المجيد تركي (ط1)، دار الغرب الإسلامي بيروت: 1990م.

52- الطهطاوي (علي احمد عبد العال): زيارة القبور والاستنجاد بالمقبور، (ط1)، دار الكتب العلمية، بيروت: 2003 م.

53- عباس (محمد): نصر بلا ثمن الثورة الجزائرية (1954- 1962)، (د،ط)، دار القصبة للنشر، الجزائر: 2009 م.

54- عبد الرزاق إبراهيم (عبد الله)، عطا الله الجمل (شوقي): دراسات في تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر (د،ط) مكتبة الإسكندرية، القاهرة: 1998م.

55- عبد العزيز (أمير): دراسات في علوم القران، (ط2)، دار الشهاب، باتنة: 1988م.

56- عزو عناية (احمد): الرخص الفقهية في ضوء الكتاب والسنة، (ط1)، دار الكتب العلمية، بيروت: 2003.

57- العربي (إسماعيل): الصحراء الكبرى وشواطئها، (د،ط)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر: 1983م .

58- العسقلاني (أبي الفضل احمد بن حجر): بلوغ المرام من أدلة الأحكام، تحقيق وتعليق: رضوان محمد رضوان دار الكتاب العربي، بيروت: 1983 م.

59- العسقلاني (أبي الفضل احمد بن حجر): الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: محمد علي البجاوي، دارالجيل بيروت: 1992م.

60- عطا الله الجمل (شوقي): عبد الرزاق إبراهيم (عبد الله): تاريخ المسلمين في إفريقيا ومشكلاتهم، (د،ط)، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة: 1996م.

61- علي السالوس (منى): الحقوق التعليمية للمرأة في الإسلام من واقع القران والسنة، (ط1)، دار النشر للجامعات، القاهرة: 2003 م.

62- علي عبيد الحميدان الشمري (عايد): أهوال المخدرات في المجتمعات العربية، (ط1)، منشاة المعارف الإسكندرية: 2002 م.

63- عمورة (عمار) : موجز في تاريخ الجزائر، (ط1) ، دار ريحانه للنشروالتوزيع، الجزائر: 2002م

64- العياشي (أبو سالم عبد الله بن محمد): الرحلة العياشية (1661- 1663م)، تحقيق وتقديم: سعيد الفاصلي سليمان القريشي، (مج1)، (ط1)، دار سويدي للنشر والتوزيع، أبو ظبي: 2006 م.

65- الفلاتي (الطيب عبد الرحيم محمد): الفلاته في إفريقيا ومساهمتهم الاسلامية والتنموية في السودان، (ط1) دار الكتاب الحديث، الكويت: 1994م.

66- غيتاوي (التهامي): وقفات مشرقة من حياة المجاهد الكبير السيد عبد العزيز بوتفليقة، (د،ط)، منشورات ANEP، 2000 م.

67- غيتاوي (التهامي): الإشراق الكبير في ذكر جملة من فضائل ومآثر ومواقف وكرامات الشيخ محمد بن الكبير (د،ط)، منشورات المؤسسة الوطنية للاتصال، الجزائر: 2002 م.

68- قدي (عبد المجيد): صفحات مشرقة من مدينة أولف العريقة، (د،ط)، د،ن، د،ت.
69- قويدر (بشار)، حساني (مختار): مخطوطات ولاية أدرار، (د،ط)، مطبعة عمار قرفي، باتنة،د،ت.
70- القيرواني (ابن أبي زيد): رسالة ابن أبي زيد، (د،ط)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر: 1988م.
71- اللحام (سعيد): الحلال والحرام في الإسلام، (ط2)، منشورات دار ومكتبة الهلال، بيروت: 1990م
72- لقبال (موسى): تاريخ المغرب الإسلامي، (ط4)، دار هومة، الجزائر: 2001 م.
73- لمحات في التعريف بالمدرسة الدينية التابعة لمسجد مصعب بن عمير باولف، خزانة الشيخ محمد باي بلعالم
74- لونيسي وآخرون (رابح): تاريخ الجزائر المعاصر (1830- 1989)، (د،ط)، دار المعرفة، الجزائر: 2010.
75-محمد حمودة (محمود)، مطلق عساف (محمد): فقه العبادات، (ط1)، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع عمان: 2000 م.
76- محمد علي ذهني (الهام): جهاد المماليك الاسلامية في غرب إفريقيا صد الاستعمار الفرنسي (1850-1914)، (د،ط)، دار المريخ للنشر، الرياض: 1988 م.
77- محمود فرج (فرج): إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين، (د،ط)، معهد العلوم الاجتماعية، الجزائر: 1977م.
78- المصري (مبروك): تأملات في الاجتهاد والتقليد، (د،ط)، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران: 2004 م.
79- مقدم (مبروك): الاستيطان والتحضر الريفي في الوطن العربي نموذج على مناطق توات، قورارة، تيديكلت (ولاية أدرار)، (د،ط)، د،ن، 1989م.
80- مقدم (مبروك): مدخل منوغرافي في المجتمع التواتي، (د،ط)، دار هومة، الجزائر: 2008 م.
81- مقلاتي (عبد الله): دور منطقة توات الجزائرية في نشر الإسلام والثقافة العربية بإفريقيا الغربية (ط1)، وزارة الثقافة، الجزائر: 2009 م.
82- الموطأ للإمام مالك بن انس: رواية محمد بن الحسن الشيباني، تح وتع: عبد الوهاب عبد اللطيف، (ط1) دار القلم، بيروت: د، ت.
83- مياسي (إبراهيم): التوسع الاستعماري الفرنسي في الجنوب الغربي الجزائري، (1881- 1912م) ، (د،ط) منشورات المتحف الوطني للمجاهد الجزائر: 1996م.
84- الميلي (مبارك بن محمد): تاريخ الجزائر في القديم والحديث، تقد وتصحح: محمد الميلي، (ج2)، (د،ط) المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر: د،ت .
85- الناصري (احمد بن خالد): الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق وتعليق: جعفر الناصري محمد الناصري، (ج2) ،(د،ط)، دار الكتاب، الدار البيضاء: 1954م.
86- الناضوري (رشيد): تاريخ المغرب الكبير (العصور القديمة)، (ج1)، (د،ط)، دار النهضة العربية، بيروت: 1981 م.
87- النحوي (خليل): إفريقيا المسلمة الهوية الضائعة، (ط1)، دار الغرب الإسلامي، بيروت: 1993م.

88- الوزان الفاسي (الحسن بن محمد) المعروف بليون الإفريقي: وصف إفريقيا، ترجمة: محمد حجي، محمد الأخضر، (ج2)، (ط2)، دار الغرب الإسلامي، بيروت: 1983م.

89- ولد أباه (محمد المختار): الشعر والشعراء في موريتانيا، (ط2)، دار الأمان، الرباط: 2003م.

90- ولد خليفة (محمد العربي): الجزائر المفكرة التاريخية، (ط1)، شركة دار الأمة، الجزائر: 1998م.

91- هولوجودت (فرج): البرامكة، (ط1)، دار الفكر اللبناني، بيروت: 1990م.

II. المراجع الأجنبية المعربة:

1- أندري جوليان (شارل): تاريخ إفريقيا الشمالية، تعريب: محمد مزالي، البشير بن سلامة، (ج2)، (ط2)، الدار التونسية للنشر، تونس: 1978م.

2- بروكلمان (كارل) :تاريخ الشعوب الاسلامية، ترجمة: نبيه أمين فارس، منير البعلبكي، (ط5)، دار العلم للملايين، بيروت: 1968م.

3- بل (الفرد): الفرق الاسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم، ترجمة: عبد الرحمن بدوي (ط3) دار الغرب الإسلامي، بيروت: 1987م.

4- روبير اجرون وآخرون (شارل): تاريخ الجزائر المعاصرة (1871- 1954)، ترجمة: جمال فاطمي وآخرون (مج2)، (ط1)، دار الأمة الجزائرية، الجزائر: 2008م.

5- مادهو بانيكار (كاقالام): الوثنية والإسلام تاريخ الإمبراطورية الزنجية في غرب إفريقيا، ترجمة وتعليق وتحقيق: احمد فؤاد بلبع، (ج1)، (ط2)، المجلس الأعلى للثقافة: 1998م.

III. الرسائل الجامعية:

1- بن سويسي (محمد): العمارة الدينية الاسلامية في منطقة توات تمنطيط نموذجا من القرن 6هـ – 13هـ/ 12- 19م، مذكرة ماجستير، إشراف: عبد العزيز لعرج، معهد الآثار، جامعة الجزائر، السنة الجامعية 2007- 2008م.

2- الحمدي (احمد): المساهمة العلمية للمختار الكبير الكنتي بازواد(1142- 1226هـ/ 1729- 1811م) رسالة دكتوراه في التاريخ والحضارة الاسلامية، إشراف: عبد المجيد نعمبه، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الاسلامية قسم الحضارة الاسلامية، السنة الجامعية 2007- 2008 م.

3- حوتية (محمد): توات والازواد خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر للهجرة (الثامن عشر والتاسع عشر للميلاد)، رسالة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف: ناصر الدين سعيدوني، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة وهران، السنة الجامعية 2003- 2004م.

4- عباس (عبد الله): التأثيرات الحضارية لمنطقة توات في بلاد السودان الغربي، مذكرة السنة الأولى ماجستير إشراف: موسى لقبال، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، السنة الجامعية 1997- 1998م.

IV. المقالات :

1- بن ساسي (إبراهيم): (من سلسلة أعلام الجنوب الجزائري الشيخ محمد عبد القادر بلعالم القبلوي راية علم وقرءان (1880- 1952)، البصائر، (ع537): الاثنين 28 فيفري – 6 مارس 2011م.

2- بن ساسي (إبراهيم): الشيخ محمد باي بلعالم احد أقطاب العلم في الجزائر في حوار مع البصائر، بتاريخ 03/14/ 1430هـ ، البصائر، (ع597)، 23- 29 افريل 2012م.

3- جعفري (مبارك): إقليم توات ودوروه في التجارة الصحراوية، مجلة النخلة، (ع6): مارس 2010.

4- حامد لمين (عبد الله) : (تراجم وسير الشيخ محمد باي بلعالم حياته ومؤلفاته) ، مجلة الثقافة الإسلامية، (ع6): 2010م .

5- حمدي (عبد العال): المخدرات وآثارها السلبية على جسم الإنسان، مجلة رسالة المسجد، (ع5)، الجزائر: ماي 2008م.

6- الدباغ (محمد): (الكتابة الصوفية عند الفقهاء متن ابن عاشر أنموذجا) ، مجلة الأثر، (ع3): دار الهدى للطباعة والنشر، عين مليلة: ابريل 2009م.

7- الغماري (محمد بن أبي القاسم): مذاكرة فقهية، مجلة الشهاب، (مج2)، (ع55) ، (ط1)، قسنطينة 13 سبتمبر 1926 / ربيع الأول 1345هـ، دار الغرب الإسلامي، بيروت: 2001م.

8- غيتاوي (التهامي): اهتمام زوايا منطقة الصحراء بالقراءة والخطابة، مجلة رسالة المسجد، (ع2)، الجزائر: أوت 2007م .

9- فوكراش (عبد القادر): الوقاية من المخدرات من منظور الفقه الإسلامي والدراسات التربوية، مجلة رسالة المسجد، (ع5)، الجزائر: ماي 2008م.

10- قدي (عبد المجيد): في ذكرى رحيل عالم توات الشيخ الحاج محمد باي، عيون المقالات، (ع832)، الجزائر: الأربعاء 11 ماي 2011م.

11- يحياوي (بلقاسم): التدخين ... عادة شنيعة، مجلة رسالة المسجد، (ع2)، الجزائر: أوت 2007م.

V. الملتقيات والفعاليات :

1- محاضرات وتعقيبات الملتقى السادس للفكر الإسلامي، الجزائر من 13 جمادى الثانية إلى رجب 1392هـ/ 24 يوليو إلى 10 أغسطس 1972م، (مج1)، منشورات وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر : 1972م.

2-محاضرات وتعقيبات الملتقى السادس للفكر الإسلامي، الجزائر من 13 جمادى الثانية إلى رجب *1392*هـ/ 24 يوليو إلى 10 أغسطس 1972م، (مج5)، قسنطينة، دار البعث: 1973م.

3- الملتقى الوطني الأول للزوايا، أدرار أيام 1- 2- 3 ماي 2000م.

4- الملتقى الدولي حول التواصل الجزائري الإفريقي والتنمية الصحراوية، جامعة أدرار أيام: 5- 6- 7 نوفمبر 2001م.

5- أعمال الملتقى الدولي حول آثار التجارب النووية في العالم الصحراء الجزائرية نموذجا، الجزائر أيـــام 13- 14 فبراير 2007م .

6- الملتقى الوطني الأول: العلاقات الحضارية بين إقليم توات وحواضر المغرب الإسلامي، جامعة أدرار : افريـــل 2009م.

7- فعاليات الأمسية التي أقيمت بحي ساهل ترحما على روح فقيد الإسلام والمسلمين الشيخ محمد باي بلعـــالم: بتاريخ: الثلاثاء 12 ماي 2009م.

8- الملتقى الوطني الرابع: إسهامات علماء توات في الحركة الفكرية والثقافية إبان العصـــر الحـــديث (1500-2000م)، جامعة أدرار أيام: 4- 5 جمادى الأولى 1431هـــ/ 19- 20 افريل 2010م.

9- الملتقى الدولي الثالث عشر: المذهب المالكي تاريخ وآفاق، جامعة أدرار أيام 28- 29- 30- نوفمبر 2010 المطبعة العربية، غرداية : 2010م.

10- التجارب النووية الفرنسية في الجزائر دراسة وبحوث وشهادات، المركز الوطني للدراســـات والبحـــث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، د،ط، دار هومة، الجزائر: 2010م.

VI. الموسوعات والقواميس والأطلس :

1- حلمي الغوري (إبراهيم) : أطلس الوطن العربي والعالم ، (ط6)، دار الشرق العربي، بيروت: 2009م.

2- شرفي (عاشور): معلمة الجزائر القاموس الموسوعي، ترجمة: عبد الكريم اوزغلة وآخرون، (د،ط)، دار القصبة للنشر، الجزائر: 2009م.

3- ميشال حداد (حليم) : قصة وتاريخ الحضارة العربية بين الأمس واليوم، تـــونس، الجزائـــر، (د،ط)، د، ن : 1999م.

4- نويهض (عادل): معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، (ط2)، مؤسسة نويهض الثقافية للنشر، بيروت: 1980م.

5- الوائلي (عبد الحكيم): موسوعة قبائل العرب، (ج4)، (ط1): دار أسامة للنشر والتوزيع، عمـــان (الأردن): 2002م.

VII. الوسائط الالكترونية

1- قرص مضغوط لجنازة الشيخ محمد باي بلعالم، الاثنين 20 افريل 2009م، اخراج جمغات محمد (بلدية اولف)

2 -http://www1.albassair.org/modules.

VIII. مراجع باللغة الأجنبية

1- Karl Sutre: Étude Sur la population et L' habitat D' une Région Du Sahara Algérien: le touat ,N.P, N.D.

2- Mario vivarez :Au Sujet du touât , Alger ; Mars 1896 .

3- Colonel Malher : Question Du touat , paris, 1895.

فهارس البحث

فهرس الآيات والأحاديث.

فهرس الأعلام.

فهرس الأماكن والبلدان.

فهرس القبائل والمجموعات.

فهرس الزوايا العلمية الدينية.

فهرس التنظيمات.

فهرس المحيطات والبحار والأنهار والأودية.

فهرس الآيات

نص الآية	رقم الآية	السورة	الصفحة
﴿ ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل ﴾	188	البقرة	191
﴿ الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ﴾	275	البقرة	180
﴿ يا أيها الذين ءامنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله وإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون ﴾	الآيات من 278 الى 279	البقرة	180
﴿ ولتكن منكم امة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ﴾	104	آل عمران	199
﴿ واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام ﴾	01	النساء	258
﴿ ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما ﴾	29	النساء	201
﴿ وان كنتم مرضى أو على سفر أو جاء احد منكم من الغائط . . . عفوا غفور ﴾	43	النساء	188
﴿ ثم جاءوك يحلفون بالله إن أردنا إلا إحسانا وتوفيقا ﴾	62	النساء	123
﴿حرمت عليكم الميتة ﴾	03	المائدة	177
﴿ يأيها الذين ءامنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون ﴾	90	المائدة	200
﴿ فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان ربك غفور رحيم ﴾	145	الأنعام	177
﴿فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا	122	التوبة	141

قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون ﴾			
﴿ وما توفيقي إلا بالله ﴾	88	هود	123
﴿ إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين ﴾	27	الإسراء	189
﴿ وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا . . . ﴾	الآيات من 63 إلى 77	الفرقان	134
﴿ إن تدعوهم لا يسمعوا دعائكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ﴾	14	فاطر	186
﴿ وما علمناه الشعر وما ينبغي له ﴾	69	يس	195
﴿ إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم ﴾	10	الحجرات	199
﴿ ما ضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى ﴾	الآيات 2-3-4	النجم	195
﴿ يرفع الله الذين امنوا منكم والذين أوتوا العلم دراجات ﴾	11	المجادلة	243
﴿ ما أنت بنعمة ربك بمجنون ﴾	02	القلم	195
﴿ قل إني لن يجيرني من الله احد ﴾	22	الجن	133

فهرس الأحاديث:

نص الحديث	الصفحة
(أن وقت رمي الجمار الثلاث يدخل بزوال الشمس) رواه ابن ماجه	174
سال رجل الرسول صلى الله عليه وسلم عن الخمر فنهاه عنها فقال الرجل : إنما اصنعها للدواء قال النبي صلى الله عليه وسلم : (انه ليس بدواء ولكنه داء) رواه مسلم	200
(اصنعوا لآل جعفر طعاما فانه قد أتاهم أمر يشغلهم) رواه الترميذي و الحاكم	192
(إن الشمس والقمر هما آيتان من آيات الله لا يخسفان لموت احد ولا لحياته فإذا رأيتموهما فافزعوا إلى الصلاة) رواه البخاري	191
(الدرهم الذي يصيبه الرجل من الربا اشد من ست وثلاثين زنية في الإسلام) رواه احمد	181
عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم :(وقت لأهل المدينة ذا الحليفة، ولأهل الشام الجحفة، ولأهل نجد قرن المنازل، ولأهل اليمن يلملم فهن لهن ولمن أتى عليهن من غير أهلهن لمن كان يريد الحج والعمرة) رواه البخاري ومسلم	172
مروي عن أبي هريرة (زوروا القبور فإنها تذكركم الآخرة) سنن ابن ماجه	185
(يا عائشة ما كان معكم من لهو ؟ فان الأنصار يعجبهم اللهو) رواه البخاري	190
(كل غلام رهين بعقيقته تذبح عنه يوم سابعه ويسمى فيه ويحلق رأسه) رواه ابن ماجه	190
(كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإنها تذكركم بالآخرة) رواه مسلم	187
(كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإنها تزهد في الدنيا و تذكر بالآخرة) رواه ابن ماجه	185
(لا نكاح إلا بولي) أخرجه البخاري	178
(لا نكاح إلا بولي وصداق) رواه البخاري	179
(لا تجعلوا قبري عيد) رواه أبو داود	186
عن ابن عمر (لا ترمى الجمار حتى تزول الشمس في الأيام الثلاثة التي بعد يوم النحر) الموطأ	174
(لا تغالوا في الكفن فانه يسلب سريعا) رواه ابو داود	192
عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم: (لعن الواصلة والمستوصلة والواشمة والمستوشمة) سنن ابن ماجه	192
عن أبي هريرة أن رسول صلى الله عليه وسلم : (لعن المرأة تتشبه بالرجال و الرجل يتشبه بالنساء) سنن ابن ماجه	192
(من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقعد على مائدة تدار عليها الخمر) رواه احمد	200
عن جابر قال : (نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تجصيص القبور) سنن ابن ماجه	186
(العلماء ورثة الأنبياء) رواه البخاري	243

(الصعيد وضوء المسلم وإن لم يجد الماء عشر سنين فإذا وجد الماء فليتق الله وليمسه بشرته) رواه البزار	188
(قاتل الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) الموطأ	186
(تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم) رواه الترميذي	259 -152

فهرس الأعلام:

– آ–

- آدم محمد علـــي العروســـي: 96- 129- 153- 169- 252
- آصف بن برخيا: 118

– أ –

- أبا حنيفة (الإمام): 178
- أبا المهاجر دينار: 80
- أبو الأنوار التنلاني: 265
- أبو بكر بن المحجوب التمنطيطي: 264
- أبو بكر الصديق: 54- 75- 78- 253- 263
- أبو بكر فلات: 79
- أبو بكر محمد زهير بن مصطفى الشاويش: 112- 128- 131- 169
- أبو داود (الإمام): 186- 192
- أبو شعيب الدكالي: 110
- أبو عبد الله غلام الله: 132- 137- 162- 163
- أبو عبيدة بن عقبة: 80
- أبو القاسم التواتي: 66
- أبو القاسم سعد الله: 89
- أبو القاسم محمد الحفناوي: 16
- أبو هريرة : 185- 186- 188- 192
- أبي الحسن علي المالكي الشاذلي: 212- 213
- أبي مدين الغوث: 186
- أبي نعيم: 150
- احمادو البوحامدي: 105- 106- 107
- احمادو بوسليم: 119
- احمد أباها: 107
- احمد بابا التمبكتي: 267
- احمد البريشي: 225
- احمد بلعيد (فرحات): 30- 32
- احمد بن الأمين الشنقيطي: 129- 169
- احمد بن بلة: 19
- احمد بن الجومي الانصاري: 107
- احمد بن حنبل (الإمام) : 181- 200- 245
- احمد بن مالـــك الطالـــب: 116- 120- 135- 148- 152- 156- 158- 196
- احمد بن مالك (مدير المعهد): 113- 164
- احمد بن مالك بن محمـــد الحســـان : 77- 99- 110- 245- 253
- احمد بن مبارك الرسموكي: 170- 186
- احمد بن محمد التهامي : 244
- احمد بن محمد بن مالك (محمد العـــم): 119- 253
- احمد بن المختار بوسعيد: 67- 107- 157
- احمد بن عبد الرحمن بكراوي: 122
- احمد بن عبد العزيز الهلالي: 247
- احمد بن موسى(الولي): 186
- احمد بن يوسف التنلاني: 262- 264
- احمد البوحامدي: 107
- احمد التيجاني: 186
- احمد جعفري: 227- 228- 234
- احمد حماني: 125- 162- 181
- احمد الحمدي: 110- 128
- احمد دحة: 25
- احمد دراية: 32
- احمد ديدي التمنطيطي: 66- 120
- احمد الطاهري الادريسي: 5- 6- 28- 36- 57- 66- 67- 85- 100- 101- 102- 103- 104- 105- 106- 107- 108- 109- 121- 130- 131- 136- 138- 216- 140- 141- 153- 158- 170- 175- 185- 186- 188- 205-

223- 224- 225- 228- 229- 232- 235-
245- 263- 266- 267- 272
- احمد ساسي: 37
- احمد سحنون: 123
- احمد الشريف الأطرش: 124
- احمد العالم بلعالم بن محمد باي: 92
- احمد العالم بلعالم بن محمد عبد القادر: 88- 165
- احمد مصالي الحاج: 17- 18- 90
- احمد المقري: 201
- احمد المنصور الذهبي السعدي: 46- 261- 267
- أحميدة عيشاوي (بلعقون): 29
- اخموك الحاج: 36
- أشهب: 135
- أصبع: 135
- الاخضـــــري: 146- 149- 146- 149-211-
212- 214- 235
- ألفا هاشم الفوتي: 78- 84- 254- 258
- الأخضر الدهمـــة المتليلـــي: 125- 166- 181-
219- 229- 260
- الأمير خالد الجزائري: 16
- الأمين زروال: 20
- الأشعري: 135
- الالوسي: 150- 159
- الاوجلي: 98- 149
- أمحمد الرقاني (الفقيه) : 106- 107- 236
- أمحمد الهاشمي: 29- 31
- أم سليم: 196
- أمعمر حني: 162
- أم كلثوم بلعالم: 92
- أم كلثوم بوبكر: 146
- اوجيرا : 23
- اولفييه قيشار: 35

- إ -

- إبراهيم باريز: 115- 126- 165
- إبراهيم ابلالي: 95- 136
- إبراهيم الخليل عليه السلام: 78
- إبراهيم بن ساسي : 123- 128- 165- 240-
242- 243
- إبراهيم بن علي المقلاتي: 124
- إبراهيم بن مجراد : 163
- إبراهيم بيوض: 35- 115- 127- 172- 175-
178- 181- 185- 188- 189- 194- 201-
203- 205
- إبراهيم حفصي: 153
- إبراهيم طرخان: 76
- إبراهيم مياسي: 57
- إبراهيم نياس : 83
- ابن أبا زيـــد القـــيراوني : 102- 147- 149-
211- 222
- ابن أجروم: 151- 230- 231- 232- 235
- ابن بابا حيدة: 5- 267- 268
- ابن جلول: 16
- ابن حجر العسقلاني: 160- 210
- ابن حمادوش الجزائري: 230
- ابن حمدون: 151
- ابن الدين الاغواطي: 3- 46
- ابن بري : 151
- ابن بطوطة : 2- 3- 9- 46
- ابن تيمية : 118
- ابن خلـــدون: 2- 3- 9- 46- 51- 80- 98-
99- 151- 267
- ابن رشد: 104- 147- 149

- ابن عاصم: 149- 216
- ابن عاشر: 98- 102- 149
- ابن عباس: 172
- ابن عبد الحكم : 80- 81
- ابن عقيل:151
- ابن عمر: 174
- ابن كثير: 150- 159
- ابن ماجه: 174- 185- 190
- ابن مالك (صاحب الألفية): 99- 151- 231- 232- 233- 234
- ابن محمد العمري: 84
- ابن هشام: 150
- إدريس الأصغر: 186
- إدريس بن الكوري: 22- 24
- إسحاق عليه السلام: 78
- إسماعيل بن عبد الله: 80
- إسماعيل العربي: 51- 52
- إسماعيل العلوي سلطان المغرب: 264

– ب –

- بادي باي الكنتي: 128
- بارث: 82
- باقي بوعلام: 28
- بان (النقيب): 24- 25
- بج مغ: 78- 79
- بحرق (العلامة): 151
- البخاري (الإمـــام): 103- 110- 150- 159- 160- 172- 178- 179- 210- 213- 226- 257
- بخت النصر: 77
- البرتلي: 258
- البركة البرمكي: 107
- البزار: 188
- البشير الإبراهيمي: 90- 112- 185
- بشير العامري: 29
- بشير مسعودي: 153
- بشير نور الدين: 32
- بغدادي: 37
- بكار بوغرارة: 113
- البكاي بن عبد الله الكنتي: 116- 131- 228
- البكري بن عبد الرحمن التنلاني: 63- 66- 214- 265- 267- 270
- بكوش (الشيخ): 115- 127
- بكير سعيد غوشت: 184
- بلاني: 30
- بلحاج بن سعيد عدون: 115
- بلقاسم ابن تامي: 16
- بلقاسم بيضاوي: 112
- بلمر (المؤرخ) : 76
- بن ضياف: 37
- بهية بن عبد المؤمن: 6
- بوتان: 89
- بودواية بودواية: 29
- بوضرغومة : 37
- بوعمامة اباجودة: 24
- بوعمامة الشيخ: 23
- بومدين سلكة: 29
- بومقارتن: 24
- بون أن الشنقيطي: 225
- بيار بوشي: 30
- بيتو: 31

- بيجار: 31- 70
- بيسي: 23

– ت –

- تامر سعيد الجوهري: 127
- الترميذي: 192- 252- 259
- التسولي: 150
- تقي الدين الهلالي: 112
- توماس ارنولد: 82
- التهامي الحاج : 28
- التهامي الزجلاوي: 108
- التهامي غيتاوي: 67- 154- 227
- التهامي مولاي: 244
- تينهينان : 52

– ج –

- جابر رضي الله عنه : 186
- جادن: 75
- جاك صوابي: 29- 31
- جباري: 37
- جعفر اولفقي (أبو عبد السلام): 126- 260
- جعفر بن أبي طالب: 78
- جلال الدين المحلى: 222
- جلول حجيمي: 163
- جمال الدين الأفغاني: 60- 90
- جورج بومبيدو: 36
- الجويني (إمام الحرمين): 222- 223
- جير هاررد رولف: 57
- الجيلالي بن أبي عمامة: 119

– ح –

- الحاج الدباغ: 153
- الحاج (قائد أتباع صف سفيان): 22
- الحبيب بن عبد الرحمن بلحبيـــب: 106- 107- 108- 122- 171
- حبيب بن عبيدة: 81
- الحبيب الحاج احمد التلولييني: 120
- الحبيب حبشي: 37
- حبيب الله عمر آل الشيخ المختار الكنتي: 85
- الحريري: 151- 233
- الحسان الانزجميري: 121- 182
- حسان بن النعمان: 80
- حسن إبراهيم حسن: 81
- الحسن التنلاني: 108
- الحسن الداخل: 186
- الحسن بن علجية: 124- 221
- حسن علوي المالكي المكي: 110
- حسن بن سعيد يماني: 111
- الحسين بن علي بن ابي طالب: 222
- الحطاب: 135- 150- 218
- حماد الأنصاري: 169
- حمادي أقاسم: 28
- حمادي البركة: 32
- حمزة بن مالك القبلـــوي: 22- 63- 65- 86- 87- 88- 242- 253- 254- 267- 270- 272
- حمزة خضران : 123
- حمو بن محمد التهامي: 244
- حيدر: 79

– خ –

- خديجة بنت محمد الحسان: 88- 92
- الخرشي: 150- 264
- الخلادي: 28

- خليفة بن حسن السوفي: 218- 219- 220
- خليل بن إســحاق: 102- 103- 104- 135- 147- 149- 150- 175- 211- 213- 216- 218- 219- 220
- خليل (الحاج): 154
- الخليل النحوي: 81- 83

– د –

- داود سليمان بن يوسف: 127- 162
- الدردير: 149- 150
- الدقاق: 103- 149- 150
- دوسور: 31
- دولينو: 31
- دونوفو: 65
- ديبو: 76
- ديغول: 18- 19- 33- 34 35
- دي كرافكار : 30
- ديدي عقباوي المالي: 131

– ر –

- راؤول سالان: 31
- رابح بن لطرش: 124- 163
- رابح بيطاط: 18
- رحمة بلعالم: 92
- الرسموكي: 150
- رشيد رضا: 60- 90
- الرقاني بن محمد التهامي: 244
- الرقاني (الولي الصالح): 157
- الرقعي: 147- 149
- روهر: 31

– ز –

- الزاوي مول الفرعة: 29
- الزبير الكبير: 124
- الزرقاني: 150
- زعرور مولاي: 28
- الزهرة بلعالم: 92
- الزهري: 186
- زهير بن قيس البلوي: 80

– س –

- ساسي لعموري: 125- 162
- سالم: 32
- سالم البلبالي: 122
- سالم بن إبراهيم: 28- 121- 143- 154- 182
- سالم فرجاني: 142
- سامية وايني: 146
- سانتياك: 31
- سبيل: 115- 128- 169
- سحنون: 213
- سعيدان التومي: 242
- سعيد بن صديق الفلاني: 255
- سعيد بن المسيب: 186
- سعيد رمضان البوطي: 181
- سعيد شيبان: 162
- السعيد غربية: 153
- سعيد قدورة الجزائري: 264
- سعيد اللحام : 202
- سعيد هرماس : 217
- سليمان بن عبد الله: 30
- سليمان حكوم: 135
- سليمان الدين: 29
- سلمان رشدي: 195- 238

- سليمان العبيدي: 115- 128
- سمرة: 190
- سنغور: 37
- السنوسي: 149
- سوستيل: 49
- السيوطي: 163
- سي الأعلى: 23
- سي الحواس: 29
- سير ريتشارد ، ف بيرتون: 77
- سيرفيار: 25
- سي سليمان: 23

– ش –

- الشافعي: 149- 223
- الشاذلي بن جديد: 20
- الشيخ بن عبد الله سويتم: 153
- الشيخ بوزيد: 28
- الشيخ عيشاوي: 32
- الشيخ قلوم: 28
- الشيخ ليتيم: 31

– ص –

- الصابوني: 159
- صالح بن محمد بن نوح :254- 258
- صالح حدبون: 127
- الصاوي: 150- 159
- الصديق حسن خان: 159
- الصديق صمادي: 144
- صحراوي: 37
- صديقي: 37
- صفية ابنة جعفر بن ابي طالب : 79

– ط–

- الطالبن المختار بن محمد الطلابي: 74- 258
- الطاهر حداد: 196
- الطيب عبد الرحيم الفلاتي: 79
- الطيب العقبي: 90
- الطيب بولحروف: 36

– ع –

- العالم (الجد الأعلى لأولاد بلعالم):88
- عائشة أم المؤمنين: 190- 191- 196
- عائشة بلعالم: 92
- عائشة بن المنوفي : 146
- عائشة يوسفي : 146- 196
- عامر بن المبروك المحفوظي : 124
- العبادي: 222
- عبد الأول الصومالي: 128
- عبد الأول الأنصاري: 169
- عبد الباري الأنصاري: 169
- عبد الحق بن عبد الكريم البكري: 264
- عبد الحق التمنطيطي: 246
- عبد الحق (الطبيب): 134
- عبد الحكيم الوائلي: 74
- عبد الحليم بن سماية: 16
- عبد الحميد بكري: 55- 95
- عبد الحميد ابـــن بـــاديس: 16- 61- 89- 90- 110- 112- 119- 127- 184- 185- 194- 197- 198
- عبد الحي الكتاني: 110
- عبد الخالق عقيد: 104- 106- 108
- عبد الرحمن : 32
- عبد الرحمن بكراوي: 95- 121- 182- 252

- عبد الرحمن بكلي: 115- 127- 179
- عبد الرحمن بلبالي: 62
- عبد الرحمن بن إدريس التنلاني: 247- 265
- عبد الرحمن بن حبيب: 81
- عبد الرحمن بن سليمان المازيني: 170
- عبد الرحمن بن عمر التنلاني : 208- 246- 247- 264- 265
- عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن عروة: 75
- عبد الرحمن بن محمد بن جعفر: 107
- عبد الرحمن بن ناصر: 120
- عبد الرحمن ثابت : 120- 153- 160
- عبد الرحمن الثعالبي : 108
- عبد الرحمن الجنتوري: 246- 265- 274
- عبد الرحمن الجيلالي: 111- 125- 181- 182- 215- 216- 229- 272
- عبد الرحمن حفصي: 28- 67- 101- 103- 106- 108- 110- 112- 118- 119- 140- 141- 152- 159- 182- 187- 189- 191- 193- 216- 227- 260- 268- 270
- عبد الرحمن السباعي: 130- 170
- عبد الرحمن السعدي: 3- 6
- عبد الرحمن سلطان المغرب: 22
- عبد الرحمن سنبه الفلاتي: 75
- عبد الرحمن سي الوافي الهيباوي: 32- 77- 253
- عبد الرحمن شيبان: 94- 116- 125- 138- 149- 162- 181- 199- 260- 268- 270
- عبد الرحمن الطالب: 127- 163
- عبد السلام: 28
- عبد السلام الأسمر بلعالم: 88
- عبد العزيز أقاسم : 28- 29
- عبد العزيز البلبالي: 264
- عبد العزيز بلخادم: 136
- عبد العزيز بن عبد الله بن باز: 181
- عبد العزيز بن موسى بن نصير: 80
- عبد العزيز بوتفليقة: 21- 32- 112- 113- 132- 133- 136- 163- 199
- عبد العزيز سلطان المغرب: 24
- عبد العزيز سيد أعمر المهداوي:121- 138- 171- 173- 174- 191- 193- 205- 227- 236- 273
- عبد القادر بكراوي : 78- 122- 182- 236- 252
- عبد القادر بن سالم المغيلي: 107- 108- 121
- عبد القادر بن صالح الداوي: 228
- عبد القادر بن عمر بن عبد الرحمن التنلاني: 264- 265
- عبد القادر بن محمد التهامي: 244
- عبد القادر بن محمد ناجي: 123- 165
- عبد القادر بوحادة: 28- 29
- عبد القادر جعفر: 221
- عبد القادر حامد لمين: 120- 152
- عبد القادر خليفي: 37
- عبد القادر ديدي: 32
- عبد القادر الزبير: 124
- عبد القادر صديق: 32
- عبد القادر فوكراش: 202
- عبد القادر قريشي: 123- 165
- عبد القادر لعروسي: 120- 146- 152- 196
- عبد القادر المجاوي: 16
- عبد القدوس بلعالم : 134
- عبد الكبير بلكبير: 122
- عبد الكبير معطلي: 37

- عبد الكريم باية: 144
- عبد الكريم بن مالك: 108
- عبد الكريم بن محمد بن محمد بن عبد الكريم البكري: 66
- عبد الكريم بن محمد التيماوي: 179-180
- عبد الكريم الجزولي: 123
- عبد الكريم الحاجب البكري: 5
- عبد الكريم الدباغي: 122- 154- 182- 193- 260- 268- 270
- عبد الكريم الفكون: 201
- عبد الله البداوي: 22
- عبد الله البلبالي بن احمد الحبيب: 63- 265
- عبد الله بلهوشات : 29- 32
- عبد الله بن احمد الفلاني: 85
- عبد الله بن الحبحاب: 80
- عبد الله بن خدة: 28
- عبد الله بن موسى بن نصير: 80
- عبد الله حامد لمين: 95- 105- 120- 151- 152- 158- 160- 174- 245
- عبد الله الرقاني: 24
- عبد الله السيحمو: 32
- عبد الله الطاهري : 108- 121- 136- 182- 191- 211- 252- 260
- عبد الله عرابي: 101- 107
- عبد الله فودي: 75- 78- 254- 255- 256
- عبد الله مولاي: 244
- عبد الله المنوفي: 92
- عبد الله ناجي: 115- 129
- عبد المجيد تبون : 37
- عبد المجيد قدي: 115- 128- 156- 164- 239
- عبد المعطي بن عبد الله السباعي:130- 170- 241
- عبد الملك بن الإمام : 101- 107
- عبد الملك بن حبيلس : 113
- عبد الملك بن موسى بن نصير : 80
- عبد الملك سلال : 37
- عبد الوهاب السباعي: 130
- عثمان برايما باري: 82
- عثمان بن عفان: 262
- عثمان بن عقبة: 80
- عثمان تورو: 79
- عثمان دان فودي : 78- 249- 254- 255- 256- 257- 258
- عثمان مولاي: 244
- العربي التبسي : 90
- العربي فرجاني: 142
- العربي قادة بلقاضي: 28
- عز الدين عباسي السوفي: 124
- العصنوني : 163- 264- 265
- عطية بن مصطفى مسعودي: 124
- عقبة بن نافع: 3- 53- 78- 79- 80- 81- 82- 83- 252
- علال بيتور : 28
- علوي المالكي المكي : 111
- علي بن أبي طالب : 192
- علي البوديلمي : 110- 111- 245
- علي حناني: 30- 32
- علي دبوز: 203
- علي سعد: 37
- علي الشريف السجلماسي: 263

- علي شنتير: 162
- علي عياض: 165
- علي غردو: 79
- علي فياض: 123
- علي المغربي: 162
- عمار: 106
- عمار اوزقان: 16
- عمار فرجاني: 140- 142
- عمار المختار الاخضري: 129
- عمر بن الخطاب : 54- 78- 253
- عمر بن عبد الرحمن التنلاني(عمر الأصغر): 264
- عمر بن عبد القادر التنلاني (عمر الأكبر): 247- 264- 265
- عمر بن مالك: 153
- عمر بن محمد فلاته: 84
- عمر حسن فلاته : 254- 252
- عمر الدهبي: 107- 122
- عمر دردو: 79
- عمر الزرهوني (بوحمارة): 24
- عمر الفاروق الفلاني : 255
- عمر فلاته: 247- 248- 252
- العمريطي : 150- 223
- عومر باريز (بومعقل) : 126

- العياشي(أبو سالم): 2- 3- 10- 46- 57- 267
- عياض بن عقبة: 80
- عياض (القاضي): 150
- العيد حجاج المنيعي: 108- 123
- عيساني شويشي: 32
- عيسى القرافي حفصي: 263
- العيني: 160

– غ –

- غرغاو: 79
- الغزالي: 150

– ف –

- الفارعة بنت اسعد: 190
- فارو: 255
- فاطمة شلفو: 79
- فاطمة فرجاني: 92
- فاطمة معمري: 92- 93
- فرج محمود فرج: 261
- فرحات عباس: 16- 17- 18- 28
- فضيل بن شرايرر: 31
- الفقي: 107
- فيلا: 79
- فلامون : 23- 24
- فلة: 75
- فولو: 79
- فيج: 76

– ق –

- القابسي: 135
- قادة قدوري : 29
- قدور لكصاصي: 32
- القرافي: 104
- القرطبي: 150- 159

– ك –

- كمال عزوز: 153
- كميم: 37
- كسيلة: 78- 80

- كريم بلقاسم: 18
- كريميو : 48
- كريمة بن منوفي: 146

– ل –

- لافريار: 23- 24
- لوطفي (العقيد): 29
- ليون الإفريقي (الحسن الوزان): 8- 10- 46
- اللقاني :149

– م –

- مارتان: 3
- مارسيل بيرتون: 18
- مالك بن انـــس (الإمـــام): 110- 125- 135- 149- 150 - 160- 164- 172- 175- 186- 210- 211- 212- 215- 216- 222- 229- 235- 245
- مالك بن العربي: 112
- مبارك بلحبيب: 107
- مبارك بن مولاي عبد الرحمن: 101
- مبارك قدي: 153
- مبارك الميلي: 52- 90
- المبروك بليوز :37- 112
- المبروك زيد الخير الاغواطي : 239
- مبروك المصري: 95- 128- 189- 260
- مبروك مقدم: 239
- مبروكة بلعالم: 92
- محفوظ الشنقيطي: 129- 169
- محفوظ نحناح: 124- 131- 132- 169
- محمد عليه الصلاة والسلام: 57- 78- 87- 93- 94- 99- 102- 103- 110- 111- 112- 115- 156- 160- 164- 167- 168- 169- 172- 174- 181- 185- 186- 187- 188- 190- 192- 195- 196- 200- 201- 209- 211- 212- 213- 215- 218- 219- 222- 223- 224- 225- 226- 230- 231- 232- 233- 238- 242- 244- 245- 252- 258- 265- 267- 272
- محمد أبي نعامة الكنتي: 63- 166- 265
- محمد ارشوم: 126
- محمد احمد الادواعلي: 86
- محمد الأندلسي: 37
- محمد الأمين القريشي: 210- 222
- محمد باي بن عمر الكنتي: 87- 88
- محمد باي بن مالك: 95- 136- 153
- محمد البخاري بن ساسي: 123- 165
- محمد البركة بن عبد الرحمن : 120
- محمد البشار : 216
- محمد البشير الفرجاني: 237- 238
- محمد بكاري: 122
- محمد البكري بن عبد الكريم الامريني: 264
- محمد بلهامل (مامو): 108- 122
- محمد بلو: 78- 79- 254- 255- 256- 256- 258
- محمد بن أب قادي قدي: 153
- محمد بن أب المزمري : 62- 212- 227- 230- 231- 232- 233- 234- 150- 257- 260- 264- 265- 267- 270- 274
- محمد بن أبي زيان: 186
- محمد بن أبي القاسم الغماري : 179
- محمد بن احمد الحبيب البلبالي: 22
- محمد بن احمد المختار بلعالم: 254
- محمد بن إسماعيل القراري: 265
- محمد بن بادي الكنتي: 131-174- 175- 176 - 186- 205- 210- 213- 217- 218- 219- 220- 222- 224- 227- 231- 232- 233- 267

- محمد بن باحمو: 107
- محمد بن الحرمة: 122
- محمد بن عابدين بن احمد البكاي: 237
- محمد بن العالم الـــزجلاوي: 62- 208- 213- 227- 247- 265- 274
- محمد بن عبد الحق التمنطيطي: 179- 180
- محمد بن عبد الرزاق الصانع: 129
- محمد بن عبد القادر العالمي: 120
- محمد بن عبد الكريم بكراوي: 120- 265
- محمد بن عبد الكريم التمنطيطي: 4 - 122
- محمد بن عبد الكريم المغيلي: 163- 164- 224- 225- 239- 246- 248- 257- 264- 265
- محمد بن عبد الله الشريف الوزاني: 264
- محمد بن عبد الرحمن المكي بلعالم:91- 92- 98- 99- 254
- محمد بن علوي المـــالكي المكـــي: 111- 169- 245- 272
- محمد بن عمار بن محمد بن احمد الحبيب: 247
- محمد بن عمار فرجاني: 143- 144
- محمد بن عمر الجعفري: 3
- محمد بن عمر فلاته: 115- 129- 169- 247- 252
- محمد بـــن الكـــبير: 27- 28- 66- 67- 120- 121- 131- 138- 171- 172- 173- 179- 180- 182- 191- 193- 205- 214- 236- 266
- محمد بن مالك: 86- 254- 273
- محمد بن مبارك: 3
- محمد بن المبروك البداوي: 264
- محمد بن محمد بن احمد الحبيب البلبالي : 66
- محمد بن محمد الحسان بن مالـــك: 88- 123- 165
- محمد بن محمد دادة : 119
- محمد بن محمد العابد بن مالك: 153
- محمد بن محمد العالم: 254
- محمد بن محمد الفطيسي: 222
- محمد بن محمد المختار بن مالك: 107- 119
- محمد بن محمد وايني: 119
- محمد بن مورد الفلاني: 84
- محمد بن ناصر لخزيم: 115- 129
- محمد بن يوسف اطفيش: 185
- محمد بوضياف: 18- 20
- محمد التهامي: 244
- محمد التهامي الحينوني: 66- 119- 140
- محمد ثنب: 258
- محمد جغابة : 29
- محمد حامدين النيجيري : 153
- محمد الحجوي: 110
- محمد الحســـان بلعـــالم:88- 91- 100- 101- 102- 134
- محمد الحسان بن مالك القبلوي: 63- 66- 88- 253- 266
- محمد حكومي: 29
- محمد حوتية: 95- 117- 127- 260- 269
- محمد الدباغ : 95- 116- 117- 127- 204- 216- 227- 252- 258- 260- 270
- محمد الدكالي: 123
- محمد الراضي: 179
- محمد الرصاع الأنصاري: 3
- محمد الزاوي: 119- 237- 240
- محمد سمبو الكلوي: 77
- محمد الشريف مساعدية : 29- 32

- محمد الشيباني بن احمد الشنقيطي: 178
- محمد الشيخ بلحاج: 127
- محمد الصالح بن عتيق: 164
- محمد الصالح الصديق: 111
- محمد الصالح (عريان الرأس): 2
- محمد الصالح القسنطيني: 179- 180
- محمد الطالب احمد: 112
- محمد الطاهر ايت علجت: 116- 125- 163- 181- 183- 216- 227- 252- 260
- محمد الطاهر التليلي: 209
- محمد عابد : 182
- محمد عبد الرحمن بلعالم: 88- 91- 100- 101- 102
- محمد عبد الرحمن بن احمد بن مالك: 99
- محمد عبد الرحمن السكوتي: 63- 66- 86- 224- 225- 227- 242- 253- 266- 272
- محمد عبد الرحمن عبد اللطيف: 78
- محمد عبد القادر بلعالم: 63- 66- 67- 86- 87- 88- 91- 92- 98- 100- 102- 122- 123- 165- 185- 212- 223- 242- 243- 253- 266- 272
- محمد عبد القادر بن محمد باي : 92
- محمد عبد الكريم : 180
- محمد عبد الكريم المغيلي المنوفي: 77- 99- 253
- محمد عبد الله بن محمد باي بلعالم: 92
- محمد عبد الله بن محمد عبد القادر بلعالم: 88- 165
- محمد عبده : 60- 90- 194- 119- 159
- محمد العربي بن مهيدي: 18
- محمد علي الأمين الشنقيطي: 129- 169- 210- 222- 252
- محمد علي بختي: 160
- محمد علي المنصوري القبلوي: 122
- محمد عمار بابا: 254
- محمد فلاته: 115- 129- 169
- محمد فلان: 79
- محمد قدي: 160
- محمد قوي الفلاني: 255
- محمد كتو: 162
- محمد لقصاصي: 120- 152- 158
- محمد متوكل: 32
- محمد متولي الشعراوي: 178- 181- 186- 205
- محمد المختار صمادي : 152
- محمد محبوب: 112- 123
- محمد محمد صقر: 130- 138- 169
- محمد محمود بن الشيخ: 36
- محمد محمود الشنقيطي: 265
- محمد المرموري: 115- 126
- محمد ناجي النعيمي : 123- 165
- محمد نسيب : 123
- محمد نياس : 83
- محمد يحي (محمد بن الكرار الشنقيطي): 169- 239
- المختار أبو سعيد: 107- 122
- المختار بن محمد بن عبد القادر بلعالم: 153
- المختار بن المصطفى: 22
- المختار الكبير الكنتي: 63
- مدني المقود: 153
- مراد ديدوش: 18
- المراغي : 150- 159
- مروان بن محمد (الخليفة الأموي): 81

- مروان بن موسى بن نصير: 80
- مريم ابنة عمران: 118
- مسعود بن ناصر: 4
- مسعود بن وانة المغراوي: 52
- مسعود جاري: 37- 113
- مسلم (الإمام): 110- 147- 150- 156- 159- 160- 172- 187- 200- 210- 213- 226
- مصباح لحويدق: 124- 125
- مصطفى اسطنبولي: 124
- مصطفى الأشراف: 60
- مصطفى بن بولعيد: 18
- مصطفى برناوي (أبو أسامة): 96- 117- 129- 169
- مصطفى خلات : 153
- مصطفى السنوسي : 123
- مصطفى بوضربة: 16
- معاوية بن أبي سفيان: 79
- معروف بن يوسف التنلاني: 264
- المكودي : 151
- منيسترال: 25
- المهدي أبا جودة: 24
- المهدي البوعبدلي : 163
- المهدي عيني : 101- 107
- المهدي ملك الموحدين : 4
- المهدي (ممول المدرسة الطاهرية): 101- 102
- موريس فيوليت: 50
- موديبو كيتا: 37
- مولاي الحاج شيخ (مدرسة تسفاوت): 180- 238
- موسى بن السعدي: 76
- موسى بن عقبة بن نافع: 80
- موسى بن نصير: 80- 78
- موسى مكركب ابران: 125- 137- 169
- موسى كنكن: 3- 10- 54
- مولاي هيبة التنلاني: 265
- مولود بن الموهوب: 17
- مولود قاسم نايت بلقاسم : 161
- ميارة: 150
- ميشال دوبري: 35
- ميلكو: 36- 67

– ن –

- نابليون الثالث: 50
- ناصر بونيف: 95- 126- 219- 220
- ناصر المرموري: 115- 126- 165
- ناصر (المفتش): 122
- نافاتا: 256
- نبيل العايب: 153
- نصيرة بلعالم: 92
- النعيم الرحالي: 124 - 165
- نواري نوار: 29

– هـ –

- هادي حسن حمودي: 75
- هارون الرشيد: 54
- هانو (حنون): 77
- الهام محمد علي ذهني: 75
- همادة بن الميمون الاغاغي: 131
- هنري بيسويل: 23
- هواري بومدين: 19- 20- 39
- هيبة الله بن هاشم: 135

- هيرودوت: 2

- و -

- الوالي بن دوينة الوهراني: 125- 169
- الورتلاني: 246

- ي -

- يزيد بن عقبة: 79
- اليزيد بن مبارك: 120
- اليزيد بن معاوية بن أبي سفيان: 80
- يحي بن ايدير: 264
- يحي بوعزيز: 81
- يونغا: 256
- يوســـف بلمهـــدي: 57- 126- 137 - 163 166- 252- 270
- يوسف القرضاوي: 181- 205

فهرس الأماكن والبلدان:

– آ –

- آسيا: 19- 72

– أ –

- ادرار (إقليم توات): 1- 2- 3- 4- 5- 6- 7- 8- 10- 11- 12- 13- 15- 21- 23- 24- 25- 26- 27- 28- 29 - 32- 33- 34- 36- 37- 41- 44- 45- 46- 47- 48- 50- 51- 52- 53- 54- 55- 56- 57- 58- 59- 62- 63- 65- 66- 67- 68- 69- 70- 71- 72- 74- 85- 86- 88- 90- 95- 101- 103- 105- 109- 112- 121- 124- 127- 131- 132- 138-139- 143- 144- 145- 154- 156- 159- 162- 163- 164- 165- 166- 271- 176- 177- 179- 180- 182- 184- 191- 193- 199- 184- 205- 2213- 214- 224- 227- 229- 230- 234- 236- 238- 246- 247- 248- 250- 252- 253- 259- 260- 261- 262- 263- 264- 265- 266- 267- 268- 269- 270- 271- 272- 273- 274
- ادرار شمال السنغال: 76
- ادرار (مدينـــة) : 25- 26- 27- 28- 59- 67 120- 121- 122- 135- 171
- ادغا: 52
- اركشاش: 10
- اروان: 47
- ازواد: 36- 44- 46- 55- 63-266
- أسبع: 8- 44
- اعباني: 86
- اقبلـــي: 7- 9- 12- 24- 25- 44- 47- 53- 62- 63- 85- 87- 88- 90- 91- 101- 120- 135- 141- 144- 157- 163- 167- 254- 272
- اقدز (اقدس): 154
- أقبور : 51
- الأبيض: 22
- الأردن: 88
- الأندلس: 76
- الاغواط: 3- 42- 144- 162- 165
- ألمانيا: 88
- انزجمير: 8
- اوداغشت: 77- 81
- أولاد الحاج: 9
- أولاد سعيد: 8- 62
- أوروبا: 11- 33- 38- 49- 88- 89- 272
- اوقروت: 8- 31- 243
- أولف: 9- 13- 24- 25- 26- 28- 41- 44- 47- 50- 54- 59- 106- 108- 109- 112- 115- 119- 124- 125- 126- 127- 128- 130- 131- 132- 135- 136- 140- 143- 144- 153- 154- 156- 157- 158- 160- 166- 167- 177- 189- 190- 196- 198- 199- 203- 205- 239- 240- 241- 244- 250- 213
- أوغندا: 37

– ا –

- إثيوبيا: 37
- اسطنبول: 265
- ايطاليا : 88
- إفريقيـــــا: 10- 19- 72- 75- 76- 79- 80- 82- 83- 85- 138- 143- 249- 253- 254- 271
- إفريقيا الغربية (السودان الغربي): 10- 47- 55- 63- 74- 76- 77- 81- 82- 83- 84- 85- 131- 176- 228- 239- 249- 250- 252- 255- 256- 257- 271

- إفريقيا الوسطى: 83- 84
- إقليم عين الصفراء: 26
- إقليم الواحات: 26
- امقيدن: 51
- اليزي : 144- 165- 199
- ايقسطن: 24
- اينغر (عـــين غـــار): 24- 25- 33- 34- 85- 144- 154- 248

– ب –

- باحو: 56
- باريس: 34
- باعمر (قصر): 27
- باكستان: 167
- بجاية: 144- 154
- برج باجي مختار: 10- 33- 43- 44
- برنكان: 54
- بريان: 115
- بريطانيا: 88
- بسكرة: 112- 124- 144- 154
- بشـــــار : 7- 10- 101- 133- 144- 154- 165- 186- 199- 261- 262
- البقاع المقدسة (الديار المقدســة): 122- 129- 166- 169- 188- 214- 228- 272
- البقيع: 168
- بلاد التكرور: 63- 81- 247
- بلاد الزاب: 80
- بلاد الســـودان: 2- 3- 8- 10- 42- 43- 44- 45- 47- 54- 55- 76- 77- 51- 91
- بلاد السنغاي: 46
- بلاد المهدي: 140
- بلاد المغرب(المغرب العربي): 3- 11- 12- 40- 51- 53- 65- 79- 80- 81- 109- 110- 114- 117- 149- 161- 170- 172- 205- 218- 272
- بلاد ونغارة: 79
- بلاد الهوسا: 76- 79- 255- 256
- بلكور : 154
- بلكين: 163
- بني ثور: 87- 88- 113
- بني عباس : 11
- بنين : 84
- بني ونيف: 154
- بودا: 2- 8- 12- 13- 52- 56- 62
- بورنو: 76- 79
- بوركينا فاسو (فولتا العليا): 81- 84
- بوعلي: 54
- البويرة: 124- 144- 222
- بوش: 256
- بيش: 22
- البيض: 7- 10- 29- 42- 126- 144- 154- 261- 262
- البليدة: 124- 144

– ت –

- تادمايت: 23
- التارقية برقان: 157
- تافيلالت: 52
- تبلكوزة: 4- 8- 31
- تسابيت: 2- 8- 10- 11- 46- 52- 54
- تسفاوت (فنوغيل): 4- 8- 11- 12- 52- 182
- تشاد: 23- 34- 40- 66- 76- 81- 83- 84- 249- 250- 262-

- تشرنوبيل: 34
- تشيت: 85
- تقراف: 9- 152
- تقرت: 3- 4
- التكرور: 79- 85
- تلمسان: 2- 144- 165- 167- 186
- تنـــزروفت: 10- 11- 12- 13- 23- 51-
- تمبكتـــــو: 33- 36- 42- 44- 45- 47- 62- 85- 253- 267
- تمقطن: 9- 140- 141- 144- 167
- تمنراست (الهقـــار): 4- 7- 10- 23- 33- 34- 35- 42- 44- 47- 66- 85- 119- 122- 127- 144- 162- 164- 165- 167- 188- 248- 254- 261- 262
- تنركوك: 8- 10- 29- 43- 44
- تمنطـــيط: 2- 8- 12- 21- 42- 44- 52- 62- 63- 66- 78- 120- 163- 253- 267
- تندوف: 7- 10-261- 262
- توات الوسطى(واد الحنـــاء): 8- 9- 10- 11- 12- 13- 22- 24- 25- 27- 43- 52- 66- 85- 144- 158- 199- 247- 259- 260- 268- 269
- تودني: 44
- تونس (افريقية): 9- 79- 80- 83- 88- 171- 202
- تهودة : 80
- تيارت: 4- 144
- تيـــديكلت: 4- 8- 9- 10- 2- 22- 23- 24- 25- 26- 43-54- 63- 66-85-90- 139- 156- 227- 247- 253- 259- 260- 261- 268- 269
- تيزي وزو: 124- 162- 165- 248
- تـــــيط: 9- 24- 25- 51- 52 - 119-141- 144- 167
- تيمادنين: 13- 85- 254
- تيمياوين: 43
- تيمي: 12- 24- 236
- تيميمون: 3- 8- 12- 25- 26- 27- 28- 29- 30- 31- 32- 41- 44- 51- 54- 62- 67- 122
- تينلاف: 54
- تينلان: 163
- تيوت: 22

- ج -

- الجامع الأخضر: 127
- جامع الزيتونة: 110
- جامع الشيخ احمد التيجاني: 171
- جامع القرويين: 171
- جامع القيروان: 79
- الجامعة الاســـلامية: 115- 129- 169- 247- 252- 254
- الجامعة الإفريقية: 68
- جامعة وهران: 127- 163
- الجديد (حي): 136
- الجحفة: 172
- جـــدة:121- 124- 128- 167- 171- 172- 183- 205- 214- 270
- الجزائر : 1- 4- 10- 15- 16- 17- 18- 19- 20- 21- 22- 23- 26- 30- 31- 33- 36- 37- 38- 39- 40- 48- 49- 50- 52- 55- 60- 61- 67- 70- 71- 72- 85- 86- 88- 89- 90- 98- 109- 115- 117- 118- 124- 125- 126- 127- 130- 132- 136- 138- 161- 170- 171- 176- 180- 184- 185- 188- 194- 200- 201- 202- 203- 216- 220- 227- 229- 236- 247- 248- 250- 252- 253- 258- 261- 271- 273

- الجزائـــر العاصـــمة: 7- 17- 39- 89- 124- 132- 143- 144- 161- 162- 165- 167-
- الجزيرة العربية: 53- 74- 77- 82- 83
- الجلفة : 124- 165- 199
- جنوب إفريقيا:21
- جنوب اقبلي: 44
- جنوب البرتغال: 34
- جنوب الجزيرة العربية: 53
- جوبير (إمارة): 256

- ح -

- حارة بني نافذ: 79
- حارة يحصب: 79
- حاسي بوخلالة: 31
- حاسي تاسلغة: 30- 31
- حاسي صاكة: 29- 30
- حاسي علي: 31
- حاسي مسعود: 33
- حاسي غمبو: 30- 31- 32
- الحجـــاز: 62- 84- 117- 169- 247- 250- 254
- الحمودية: 33- 34

- د -

- دار الثقافة : 69
- دار الحديث: 129
- دار هومة: 251- 259
- دارفور: 84
- درعة: 3
- دالي إبراهيم: 89
- دلدول: 25- 108

- ذ -

- ذا الحليفة: 172
- الذراع: 55

- ر -

- الرباط: 239
- رحبة الأنصار: 79
- رحبة القرشيين: 79
- الرصاني: 186
- رقـــان: 8- 9 - 12- 13- 28- 33- 34- 35- 36- 41- 42- 51- 52- 54- 59- 66- 67- 100- 151- 157- 199- 254- 262- 266
- الركينـــة: 9- 112- 140- 141- 142- 155- 156- 196

- ز -

- زاجلو: 85- 101- 265
- الزاوية البكرية : 64
- زاوية أبي نعامة الكنتي: 10- 63- 64- 263
- زاويـــة حينـــون :9- 64- 112- 140- 141- 147- 155- 156- 160- 263
- زاوية الدباغ : 54
- زاوية الرقاني : 64- 263
- زاوية كنته: 8- 42- 44- 53- 54- 56- 59- 62- 64- 66- 67- 263
- زاوية المحارزة:101
- زاوية المغيلي: 64
- زاوية مولاي هيبة: 9
- زمغارا : 255- 256

- س-

- ساهل (حـــي): 10- 28- 54- 56- 66- 87- 99- 254
- ساحل العاج: 84

- ســـالي: 28- 54- 56- 66- 99- 100- 101- 106- 107- 109- 120- 138- 266- 263- 272
- سجلماسة: 3- 5- 51- 53- 62- 81- 264
- سجوما: 80
- سطيف: 144
- سعيدة : 144
- سفيسفة: 22
- سمعون: 22
- الســـــنغال: 76- 81- 83- 84- 169- 249- 253
- سنغي: 79
- سيدي بلعباس: 144
- سيراليون: 84
- الســـــودان: 74- 81- 84- 88- 158- 250- 253
- السودان الأوسط: 256
- السودان الشرقي: 66
- سوريا : 76- 88
- السوس الأقصى: 55-80- 81
- سوق اقبلي: 46
- سوق تمنطيط : 46
- سوق تيميمون : 46
- سوكوتو : 256
- سويسرا: 36
- سويقة العزي: 212

– ش–

- الشارف (قصر): 51
- الشام: 77
- الشلالة: 22
- الشلف: 144
- شمال افريقيا: 53- 59- 78- 240
- شمال نيجيريا: 255- 257
- شرق إفريقيا: 84
- شروين: 8- 11- 25

– ص –

- صالبي: 18
- صحراء ادغاغ :47
- الصحراء الإفريقية: 6- 13- 271
- صحراء توات: 77
- الصحراء الجزائرية (جنوب الجزائر): 5- 6- 15- 19- 26- 31- 33- 35- 36- 37- 39- 40- 51- 52- 82- 141- 160- 216- 239- 250- 253- 258- 259- 271
- صحراء سيناء :77
- صحراء مالي :166
- صحراء المغرب الأقصى: 4
- صحراء موريتانيا: 4
- صعيد مصر: 76

– ط –

- طرابلس:9- 47
- طلمين: 25

– ع –

- العراق: 79- 88
- عسلة: 22
- العلوشية: 100- 101- 107
- عمنات: 141- 152
- عنابة: 20- 144- 167
- عين إبراهيم بورقلة :87
- عين بلبال: 56
- عين الدفلة: 144- 164- 165

- عين سفيسفة: 22
- عين صـــالح: 3- 4- 7- 9- 10- 23- 24- 25- 26- 33- 42- 54- 85- 113- 119- 126- 135- 140- 144- 199- 154- 158- 237- 240- 261
- عين الصفراء: 22

– غ –

- غانا: 37- 262
- غانا (مملكة): 45- 79- 81
- غدامس: 79
- غرداية (ميـــزاب): 7- 10- 35- 115- 123- 144- 154- 165- 175- 176- 199- 203- 248- 261
- غرميانو : 51
- غليزان: 144
- غمبيا: 84
- غينيا: 37- 84
- *غينيا بيساو:* 84

– ف –

- فاس: 21- 23- 62- 80- 171- 179- 186- 247- 264
- فاتيس: 29
- فجيج (فقيق): 12- 22- 51
- فرنســـــا: 15- 16- 19- 22- 23- 24- 26- 31- 33- 34- 35- 36- 37- 38-39- 47- 49- 50- 59- 60- 70- 71- 158- 261- 262- 266- 271
- فزان: 79
- فقارة الزوا : 9- 24- 261

الفقيقرة(فقارة عبد القادر): 24

- فلسطين : 20
- فوتاتورو: 79- 83249- 253- 255
- فوتاجالون: 83- 249- 253

– ق –

- قاوة : 32- 33- 42- 44
- القاهرة: 212
- القرارة: 45-155
- قرن القصعة: 32
- قرن المنازل: 172
- قسنطينة: 15- 17- 48-127
- قصبة أولاد سيدي الشريف: 101
- قصبة السيد: 9
- القصر (حي باقبلي): 87
- القصر (حي بورقلة): 87
- قصر الشيخ: 85
- قصطلية: 79
- قفصة: 79
- القنادسة: 154- 186
- قـــورارة (تينجـــورارين): 2- 8- 9- 10- 11- 12- 22- 23- 24- 25- 28- 44- 51- 52- 53- 54- 59- 141- 247- 259- 260- 261- 268- 269
- القيروان: 79- 80

– ك –

- كاتاجدام: 256
- كاتسينا: 256
- الكامرون: 76- 84
- كانو: 59- 256
- كرزاز: 186- 261
- كسام: 163
- كل السوق: 78

– ل –
– لبنان : 76- 82
– لحمر: 11
– لمطارفة: 25
– ليبيـــــا : 47- 63-77- 79- 80- 88- 171- 202- 265- 266
– م –
ماطريون: 51- 56
– مالي : 7- 27- 32- 33- 36- 40- 42- 44- 46- 47- 62- 63- 74- 77- 79- 81- 83- 84- 85- 86- 144- 266- 253- 250
– مالي (مملكة): 45- 54
– المخادمة: 87
– المدينة المنورة (طيبة): 5- 74- 84- 85- 107- 112- 114- 115- 128- 129- 167- 168- 169- 170- 172- 173- 226- 235- 247- 254
– المدية:161
– مراكش: 62- 130- 170- 186- 241
– المركز الوطني للمخطوطات: 69
– مستشفى ابن سيناء: 135
– مستغانم: 49- 125
– مسجد انس بن مالك بزاويـــة حينـــون: 112- 140- 147- 155- 156- 157- 158- 160
– مسجد أولاد عبد الواحد: 107
– مسجد أولاد عريمة بورقلة: 123- 156- 165
– مسجد أبي يعقوب الورجلاني: 156- 165
– مسجد البخاري بعمنات: 152
– مسجد الجيلاني بادرار: 121- 164
– المســـجد الحـــرام: 115- 128- 129- 130- 167- 169- 254
– مسجد زين العابدين بوهران: 124- 156- 165
– مسجد فرافور بالبويرة : 124
– المسجد العتيق بتمنراست : 66
– المسجد العتيق بورقلة: 88
– مسجد عزي بورقلة: 126
– مسجد قباء: 168
– مسجد القبلتين : 168
– مسجد مصعب بن عمـــير: 134- 142- 147- 155- 158
– المشرق العـــربي: 49- 65- 110- 112- 118- 205- 272
– المسجد النبوي: 115- 116- 128- 129
– مصر: 62- 74- 76- 80- 88- 119- 130- 149- 167- 169- 171- 172
– معسكر: 144
– المغرب الأدنى: 80
– المغرب الأوسط: 80
– المغرب الأقصى: 21- 22- 23- 25- 28- 36- 52- 55- 56- 62- 66- 70- 77- 80- 88- 105- 106- 107- 110- 130- 158- 170- 171- 186- 202- 228- 264- 266
– مغارة أغزر: 51
– مغنية: 199
– مقبرة حي الجديد: 136
– مكة المكرمـــة: 74- 84- 126- 128- 132- 167- 172- 173- 214- 253
– مكتبة أهل الحديث: 115- 129
– مكتبة المســـجد النبـــوي: 116- 129- 168- 169- 170- 254- 255
– مكتبة الملك عبد العزيز: 129- 169
– مكناس: 171
– ملوكة: 62- 63
– مليانة: 161

- المملكة العربية السعودية: 115- 128- 158- 166- 172- 252- 253
- مملكة مالي: 45- 54
- مملكة غانا: 45
- المنصور (حي): 10
- المنطقة التلية: 38
- منى:167- 168- 173
- المنيعة: 10- 12- 42
- موريتانيا (شنقيط): 7- 10- 74- 77- 83- 84- 85- 86- 88- 144- 169- 202- 228- 249- 253

- ن -

- نجامينا: 34
- النعامة: 95- 126- 144- 261- 262
- النيجر: 33- 40- 42- 46- 47- 81- 84- 143- 144- 154- 253
- نيجيريا: 59- 75- 76- 84- 250- 253- 256

- هـ-

- الهضاب العليا: 38
- الهند: 77
- الهند الصينية: 31- 33
- هيروشيما: 34

- و-

- واحات الساورة: 32- 35
- الوادي (وادي سوف) : 92- 144
- وجدة: 2
- ودان: 79- 85
- ورقلة : 3- 23- 24- 26- 53 - 63- 66- 85- 87- 88- 113- 115- 122- 123- 124- 126- 128- 135- 142- 144- 154- 156- 162- 165- 166- 188- 199- 215- 240- 248- 253-261- 262- 266
- ولاته: 85
- الولاية الخامسة: 29
- الولاية السادسة: 29
- ولاية الواحات: 35
- وهران: 15- 39- 124- 144- 156- 161- 165- 166- 188

- ي -

- اليابان:7- 34
- يلملم: 172
- اليمن: 77- 253

فهرس القبائل والمجموعات:

– آ–

- آل البيت: 83
- آل تنيلان: 264
- آل جعفر: 192
- آل الشيخ المغيلي: 105
- آل فلان:84
- آل فودية: 78
- آل المختار الكنتي الكبير: 131
- آل نياس: 83

– أ –

- أعيان مدينة أولف: 140
- أقباط مصر: 76
- الأتراك العثمانيون: 38- 55
- الأحرار: 56
- الادارسة: 54
- الأشراف: 56
- الأفارقة: 54- 55- 71- 86
- الأمريكيون: 3
- الأنصار: 54- 77- 85-253- 262
- الأوربيون: 3- 48- 49- 50- 55- 70
- أهل ادرار: 9
- أهل ازواد : 36
- أهل أولف: 198
- أهل تمبكتو: 36
- أهـــل تـــوات: 21- 24- 28- 57-98- 185- 227
- أهل جدة : 172
- أهل الحجاز: 85
- أهل الشام: 172
- أهل شنقيط: 74
- أهل عين صالح: 24- 140
- أهل الكهف: 118
- أهل المدينة: 172
- أهل مصر: 149
- أهل المغرب: 78- 82- 117
- أهل نجد: 172
- أهل اليمن: 172
- أهالي اينغر: 25
- أهالي تيميمون: 30
- أولاد أبي بكر الصديق: 253
- أولاد بلعالم: 63- 85- 253- 254- 272
- أولاد بن سليم: 55
- أولاد بن مالك: 63- 85- 253- 254- 272
- أولاد حسين: 55
- أولاد حفصي: 263
- أولاد الرقاني: 85
- أولاد زنان: 25- 43- 47- 54
- أولاد ساسي: 123
- أولاد السي حمو: 101
- أولاد الصابون: 85
- أولاد عبد الجليل: 2- 262
- أولاد عثمان :85
- أولاد عزي: 85- 253
- أولاد عليش: 52
- أولاد علي الشريف السجلماسي : 263
- أولاد المختار: 43
- أولاد نايل: 124
- أولاد يحي: 54

– ب –
- البرامكة: 54- 85- 86
- البربر: 6- 51- 54- 56- 71- 76- 80- 86
- البربر البتر: 82
- البمبارا: 249- 255
- بنو أمية (الأمويون): 54- 262
- بني سليم: 52- 53- 82
- بنو العباس: 54
- بني هلال: 52- 53- 82
- بني يفرن: 52
- البورنو: 249
- البيزنطيون: 55

– ت –
- التكارنة (التكرور): 6
- التوات: 3
- التوردي: 78

– ج –
- الجالية الاسبانية: 48
- الجالية الايطالية: 48
- الجالية اليهودية: 48
- الجزائريين: 15- 16- 38- 39- 40- 49- 50- 70- 71

– ح –
- الحفصيون: 54
- الحراثين: 56

– خ –
- الخنافسة: 53
- الخوارج:217

– ذ –
- ذكوان: 52
- ذوي حسان: 53
- ذوي عبيد الله : 2- 53
- ذوي منصور: 53

– ر –
- الروم (الرومان): 38- 55- 80

– ز –
- زناتة: 52- 53- 54- 82

– س –
- السوفيين: 85

– ش –
الشعانبة: 54

– ط –
- الطوارق (التوارق): 3- 9- 23- 35- 36- 52- 58

– ع –
- العبيديين: 21
- العرب: 53- 56- 71- 74- 77- 86
- العرب الفاتحون: 55- 78
- العلويون: 54- 86

– ف –
- الفنيقيين: 55

– ق–
- قبائل إفريقيا الغربية: 74
- قبائل أقباط مصر: 76
- قبائل بحيرة تشاد: 74
- قبيلة تميم: 77
- قبيلة تونجور: 83
- قبائل الجيتول: 2
- قبيلة جهينة: 77
- قبيلة اخروم : 52- 85

- قبيلة أوربة : 78- 80
- قبيلة أولاد اباجودا : 24
- قبيلة الدحاحنة: 55
- قبيلة الزوى :54- 85 - 92- 253- 263
- قبيلة اعريب : 262
- قبيلة فلان (الفـــلان): 55- 63- 72- 74- 75- 76- 77- 78- 81- 82- 83- 85- 86- 88- 129- 138- 171- 207- 246- 247- 248- 249- 250- 251- 252- 253- 254- 257- 258- 262- 270
- قبيلة كنته : 53- 63- 85- 237- 253
- قبيلة مغراوة : 52
- قوم فهر : 79

– ك –

- الكنوري: 74

– ل–

- لمتونة: 3- 6
- لمطة: 3

– م –

- المادينقو: 74
- المالطيون: 48
- الموحدين: 4- 21- 81
- المحاجيب: 85
- المحارزة: 53- 54
- المرابطين: 56- 81- 83
- المستوطنين: 16- 38- 40- 50- 71- 89
- المعاقيل: 53- 54
- الملثمون (صنهاجة): 3- 6- 52- 80- 82
- المهاري الجزائريين: 29- 30- 31

– هـــ –

- الهوسا: 74- 83- 84- 249

– و –

- الوندال: 55

– ي –

- اليهود: 40- 46- 48- 78- 86- 163- 186- 190- 265

فهرس الزوايا والمدارس الدينية:

– ز –

- زاوية أبي الأنوار التنلاني: 90
- زاوية أبي نعامة الكنتي (اقبلـــي): 65- 71- 90 271
- زاوية احمد بن مبارك الرسموكي: 170
- زاوية احمد ديدي التمنطيطـــي (البكريـــة): 65- 90- 120- 271
- زاوية انزجمير: 121
- زاوية أولاد عبد المولى: 130- 170
- زاوية اوقديم:67- 154
- زاوية بني مهلال: 122- 154
- زاوية تسفاوت: 107- 180- 238
- زاوية تنيلان: 65- 71- 91- 271
- زاوية الدباغي برقان: 67- 122- 154
- زاوية زاجلو : 120
- زاوية سيدي علي بن حنيني: 47
- زاوية كنته: 90
- زاوية محمد الحبيب الدرقاوية: 171
- زاوية المغيلي: 65
- زاوية ملوكة: 65
- زاوية مولاي هيبة: 65
- زاوية نومناس: 122- 182- 236

– م –

- مدرسة الجامع الكبير: 27
- مدرسة الحياة: 115- 126- 128- 138
- مدرسة ساهل: 90
- مدرسة سيدي بوغرارة بتيميمون: 27
- مدرسة سيدي عبد القادر الجيلاني بأدرار(الحاج سالم): 28- 154
- المدرسة الطاهرية بســـالي : 28- 66- 91- 99- 100- 101- 102- 106- 107- 108- 109- 119- 120- 121- 122- 130- 184- 223- 226- 272
- مدرسة مصعب بـــن عمـــير: 28- 67- 112- 120- 126- 140- 142- 144- 146- 148- 151- 152- 153- 154- 196- 198- 205- 250- 266- 272
- مدرسة عثمان بن عفان بتاظول: 122
- مدرسة مهدية بتيمي: 121- 236
- المعهد الإسلامي بعين صالح: 113- 119- 164- 240

فهرس التنظيمات (المذاهب، الأحزاب، الجمعيات الحكومات):

– أ –

- اتحاد النواب المسلمين الجزائريين: 17
- الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري: 17- 28
- الاتحاد السوفياتي: 33
- الاتحاد الإفريقي: 26
- الاتحاد الأوروبي: 40

– ج –

- الجامعة العربية: 19- 21
- الجبهة الاسلامية للإنقاذ: 20
- جبهة التحرير الوطني: 18- 19- 29- 32- 36- 61
- جمعية الأبحاث والدراسات التاريخية: 69
- جمعية العلماء المسلمين الجزائريين: 17- 27- 28- 61- 71- 89- 90- 94- 115- 118- 125- 126- 141- 166- 184- 203- 260- 271
- جمعية التربية والتعليم: 197
- جمعية النور للعلوم الثقافية: 113

– هـ –

- هيئة الأمم المتحدة: 19

– ح–

- الحركة الاسلامية الجزائرية: 20
- حركة انتصار الحريات الديمقراطية: 17- 18- 28
- الحركة الوطنية الجزائرية: 18
- حزب حماس: 124- 131
- حزب الشعب: 17- 61
- الحزب الشيوعي الجزائري: 17
- الحزب الشيوعي الفرنسي: 17
- حزب نجم شمال إفريقيا: 17- 90
- حزب نجم الشمال الإفريقي المجيد: 17
- حكومة تازة: 24
- الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية: 19- 36- 37- 262
- حكومة المخزن المغربية: 22
- حكومة فرنسا الحرة: 18
- الحكومة الفرنسية: 22

– ل –

- اللجنة الثورية للوحدة والعمل: 18

– م –

- المذهب الاباضي: 113- -128- 138
- المذهب الحنبلي: 138
- المذهب الشافعي : 138
- المذهب المالكي: 96- 102- 114- 116- 138- 139- 146- 147- 149- 164- 175
- منظمة التجارة العالمية : 40
- منظمة الدول المصدرة للنفط: 40

– ن–

- نادي الاتحاد: 17
- نادي الترقي: 17
- نادي صالح باي: 17

فهرس المحيطات والبحار والأنهار والأودية:

– ب –

- البحر الأحمر: 74- 79
- بحيرة تشاد: 74

– ح –

- حوض الساورة: 21
- حوض النيجر: 75
- حوض النيل: 76

– س –

- نهر السنغال: 255

– م –

- المحيط الأطلسي: 74- 76- 77- 80- 83- 84- 249

– ن –

- نهر النيجر: 78- 81- 249

– و –

- وادي امقيدن: 8- 12
- وادي جارت: 9- 12
- وادي جير: 4- 12- 51- 52
- وادي زوزسفانة: 12
- واد الساورة: 8- 10- 11- 12
- واد سفور: 12
- وادي شناشن: 12
- وادي صالح: 8
- وادي صامن: 2
- واد مسعود: 9- 12
- وادي ملوية: 2
- واد نون: 3
- وادي النيل: 79

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

إهداء:

شكر وتقدير:

مقدمة البحث وخطته :.....ا- ي

الفصل الأول: بيئة الشيخ محمد باي بلعالم (1930- 2009م) 1- 71

مقدمة الفصل: 1

المبحث الأول: موقع إقليم توات (ولاية ادرار خاليا) وخصائصه الطبيعية: 2- 14

أولاً: أصل تسمية توات : 2

ثانياً: ولاية ادرار الموقع والخصائص الطبيعية : 6

المبحث الثاني: الحياة السياسية والاقتصادية في الجزائر في عصر محمد باي (1930- 2009م):.....15-47

أولاً: الحياة السياسية : 15

ثانياً: الحياة الاقتصادية : 37

المبحث الثالث: الحياة الاجتماعية والثقافية في الجزائر في عصر محمد باي (1930- 2009م):.....48-69

أولاً: الحياة الاجتماعية : 48

ثانياً: الحياة الثقافية : 60

خاتمة الفصل: 70

الفصل الثاني: الشيخ محمد باي بلعالم نسبه ونشأته(1930-2009م):.....72- 138

مقدمة الفصل: 72

المبحث الأول: نسب محمد باي بلعالم : 74- 86

أولاً: التعريف بالفلان : 74

ثانياً: أصل الفلان: 76

ثالثاً: مواطن الفلان : 83

المبحث الثاني: محمد باي بلعالم المولد والنشأة (1348- 1430هـ / 1930- 2009م).....87-97

أولاً: مولد محمد باي بلعالم (1348هـ/ 1930م): 87

ثانياً: نشأة محمد باي بلعالم :.....91

ثالثاً: زواج محمد باي وحياته الأسرية : 92

رابعاً: أخلاق محمد باي بلعالم: 93

المبحث الثالث: محمد باي بلعالم طالبا للعلم :.....98- 137

أولاً : مرحلة الكتاب :.....98

ثانياً : مرحلة الزاوية :.....100
ثالثاً : مذهب وفكر محمد باي بلعالم:.....114
رابعاً : علاقة محمد باي بلعالم بعلماء عصره وبأولي الأمر:.....119
خامساً: وفاة العلامة محمد باي (1430هـ/ 2009م):.....133
خاتمة الفصل: 138
الفصل الثالث: أعمال الشيخ محمد باي بلعالم العلمية ونشاطه الإصلاحي : 139- 206
مقدمة الفصل:.....139
المبحث الأول: أعمال ومنجزات العلامة محمد باي العلمية : 140- 166
أولاً: نشاط العلامة محمد باي بلعالم داخل الوطن : 140
ثانياً: نشاط العلامة محمد باي العلمي خارج الوطن:.....166
ثالثاً: محاورات العلامة محمد باي بلعالم لعلماء عصره : 171
المبحث الثاني: نماذج لفتاوى العلامة محمد باي بلعالم : 177- 183
أولاً: نوازله الطبية : 177
ثانياً: المتعلقة بالأحوال الشخصية : 178
ثالثاً: ذات الطبيعة الاقتصادية : 179
المبحث الثالث: نشاط العلامة محمد باي بلعالم الإصلاحي : 184- 204
أولاً: الإصلاح الديني عند العلامة محمد باي بلعالم : 184
ثانياً: الإصلاح الاجتماعي عند العلامة محمد باي بلعالم : 196
ثالثاً: رد الفعل على نشاط العلامة محمد باي الإصلاحي : 203
خاتمة الفصل: 205
الفصل الرابع: الإسهامات العلمية للشيخ محمد باي بلعالم :.....207- 269
مقدمة الفصل:.....207
المبحث الأول: الإنتاج الفكري للعلامة محمد باي في العلوم الشرعية : 208- 229
أولاً: مؤلفاته في علوم القرءان وعلم مصطلح الحديث: 208
ثانياً: مؤلفاته في علم الفقه وعلم أصول الفقه :.....210
ثالثاً: مؤلفاته في علم الفرائض والسيرة النبوية:.....223
المبحث الثاني: الإنتاج الفكري للعلامة محمد باي في اللغة وآدابها :.....230- 245
أولاً: الإنتاج اللغوي للعلامة محمد باي بلعالم:.....230
ثانياً: الإنتاج الأدبي للعلامة محمد باي بلعالم : 235

المبحث الثالث: الإنتاج التاريخي للعلامة محمد باي بلعالم : 246- 270
أولاً: مؤلفات العلامة محمد باي التاريخية :.....246
ثانياً: دراسة وتقديم كتاب قبيلة فلان في الماضي والحاضر : 249
ثالثاً: دراسة وتقديم كتاب الرحلة العلية إلى منطقة توات :.....259
خاتمة الفصل: 270
خاتمة البحث :.....271- 274
ملاحق البحث: 275- 303
بيبلوغرافية البحث:.....304- 315
فهارس البحث: 316-347
فهرس الموضوعات: 348- 350

ملخص الرسالة :

تعالج هذه الرسالة الإسهامات الإجتماعية والثقافية لأحد أبرز علماء وفقهاء ولاية أدرار في القرن الحادي والعشرين ألا وهو العلامة **محمد باي بلعالم** هذه الشخصية التي كان لها حضور ديني وعلمي واجتماعي فعال في إقليم توات (ولاية أدرار)، فكان جدير بالدراسة لإبراز إسهاماته الإجتماعية والثقافية والتي تشهد عليها غـــزارة مؤلفاته الشرعية واللغوية والأدبية والتاريخية، وهو موضوع جديد سواء من حيث الطرح أو من حيث المضـــمون وتتكون خطة الرسالة من مقدمة وأربعة فصول وخاتمة وملاحق وبيبلوغرافية البحث وفهارسه، يعالج الفصل الأول بئته الشيخ محمد باي من 1930م-2009م لمعرفة الظروف التي أطاحت بالتكوين العلمي والشخصـــي للشـــيخ محمد باي بلعالم، أما الفصل الثاني فيعالج نسب ونشأة الشيخ محمد باي(1930م – 2009م) بالتعريف بنســـبه الفلاني وتعلمه ومشايخه وانجازاته، وعلاقته بعلماء عصره وبأولي الأمر، ويعالج الفصل الثالث أعمال الشيخ محمد باي العلمية ونشاطه الإصلاحي بتتبع أهم أعماله العلمية داخل الوطن وخارجه، ثم عرض جهـــوده الإصـــلاحية بإصلاح مجتمعه دينياً وعقائديا ودوره في إصلاح ذات البين واهتمامه بالمرأة والشباب ومحاربته للآفات الإجتماعية كالخمر والدخان والمخدرات، أما الفصل الرابع فيعالج الإسهامات العلمية للشيخ محمد باي بإحصاء عدد الكتب التي ألفها في مختلف العلوم الشرعية واللغوية والأدبية والتاريخية بتعريفها وتقييمها، مع وضع دراسة وتقديم لكتابيه (الرحلة العلية إلى منطقة توات) و(قبيلة فلان في الماضي والحاضر) لاستخراج قيمتهما التاريخية والعلمية.